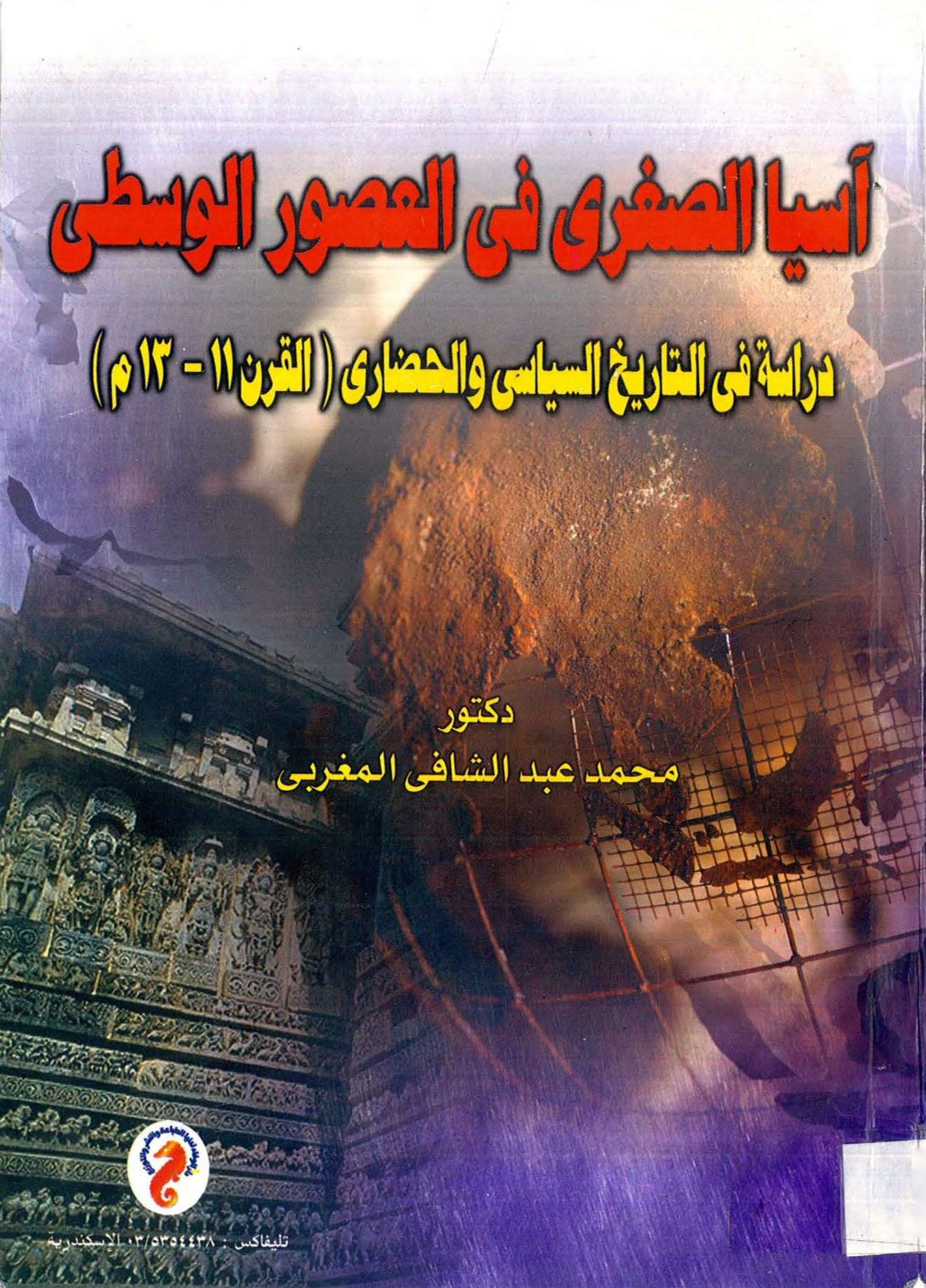
آسيا الصغرى فى العصور الوسطى

دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى (القرن ١١ - ١٣ م)

دكتور

محمد عبد الشافى المغربى



تليفاكس : ٠٣/٥٣٥٤٤٣٨ الإسكندرية

آسيا الصغرى فى العصور الوسطى

دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى (القرن ١١-١٣م)

آسيا الصغرى في العصور الوسطى
دراسة في التاريخ السياسي والحضاري (القرن ١١-١٣م)
د. محمد عبد الشافي المغربي
كمبيوتر: (دار الوفاء)
الطباعة: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
ش ملك حفني قبلي السكة الحديد
بجوار مساكن دربالة - بلوك رقم ٢
الرقم البريدي: ٢١٤١١ - الإسكندرية
رقم الإيداع: ٢٠٠٢/٦٨٢٤
الترقيم الدولي: 977/327/152/11

آسيا الصغرى
فى العصور الوسطى

دراسة فى التاريخ السياسى والحضارى (القرن ١١-١٣م)

دكتور

محمد عبد الشافى المغربى

مدرس تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب بقنا - جامعة جنوب الوادى

الناشر

دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر

تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

إهـــــداء

- إلى المسـلمين فـى تركيـا الذيـن مـازالوا يحـافظون علـى إسلامهم.
-إلى المسلمين والمسيحيين في مصر الذين ضربوا أعظم مثل للوحدة الوطنية.
- إلى أبى .... فى أكرم جوار.

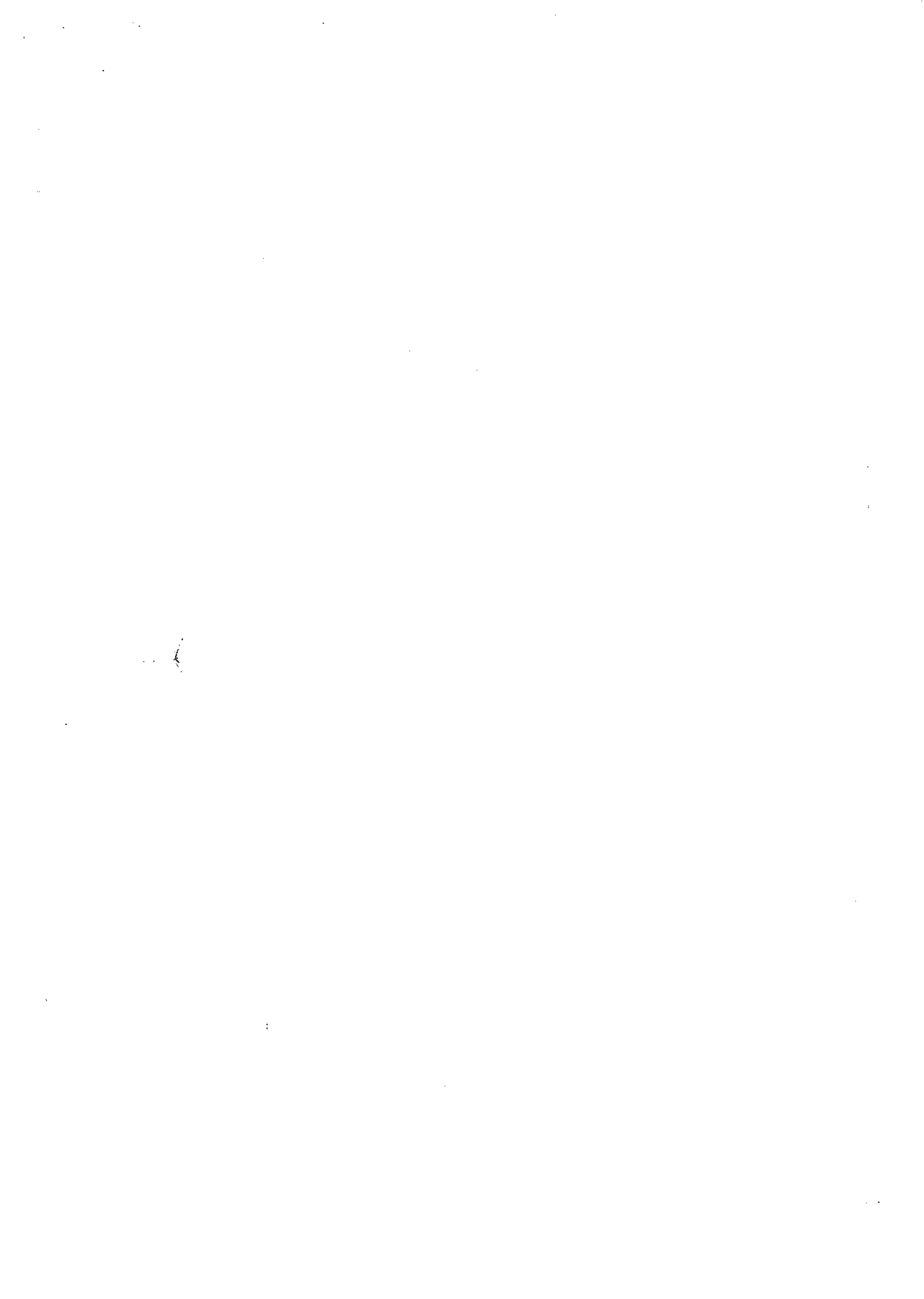
إلى أمى .... أطال الله فى عمرها.

إلى أخواتى ....

إلى زوجتى ....

إلى كل هؤلاء أهدى هذا الكتاب

محـــمد



المقدمـة

بسم الله الرحمن الرحيم

آسيا الصغرى أو الأناضول مرادفان لإقليم واحد هو شبه الجزيرة الفسيحة الممتدة من بحر إيجة إلى نهر الفرات [1].

والأناضول an'a-tolea هو الاسم الحديث لآسيا الصغرى [2] وأناطولي ترسم بالعربية أناضولي بتفخيم الألف : آناطولي وباليونانية أنا تولي حسب النطق البيزنطي ،واستخدم البيزنطيون الاسم اليوناني " أناتولي " التى تعنى " شروق الشمس " أولاً وقبل كل شئ مصطلحاً جغرافياً يطلق على الشرق أو المشرق للدلالة على كل ما يقع شرقي القسطنطينية ، أي آسيا الصغرى [3].

واسم الأناضول بمعناه الجغرافي يدل على شبه الجزيرة بأسرها وهى التي تكون الجزء الرئيسي من مساحة الجمهورية التركية فى العصر الحاضر ، وتنفصل عن أوربا بواسطة مضايق البسفور والدردنيل وبحر مرمرة ، ويحدها فى الشمال البحر الأسود ، وفى الجنوب البحر المتوسط ، وفي الغرب بحر إيجة [4].

والحقيقة إن إقليم آسيا الصغرى كان يمثل أهمية كبيرة منذ الأزمنة القديمة في تاريخ عالم البحر المتوسط والشرق ، والمؤرخ الشهير هيرودوتس كان أناضولي الأصل . وفى مدونته التاريخية جعل الأناضول مركزاً لتجمع الشعوب المختلفة أمثال الليديين واليونانيين والفرس وغيرهم [5] .

وآسيا الصغرى نقطة الالتقاء بين قارتي آسيا وأوربا وكانت على مدى العصور معبراً للعديد من الشعوب المختلفة مهاجرة كانت أو غازية [6].

---

(1) **Foss (C)** : Anatolia in Dictionary of the middle ages . vol . 1 p 239 . ; **Clive (F.W.F)** : Asia Minor in the Oxford Dictionary of Byzanyium ., vol . 1 p . 206 .

(2) **The Encyclopaedia Americana** . art. , Anatolia vol . 1 p . 779 ; **The American Heritage (R)** Dictionary of the English language (third edition 1992) art.Anatolia .

(3) **Taeschner (F)** : Anadolu in the Encyclopaedia of Islam . (1986) vol . 1 . p . 461 ; **Sheskin (I.M)** : Anatolia (an-uh-toh-lee-uh) in Lexicon Universal Encyclopedia ,(New York 1983) vol . 1 p . 394 . The Ency . American.art Anatolia .

(4) **Sheskin (I.M)** : op . cit ., vol . 1 ,p . 394 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey 1071-1330 (London . 1968) ., p .61 .

(5) **Vryonis(s)** : The Decline of Byzantine in Asia Minor ., -Fifteenth century- In Dumbarton oaks papers . No . 29 ., (1975) p . 351 .

(6) **The New Ency . Britannica (London 1991)** . art. , Anatolia vol . 1 .

وقد سكن آسيا الصغرى العديد من العائلات البيزنطية والتي كانت تمثل الأرستقراطية العسكرية، وهم من كبار عائلات ملاك الأراضي الزراعية والذين كانوا يتولون قيادة جيوش الأقاليم ، ومن هذه العائلات عائله بوتانياتس Botaniates ، وفوقاس Phocas، وماالينوس Malenius، وارجيروس Argyrus ، ودوكاس Ducas، وسكليروس Sclerus ، وموسيل Musele ، ومليسينوس Melissenus ، وتزمسكيس Tzimisces ، وكوركوا Curcuas ،وملساس Melias، وبورتزيس Bourtzes وكومنين Comnenus ، و ديوجين Diogenes ، دلاسينوس Dalassenus، كيكاومينوس Cecaumenus ، وسينادينوس Synadennus، ميناكس Maniaces ، باليولوج Palaeologus [٧].

والجدير بالمعرفة أن المسلمين كانوا يسمون أقاليم الدولة البيزنطية في جملتها : بلاد الروم ، وكانوا يعرفون البحر الأبيض المتوسط باسم بحر الروم أيضا ثم اختصر اسم " بلاد الروم " إلى " الروم " فقط ، وصارت لفظة " الروم " بمرور الأيام اسم لأقرب الأقاليم النصرانية من بلاد الإسلام ، ومن ثم صار " الروم " اسما لآسيا الصغرى عند العرب وهي البلاد العظيمة التى انتقلت نهائيا فى ختام القرن الخامس الهجري (الحادي عشر الميلادي) إلى أيدي المسلمين باستيلاء السلاجقة عليها [٨] كما سنرى في هذه الدراسة .

ولقد ورث الأتراك السلاجقة هذا الاسم حينما نجحوا وسيطروا على آسيا الصغرى حيث أطلق عليهم سلاجقة الروم [٩].

وتعتبر دراسة التاريخ السياسي والحضاري لآسيا الصغرى فى القرن الثاني عشر الميلادى من الموضوعات الجدية والهامة في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى بصفة عامة، وتاريخ الدولة البيزنطية والحركة الصليبية بصفة خاصة .

والحقيقة أن تلك الموضوعات عديدة ومتداخلة في بعضها البعض ،وقد شهدت أرض آسيا الصغرى العديد من القوى السياسية المختلفة والعناصر المتنوعة

---

(7) **Vryonis** : the Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth century (California 1971) ., pp . 161-162 . ; **Diehl (Charles)** : Byzantium : greatness and decline . (New York 1957) p . 114 .

(8) **Strange (G.Le)** : The Lands of the Eastern Caliphate . (Cambridge 1930) .p .127.
والترجمة العربية لسترنج :بلدان الخلافة الشرقية ، ترجمة بشير فرنسيس وكوركيس عواد (بغداد ١٩٥٤) ص ١٥٩ .

(9) **Marsden (W.F.R.S)** : The Oriental Coins (London 1823) p . 83 .

والمسرح الذي جرت عليه الأحداث واسع وفسيح بحيث التقت على ساحته المصالح والأهواء مرة وتناقضت وتعارضت مرات وتطلب الأمو استعراض العلاقات المختلفة بين تلك القوى المعنية في شتى صورها ومضامينها ،وتوضيح كل ما فيها من سياسات وصراعات في فترة من أدق فترات تاريخ العصور الوسطى وأخطرها .

وترجع أهمية موضوع البحث إلى أنه يلقي أضواء جديدة على منطقة آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر الميلادي ، حيث أنها شهدت قدوم أقوام جديدة امتلكت مساحات شاسعة من أرضها كما شهدت انتقال هذه البلاد من الحضارة اليونانية والديانة المسيحية إلى العقيدة والحضارة الإسلامية ، وذلك بعد نجاح الفتح السلجوقي لآسيا الصغرى وقيام سلطنة سلاجقة الروم في الربع الأخير من القرن الحادي عشر على يد سليمان بن قطلمش .

كما ترجع أهمية البحث إلى أنه يلقي أضواء جديدة على الجوانب الحضارية لآسيا الصغرى ومقومات بنائها السياسي والاقتصادي وتطورها الاجتماعي والثقافي ، إذ ترتب على الفتح السلجوقي لآسيا الصغرى خلق وضع حضاري جديد ، خاصة في الجانب الاجتماعي ، بسبب كثرة الأجناس والأصول وما صحب ذلك من تعدد اللغات ، وتداخل العادات والتقاليد .

يقع البحث في بابين يتناول الأول الأوضاع السياسية ويشمل ثلاث فصول والثاني يتناول الأوضاع الحضارية ويشمل خمسة فصول ويبدأ البحث بمقدمة ودراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع ،وينتهي بخاتمة أوضحت فيها ما وصلت إليه ثم قائمة بالمصادر والمراجع .،هذا بالإضافة إلى الملاحق التي حوت بعض الخرائط لآسيا الصغرى وصور مختلفة لمظاهر الحضارة في تلك الفترة .

تناول البحث في الفصل الأول من الباب الأول والذي جاء بعنوان " القوي المختلفة في آسيا الصغرى قبيل القرن الثاني عشر الميلادي " ، التوغل السلجوقي في آسيا الصغرى ومراحله المختلفة ، ثم بحث موقف الدولة البيزنطية من هذا التوغل وكيف قاومته بالقوة الحربية تارة وبالتفاوض والطرق الدبلوماسية تارة اخرى ، كما تناول هذا الفصل بالبحث والتحليل الموضوعات الخاصة بظهور الحركات الانفصالية ومحاولة إقامة دول مستقلة وتمرد بعض القادة البيزنطيين مثل تمرد نقفور بوتنياتس قائد ثغر الاناتوليك ،وتمرد نقفور برينيوس ونقفور ميلسينوس، ومحاولة فيلاريتوس إحياء الدولة الأرمينية . كما عالج هذا الفصل موضوع قيام سلطنة سلاجقة الروم في الربع الأخير من القرن الحادي عشر الميلادي على يد سليمان بن قطلمش ونشأة الإمارات المستقلة مع حركة التوسع السلجوقي مثل أمارة بني دانشمند في سيواس وملطية (١٠٧١- ١١٧٧م) وبنو سلدق في أرضروم (١٠٧١-

١٢٠١ م) وبني منكوجك في ارزنجان وديوريكي (١٠٧١-١٢٠٢) وإمارة الأمير تشقا (تزاخاس) في أزمير .

وفي الفصل الثاني وهو بعنوان " النشاط الصليبي في آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر " تعرض البحث إلى أحداث الحملة الصليبية الأولي في آسيا الصغرى (١٠٩٧-١٠٩٩ م) ، والحملة الصليبية لسنة ١١٠١ م ، وكيف انتهت في آسيا الصغرى وأيضا أحداث الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧-١١٤٩ م) ،ثم اختتم الفصل بعرض وتحليل أحداث الحملة الصليبية الثالثة سنة (١١٨٩-١١٩٢ م) وهي آخر حملة برية مرت على آسيا الصغرى في طريقها إلى بلاد الشام ، كما ناقش هذا الفصل تأثير الحملات الصليبية على العلاقات البيزنطية السلجوقية .

وفي الفصل الثالث الذى جاء بعنوان " النشاط البيزنطي في آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر الميلادي " عالجت محاولات الأباطرة البيزنطيين لاستعادة آسيا الصغرى من أيدي السلاجقة كمحاولات الإمبراطور الكسيوس الاول كومنين (١٠٨١-١١١٨ م) وابنه حنا الثاني كومنين (١١١٨-١١٤٣ م) وحفيده الإمبراطور مانويل الأول كومنين (١١٤٣-١١٨٠ م). كما تناول هذا الفصل المعركة الشهيرة التي ثبتت أقدام السلاجقة في آسيا الصغرى وهي معركة ميريوكيفالون سنة ١١٧٦ ثم بحث هذا الفصل المحاولات الفاشلة لأباطرة بيزنطة في أواخر القرن الثاني عشر الميلادي لاستعادة آسيا الصغرى وهم : الكسيوس الثاني كومنين (١١٨٠-١١٨٣ م) واندرونيقوس الثاني انجليوس (١١٨٣-١١٨٥) واسحق الثاني انجليوس (١١٨٥-١١٩٥) والكسيوس الثالث انجليوس (١١٩٥-١٢٠٣ م) .

أما بالنسبة للجانب الحضاري ففي الفصل الأول الذى يحمل عنوان "الحياة الدينية في آسيا الصغرى" عالجت بالبحث والدراسة وضع الديانات المختلفة التي كانت في آسيا الصغرى قبيل الفتح السلجوقي ، كما تناول هذا الفصل موضوع انتشار الإسلام في آسيا الصغرى وفي هذا الفصل أيضا ألقيت الضوء على انتشار ظاهرتي التصوف والفتوة .وفي الفصل الثاني الذى جاء بعنوان "الحياة الاجتماعية في آسيا الصغرى" تناولت عناصر السكان وموضوع دخول الأتراك السلاجقة آسيا الصغرى وتتركها ، ثم اختتمت الفصل بدراسة التفاعل الاجتماعي بين سكان آسيا الصغرى .

وفي الفصل الثالث الذى جاء بعنوان " الحياة الفكرية في آسيا الصغرى" تناول بالدراسة والتحليل موضوع الحركة العلمية والنشاط الفكري فتحدث عن رعاية واهتمام السلاجقة بالعلم والعلماء والنشاط الفكري في هذه البلاد في مجالات الأدب والعلوم النقلية والعقلية والطب وغيرها. كما تطرق إلى الحركة العلمية في

الجانب البيزنطي والأرميني ،وفي الفصل الرابع الذي جاء بعنوان النشاط الاقتصادي في آسيا الصغرى،فعرض للنشاط الزراعي والرعوي وتطرق إلى الحديث عن الصناعة وأهم الصناعات كما تناول النشاط التجاري والنظم التجارية .

وفي الفصل الخامس والأخير وهو بعنوان " العمارة والفنون في آسيا الصغرى " تناول بالدراسة والتحليل موضوع تخطيط المدن وتحصينها وعمارتها وإنشاء المباني العامة كالمساجد والخانات والقصور والعمارة السلجوقية كعمارة المؤسسات العقلية وزخرفة الجدران والأضرحة والمقابر والسجاد والخزف ثم اختتمت هذا الفصل بدراسة العملة و المسكوكات .

وهنا يجدر بي أن أرجع الفضل لأهله،فأتوجه بالشكر إلى أستاذي الفاضل الأستاذ الدكتور محمود الحويرى، والعالم الجليل الأستاذ الدكتور سعيد عبد الفتاح عاشور شيخ المؤرخين في مصر والعالم العربي، والأستاذة الدكتورة زبيدة محمد عطا، والأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم، والأب منصور مستريح رئيس دير الفرنسسكان بالقاهرة والدكتور محمد نعينع ، ولكل من قدم لي يد العون في مصر أو خارجها ممن أمدوني برأى أو فكرة أو مصادر ومراجع تخص بحثي للدكتوراه فلهم مني جميعاً جزيل الشكر والعرفان.

وأرجو الله أن أكون قد وفقت فيما ذهبت إليه والله ولي التوفيق.

د. محمد عبد الشافي المغربي.

كلية الآداب بقنا

جامعة جنوب الوادى

٢٠٠٢م / ١٤٢٢ هـ

دراسة تحليلية
لأهم مصادر ومراجع البحث

نظرا لطبيعة هذا الموضوع . فقد تطلب من الباحث أن يعتمد في دراسته على مصادر مختلفة ، بيزنطية ولاتينية وأرمينية وسريانية وفارسية وتركية وعربية منها ما هو مدون بلغته الأصلية ، ومنها ما هو مترجم إلى العربية والإنجليزية والفرنسية كما تطلب البحث أيضا الاعتماد على عدد وفير من المراجع الأجنبية الحديثة المدونة بالعربية وبالإنجليزية والفرنسية والألمانية ، والرجوع أيضا إلى الدوريات والمجموعات والقواميس ودوائر المعارف المختلفة . وكل ذلك أملا في إخراج الموضوع على أحسن صورة ، على ضوء المعلومات المتاحة وسأقتصر التركيز في تحليل المصادر والمراجع على أهمها والتي أفادتنا إفادة عظيمة ، والتي برزت من خلال معالجتي لهذا الموضوع .

فبالنسبة للمصادر البيزنطية . فهي كثيرة ومتنوعة ، ومن أهم المصادر البيزنطية كتاب آنا كومنين ، ونيقتاس خونياتس ، وميخائيل اتالياتس ، وكناموس ، ونقفور برينيوس ، وزوناراس وكدرينوس الذى راجعه وأكمله سكيلتيزيس [١٠]

وعلى رأس المصادر البيزنطية التى اعتمد عليها البحث بصفة أساسية " تاريخ ميخائيل أتالياتس " [١١] Historia وتأتي أهمية كتابه إلى انه كان شاهد عيان لكثير من الحوادث التاريخية التي دونها ، فقد كان من كبار القضاة العسكريين في الجيش البيزنطي ، وقد أمدنا تاريخه بمعلومات تفصيلية مسهبة عن العديد من الوقائع التاريخية . وخاصة في الفصل الأول عند حديثه عن الغزوات السلجوقية في آسيا الصغرى والنتائج الديموجرافية لهذه الغزوات ، وموقف الحكام البيزنطيين كما تحدث عن مظاهر تدخل السلاجقة ومساعدتهم للمتمردين البيزنطيين وينتهي تاريخه بحوادث سنة ١٠٧٨ م .

كما استفاد البحث من كتاب الالكسياد The Alexiad للمؤرخة آنا كومنين ابنه الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين وقد غذى كتاب الالكسياد البحث بمعلومات وفيرة وغاية في الأهمية . فهو يعتبر سجلا شاملا لتاريخ بيزنطة في الفترة من ١١١٨م إلى ١٠٦٩ م ، وقد أفادنا بشكل كبير في الفصلين الأول والثاني ، حيث تحدث عن جهود البيزنطيين لاسترداد أملاكهم في آسيا الصغرى من السلاجقة . كما

(10) Halsal (P) : Byzantine Sources in Translation-Microdoft Internet Explorer (Preliminary version 0.8 · October 12.1997).

(11) Alice (M.M.T) : Attaliates Michael in the Dictionary of the Middle ages . vol . 1 p . 641

تحدث عن الحملة الصليبية الأولى ، وموقف الأتراك السلاجقة منها إبان اجتياحها آسيا الصغرى . والملاحظ على المؤلفة أنها لم تنس أنها تؤرخ لوالدها حيث لم تستطع أن تخفي تحيزها الواضح له .

كما استفادت الدراسة من كتاب التاريخ Historia لنيقتاس خونياتس ، والذى أفاد البحث في فصوله المختلفة . ويشمل الكتاب الفترة التاريخية الممتدة من سنة ١١١٨ م وحتى سنة ١٢٠٦ م أي ما بعد سقوط القسطنطينية في أيدي اللاتين .وتأتى أهمية الكتاب لكون خونياتس يعتبر شاهد عيان إذ ولد نيقتاس في منتصف القرن الثاني عشر في مدينة خوناي بآسيا الصغرى ، ولذلك اقترن اسمه بمسقط رأسه وشغل عدة وظائف هامة في البلاط البيزنطي . وقد أفاد تاريخ خونياتس البحث في مواضع مختلفة خاصة الفصل الثالث من الباب الأول والذى تحدث عن محاولات الإمبراطور حنا كومنين ومانويل في التعامل مع قوة سلطنة سلاجقة الروم وقوة الدانشمنديين وحملاتهم الحربية في آسيا الصغرى وتحدث عن مظاهر علاقة سكان جزر بحيرة بوسجوس مع سلاجقة الروم ، وتناول دور الإمبراطور مانويل في غرس بذور الفتنة بين سلاجقة الروم و الدانشمنديين . كما انفرد تاريخ خونياتس بالعديد من المعلومات التى سوف تظهر في هذا البحث خاصة حديثه المسهب عن معركة ميروكيفالون سنة ١١٧٦ م الشهيرة . كما تحدث عن لجوء بعض أفراد سلاجقة الروم إلى البيزنطيين ولجوء بعض المتمردين البيزنطيين إلى سلاجقة الروم .وكان خونياتس موضوعيا حينما وجه اللوم للبيزنطيين الذين لجئوا الي الأتراك السلاجقة طمعا في السلطة ،ورأى ان هذا هو السبب الرئيسي في الكوراث التي ألمت بالإمبراطورية البيزنطية والملاحظ على كتاب خونياتس أنه لم يلتزم بالتسلسل الزمني للأحداث وقليلا ما يشير إلى السنة التى وقعت فيها الأحداث ، كما كان من طبيعته الميل إلى الاستطراد . ولم يشر نيقتاس إلى المصادر التى استقى منها مادته التاريخية ، ولكن المعروف انه تقلد العديد من المناصب التي مكنته من الاحتكاك بالقادة والعسكريين والذين كانوا هم مصادره وللمؤرخ خونياتس مؤلفات أخري في الدين والشعر والخطابة إلا أن كتابه " التاريخ " يعتبر أهمها .

ومن المصادر البيزنطية الهامة التى قدمت للبحث مادة غزيرة للفصل الثالث من الباب الأول كتاب " مختصر التاريخ " Epitome Historiarum لحنا كيناموس .وقد غطى تاريخه الفترة الزمنية الواقعة بين سنتي ١١١٨-١١٧٦ م وقسم

كتابه إلى سبعة فصول ، خصص الأول منها للحديث عن أعمال الإمبراطور حنا كومنين والتي تحدث عنها بشكل مختصر ، وباقي كتابه خصصه للإمبراطور مانويل كومنين وتأتي أهمية كتابه إلى انه كان يشغل وظيفة مهمة في البلاط البيزنطي فضلا عن اشتراكه في حملات الإمبراطور مانويل العسكرية في آسيا الصغرى ، ولم يخف كيناموس ما أحدثه البيزنطيون بمقابر السلاجقة المسلمين في ضواحي قونية بعد فشلهم في اقتحامها .وإشارته هذه فيها الكثير من الأمانة العلمية ، إلا أن ما يؤخذ عليه أنه اقتضب في الحديث عن معركة ميريوكيفالون سنة ١١٧٦ م للتقليل من أهمية انتصار السلاجقة على البيزنطيين ، على عكس المؤرخ خونياتس الذي تحدث بإسهاب عن مدى فداحة الخسائر البيزنطية في تلك المعركة ، ويعتبر كتابه من أهم المصادر البيزنطية أيضا ولا يقل أهمية عن كتاب نيقتاس خونياتس . غير انه من الملاحظ على كتابه انه كان معجبا بشكل كبير بالإمبراطور ما نويل خاصة عند الحديث عن أعماله العسكرية حيث كان يصوره في صورة البطل الأسطوري . ولا شك ان ذلك كان على حساب كتابته للأحداث التاريخية التي كانت تحتاج إلى الموضوعية .

ومن المصادر البيزنطية الهامة التي أمدت الدراسة بمعلومات هامة كتب التاريخ الأربعةLes Quatre livres Des Histoires للمؤرخ نقفور برينيوس وهو زوج الأميرة انا كومنين ابنة الإمبراطور الكسيوس كومنين . وقد أمدت كتب التاريخ الأربعة لهذا المؤرخ الفصل الأول من الدراسة في الجانب السياسي بمادة علمية غزيرة خاصة فيما يخص العلاقة بين الدولة البيزنطية والأتراك السلاجقة في الفترة من سنة ١٠٧٠م إلى ١٠٧٩ م . وانفرد تاريخ نقفور بالحديث عن تدخل السلاجقة في الأحوال البيزنطية وحالات التمرد من قبل الأمراء البيزنطيين للوصول إلى العرش البيزنطي .

كما استفادت الدراسة من كتاب المؤرخ البيزنطي جورج كيدرينوس[١٢] وعنوانه خلاصة التاريخ Historiarum Compendium وهو من مؤرخي القرن الحادي عشر الميلادي . وقد أفادنا في الفصل الأول حيث تحدث عن إرهاصات

(12) Alexander (K) : Kedrenos George in the Oxford Dictionary of Byzantium . vol . I p . 1118 .

التوغل السلجوقي في آسيا الصغرى ، ويتناول تاريخه الفترة من بدء الخليقة حتى عام ١٠٥٧ م .

كما استفادت الدراسة من كتاب حنا سكليتزيس وعنوانه Exoerpta ex Breviaria Historico ويغطي الفترة التاريخية الممتدة سنة ١٠٥٧-١٠٧٩ م . والملاحظ على كتابته انه كان ينقل نقلا حرفيا عن كتاب المؤرخ ميخائيل اتالياتس .ولقد انتهى تاريخ سكيلتزيس بالحديث عن تمرد قسطنطين دوقاس ضد الإمبراطور البيزنطي تقفور يوتنياتس سنة ١٠٧٩-١٠٨٠ ،وقد استفاد منه البحث في الحديث عن التوغل السلجوقي في آسيا الصغرى .

كما استفادت الدراسة من كتاب المؤرخ زوناراس وعنوانه مختصر التاريخ Epitom Historiarum والذي يتناول تاريخه الفترة منذ بدء الخليقة حتى سنة ١١١٨ م في ثلاثة أجزاء . ويبدو أنه اعتمد على كتابات من سبقوه ولذلك لم يأت بجديد ويتميز كتابه في بعض موضوعاته بالموضوعية فقد تميز عن انا كومنين بنقده لبعض أعمال الإمبراطور الكسيوس كومنين، وقد استفاد منه البحث في الفصل الأول من الباب الأول خاصة عند الحديث عن فتوحات السلاجقة في آسيا الصغرى .

أما عن المصادر اللاتينية التي استفاد منها البحث فيأتي على رأسها كتاب وليم الصوري وعنوانه " تاريخ الأعمال التي تمت فيما وراء البحار " A History of Deeds Done Beyond the sea.

وقد أطلعنا على الترجمة القيمة التي قام بها دكتور حسن حبشي ، وقد ولد وليم الصوري في بيت المقدس حوالي سنة ١١٣٠م ، وقد زار العاصمة البيزنطية سنة ١١٧٩ م ويعتبر كتابه من المصادر الأصلية خاصة للفترة الواقعة بين سنتي ١١٢٧ و ١١٨٤ . وقدم لنا وليم معلومات غذت البحث خاصة في فصل الحروب الصليبية (الحملة الصليبية الأولي والثانية) . كما أفاد البحث في الفصل الثالث من الباب الأول عند الحديث عن النشاط البيزنطي في آسيا الصغرى حيث تعرضت الدولة البيزنطية للهزيمة في معركة ميريوكيفالون سنة ١١٧٦ م .

ومن المصادر اللاتينية التي استفاد منها البحث كتاب المؤرخ المجهول الاسم وعنوانه " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " (Gesta Francorum et Aliorum Hierosolymitanorum) وقد استفاد منه البحث في الفصل الثاني ، حيث تعرض للحملة الصليبية الأولى التي كان مصاحبا لها . وقد كان لهذا المصدر

دور كبير فى التعبير عن وجهة نظر الأطراف المختلفة من الحملة الصليبية الأولى خاصة موقف بيزنطة والصليبيين . ولم يتمكن أحد من كشف القناع عن اسم هذا المؤرخ ، كما خلا الكتاب من ذكر اسم مؤلفة و خلا أيضا من الإشارة إلى وقت كتابته أو إملائه .

ومن المصادر اللاتينية التي استفاد البحث منها بشكل كبير خاصة فى فصل النشاط البيزنطى ما كتبه المؤرخ الفرنسي أودو أف دويل فى كتابه " حمله لويس السابع في الشرق " De profection ludovici VII in orientem " وكان أودو راهبا فى دير سانت دينس St. Denis بمدينة باريس ، وعين واعظا للحملة الصليبية الثانية التى قادها لويس السابع ملك فرنسا (١١٣٧-١١٨٠ م) ، وكونراد الثالث ملك ألمانيا (١١٣٨-١١٥٢ م) وقد اصطحب الملك لويس المؤرخ أودو أوف دويل معه في حملته ، لذا فإنه يعتبر شاهد عيان لأحداث هذه الحملة حيث كتب تفصيليا عن هذه الحملة بداية من الدعوة لها وإعداد القوات واختراقها آسيا الصغرى وتوقف بأحداثها عند مدينة أضاليا البيزنطية الواقعة فى الساحل الجنوبي من آسيا الصغرى ، وهى النقطة التى توقف فيها الجيش الفرنسي ، وقد أمدنا المؤرخ بتفصيلات هامة عن تحركات الحملة الصليبية الثانية في آسيا الصغرى . وفى البحث نلاحظ عداءه الشديد للبيزنطيين ، والواقع أن المادة التى عرضها هذا المؤرخ مادة غنية أفادت البحث بشكل كبير .

ومن المصادر اللاتينية التى اعتمد عليها البحث أيضا كتاب المؤرخ فوشيه الشارترى ، نسبه إلى منطقة شارتر الفرنسية وكتابه بعنوان " تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م " وقد اعتمدنا على الترجمة القيمة التى قام بها الدكتور/ قاسم عبده قاسم . وقد أفادنا هذا المصدر عند التعرض للحملة الصليبية الأولى فى الفصل الثاني . ويتميز فوشيه بأنه كان شاهد عيان على الحملة الصليبية الأولى منذ بدايتها .

وهناك مصدر لاتيني آخر استفدنا منه في البحث هو كتاب المؤرخ ألبرت أكس الذي كان أحد رجال الدين في مدينة اكس لاشايل (آخن) الألمانية وعنوان كتابه " تاريخ القدس " Historia Hierosolymitana ولم يكن البرت شاهد عيان بنفسه واعتمد فى كتابه على روايات شهود العيان والمصادر الأدبية ، وقد وقف فى كتابه عند تاريخ سنة ١١٢٠م .

ومن المصادر اللاتينية التي استفاد منها البحث " تاريخ هرقل " Estore De Eracles ويعد مكملا لكتاب وليم الصوري السالف . ويغطى الفترة التاريخية من سنة ١١٨٤ إلى ١٢٧٧ م . وقد أفاد هذا المصدر البحث في الفصل الثاني من الباب الأول عند حديثه عن الحملة الصليبية الثالثة وأحداثها في آسيا الصغرى

واستفادت الدراسة من المصادر الأرمينية والسريانية فمن المصادر الأرمينية كتاب " تاريخ متى الرهاوى " Chroni Que De Matthieu D'esse وقد ولد متى بمدينة الرها ، ويبدأ كتابه بالأحداث التاريخية من سنة ٩٥٢ م وتنتهي بأحداث سنة ١١٣٦ م ، وأتم جريجوار Gregoire – وهو أحد تلاميذه – كتابه حتى ١١٦٣ م ، وقد أفاد البحث في الفصل الثاني الخاص بالحروب الصليبية .

وتأتى على رأس المصادر السريانية التى أفاد منها البحث حولية المؤرخ ميخائيل السرياني. Extrdit de la chronique de michel le Syren والتي أفادت البحث في مواقع مختلفة . وقد ولد ميخائيل السرياني في مدينة ملطية بآسيا الصغرى سنة ١١٢٦م وتوفى سنة ١١٩٩ م . وتولى ميخائيل السرياني عددا من المناصب الدينية . وكتب حوليته سنة ١١٩٦ أى قبل وفاته بثلاث سنوات . وقد قام الباحث الفرنسي شابو Chabot بترجمة ونشر حوليته باللغة الفرنسية . وقد أمدنا ميخائيل السرياني بمعلومات هامة في البحث وانفرد بالكثير منها . خاصة عند حديثه عن السلطان قلج ارسلان الثاني (١١٥٦-١١٩٢) في آسيا الصغرى ومعاملة سلاطين سلاجقة الروم الطيبة بشكل عام لسكان آسيا الصغرى من البيزنطيين وغيرهم .

ومن أهم المصادر السريانية التي استفاد منها البحث كتاب " تاريخ الزمان " لابن العبري واسمه أبو الفرج غريغوريوس جمال الدين بن الشماس بن توما الملطى .وقد اشتهر بلقب ابن العبري نسبة إلى قرية " عبرا " القريبة من مدينة ملطية . وقد بدأ تأليف هذا الكتاب سنة ١٢٧٦ م ويعتبر كتابه مكملا لكتاب ميخائيل السرياني حيث انتهى عند سنة ١٢٨٦م ، وهو نفس تاريخ وفاته . وقد أفادنا هذا المصدر في مواقع مختلفة من الرسالة .كما كان لابن العبري كتاب آخر بعنوان " تاريخ مختصر الدول" ، وقد أفادنا في معظم فصول الدراسة تقريبا .

أما عن المصادر الفارسية فيأتي في مقدمتها كتاب المؤرخ ابن بيبي ، وكان ابن بيبى قد ورث العمل عن أبيه حيث تقلد منصبا هاما في الإدارة السلجوقية هو

"ملك ديوان الطغرا " [١٣] . ويعتبر . ابن بيبى من اقدم مؤرخي تاريخ سلاجقة الروم وهى القوة الرئيسية فى آسيا الصغرى التى تعامل معها البحث على طول صفحاته . والحقيقة ان مدونته التاريخية تعتبر أقدم حولية تاريخية كتبت باللغة الفارسية عن تاريخ سلاجقة الروم فى الفترة التاريخية من ١١٩٢-١٢٨٠م /٥٨٨-٦٧٩هـ . بدأ يكتب تاريخه حوالى سنة ١٢٨١ م ولم يتعرض فى كتابه لأى معلومات تاريخية عن الغزو السلجوقى لآسيا الصغرى . وقد علل ذلك هو شخصيا حين ذكر صراحة بأنه لا يعلم شيئا عن الحوادث التاريخية التى جرت قبل سنة ١١٩٢ . والحقيقة أن كتاب المؤرخ ابن بيبى كتاب ضخم يغلب عليه الأسلوب الأدبي ، وملئ بأبيات الشعر . ونظرا لضخامة العمل قام أحد الأدباء السلاجقة بكتابة مختصر له سماه " سلجوق نامه " بناء على رغبة المعاصرين وقام الأستاذ هوتسيما بتخفيفه [١٤] . وقد لاقى الكتاب الاهتمام من الباحثين ، وصدرت له عدة ترجمات ألمانية وتركية وفرنسية وعربية أيضا وقد اعتمدنا على الترجمة العربية التى قام بها الدكتور محمد علاء الدين منصور ، خاصة الجانب الحضاري ، حيث انفرد بكثير من المعلومات ، لم نجدها عند غيره من المؤرخين .وتأتى أهمية كتابه فى ان كل المدونات التاريخية الخاصة بسلاجقة الروم قد نفذت كلها .

كما استفادت الدراسة من كتابات المؤرخ الفارسي حمد الله مستوفى القزوينى الذى ولد فى مدينة قزوين سنة ١٢٨٣م (٦٨٠هـ)خاصة كتابه المعروف باسم " نزهة القلوب " سنة ١٣٤٠ م (٧٤٠ هـ) وقد أفاد هذا المصدر البحث فى الجانب الحضاري عند التعرض للنشاط الاقتصادي ، حيث انفرد ببعض المعلومات الخاصة بالزراعة والرعى فى آسيا الصغرى .وقد اعتمدنا فى الرسالة على النسخة المترجمة إلى الإنجليزية والتى قام بترجمة الجانب الجغرافي منها لسترنج Le strange. .

كما استفادت الدراسة من المخطوطة الفارسية مجهولة المؤلف " حدود العالم " هذه المخطوطة التى اكتشفها المستشرق الروسي تومانسكى Tomanski فى عام ١٨٩٢ ، ونسبت إليه فى الدوائر العلمية ، فأصبحت تعرف " بمخطوطة تومانسكى

---

(13) **Cahen (C)** : " La tugra seljukide journal Asiatique " T.ccxxxsv , pp 167 – 172 .
(14) **Houtsma (M.th)**: Recueil de textes Relatifs A Histoire Des Seldjoueides D'asie Mineure D'abres Ibn Bibi (Leiden 1902) .

المجهولة المؤلف " وقد قام بنشرها بارتولد في عام ١٩٣٠ . ثم تلى ذلك ظهور ترجمة إنجليزية تصحبها تعليقات لمينورسكي في عام ١٩٣٧ وهي النسخة التي اعتمدت عليها الدراسة .

أما عن المصادر التركية التي توفرت لدينا ، فقد تضمنت مادة علمية لا بأس بها .وتأتي أهمية هذه المصادر إلى أنها نقلت كثير من رواياتها عن مصادر باتت/ مفقودة في وقتنا الحاضر ومن هذه المصادر كتاب " مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار " للمؤرخ محمود بن علي اقسرائي وحرره مؤلفه سنة ١٣٢٣م /٧٣٢ هـ . وقد أفاد هذا الكتاب البحث في مواضع مختلفة من الرسالة .

وهناك مصدر تركي آخر للمؤرخ التركي " هزارفن حسين أفندي في مخطوطة " تنقيح تواريخ الملوك " .

وكذلك هناك مصدر تركي آخر للمؤرخ عالي في مخطوطة " فصول حل وعقد أصول خرج ونقد " وقد أفادنا هذان المصدران بمعلومات متفرقة في معظم فصول الدراسة .

أما عن المصادر العربية فهي كثيرة ومتنوعة حيث قدمت هذه المصادر لهذا البحث مادة علمية وفيرة وقيمة مع أن بعضها كان شحيحا بعض الشيء ، ولكنها أفادت البحث أثناء تناولي الجانبين السياسي والحضاري من البحث .

وقد استفاد البحث إلى حد كبير من كتاب " الكامل في التاريخ " لابن الأثير الجزري الذي يعتبر من أعظم المؤرخين العرب . فقد بدأ كتابه من بدء الخليقة حتى سنة ١٢٢١ م (٦٣٨ هـ) ، واحتوى على معلومات هامة أفادت البحث في معظم فصول الدراسة . ولقد استفاد البحث من كتابه لاحتوائه على معلومات هامة عن سلاجقة الروم -كما بين لنا أهمية آسيا الصغرى كمعبر هام لتجارة العبور العالمية ،كما تطرق إلى مدى اهتمام السلاطين بالعلم والعلماء .

كما استفادت الدراسة من كتابات المؤرخ ابن العديم الذي يعتبر من أبرز المؤرخين العرب في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) ، ومن هذه المصادر كتاب " زبده الحلب من تاريخ حلب وقد أمدنا في هذا البحث بمعلومات غاية في الأهمية ،وكان ابن العديم شاهد عيان في بعضها خاصة في المصاهرات السياسية التي جرت في آسيا الصغرى حيث تولى هو نفسه تحرير عقد زواج في إحدى هذه المصاهرات .ولابن العديم كتاب آخر يحمل اسم " بغية الطلب في

تاريخ حلب ، الذي يعتبر موسوعة تاريخية كبرى أفادت البحث في الجانب الحضاري ، خاصة عند الحديث عن الحركة العلمية والصوفية . كما كان كتابه المعنون باسم " الوصلة إلي الحبيب ، في وصف الطيبات والطيب " من أهم الكتب التي أفادتنا في الجانب الاقتصادي .

ويعتبر كتاب " ذيل تاريخ دمشق " لابن القلانسي من أهم المصادر العربية التي أفادت البحث خاصة في الفصل الأول الخاص بالفتح السلجوقي لآسيا الصغرى . حيث تحدث عن التوغل السلجوقي قبل معركة ملاذكرد وعلاقة السلطان قلج ارسلان الأول بالإمبراطور البيزنطي ألكسيوس كومنين .

كما استفادت الدراسة من كتاب المؤرخ ابن واصل وعنوانه"مفرج الكروب في أخبار بني أيوب " وقد أمد البحث بمعلومات غزيرة في أماكن مختلفة من الرسالة في الجانب السياسي والاجتماعي .

وللمؤرخ الذهبي (١٢٧٥-١٣٤٨م /٦٧٣-٧٤٨هـ) مؤلفات كثيرة أمدت الدراسة بمعلومات قيمة في مواضع عديدة وهو من مؤرخي القرن السابع الهجرى (الثالث عشر الميلادى ، ومن هذه الكتب " تاريخ الإسلام " وتناول فيه تاريخ الإسلام من بدء الهجرة النبوية حتى سنة ١٣٠١م (٧٠٠هـ) والكتاب الثاني "سير أعلام النبلاء" أفادنا عند الحديث عن الحركة العلمية ، والكتاب الثالث كتاب العبر الذي أفادنا في مواضع مختلفة من البحث .

كما استفادت الدراسة من كتابات ابن سعيد المغربي (١٢١٤-١٢٨٦م /٦١٠-٦٨٥هـ) صاحب كتاب " الجغرافيا " وكتاب "بسط الأرض في الطول والعرض" وقد أمد البحث بمعلومات غزيرة عند الحديث عن الجانب الاقتصادي ، حيث تحدث عن المدن والطرق التجارية في آسيا الصغرى والمناطق المزروعة والحاصلات الزراعية .

كما استفادت الدراسة من كتاب " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " لابن بطوطة (١٣٠٤-١٣٧٧م /٧٠٣-٧٩٩ هـ) في العديد من مواضع الرسالة حيث زار ابن بطوطة آسيا الصغرى في القرن الخامس عشر ، وكانت رحلة غنية بالمعلومات القيمة عن الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية في آسيا الصغرى ، خاصة عندما تحدث عن سلطنة سلاجقة الروم في مجالات مختلفة

كالتجارة والصناعة والثروات المعدنية والمؤسسات الدينية والتعليمية والنواحي الدينية.

كما استفادت الرسالة من كتاب " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " لشهاب الدين ابن فضل الله العمري (١٣٠١ -١٣٤٩ م/٧٠٠-٧٤٩ هـ) ، حيث تحدث عن سلطنة سلاجقة الروم وقد استقى معلوماته عنها من شيخ متصوف من أصل سلجوقي يدعى حيدر العريان وايضا من تاجر جنيوي مجهول الاسم، وقد أمد البحث بمعلومات هامة فيما يخص النشاط الاقتصادي .

أما عن المراجع والمجموعات والدوريات ودوائر المعارف المختلفة فقد أفاد معظمها الدراسة بشكل كبير ، وتأتي في مقدمة هذه الأبحاث كتابات المؤرخ المحدث فريونس Vryonis عن آسيا الصغرى ، وأيضا المؤرخ المحدث الكبير كلود كاهن (Cloude) Cahen وهي كثيرة ومتنوعة وقد تم تجميع بعض مقالاته في كتاب Turcobyzantina،كما استفادت الدراسة من دائرة المعارف الخاصة بالعصور الوسطى المعروفة باسم :

Dictionary of the Middle Ages

وأيضا دائرة المعارف الخاصة بالدولة البيزنطية المعروفة باسم :

The Oxford Dictionary of Byzantium

كما استفادت الدراسة من دائرة المعارف الإسلامية

Encyclopaedia of Islam

ودائرة المعارف التركية

Islam Ansiklopedisi

وبالنسبة للمراجع الحديثة العربية فنود القول أن أصحابها قدموا من خلالها للمكتبة العربية مؤلفات ضافية في إبداع وأصالة . وثمة مراجع تناولت أحداث كثيرة من تاريخ آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر مثل كتابات الدكتور سعيد عاشور .ويأتي على رأسها كتاب " الحركة الصليبية " وكتاب الدكتورة زبيدة عطا " الترك في العصور الوسطى " . ومن المراجع القيمة التي تناولت الفنون في آسيا الصغرى الكتاب القيم الذى ترجمة الأستاذ احمد عيسي للمؤرخ المحدث أوقطاى آصلان آبا وعنوانه " فنون الترك وعمائرهم "

وأخيرا فإن هناك مصادر ومراجع يطول ذكرها استفاد منها البحث لم نتعرض لها في هذه الدراسة التحليلية لأنه سوف تتضح قيمتها العلمية وأثرها الواضح أثناء مطالعة صفحات هذه الدراسة.

الباب الأول

"الأوضاع السياسية فى آسيا الصغرى"

الفصل الأول: القوى السياسية المختلفة فى آسيا الصغرى قبيل القرن الثانى عشر الميلادى.

الفصل الثانى: النشاط الصليبى فى آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر الميلادى (١٠٩٧ - ١١٩٢م).

الفصل الثالث: النشاط البيزنطى فى آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر الميلادى.

الفصل الأول
القوى السياسية المختلفة فى آسيا الصغرى قبيل القرن الثانى عشر الميلادى

- السلاجقة فى آسيا الصغرى قبيل القرن الثانى عشر الميلادى.
- ظهور حركات التمرد والحركات الإنفصالية فى آسيا الصغرى ومحاولة إقامة دول مستقلة ضد الدولة البيزنطية.
- قيام سلطنة سلاجقة الروم.
- جهود الدولة البيزنطية لاستعادة نفوذها فى آسيا الصغرى قبيل وصول الحملة الصليبية الأولى.
- نشأة الإمارات المستقلة داخل آسيا الصغرى.

السلاجقة فى آسيا الصغرى قبيل القرن الثانى عشر الميلادى

من أجل الدفاع عن آسيا الصغرى من غزوات الفرس والعرب استحدثت الإمبراطورية البيزنطية فى القرن السابع الميلادى نظاماً جديداً لادارة أقاليم الحدود من الناحية العسكرية والإدارية عرف بنظام الثغور أو الثيمات Themes [1] وذلك للدفاع عن آسيا الصغرى ضد غزوات الفرس والعرب، والثغر أو الثيم كان عبارة عن دولة مصغرة لها جيشها الخاص وسلطتها وأدارتها المدنية وتخضع كلها للأمبراطورية البيزنطية. ومن هذه الثيمات ثيم الأرمينى أو الأرمينكون Armeniakon والأناضولي Anatolikon ، تراقيا Tracesion ابسيق أبسيقون Opsikion ، بقلار Bucellarion وقبادوقيا Cappadocio ، ميزوبوتاميا Mesopotamia [2] وغيرها من الثيمات التى كان الغرض منها الدفاع عن حدود الإمبراطورية البيزنطية .

غير أن ظهور الأتراك السلاجقة على الجبهة الشرقية قد أثبت عدم جدوى تلك النظم. والسلاجقة قوم من الأتراك الغز حيث يشير الجغرافى الفارسى -مجهول المؤلف- فى كتاب حدود العالم الذى ألفه فى القرن العاشر الميلادى إلى أن قبائل الغز أو الاوغوز كانوا يعيشون مع قبائل القرغيز Kirghizqazaq التركية فى منطقة السهوب الواقعة شمالي بحيرة بلكاش Balkhach [3] وهى المنطقة المعروفة بأسم التركستان .

---

[1] كلمة : Themate – Theme تعني فرق الجنود الفلاحين الذين استقروا في أقاليم آسيا الصغرى ثم أصبحت هذه الكلمة تعبر عن التقسيم الإداري أي الأقليم الذي استقر فيه هؤلاء الجنود ، وكان يرأس فرق الأقاليم قائد يعرف بـ ستراتيجوس Strategus يخضع له الجيش والأسطول ويتمتع بسلطات مدنية وعسكرية واسعة . انظر :
Ostrogorsky (George) : History of the Byzantine state (Oxford 1968) ., p .250 .
السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م (بيروت١٩٨٢) ص ١٢٠-١٢٣ . ؛ حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٩٣) ص ٧٤-٧٧ .

(2) **Hudud Al Alam** :" The Reigon of world " A persian Geography ., 312 A.H - 982 A.D . Trans and explained By Minorsky (V) Gibb (E.J.W) Memorial series . New series xi (London,1937) . pp . 156-157 . ; **Baynes (N.H)** , **Moss(L.B)** : Bayzantion (Oxford , 1961) . pp . 290 –1 . ; **Walter (E.K)** : Anatalikon theme in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 1 p . 242 .

(3) **Hudud Al Alam** : op . cit ., 311 cart p . 307 ; **Grousset (Rene)** : L'Empire des steppes (Paris , 1948) p . 203 .

وترجع تسمية هذه الطائفة بالسلاجقة إلى جدهم سلجوق بن دقاق الذى تولى زعامتها ووحد كلمتها . وقد نزح هؤلاء السلاجقة فى أواخر القرن الرابع الهجرى (العاشر الميلادى) من تركستان إلى ماوراء النهر بسبب إزدحام ديارهم وضيق مراعيهم ،واعتنقوا الديانه الإسلامية على المذهب السنى [٤].

حاول السلاجقة مد نفوذهم إلى خراسان فاصطدموا بقوة الغزنويين التى حلت محل السامانيين فى تلك البلاد ، وكان أن كتب السلاجقة إلى السلطان محمود الغزنوى يطلبون مه أن يأذن لهم بعبور دياره والإقامة بين "نسا" و " باورد " فوافق على طلبهم على أنه لم يكد يستقر السلاجقة فى خراسان حتى أخذوا يدعمون قواتهم ، وينتشرون فى الأرجاء المجاورة لهم ، ويتحينون الفرص للقضاء على الدولة الغزنوية واقتلاع جذورها من خراسان وما وراء النهر[٥].

وحد السلاجقة قيادتهم تحت قيادة طغرلبك (١٠٣٧-١٠٦٣ م / ٤٢٩-٤٥٥هـ) الذى نجح فى الاستيلاء على نيسأبور بمساعدة أخيه جغرى بك فى عام ١٠٣٧م (٤٢٩هـ) ثم جلس على عرش مسعود فى نيسابور فأصبح أول سلطان للسلاجقة والمؤسس الحقيقى لدولتهم ، ثم دارت معركة عنيفة بين السلاجقة والغزنويين عند داندنقان بالقرب من مرو عام ١٠٣٩م (٤٣١ هـ) انتهت بهزيمة ساحقة للغزنويين قضت على نفوذهم فى فارس وما وراء النهر وصارت خراسان كلها للسلاجقة [٦].

محمود الحويري : بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين (القاهرة ١٩٩٢) ص ١٧ .

[٤] الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي وآخرين (القاهرة ١٩٦٠) ص ١٤٥ . ؛ علي أكبر دهخدا : لغت نامه (تهران ١٣٤٥ هـ) مجـ ٢٩ ، ص ٥٨٤-٥٨٥ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية (الطبعة الخامسة – ١٩٩٣) ،جـ ١ ، ص ٦٣ . ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ،(القاهرة بدون تاريخ) ص ٣٨-٣٩. ؛ أحمد عبد الكريم سليمان : المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط (٩-١٢م / ٣-٦ هـ) (القاهرة ١٩٨٢) ص ٢١٨ .

[٥] محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ١٩ .

[٦] الفارقي : تاريخ الفارقي ، (بيروت ١٩٧٤) ص ١٥٩ . ؛ الراوندي : المصدر السابق ، ص ١٥٨ . ؛ فامبري : تاريخ بخاري ، ترجمة أحمد محمود الساداتي ، وراجعه يحيي الخشاب (القاهرة ١٩٨٧) ص ١٣١-١٣٣ . ؛ محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ١٩ .

Rice (T.T) : The Seljoukes in Asia Minor (London 1961) ., p . 30 . **Matthew (D)** : Atlas of Medieval Europe (Oxford 1992) p . 71 ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asia Mineure (Second Moitie du xies) Byzantion 18 (1946-48) (pp 5 - 67) p 10

واصل السلطان طغرلبك توسيع رقعة دولته، وكانت الدولة البيزنطية إحدى ضحايا القوة السلجوقية حيث أخذت الأوضاع السياسية في تلك الدولة في الانحطاط خاصة في الفترة بين موت باسيل الثاني سنة ١٠٢٥م واعتلاء ألكسيوس كومنين عرش الإمبراطورية سنة ١٠٨١م . فقد تعاقب على عرش الإمبراطورية العديد من النساء والأباطرة الذين افتقروا إلى الكفاية والمقدرة التي تمتع بها الأباطرة السابقون حيث ركنوا إلى حياة الدعة والترف واستنفذوا دخل الخزانة العامة ، واتسمت سياستهم الداخلية والخارجية بالضعف ، في وقت كانت الإمبراطورية في حاجة ملحة إلى حاكم قوي يستطيع التصدي لإعدائها في الخارج [٧].

أما عن مراحل التوغل السلجوقي في آسيا الصغرى فإنها تعود إلى فترة مبكرة حيث تشير بعض المراجع إلى أن جغرى بك Gagri Bey بين سنتي ١٠١٥و١٠٢١ م تقدم على رأس ثلاثة آلاف فارس من إقليم ما وراء النهر Transoxiane عبر خراسان وأذربيجان ووصل إلى مشارف شرق آسيا الصغرى وقام بغزو أرمينيا في منطقة بحيرة وان في فاسبوراخان [٨] . وكان هذا أول ظهور للترك في إقليم الفاسبورخان Vaspuracan (١٠١٦-١٠١٧م) حيث ضرب الرعب في قلوب الأرمن الذين يعيشون هناك[٩] ، بينما يرى كلود كاهن Calud Cahen معتمدا على ما أورده المؤرخون الأرمن أن بداية التوغل السلجوقي لأسيا الصغرى قد حدث سنة ١٠٢٩م عند الحدود الأرمينية البيزنطية ويربط هذا الحدث بتنازل الأمير الأرميني سنخاريم Senecherim أمير فاسبورخان عن مملكته للامبراطور البيزنطي باسيل الثاني (٩٧٦-١٠٢٥م) [١٠].

ويلاحظ أن تدفق جيوش القبائل السلجوقية الغازية دفع الملك سمباط (١٠٢٠-١٠٤٠م) ملك أرمينيا خوفا على حياته من الإقدام على بيع عاصمة ملكه (آني) وضواحيها إلى الإمبراطور البيزنطي باسيل الثاني بالاتفاق مع البطريرك بدروس وذلك عام ١٠٢١م ، الأمر الذي شجع " شابوه جنرال سينكريم ملك

---

(٧) عبد الغني محمود عبد العاطي : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور ألكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) (القاهرة -١٩٨٣) ص ٢٩ . ؛ عبد القادر أحمد اليوسف : الإمبراطورية البيزنطية (صيدا-بيروت١٩٦٦) ، ص ١٣٩-١٤٠ .

Charanis (Peter) : The Byzantine Empire in Setton : A History of the Crusades vol . 1 . (pp . 177-219) p . 141 .

(8) **Sevim (Ali)** : Selcuklu - Ermeni iliskileri (Ankara 1983)., p . 11 .

(9) **Vryonis (Speros)** : The decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth Century (California 1971) p . 81 .

(10) **Cahen (Cloude)** : pre-ottoman Turkey 1071-1330 , traslated from the French by J.Jones – Williams (London 1968) p . 67 . ; **Morgan (J)** : Histoire Du peuple Armenien (Paris 1919) ., p . 149 .

فاسبورخان على أن يحذو حذوه فى تسليم مقاطعته أيضا إلى الإمبراطور البيزنطى فأعاد منحه مدينه سيواس وبسط حمايته عليه [١١].

ويصف المؤرخون، الأتراك السلاجقة المغيرين على أرمينيا بالقول " أن الأرمن لم يروا محاربين بأشكالهم من قبل ، فعندما التحموا معهم فى القتال فزعوا من مظهرهم ، فشعورهم طويلة مثل شعور النساء ورماتهم يحاربون من فوق ظهور الخيل مستخدمين الرمح والقوس ، ولم تستطع الجيوش الأرمينية أن تدافع عن نفسها ضد مهارة الأتراك فى استخدامهم للسهام " [١٢].

فمن الحملات الاستكشافية التى قام بها السلاجقة على آسيا الصغرى حملة سليمان بن قطلمش ابن عم طغرلبك والتى تمت بصورة خاطفة وسريعة [١٣] حيث أنه فى إحدى هذه الحملات التى كلفه بها طغرلبك ضد أمير الموصل قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلى[١٤] لاحظ طغرلبك عند عودته عبر منطقة الفاسبورخان الأرمينية بآسيا الصغرى أهميتها الاقتصادية [١٥].

وفى سنة (١٠٤٧-١٠٤٨م) توجهت حملة من الترك السلاجقة تحت قيادة حسن الملقب بالأطرش بتكليف من السلطان طغرلبك قامت بالإغارة على منطقة

---

(١١) عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية (الطبعة الأولي – ١٩٦٠م) ، ص ١٢٣ . ؛ إستارجيان : تأريخ الأمة الأرمينية ، (الموصل – ١٩٥١م) ص ١٩٤ . ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي : المرجع السابق ، ص ٤٤ .

(12) **Matthieud ‘ Edesse :** Extraits de la chroni quede Matthie d'Edesse in (R.H.C. Arm , Paris 1869) pp 40-43 . ; **Sevim (Ali)** : op . cit ., p . 11 . ; **Çahen (Cloude)** : op . cit ., pp . 67-68 .

فايز نجيب إسكندر : أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك السلاجقة ، (١٠٠٠-١٠٧١م / ٣٩٢-٤٦٣ هـ) في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي (الإسكندرية ١٩٨٣) ص ٤٥ .

(13) **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asia Mineure (Second Moitie du xies) Byzantion 18 (1946 -48) pp . 5 - 67 p . 16 . ; **Cahen :** Quthumush et ses Filsavant L'Asie Mineure Turcobyzantina , v. (pp . 14-27) p . 18 .

(١٤) قرواش بن المقلد بن المسيب العقيلي : هو الأمير معتمد الدولة ، كانت له بلاد الموصل والكوفة حيث خطب في بلاده للخليفة الفاطمي الحاكم في سنة ٤٠١ هـ ، ثم رجع عن ذلك وخطب للقادر العباسي ، ودامت إمارته خمسين سنة حتي سنة ٤٤١ هـ أنظر : الكتيبي : فوات الوفيات ، ترجمة رقم ٣٥٢ . ص ٢٦٤-٢٦٥ . ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٤ ترجمة رقم ٧٠٦ ، ص ٣٥٤-٣٥٥ .

(15) **Cedrenus (George) :** Historiarum Compendrum in corpus Scriptorum Historiae T.II Byzantinae (Bonnea MD cccxxxix) (1839) pp . 570-571 . ; **Bryennios (Nicephore)** : "Les Quatre livres des histoires " Fren.trans H. Gregoire , Byzantion tome . xxiii (1953) pp . 469-530 livres I-11 tome 27 (1957) pp . 881-926 livres III – IV . p . 484 .

الحسيني : زبدة التواريخ " أخبار الملوك والأمراء السلاجقة ، تحقيق د/ محمد نور الدين (القاهرة ١٩٨٣) ص ١٧ . ؛ الأصفهاني : " تاريخ دولة آل سلجوق " اختصار الشيخ الفتح بن علي بن محمد البنداري (القاهرة ١٩٠٠م) ص ١٢ .

الفاسبورخان وهي المنطقة التي كانت تقع تحت السيادة البيزنطية ، وعجز آرون Aaron حاكم هذا الإقليم عن مجابهتهم لقلة قواته مما دفعه إلى استدعاء حاكم آني وبعض الحكام المجاورين من الارمن والكرج وأستطاعوا إيقاع الهزيمة بالجيش السلجوقي بالحيلة ، وكان الأمير حسن من الذين استشهدوا في هذه الموقعة [١٦].

استمرت الغارات السلجوقية على آسيا الصغرى وكانت أخطرها عندما كلف السلطان طغرلبك أخاه أبراهيم إينال بتجهيز جيش كبير بالاشتراك مع قطلمش والإغارة على الأراضي البيزنطية حيث زحف إبراهم إينال سنة ١٠٤٨ م(٤٤٠هـ) بقوات على طول نهر الرس وأغار على أقليم فاسبورخان فأستولى على مدينة أرزن [١٧] ، ثم توغل الأتراك السلاجقة حتى وصلوا إلى مدينة أرضروم [١٨] بأراضي الدولة البيزنطية وقاموا بنهبها ، وتوغلوا حتى قرب طرابيزون على شاطيء البحر الأسود وقامت قواته بتدمير ونهب العديد من المراكزالتجارية [١٩] ، وأشار ابن شداد [٢٠] في هذا الصدد إلى أن السلاجقة تاخموا القسطنطينية .

ولم تستطيع القوات البيزنطية التصدى لقوات ابراهيم إينال بسبب قيام الإمبراطور قسطنطين التاسع مونوماخوس (١٠٤٢-١٠٥٤) بسحب معظم القوات

---

(16) **Cedrenus** : op . cit ., II , pp . 572 – 574 . ; ; **Bryennios** : op . cit ., p . 485 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asia Mineure ., p . 15 . ; **Cahen (Cloude)** : pre-ottoman Turkey . p . 68 . **Vryonis** : op . cit ., p . 86 .
عثمان الترك : المرجع السابق ، ص ١٢٧ . ؛ عاطف مرقص بطرس : الأرمن وعلاقتهم بالبيزنطيين والمسلمين (١٠٧١-١١٧١م / ٤٦٣-٥٦٧ هـ) رسالة ماجستير غير مطبوعة كلية الآداب عين شمس (١٩٨٦م) ص ٢٠٢ .

(١٧) أرزن : مدينة مشهورة قرب خلاط وكانت من أعمر نواحي أرمينية . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ص ١٥٠ ، لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ،ص ١٤٤ .

(١٨) أرضروم : فهي ممدينة عرفت عند المسلمين باسم أرزن الروم أو أرض الروم أو أرضروم ، أو قاليقلا ، وعرفت عند البيزنطيين باسم ثيودوسيوبوليس **Theodosiopolis** وهي بلاد أرمينية . انظر : أبو الفدا : تقويم البلدان ؛ لسترينج : المرجع السابق ، ص ١٤٥-١٥٠
Cedrenus : op . cit ., II , p . 577 .

(19) **Cedrenus** : op . cit .,vol II , pp . 575-580 . ; **Matthieu** : op . cit ., p . 83 .
ابن الجوزي : " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " (بيروت – ١٩٩٢) جـ ٨ ،ص ١٣٧ ؛ ابن الأثير : " الكامل في التاريخ "(بيروت ١٩٨٣م) جـ ٩ ، ص ٥٤٦ . ؛ النويري : " نهاية الأرب في فنون الأدب " (القاهرة ١٩٨٥) جـ ٢٦ ، ص ٢٨٣ .
Cahen (Cloud) : La premiere pentration Turque en Asia Mineure (en Byzantion 18) pp . 15-16 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 86 . **Cahen** : Quthumush et ses Filsavant L'Asie Mineure Turcobyzantina , v. pp . 14-27) p . 20 . ; **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 190 .
إستارجيان : المرجع السابق ، ص ١٩٩ . ؛ أومان (شارل) : الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة د/ مصطفي طه بدر (القاهرة ١٩٥٣م) ص ١٩٤ . ؛ العريني : الدولة البيزنطية ، ٣٢٣-١٠٨١م (بيروت ١٩٨٢) ص ٨٤٨ ، عثمان الترك : المرجع السابق ، ص ١٣٧ ، حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة-١٩٩٣م) ص ١٨٢ .

(٢٠) ابن شداد : " الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة " ط ق ٢ ، ص ٧٨ .

المقاتله من الشرق سنة ١٠٤٧ م لإخماد ثورة داخلية قام بها ليوتور نيقوس ضد الإمبراطور ، فحاولت بقية القوات البيزنطية الاشتراك مع القادة المحليين من الأرمن و مفاجأة السلاجقة عند عودتهم إلا أن إبراهيم أنزل بهم هزيمة ساحقة وأسر منهم القائد ليباريت Liparait وغنموا منهم غنائم كثيرة وكان ممن أسر قاريط ملك الابخاز [٢١].

ونظرا لضغط الأتراك السلاجقة وغاراتهم المتكررة على أراضي الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى فقد فكرت بيزنطة فى الإفادة من البشناق Pechenegs في قتال السلاجقة فقرر الإمبراطور قسطنطيين التاسع مونوماخوس تسليح خمسة عشر ألفا من البشناق بقيادة ضباط من البشناق المقيمين فى بيزنطة وهم سلزم وسلتيس وكرمان وكاتاليم وإرسالهم إلى خريسوبوليس [٢٢] Chrysopolis وأمر البطريق أدروبالان بتوجيههم نحو أيبريا لقتال السلاجقة فى آسيا الصغرى غير أن هؤلاء الجنود لم يلبثوا أن أعلنوا الثورة قبل أن يجتازوا بيثينيا Bithynia وخانوا البيزانطيين وقرروا العودة وعبروا البسفور وثاروا وأغاروا على الأقاليم البيزنطية الأوربية فى بلغاريا وتراقيا [٢٣].

ولم تستطع القوات البيزنطية فى آسيا الصغرى بأرمينيا سوى القيام بهجوم على قوات الأمير أبو الأسوار Abu'l-Aswar أمير دوقين وجانجا Ganja and Dvin فى أرمينيا – والتى كانت تذعن بالطاعة للسلاجقة [٢٤].

ولم يستطع الإمبراطور قسطنطين مونوما خوس الاستمرار فى قتال السلاجقة فى آسيا الصغرى ومواجهة أخطار البشناق فى تراقيا فى وقت واحد ، لذا أرسل سفيره إلى طغرلبك لعقد معاهدة سلام بين الطرفين ، ولقد قام الأمير نصر الدولة بن مروان صاحب ميافارقين وديار بكر بدور مهم فى هذه المفاوضات التى

---

(21) **Michael (Psellus)** : The chronographia of Michael Psellus eng. Trans ERN – Sewter (London1952) p.155 ; **Attaliates(Michaelis)** : Historia ed . Becrer , in corpus scriptorum Historioe Byzantina (Bonnae MD cccxxix) 1829 p . 45 . ; **Cedrenus :** op . cit ., vol . II , p . 579 . ; **Sevim (Ali)** : op . cit ., pp . 14-15 . ; **Cahen (Cloude)** : pre-ottoman Turkey p . 68 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asia Mineure . p . 15 .

(٢٢) خريسوبوليس : تقع مدينة كريسوبوليس (اخرسوبلي) علي نهر خليج القسطنطيني ، ويصفها الأدريسي بأنها مدينة كبيرة : انظر : الأدريسي : نزهة المشتاق في إختراق الآفاق : مجـ ٢ ، ص ٧٩٣ .

(23) **Cedrenus** : op . cit ., vol . II , p . 587 . ; **Macartney (C.A)** : The pechenegs in the slavonic and east European review .,(vol . iii , pp 342-355) (1929-1930) p . 347 . ; **Carles (M.B) &Anthony** : Constantine ix Monomachos in the Oxford Dictionary of Byzantium (Oxford-1991) vol . I p 504 . ; **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 84 .

(24) **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 68 .

دارت بينهما وفي نهاية المفاوضات أجابه طغرلبك بالقبول وأعطى دليلا على صدق نواياه بإطلاق سراح ليباريت ملك الأبخاذ [٢٥].

وفي مقابل ما فعله طغرلبك قام البيزنطيون بتعمير جامع القسطنطينية وأقيمت فيه الصلاة والخطبة لطغرلبك ، وأصبح الدعاء باسمه في مسجد القسطنطينية [٢٦] ولا شك أن في ذلك ارتفاع شأن طغرلبك .

على أن تلك المعاهدة شجعت السلطان طغرلبك على قيامه بإيفاد رسول إلى الإمبراطور البيزنطي قسطنطين التاسع مونوماخوس (١٠٤٢-١٠٥٥م) يستأذنه في السير إلى مصر عن طريق بلاد الشام مارا بآسيا الصغرى ولكن الإمبراطور اعتذر عن الاستجابة لطلب طغرلبك موضحا له مدى المودة بينه وبين الخليفة الفاطمي المستنصر بالله "وأنه لا يرخص في أذيته " [٢٧] . والحقيقة أن علاقة الدولة البيزنطية بالخلافة الفاطمية في ذلك الوقت كانت علاقة حسنة [٢٨].

والواقع أن تلك المعاهدة لم تحقق السلام المنشود ، بل ازدادت الهجمات السلجوقية على الأراضي البيزنطية من قبل عناصر سلجوقية أخرى كانت تعمل لحسابها ، وكانت هذه الجماعات مستقلة عن طغرلبك وتهدف إلى تحقيق مكاسب خاصة بها وإيجاد مأوى لها داخل الأراضي البيزنطية ، ومن هؤلاء ياقوتي المعروف باسم سلار الخراساني ، وكذلك ساموخت الذى قام بغارة على المناطق المجاورة لنهر الرس والفرات الشرقي [٢٩].

واعتذر طغرلبك للإمبراطور قسطنطين التاسع عما يقوم به التركمان الرحل وهذه الجماعات من غارات على بيزنطة ، مدعيا أن هذه الجماعات جماعات متمردة وغير معروفة لديه [٣٠] .

---

(25) **Cedrenus :** op . cit ., vol . II , pp 580-582 . ; **Attaliates(Michaelis)** : op . cit ., p . 46 . ; **Cahen :** La diplomatie oriental de Byzance face a la poussee seldjukide (turcobyzantina III pp . 10-15) pp . 11 , 12 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey pp . 68-69 , 71 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asia Mineure . p . 16 , 22 .

[٢٦] ابن شداد : المصدر السابق ، جـ ١ ق ٢ ، ص ٧٨ ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٥٥٦-٥٥٧ . ، حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٨٢ . ، أحمد عبد الكريم سليمان : المرجع السابق ، ص ٢٢٣ .

Cahen : La diplomatie oriental de Byzance face a la poussee seldjukide (turcobyzantina III pp . 10-15) p . 13 .

[٢٧] حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ١٨٢ .

(28) **Cahen :** La diplomatie oriental (turcobyzantina) pp . 13-14 .
(29) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p. 70 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asie Mineure p . 22 .
(30) **Attaliates(Michaelis)** : op . cit ., p . 46 .

ويبدو أن علاقة المودة التى كانت تربط البيزنطيين والفاطميين قد أثارت حفيظة طغرلبك ، حيث قام بنفسه بحملة جريئة على الأراضي البيزنطية سنة ١٠٥٤م (٤٦٦ هـ) وقامت هذه الحملة بنهب وتخريب البلاد الواقعة بين بحيرة فان وسهل أرضروم ، ثم فرض الحصار علـى مانزكرت (ملاذكرد) ولكنه لم يتمكن من دخولها لحصانتها ، وقام طغرلبك بالاستيلاء على أرجيش وبركرى كما قام بنهب وتخريب باسيان Bassean وأوقع الهزيمة بجاجيك عباس ملك قارص[٣١].

والحقيقة أن الدولة البيزنطية كانت تقف مكتوفة الأيدى إزاء توسعات السلاجقة ، وذلك لتدهور الجيش البيزنطى الذى أدى بالإمبراطورية إلي الإستعانة بمرتزقتها من الشعوب الأجنبية مثل الروس والترك والنورمان والبشناق والبلغار والألمان وغيرهم ، وقد كان هؤلاء غرباء عن التقاليد البيزنطية ، كما كانت تسيطر عليهم اهتماماتهم الخاصة أكثر من اهتمامات الإمبراطورية ، ومن هنا كانت الخسارة التى سببوها للإمبراطورية أكبر من الخدمات التى أدوها [٣٢].

والواقع أن روح الفتح لدى القادة وأباطرة الدولة البيزنطية كانت قد إختفت ، إذ قام قسطنطين التاسع بتسريح الجيش البيزنطى فى منطقة ما بين النهرين وحول خدمات الأهالى من إلتزامات عسكرية إلى التزامات مالية وهذه الاموال كانت تنفق على تجنيد المرتزقة [٣٣] . كما أن كثيرا من القواد العسكريين عملوا على شراء إقطاعيات فى مقابل الاعفاءات من الخدمة العسكرية ، فزادت قوة هؤلاء القادة فى أقاليمهم وكان نظام الأقاليم العسكرية المعروف بالثيمات هو النظام الذى دافع عن الإمبراطورية طوال عهدها ذلك النظام الذى ضعف تدريجيا فى بداية القرن الحادى عشر [٣٤].

---

(31) **Matthieu d'Edesse : op . cit ., pp . 98-102 .**

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٩ ، ص ٥٩٨ . ؛ النويري : المصدر السابق ، جـ ٢٦ ، ص ٢٨٧ .
Grousset (Rene) : L'Empire du Levant (Paris , 1946) p . 160 . ; **Carles (M.B) &Anthony** : op . cit ., vol I p . 504 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asie Mineure . pp . 16-17 ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey p . 68
زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص ٤٧ . ؛ محمد زكي نجيب : علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عهد أسرة كومنين (١٠٨١-١١٨٥م) رسالة ماجستير غير منشورة (كلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٨ م) ص ٣٢ ؛ عاطف مرقس بطرس : المرجع السابق ، ص ٢٠٥-٢٠٦ . ، السيد الباز العريني : المرجع السابق ، ص ٨٤٨ . ؛ محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ٢١ . ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي : المرجع السابق ، ص ٥٣ ؛ نجيب أسكندر : المرجع السابق ، ص ٩٠-٩٣ ؛حسنين محمد ربيع : المرجع السابق ، ص ١٨٣ .

(32) **Charanis (P)** : cultural diversity and the Breakdown of Byzantine power in Asia Minor – in Dumbarton oaks No . 29 (1975) pp 1-20 , p . 17 .

(33) **Ahrweiler (Helene) :** Byzance et la Mer (Paris 1966) p . 145 .

(34) **Vasiliev (A.A) :** History of Byzantine Empire 324-1453(Madison 1958) vol I ., p . 22 .

والملاحظ أن تجنيد الإمبراطورية البيزنطية المرتزقة الأجانب لسد العجز المتزايد في عدد القوات الوطنية لم يكن ذلك جديدا على الإمبراطورية البيزنطية، ولكن الجديد في الأمر أن تحل القوات المأجورة محل القوات الوطنية في المرتبة الأولى من الأهمية والذى أدى بالتالي إلى أوخم العواقب على الإمبراطورية.

وفي ذلك الوقت ارتفع شأن طغرلبك واعترف الخليفة العباسي القائم بأمر الله بسلطنته سنة ١٠٥٥م (٤٤٧هـ) ، وكانت الخلافة العباسية وقتذاك في حالة يرثى لها نتيجة الضعف والانهيار لتسلط البويهيين الشيعة ، في الوقت الذى زادت فيه قوة قائد الجند الأتراك البساسيري .ومن هنا أمر الخليفة العباسي أن يخطب باسم طغرلبك على منابر بغداد وأن ينقش اسمه على السكة وقد أصبحت الخلافة العباسية خاضعة لنفوذ السلاجقة سياسيا وعسكريا [٣٥].

وادركت الدولة البيزنطية قوة وخطر السلاجقة وبخاصة بعد دخولهم بغداد ، وفي سنة ١٠٥٥م (٤٤٧هـ) استقبلت الإمبراطورة ثيودورا (١٠٥٤-١٠٥٦م) مبعوث السلطان السلجوقي طغرلبك ، وسمحت بإقامة الخطبة للخليفة العباسي والسلطان السلجوقي في جامع القسطنطينية [٣٦].

وقعت الإمبراطورية البيزنطية في الفتنة والاضطرابات الداخلية ، وفي الأربعة والعشرين سنة الواقعة بين سنتي ١٠٥٧ ، ١٠٨١ م حلت كوارث هائلة تفوق في شدتها جميع الكوارث التي وقعت في أية فترة من فترات التاريخ الروماني الشرقي ، فلقد دبر جماعة من النبلاء الآسيويين الكبار مؤامرة للإطاحة بميخائيل

---

[٣٥] ابن الجوزي : " المنتظم في تاريخ الملوك والأمم " جـ ٨ ، ص ١٦٣-١٦٤ . ؛ ابن الأثير : " التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل " تحقيق عبد القادر طليمات (القاهرة ١٩٦٣م) ص ٥١ .؛ ابن القلانسي :ذيل تاريخ دمشق " (مكتبة المتنبي – القاهرة- بدون تاريخ) ص ٨٧-٩٠ ؛ الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة د / إبراهيم أمين الشواربي ، د/ عبد المنعم حسنين فؤاد ، د / عبد المعطي الصياد (القاهرة ١٩٦٠) ص ١٦٩-١٧١ ، ١٧٥ ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٩ ؛ الحسيني : المصدر السابق ، ص ١٧-٢١ ؛ علي أكبر دهخدا : لغت نامه ، جـ ٢٩ ،ص ٥٨٤ .

Cahen : La diplomatie oriental (turcobyzantina III) p. 12 .

ديورانت (ول) : قصة الحضارة (بيروت – بدون تاريخ)، جـ ٢ – مجـ ٤ ، ص ١٠٣ ؛ عبد القادر اليوسف : المرجع السابق ، ص ١٤١ .

[٣٦] المقريزي : أتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا ، تحقيق / محمد حلمي محمد أحمد (القاهرة ١٩٧١) ، جـ ٢ ، ص ٢٣٠ ؛ المقريزي : المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،(الخطط القاهرة ١٨٥٢ م) ، جـ ١ ،ص ٣٣٥ ؛ سيد أحمد الناصري : الروم والمشرق العربي (القاهرة ١٩٩٣م) ، ص ٣٦٥ .

Cahen : La diplomatie oriental (turcobyzantina III) p. 12 .

السادس (١٠٥٦-١٠٥٧ م) ، ووضع إسحق كومينوس رئيس إحدى أسرات قبادوقيا العريقة [٣٧].

وقد جلب التمرد الذى قاده إسحق كومنين سنة ١٠٥٧م (٤٤٨هـ) عواقب وخيمة على الإمبراطورية البيزنطية ، إذ أن السلاجقة الأتراك استغلوا ثورة أسحاق كومنين وهاجموا المناطق الجبلية المحيطة بطرابيزون ، كما هاجموا فى نفس الوقت كولونيا Colonia ، Koghonia وكماخ Kamah ، كما أغار الأمير السلجوقى دينار على مدينة ملطية Malatya (Melitene) [٣٨].

وفى سنة ١٠٥٩م (٤٥١هـ) قام السلاجقة بالهجوم على مدينة سيواس ونهبوها ، وتخلى أمراء الأرمن وقواتهم عن الدفاع عن المدينة [٣٩] . ويرجع عدم قيام أمراء الأرمن بالدفاع عن هذه المدينة إلى ضعف الوحدة العرقية والنفسية والمذهبية لسكان تلك المناطق [٤٠] . كما أن اختلاف السكان فى هذه المناطق من آسيا الصغرى من الناحية العرقية والمذهبية كانت من العوامل التى أدت إلى اهتزاز السلطة البيزنطية فى تلك المنطقة .

والحقيقة أن هذا الموقف العدائى من الأرمن كان متوقعاً وذلك للخلاف المذهبى بين البيزنطيين والأرمن ، فبعد أن استعادت الإمبراطورية البيزنطية منطقة قيليقية ومنطقة شمال الشام المتاخمة لآسيا الصغرى من المسلمين -كانت هذه المناطق تعانى من نقص السكان بعد رحيل معظم سكانها المسلمين- شجعت

---

(٣٧) أومان : المرجع السابق ، ص ١٩٥ .
Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor . pp . 87-88 .

(38) **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asie Mineure . p . 22 ; **Cahen (Cloude)** : pre-ottoman Turkey p . 70 . ; **Vryonis** : op . cit ., p 88 .

ملطية : كانت هذه المدينة في الأزمنة القديمة من أجل الثغور الإسلامية في مواجهة الروم وهي مدينة حصينة ويحدثنا "أولياجلبي" عن اسم المدينة فيذكر أن الفرس أطلقوا عليها " أمبودان " ، أما التركمان فسموها " مال آتية " ، أما العرب فهم الذين أتوا باسم ملاطية ، كما أسماها البيزنطيون Miltene وكان يسكنها السريان والأرمن والبيزنطيون والمسلمون .

انظر : أولياجلبي : سياست نامه ، أيكنجي جلد (أستانبول ١٣٢٤ هـ) ص ٩ ؛ أحمد محمد أحمد الهواري : أولياجلبي ورحلته في الأناضول وإيران والعراق ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، جامعة القاهرة ١٩٩٠ ، ص ١٠٢ . ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٨٥ .

Honigmann (E) : Malatya in Ency. Of Islam vol VI (1991) .

(39) **Vryonis** : op . cit ., p . 91 . ; **Grousset (Rene)** : L'Empire du Levant ., p . 165 . ; **Grousset (Rene)** : Histoire des croisades et du Royaume France du Jerusalem (Paris , 1934) vol 1 p . xxx .

(40) **Cahen** : le probleme ethnique en Anatolie chiers d'histoire Mondiale . No . 2 (1954) (pp . 347-362)p . 350 .

الإمبراطورية البيزنطية الأرمن للهجرة إلى قيادوقيا وقيليقية منذ النصف الثاني من القرن العاشر [٤١].

على أن السبب المباشر لإجلاء الأرمن عن أوطانهم وإحلالهم في الأقاليم البيزنطية في القرن الحادي عشر إنما يرجع إلى رغبة بيزنطة في تأكيد سيطرتها السلمية على الأراضي البيزنطية المكتسبة حديثا وذلك لطرد العناصر الوطنية التي يمكن أن تسبب لها اضطرابات ، وكان من الممكن أن تنجح هذه السياسة في تحقيق أهدافها ، لكنها في هذه المرة كانت من اهم أسباب تدهور نفوذ الإمبراطورية البيزنطية في آسيا الصغرى ، ذلك أن ترحيل الأرمن عن أوطانهم جاء في الوقت الذي بدأت فيه أرمينية تتعرض لهجمات السلاجقة المتتالية .وكان بإمكان هذه العناصر أن تقاتل من أجل الدفاع عن أوطانها وربما كان بإمكانهم التصدي لتلك الهجمات [٤٢].

على أية حال ، استمرت الغزوات السلجوقية لآسيا الصغرى ، وقام الأمير السلجوقي ياقوتي سنة ١٠٦٢م (٤٥٤ هـ) بالهجوم على الاراضي البيزنطية بالقرب من ملطية ، وأسر عدد كبير من السكان[٤٣].

ولقد تناول المؤرخون القدامى والمحدثون أحوال الدولة البيزنطية ووضعها في آسيا الصغرى، حيث تحدث المؤرخ ميخائيل أتاليانس Michael Attaliates عن مظاهر انهيار الجيش البيزنطي ويعتبر أتاليانس من شهود العيان، لأنه شارك في العديد من الحملات العسكرية في الأناضول قائلا : " كان جيش الإمبراطورية ضعيفا أمام جيوش الأعداء، خائر القوى ولم تكن المؤن كافية وكان معظم قواده يتقاتلون طمعا في الاموال والمناصب، وفي مقابلتهم مع السلاجقة كانوا أكثر ضعفا لرعبهم منهم ، في حين أن جيش السلاجقة كان أكثر جرأة وهجوما"[٤٤].

وذكر كيدرينوس أن الجنود هجروا خدماتهم العسكرية وأصبحوا متحمسين للمشاكل والاضطرابات [٤٥] .

(41) **Pasdermadjan (H) :** Histoire de l'Armenie depuis les origines jusqu'Au traite de Lausanne (Paris 1964) pp . 186-187 . ; **Diehl (Charles)** : Byzantium : greatness and decline trans by Naomi Walford (New York , 1957) p . 76 . ; **Der Nersessian (S)** : Armenians (Lndon , 1969) p . 44 .

(٤٢) عبد الغني محمود عبد العاطي : المرجع السابق ، ص ٤٧-٤٨ .

(43) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 70 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration Turque en Asie Mineure p . 23.

(44) **Attaliates(Michaelis)** : Historia ed . Becrer , in corpus scriptorum Historioe Byzantina ., p . 79 .

(45) **Cedrenus (George)** : Historiarum Compendium in corpus Scriptorum Historiae Byzantinae , III , p . 652 .

أما المؤرخ المحدث فريونس Vryonis فيشير إلى أحوال بيزنطة في تلك الحقبه قائلا : " في خلال الفترة التي كانت بين وفاة إسحق كومنين سنة ١٠٥٩ م ومعركة ما نزكرت سنة ١٠٧١م أصبحت الأزمات الداخلية للإمبراطورية البيزنطية أكثر حرجا وتفاقما ، ووصلت القبائل التركية إلى حدود الأراضي البيزنطية ، كما إزداد الانهيار المالي والإداري والحربي في أقاليم آسيا الصغرى أكثر من ذي قبل وتسببت هذه المصاعب في كثير من المشاكل ، كما أدت إلى انتهاء دور القوات المحلية في تلك الأقاليم كقوات مؤثرة ، ودب الضعف في المجموعات العرقية في الأناضول البيزنطي ، وحدثت الحركات الانفصالية والصراعات بين الأرمن واليونانيين وبين اليونانيين والسريان وبين الأرمن والسريان أيضا ، ومن ناحية أخرى فإن الجنود المرتزقة بدأوا في إهمال الأوامر الصادرة لهم من الإمبراطورية ، وبدأوا يتفرقون كقوات حرة [٤٦].

والملاحظ هنا أن السلاجقة تولوا عن العالم الاسلامي أمر الثغر الرومي ، ولم تكن حروبهم حروب تخريب وتدمير ثم عودة إلى خط الثغور كما كان الحال من قبل على طول العصر العباسي ، وإنما كان اتجاه فتح وامتلاك .

مات طغرلبك سنة ١٠٦٣م (٤٥٥هـ) دون أن يترك وريث على العرش السلجوقي فخلفه ابن أخيه ألب أرسلان ، الذى نجح في القضاء على معارضيه، وواصل السلاجقة تحت قيادته عملياتهم العسكرية في آسيا الصغرى ضد البيزنطيين[٤٧].

وكان من أشد معارضي ألب أرسلان الأمير السلجوقي قطلمش بن إسرائيل الذي سار إلي الري بقواته وأعلن نفسه سلطانا على السلاجقة . وأسرع البه أرسلان بقواته والتحم مع قطلمش في معركة عنيفة بالقرب من مدينة الرى انتهت بانتصار ألب أرسلان وقتل قطلمش سنة ١٠٦٤ م (٤٥٦هـ)وبذلك استتب الأمر لألب أرسلان دون منازع وعفا عن أبناء قطلمش ، حيث أرسلهم للقتال على حدود الأناضول[٤٨].

ونتيجة لضعف المقاومة البيزنطية منذ نهاية حكم الإمبراطور قنسطنطين العاشر سنة (١٠٥٩-١٠٦٧م) أصبح الأتراك السلاجقة أكثر قوة ،ولذلك بدأوا في

---

(46) **Vryonis** : op . cit ., p . 88 .

(٤٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ٨ ، ص ٩٩-١٠٠ .

Ottin (Merry) : Land of Emperors and Sultans , the forgotten Cultures of Asia Minor (London , 1964) p . 207 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 26 .

(٤٨) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١١ ؛ الراوندي : المصدر السابق ، ص ١٨٥ .

Cahen : Qutlumush et ses Fils avant L'Asie Mineure Turcobyzantina , v. pp . 14-27 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 94 .

دفع توغلهم أماما إلى الغرب فى آسيا الصغرى حيث المدن الكبرى التى ظلت لعدة قرون بعيدة عن غارات الأعداء ، وأصبحت دون دفاعات ،وتعرضت باقى المدن فى وسط وغرب الأناضول لموقف عصيب ، فعلى الرغم من أنها كانت بعيدة إلى حد ما عن المغيرين الغزاة ، إلا أنها كانت خالية من أى حاميات عسكرية تدافع عنها والتى كانت معظم المدن البيزنطية تحظى بها على الحدود ، ومع حل وفض جزء كبير من جيوش الثغور (الثيمات) ، فإن الأقاليم الغربية أمست قليلة الدفاع ، وغالبا ما كان المرتزقة والجنود المقيمون الذين كانوا على الحدود الشرقية يتركون الترك يمرون دون إعاقة آملين فى مهاجمتهم فى ممرات الجبال عند عودتهم ، لكن الأتراك نجحوا فى العودة من الأناضول محملين بالأسلاب [٤٩].

ولقد وصل الأتراك السلاجقة إلى المدينة القبادوقية الشهيرة مدينة قيصرية [٥٠]بعد أن رفضت القوات البيزنطية التى كانت معسكرة قرب ملطية من الانضمام إلى القوات المحلية والدفاع عن المدينة، وقام السلاجقة بنهب المدينة وانتهكوا المزار الشهير للقديس باسيل وسلبوا كنيسته ،كما نهبوا وحطموا كل العبارات والجمل المقدسة الخاصة بالكنائس ، كما حاولوا اقتحام البنايات الخاصة بالمنازل المتبقية للقديسين ، وتعرض السكان لمذبحة كبيرة [٥١].

والواقع أن هجمات السلاجقة لم تتقطع ، فقد قام السلطان ألب أرسلان بالتوغل فى آسيا الصغرى ، وأحرز عدة فتوحات فى الاقاليم التى تقع بين أرمينيا وجورجيا ثم بمحاصرة مدينة آنى العاصمة القديمة لآرمينيا ، ورغم استبسال حاميتها ومناعة استحكامات المدينة ، إلا أنها سقطت فى النهاية فى أيدى السلاجقة سنة ١٠٦٤-١٠٦٥م (٤٥٦ هـ) [٥٢] . ثم أخذ ألب أرسلان يمد نفوذه الى كافة أنحاء أرمينيا

(49) Vryonis : op . cit ., p . 95 .

[٥٠] قيصرية : مدينة كبيرة في آسيا الصغرى ، وتكتب أيضا (قيسارية) وهي Caesarea Mazaka ، وتقع قيصرية علي فرع نهر الفرات الفرعي المعروف باسم قره صو . انظر : الهروي : الإشارات ، ص ٥٩ ؛ ياقوت : معجم البلدان ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٨ .

أما مدينة نيكسار : والتي يطلق عليها قيصرية الجديدة New Caesarea فأصلها " تيك حصار " أي القلعة الجميلة ، وقد خضعت للسلاجقة . انظر : أولياجلبي : سياست نامه ، ص ٣٨٩ . ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٧٩ .

Rice (T.T) : The Seljoukids ., p . 55 .

(51) Attaliates(Michaelis) : Historia pp . 93-94 . Scylitzes (Ioannis) : Exoerpta ex Breviaria Historica Ioannis Scylitzae Curopalatae in Cedrenus (T.11 pp 641-744) , pp 660-661 . ; Vryonis : op . cit ., p . 95 .

سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ،جـ ١ ، ص ٦٩ .

[٥٢] ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٩٩-١٠٠ .؛ الحسيني : المصدر السابق ، ص ٣٤-٣٥ . ؛ ابن الجوزى : المصدر السابق ،جـ ٨ ، ص ٢٣٦ . ؛ النويري : المصدر السابق ، جـ ٢٦ ، ص ٣٠٧ .

أرمينيا فاستولى في نفس السنة على قرس (قارص) ، وبذلك يكون هذا إعلان نهاية الاستقلال الأرميني (٥٣).

ومن هنا أصبحت أرمينيا قاعدة هامة لهجمات السلاجقة ، في الوقت الذى تمنع وتصد أى هجوم بيزنطي مفاجيء على الأراضي السلجوقية (٥٤).

والملاحظ هنا أن أعدادا ضخمة من السكان البيزنطيين هاجمت الاقاليم الواقعة في المقاطعات الشرقية وحل محلها أعداد كبيرة من التركمان الرحل استقرت فيها تلك المناطق . وكان هذا رد فعل للسياسة الخاطئة التى اتبعها الإمبراطور قنسطنطين العاشر دوقاس (١٠٥٩-١٠٦٧ م) بتخفيض رواتب الجيش البيزنطي ، والتى انعكست بدورها على الحاميات البيزنطية العسكرية التى كانت على الحدود مع السلاجقة والتى كان يعتريها الضعف الشديد (٥٥).

وقد استمرت العمليات العسكرية ضد البيزنطيين في آسيا الصغرى خاصة من القبائل التركمانية والتى قادها مجموعة من الأمراء السلاجقة مثل ياقوتى وصندق وجمشتكين وغيرهم (٥٦) . وكان أبرز هؤلاء الامراء الأفشين بن بكجي التركى الذى توغل داخل الأراضي البيزنطية بآسيا الصغرى وعبر قيليقية وهاجم قيصرية وسبى وغنم منها غنائم كثيرة (٥٧) وتمكن الأفشين ومن معه من الغزاة من تخريب بلاد كثيرة من بلاد الدولة البيزنطية حتى بلغوا مدينة عمورية " فدخل البلد ونهب وقتل وسبى ، وأخذ من الأموال شيئا عظيما (٥٨) ولم يكتف الأفشين بذلك بل توغل في أراضي الدولة البيزنطية ووصل إلى ساحل البحر الذى يمر بقسطنطينية (بحر مرمرة) وغزا

Scylitzes : op . cit ., vol . II pp . 653-654 . ; **Attaliates** : op . cit ., p . 80-83 . ; **Matthieu d ' Edesse** : op . cit ., pp . 123-124 . ; **Michel le Syrien** : Extrait de la chronique de Michel le Syrien , patriarchd . Antioche (1166 -1199) editee etitee et traduite en francais par J.B chabot (Paris 1905) p . 323 ; **Cahen (Cloud)** : Une campagne du Seldjukide Alp.Arslan en Georgie . Turcobyzantina (VII pp . 17-20) , pp . 18-19 ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 70 ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration ., p . 24 . ; **Levtchenko (M.V)** : Byzance des origines A 1453 . (Paris 1949) p 220 . ; **Sevim** : op . cit ., p . 17 . **Ottin** : op . cit ., p . 207 .

إستارجيان : المرجع السابق ، ص ١٩٩ .

(53) **Matthieu d ' Edesse** : op . cit ., pp . 125-126 . ; **Grousset (Rene)** : L'Empire du Levant p . 162 . ; **Cahen** : pre -ottoman Turkey . p . 70 . ; **Lang (D.M)** : Armenia cradle of civilization , (London , 1978) p . 198 .

(54) **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 70 .

(55) **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor (London 1961) ., p . 36 . ; the Oxford Dictionary of Byzantium , Art.Constantine x Doukas . vol . 1 , p . 54 .

(56) **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 70 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration , p . 25 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 94 .

(57) **Attaliates** : op . cit ., p . 105 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p 670 .

(٥٨) ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ ١٦ ، ص ١٤ .

Cahen : pre-ottoman Turkey . p . 71 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 95 .

وسبى وانطلق حتى وصل إلى مقدونية (٥٩). ولقد حصل الأفشين بسبب جهاده وأعماله الحربية على رضا واستحسان السلطان ألب أرسلان (٦٠).

وفي تلك الفترة العصيبة التي كانت تمر بها الإمبراطورية البيزنطية لم يعد هناك مجال لتجاهل أزمتها وأصبح الأمر يقتضي أن يتولى زمام الأمور في القسطنطينية حاكم عسكري قوي يستطيع إنقاذ الموقف المنهار في الإمبراطورية، فوقع الاختيار على القائد العسكري رومانوس ديوجينيس إمبراطورا وتزوج أيدوكيا أرملة قنسطنطين العاشر وتم تتويجه أول يناير سنة ١٠٦٨م باسم رومانوس الرابع (٦١)

حاول رومانوس إعادة بناء الجيش الذي كان يتكون أساسا من القوات المرتزقة من جنسيات مختلفة – والتي وإن كانت على كفاءة عالية إلا أنه لا يمكن الوثوق بها – ومن الجند الوطنيين غير النظاميين وغير المدربين الذين أرهقهم الفقر والحاجة ولم تعد لديهم أسلحة أو ملابس، أو خيول وكانت الإدارة العسكرية التي ورثها ديوجينيس إدارة مهلهلة، لذا نراه يقوم بعدة إجراءات، فجمع الشباب من كل المدن والأقاليم وقام بتدريبهم واستدعى الذين سرحوا من الخدمة العسكرية وزودهم بالرواتب والأسلحة (٦٢).

وكانت أولى المهام العاجلة أمام رومانوس هي إيقاف هجمات السلاجقة، فقاد من أجل ذلك سلسلة من الحملات العسكرية وصفها المؤرخ البيزنطي ميخائيل بسللوس بأنها كانت إرضاء لطموحه الشخصي وتأكيدا لجدارته بالمنصب الإمبراطوري الذي وصل إليه قبل أن تكون رغبة منه لحماية الإمبراطورية (٦٣).

وفي سنة ١٠٦٨م بدأ الإمبراطور حملته الأولى بشن سلسلة من الهجمات على القوات السلجوقية وأجبرها على ترك غنائمها ثم تقدم إلى مرعش، وفي نهاية هذه السنة استولى على منبج التي تقع على الشاطيء الغربي لنهر الفرات (٦٤).

---

(٥٩) ابن العبري: تاريخ الزمان، (بيروت – ١٩٨٦ م) ص ١٠٩.

(٦٠) ابن العديم: زبده الحلب في تاريخ حلب، (دمشق ١٩٥١، ١٩٥٤، ١٩٦٧) جـ ٢، ص ٣٧٦.
Cahen : pre-ottoman Turkey . p . 71 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration , p . 25 .

(61) **Attaliates** : op . cit ., pp . 100-103 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp 668-669 . ; **Jenkins (Ronilly)** : The imperial cnturies ., AD 610-1071 (London 1966) pp . 367-368 . ; **Rice (T.T)** : Byzantium (London 1967) p . 89 . ; **Brehier (Lovis)** : Les Crosades (Paris 1928) p . 50 . ; **Rose (L.C)** : Romanos iv Diogenes , Dictionary of the Middle Ages ., vol .10 . p . 516 .

(62) **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp 668-669 . ; **Franzius (Enno)** : History of the Byzantine Empire (New York1967) p . 228 . ; **Grousset (Rene)** : L'Empire du Levant , p . 164 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp . 90-91 . ; **Jenkins** : op . cit ., p . 368 .

(63) **Michael (Psellus)** : The chronographia of Michael Psellus eng. Trans ERA – Sewter (London1952) pp 268-269 .

(64) **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp 670-673 .

عاد رومانوس الرابع من حملته الأولى في يناير سنة ١٠٦٩م ، وفي ربيع ذلك العام خرج من حملته الثانية وقام بمطاردة السلاجقة من ضواحي قيصرية في ثيم قبادوقيا ونجح في إيقاع الهزيمة بهم، إلا أن جماعات منهم نجحت في إلحاق الهزيمة بجزء من جيشه كان قد تركه تحت قيادة فيلاريتوس Philaretus حاكم ملطية البيزنطي لمنع مرور السلاجقة ، واندفعت فصائل سلجوقية أخرى وواصلت سيرها في آسيا الصغرى حيث نهبت قونية [٦٥] وحاول رومانوس اللحاق بهم واعتراضهم ولكنه فشل في ذلك [٦٦].

والحقيقة أن تفوق السلاجقة العسكري لم يكن وليد الصدفة ، فعلى الرغم من أن هجماتهم كانت تأخذ شكل الغارات فإنها كانت غارات منظمة تنظيما عسكريا دقيقا حيث كانت الغزوة تبدأ بالهجوم على نقطة محددة بعينها من قبل ، وكان السلاجقة يقسمون قوتهم المهاجمة إلى أربعة أقسام في صورة جماعات ذات قوة متساوية تقريبا تسير على شكل مربع منظم لكي تواجه نقاط البوصلة الأربع ، ثم تتقدم كل جماعة إلي نقطة أخرى متفق عليها أيضا تنقسم كل جماعة مرة أخرى إلى ثلاث فرق متساوية وعندما تقوم القوى السلجوقية الغازية بكاملها بالهجوم تتقدم تقدما منظما وتنتشر على شكل مروحة فتقتل وتدمر كل ما يصادفها في طريقها إلى أن يتم الوصول إلى الهدف المنشود وأخيرا تنسحب القوى بأجمعها بصورة مفاجئة وخاطفة حاملة معها الأسلاب والغنائم منتهجة في انسحابها نفس النهج الذي سلكته في هجومها [٦٧].

ومن جهة أخرى نجد أن الجيش البيزنطي كان قويا بتجهيزاته الحربية ولكنها نظرا لضخامتها وتعقيداتها فإنها كانت تعيقه في الانطلاق والحركة السريعة إلى الامام لمنع أو مطاردة العدو .

ابن كثير : البداية والنهاية ، (القاهرة – بدون تاريخ) جـ ١٢ ، ص ٨٩ . ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٥ ، ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٥٦ .

Cahen : La premiere pentration , pp . 26-27 . ; **Charanis** : The Byzantine Empire in the Eleventh Century in Setton . op. cit ., vol . 1 p . 191 .

(٦٥) قونية : مدينة مشهورة في آسيا الصغرى ، وكانت في عصر السلاجقة دار ملكهم ، وتتمتع بموقع إستراتيجي حيث أنها كانت مفترق الطرق إلي مدن آسيا الصغرى المحيطة بها. انظر : الإدريسي : نزهة المشتاق ، مجـ ٢ ، ص ٨١٢ . ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٨٣ ؛ لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٢ ، ١٨١ .

Goodwin (G) : Konya in Ency. Of Islam ., vol V (1985) .

(66) Scylitzes : op . cit ., vol . II pp 681-684 . ; **Cahen** : La premiere pentration , p . 27 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 71 . ; **vryonis** : op . cit ., p . 96 . ; **Charanis** : op . cit ., vol . II , p . 199 .

(67) **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor ., pp . 35-36 .

والحقيقة أن هذا الجيش قد أقام قلاعا حربية كثيرة تستخدم كنقاط استراتيجية ولكن كان ما يعيب هذا النظام أنه لا توجد رقابه كافية واتصال دائم يربط بين هذه النقاط . كما لم يكن هناك احتياطي حربي كاف خارج القسطنطنية في حالة الغزو الذى ينجح في الاختراق في عمق الاراضي البيزنطية لذلك كان الجيش البيزنطي مشلولا من عدة أوجه عن المقاومة والدفاع ضد السلاجقة الذين تكمن قوتهم الحقيقية في حركتهم الدائمة والذين كانوا يمرون بسهولة من خلال النقاط الحصينة ، حقيقة أن الجيش البيزنطي قد صادف مثل هذه النوعية من الغزاة المسلمين من قبل ، لكنه في آسيا الصغرى لم يسبق له أن واجه غازيا يملك مثل هذه الدرجة من المهارة القتالية التي كانت لدى الاتراك السلاجقة ، وبالمثل فإن العمليات القتالية البيزنطية فقدت محل تأثيرها وفاعليتها في مواجهة القوات السلجوقية التي تميزت بالحركة الدائمة واستخدام الكمائن وأسلوب الفرار التي كانت تتظاهر به ثم تلتف فجأة وتمطر سهاما تتساقط من كل مكان أو جهة (٦٨).

ومهما يكن من أمر ، فإن الإمبراطور رومانوس اضطرته الظروف أن يبقى بالقسطنطينية طوال عام ١٠٧٠م بسبب مؤامرات البلاط ، وعين ما نويل كومنين أخي ألكسيوس كومنين قائدا للجيوش في آسيا الصغرى ، وأرسله الإمبراطور لمراقبة تحركات السلاجقة ، فعسكر ما نويل بقواته في مدينة سيواس ، إلا أن جماعة من السلاجقة على رأسها أريسيغي كانت تتقدم جنوب الاراضي البيزنطية في آسيا الصغرى -وكان اريسيغي هذا أحد أقرباء السلطان قد شق عصا الطاعة وهرب إلى آسيا الصغرى ، فاتجه ما نويل بقواته صوبه ، وحاول اريسيغي التفاهم مع مانويل كومنين ولكن الأخير صمم على القتال وقد تمكن الثائر التركي من هزيمة ما نويل في القتال الذى دار قرب مدينة سيواس وأسره وأخذ يتقدم داخل الأراضي البيزنطية (٦٩).

وفي تلك الأثناء قام السلطان ألب أرسلان بإرسال قائده الأفشين لمطاردة هذا المتمرد ، فاضطر أريسيغي إلى تحرير أسيره وناقش معه إمكانية حصوله على المساعده من الإمبراطور البيزنطي ، فأقنعه ما نويل بالذهاب معه الى العاصمة

(68) **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 66 .

(69) **Zanoras (Ioannis)** : Epitomae Historiarum . ed T.Buttner Wobst in (C.S.H.B 1839) vol III p. 694 . ; **Bryennios** : "Les Quatre livres , chxi – xii pp . 485-486 . ; **Attaliates** : Historia ., pp . 138-142 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp 685-686 . ; **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 162 .

ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٠١-١٠٢ بالهامش .

Vryonis : op . cit ., p . 96 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . pp . 71-72 . ; **Cahen** : La premiere pentration , p . 28 . ; **Cahen (Cloude)** : La Campagne de manzikert d'apres les sources Musulmanes . Turcobuzantion et oriens Christianus . II pp 628-642 . (London –1974) p . 626 .

البيزنطية لمقابلة الإمبراطور الذى رحب به فى البلاط البيزنطى وحرضه ضد قومه السلاجقة . ومن جهة أخرى فإن الأفشين حينما فشل فى اللحاق به أخذ يدمر كل ما فى طريقه فى آسيا الصغرى فى المناطق التى مربها فى طريق عودته ، وتعرضت مدينة قونية للنهب ، ثم عاد عن طريق طوروس فى ربيع سنة ١٠٧١م (٧٠).

قرر الإمبراطور رومانوس القيام بعمل حاسم ضد الأتراك السلاجقة لوضع نهاية للخطر السلجوقى وشرع فى الإعداد لحملة ضخمة وكان الجيش الذى خرج به رومانوس يتكون من خليط غير متجانس من الروم والروس ، والبجناك ، والفرنج ، والغز والأرمن والكرج ، والكومان ، وغيرهم من الطوائف المختلفة (٧١).

ورغم المبالغة من قبل المصادر الإسلامية في تقدير عدد قوات الجيوش واستعدادهم (٧٢) ، إلا أنه كان يفتقر إلى روح التعاون والثقة بين الجماعات التى كان يضمها الجيش البيزنطى حيث كانت كثير من العناصر تشك فى بعضها البعض خاصة البيزنطيون والأرمن والترك (٧٣) ، وإن كان هذا الجيش يفوق فى عدده الجيوش الأخرى التى قادها رومانوس فى آسيا الصغرى (٧٤).

وعندما غادر رومانوس الرابع القسطنطينية كانت خطته أن يستولى على مانزكرت وأخلاط ليتخذهما قاعدة لعملياته ضد السلاجقة ، وعندما وصل إلى أرضروم قام بتقسيم جيشه إلى قسمين فأرسل قسما من جيشه بقيادة يوسف تراخانياتس

---

(70) **Bryennios** : op . cit .,xi-xii p . 486 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p 695 . ; **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 167

ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٠٢ بالهامش .

Brehier : Vie et Mort de Byzance (Paris 1948) ., p . 280 . ; **Grousset (Rene)** : L'Empire du Levant . p . 166 . ; **Cahen (Cloude)** : La Campagne de manzikert (Turcobuzantion II) , p . 266 . ; **Cahen** : pre -ottoman Turkey . pp . 71-72 . ; **Cahen** : La premiere pentration , pp . 27-28.

(٧١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٥ ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٧ . ؛ ابن العديم : زبدة الحلب – جـ ٢ ، ص ٢٣-٢٤

Ostrogorsky (George) : History of the Byzantine state (Oxford 1968) ., p . 304 . ; **Runciman (Steven)** : A history of the crusades (Cambridge - 19)., vol . 1 . p . 62 .

والترجمة العربية رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة السيد الباز العريني (بيروت ١٩٩٣) جـ ١ ، ص ١٠٧

Charanis : op . cit ., vol 1 . pp . 191-192 . ; **Cahen** : La Campagne de manzikert II) , p . 629 .

(٧٢) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٥ ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٧ . ؛ الحسيني : المصدر السابق ، ص ٤٧ ؛ ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٩٩ ؛ الفارقي : " تاريخ الفارقي " ، (بيروت ١٩٧٤) ، ص ١٨٩ .

Cahen (Cloude) : La Campagne de manzikert II) , p . 629 .

(73) **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 29 ; **Franzius** : op . cit ., p . 290 .

(74) **Michael (Pselļus)** : The chronographia ., p . 271 .

Trachaniates ورسل باليل للإستيلاء على أخلاط ، والقسم الآخر بقيادته هو للاستيلاء على ما نزكرت [٧٥].

بعد أن استولي رومانوس على مانزكرت عاد إلى معسكره خارج المدينة من أجل التوجه إلى أخلاط للانضمام للجيش في انتظار اللقاء بخصمه ألب أرسلان ، وكانت بعض فرق السلطان قد قامت بالهجوم على فرق التموين البيزنطية بضواحي ما نزكرت ، فأرسل الإمبراطور نقفوربيرينوس للتصدى لهم وفرقة أخرى أيضا تبعته بقيادة باسيلاكوس Basilacius ، ونجح الترك السلاجقة في إيقاع الهزيمة بالبيزنطيين وجرح نقفوربرينيوس وتمكنوا من أسر القائد البيزنطي باسيلاكوس [٧٦].

وتذكر المصادر البيزنطية أن السلطان ألب أرسلان أمر بجدع أنف مقدم القوات البيزنطية الذى أسر ، وإرسال الغنائم ومن بينها صليب كبير إلى الخليفة العباسي ببغداد تبشيرا بالنصر [٧٧].

وعلى الرغم من نجاح الفصائل السلجوقية في هزيمة البيزنطيين إلا أن السلطان ألب أرسلان كان يميل إلي عقد الصلح مع الإمبراطور ، حيث رأى أن الحكمة تقتضيه أن يسعى في طلب الصلح إلى أن يستعد الاستعداد المناسب لملاقاة خصمه في معركة حاسمة ، فأرسل السلطان وفدا يطلب المفاوضة من أجل الصلح وحقن الدماء ، غير أن الغرور أخذ الإمبراطور رومانوس ،واعتقد أن مبادرة ألب أرسلان للسلام نابعه من خوفه وعدم ثقته في جيشه لخوض المعركة ، فأجاب السفراء بلهجة تحمل نبرات الغطرسة والتحدى ، وأبلغهم أنه لا هدنه إلا في الرى عاصمة السلاجقة [٧٨].

---

(75) **Bryennios** : op . cit .,xi-xii p . 489 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp . 692-694 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p 697 . ; **Attaliates** : Historia ., pp . 149-151 . ; **Franzius** : op . cit ., p . 290 . **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p .192 . ; **Runciman** : op . cit ., vol 1 , p . 63 .

الترجمة العربية رنسيمان : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .

(76) **Attaliates** : Historia ., pp . 154-155 . ; **Bryennios** : op . cit ., xi – xii pp . 489-490 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp . 693-694 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p 698 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 98 . ; **Cahen (Cloude)** : La Campagne de manzikert (Turcobuzantion II) , p . 635 .

(٧٧) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٥. ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ ٨ ،ص ٢٦١ . ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٨

(78) **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp . 696-697 . ; **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 168 . ; **Zanoras** : op . cit ., vol III . pp 699-700 .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٦٥ . ؛ الفارقي : المصدر السابق ،ص ١٨٩ . ؛ ابن الجوزي : المصدر السابق ، جـ ٨ ،ص ٢٦١ . ؛ الحسيني : المصدر السابق ، ص ٤٩ . ؛ ديورانت (ول) : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ٣١٥ ؛ محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ٣٢ .

وعندئذ لم ير السلطان بدا من خوض غمار المعركة حتى أن إمامه وفقيهه أبونصر البخاري قال له " إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان فلاقهم يوم الجمعة بعد زوال الساعة التي يكون فيها الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر والدعاء مقرون بالإجابة "[79].

أخذ الجانبان البيزنطي والسلجوقي يستعدان للمعركة والتقى الفريقان في ٢٠ ذي القعدة ٤٦٣ هـ١٩ أغسطس١٠٧١م في معركة عنيفة عند ملاذكرد انتهت بهزيمة قاسية للجيش البيزنطي، ووقع الإمبراطور رومانوس في الأسر بعد أن قاتل بشجاعة نادرة حتى جرح وسقط حصانه من تحته[80].

والملاحظ أنه حدثت عدة أمور في هذه المعركة على جانب كبير من الخطورة أساءت للجانب البيزنطي إساءة بالغة، حيث تخلت عنه القوات المختلفة التي كانت تحت قيادة روسل باليل ويوسف ترخانيوس الذين قرروا عدم الاشتراك لأسباب لم تفصح عنها المصادر، كما تخلى عنه في نفس الوقت جزء كبير من القوات المأجوره مثل (البشناق -الغز) ولجأت إلى جيش السلطان ربما بسبب ميلهم إلى أبناء جنسهم الاتراك أو ربما بسبب عدم حصولهم على مستحقاتهم [81]. وبذلك يكون الجيش البيزنطي قد حرم من عنصر كفء كان يجيد قتال أقربائهم الترك

---

(٧٩) ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ١٠، ص ٦٥،٦٦.؛ الحسيني: المصدر السابق، ص ٤٩ .؛ ابن كثير: المصدر السابق: جـ ١٢، ص ١٠١

(80) **Michael (Psellus)** : The chronographia , p . 272 . ; **Attaliates(Michaelis)** : Historia , pp 161-163 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp . 697-699 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III pp . 700 -702.

ابن القلانسي: المصدر السابق، ص ١٦٧-١٦٨ .؛ ابن الأثير: المصدر السابق، جـ ٨، ص ١٠٩-١١٠ .؛ الفارقي: المصدر السابق، ص ١٨٩-١٩٠ .

Barger (E) : In the track of the crusaders (London) p. 175 . ; **Robinson (F)** : Atlas of the Islamic world since 1500 (Oxford 1987) p . 26 . ; **Milton (J) & Steinberg (R)** : The cross and the cresent (U.S.A 1987) p . 73-90 . ; **Atil (Esin)** : Turkish Art . (New York 1908) , p . 20 . ; **Macler** : Armenia in cam. Med. Hist. pp . 153-182 . , vol . IV (New York 1923) , p . 167 . ; **Sayar (I.M)** : The Empire of the Salcuqids of Asia Minor Journal of Near Eastern studies . vol . 10-11 . p . 268-280 (U.S.A 1951-1952) , p . 27 . ; **Wittek(Paul)** : " Deux chapitres de L'histoire des Turcs de Roum " Byzantion T-xi pp . 285-319 ((1936) , p . 294 . ; **Holt(P.M)** : The age of the crusades (London-1992) , p . 168 . ; **Diehl** : op . cit ., pp . 304-305 . ; **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 193 . ; **Tout (T.F)** : The Empire and the papacy (918-1273) (London 1909) , p . 171 .

فايز نجيب إسكندر: موقعة ملاذكرد وصداها في القسطنطينية ١٠٧١-١٠٧٢م (١٩٨٤) ص ٣٢ .؛ فايز نجيب إسكندر: البيزنطيون والأتراك والسلاجقة في معركة ملاذكرد في مصنف برينيوس (١٩٨٤)، ص ٢١ .

(81) **Attaliates(Michaelis)** : Historia , p . 158 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 695 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 699 . ; **Jenkins** : op . cit ., p . 373 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II . p . 356 . ; **Franzius** : op . cit ., p . 290 . ; **Rice (T.T)** : Byzantium , p . 90 . ; **Runciman** : op . cit ., vol 1 , p . 63 .

بنفس طريقتهم وأسلحتهم ، كما حرم من بقية الجيش الذى كان يقوده يوسف وروسل الذين تركاه ربما لإدراكهم أن موقف الإمبراطور كان ميئوسا منه .

ورغم الانتصار الكبير الذى أحرزه السلطان ألب أرسلان على خصمه البيزنطى فإنه لم يتقدم داخل آسيا الصغرى -مع سهولة ذلك- .واكتفى باطلاق سراح الإمبراطور بعد أن عاملة معاملة كريمة، وتم الاتفاق على ابرام معاهدة تحالف دائم بين الطرفين (٨٢).

وعندما وصلت الانباء بكارثة ما نزكرت إلى القسطنطينية وما حدث للامبراطور رومانوس من أسر ومهانة حتى أنتهز أعداؤه والعناصر المناهضه بقيادة بسيللوس Psellus ومعه القيصر حنادوقاس Jean Ducas وأسرته فرصة هزيمة ملاذكرد فقاموا بالقبض على أيدوكيا زوجة رومانوس وأدخلوها أحد الأديرة ، وقاموا بعزل رومانوس عن العرش ، وأعلنوا ميخائيل السابع دوقاس إمبراطورا بدلا منه(٨٣).

وجدير بالملاحظة أن ميخائيل دوقاس الذى اختارته الإمبراطورية لكى يكون قائدها كان قد تتلمذ علي يد بسيللوس والذى عرف بانشغاله وحبه للكتب والفلسفة ، وكان بسيللوس يفخر بتلميذه المحب للفلسفة ومجالسته للعلم والعلماء (٨٤) . والحقيقة أن الإمبراطورية لم تكن فى حاجة إلى فيلسوف بقدر ما كانت فى حاجة إلى قائد عسكرى يأخذ بيدها من هذه الأزمة .

بيد أن الإجراءات الأخيرة التى اتخذت فى القسطنطينية أدت إلى نشوب حرب أهلية فى الدولة البيزنطية ، فحينما علم الإمبراطور رومانوس ديوجينس بالقرار الذى اتخذ ضده في القسطنطينية صمم على استعادة العرش ، فجمع حوله عددا كبيرا من الجنود من أماكن متفرقة بآسيا الصغرى وفى نفس الوقت قام الإمبراطور ميخائيل السابع والقيصر يوحنا دوقاس بتجهيز جيش اسندوا قيادته إلى قسطنطيين

---

(82) Bryennios : op . cit .,xi-xii p . 499 . ; Michael (Psellus) : The chronographia ., p . 273 . ; Matthieu d'Edesse : op . cit ., p . 169 . ; Attaliates : Historia ., p . 166 . ; Scylitzes : op . cit ., vol . II p . 701 . ; Zonaras : op . cit ., vol III p . 703 .

ابن القلانس : المصدر السابق ، ص ٩٩ . ؛ ابن العديم : زبدة الحلب ، جـ ٢ ، ص ٢٩-٣٠ . ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٤٢ . ؛ الحسيني ، المصدر السابق ، ص ٥٢-٥٣ . ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ،جـ ١ ، ص ٦٧ . ؛ ابن الكثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ١٠١ .

Cahen (Cloud) : La premiere pentration ., p . 31 . ; Rose (L.C) : op . cit .,vol . 10 . p . 516 .

(83) Michael (Psellus) : The chronographia ., pp . 272-274 . ; Attaliates : Historia ., pp . 168-169 . ; Michel le Syrien : op cit ., p . 323 . Bryennios : op . cit .,xi-xii p . 493 . ; Scylitzes : op . cit ., vol . II p 720 . ; Zonaras : op . cit ., vol III pp . 703-704 . ; Ostrogorsky : op . cit ., p . 304 .

فايز نجيب إسكندر : موقعة ملاذكرد وصداها في القسطنطينية ، ص ١٠-٢٢ .

(84) Michael (Psellus) : The chronographia ., pp . 282-283 .

دوقاس لمنع رومانوس من دخول العاصمة ، والتقى الجيشان عند مدينة أماسيا ودار قتال عنيف تكبد فيه الجيشان خسارة جسيمة انتهت بانتصار قسطنطين دوقاس وهرب رومانوس وذهب إلى قيلقية وطلب المساعدة من ختاتوريس Chatatoures حاكم أنطاكية الأرميني (١٠٦٨-١٠٧٢م) فانضم إلي رومانوس بجيشه وتقابل الفريقان عند أدنه،وكان يقودالجيش البيزنطي في تلك المرة أندرو نيقوس دوقاس ودارت معركة حامية انتهت بتحطيم جيش رومانوس وتم القبض عليه وسملت عيناه ومات في أوائل سنة ١٠٧٢ م (٤٦٤هـ) [٨٥].

ويهمنا هنا أن نتحدث عن نتائج معركة ملاذكرد على مسرح الأحداث السياسية في ذلك الوقت وعلى آسيا الصغرى بصفة خاصة ، فإن موقعة ملاذكرد (مانزكرت) كانت أكبر كارثة حلت بالإمبراطورية البيزنطية حتى نهاية القرن الحادى عشر ، كما جاءت دليلا على نهاية دور الدولة البيزنطية في حماية العالم المسيحى في الشرق من ضغط المسلمين ، وفي حراسة الباب الشرقي لأوربا من غزو الآسيويين . وبذلك صار على الغرب الأوربي أن يقوم بدوره في هذا المضمار بدلا من اعتماده حتى ذلك الوقت على الإمبراطورية البيزنطية ، وبعبارة أخرى فإن موقعة ملاذكرد تبرز في نظر كثير من المؤرخين ما حدث سنة ١٠٩٥م من دعوة للحرب الصليبية في الغرب الأوربي على أساس أن هذه الدعوة إنما جاءت كرد فعل للكارثة التي حلت بالدولة البيزنطية سنة ١٠٧١م[٨٦].

ويشير وليم الصوري مؤرخ الحروب الصليبية إلى أن هذه الهزيمة كانت أهم عامل خدم الحركة الصليبية [٨٧] كما كان من آثار هزيمة بيزنطة في معركة ملاذكرد تدهور الاقتصاد البيزنطي والمشاكل المالية المختلفة التي أحاطت به[٨٨].

ويعقد بعض المؤرخين مقارنة بين موقعة اليرموك وبين موقعة ملاذكرد ذاكرين أن هذه المعركة لا تقل أهمية ونتائجها عن معركة اليرموك ، فإذا كانت معركة اليرموك قررت مصير بلاد الشام ، فإن معركة مانزكرت قررت أيضا مصير آسيا الصغرى ، إذ نجح الأتراك السلاجقة في فتحها والتوغل فيها ومن ثم عملوا علي

---

(85) Bryennios : op . cit .,xi-xii pp . 495-499 . ; Michael (Psellus) : The chronographia ., pp . 276-279 . ; Scylitzes : op . cit ., vol . II pp . 702-703 . ; Zonaras : op . cit ., vol III pp . 703-707 . ; Cheynet (J-C) :Manzaikert un Desastre Militaire in Byzantion Y.L (1980) pp . 410-438 . pp . 432-433 .

(٨٦) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ١ ، ص ٧١ . ؛ عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنيسة بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطي (دمشق ١٩٨٠) ، ص ٧٦ . ؛ عاطف مرقص بطرس : المرجع السابق ، ص ١٧١ .

(٨٧) زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص ٥١-٥٢ .

(88) Cheynet (J-C) : op . cit ., p . 424 .

سقوط الدولة البيزنطية ، ولم تستطع بيزنطة الوقوف فى وجه توسع السلاجقة فى آسيا الصغرى ، وكانت خسارة الدولة البيزنطية لولايات شرق آسيا الصغرى وأرمينيا وقبادوقيا وهى التى استقر فيها الأتراك السلاجقة دليلا على قرب موت الدولة البيزنطية أو بداية نهايتها (٨٩).

ويعلق المؤرخ المحدث فريونز على فقد بيزنطة لولاياتها فى آسيا الصغرى بالقول " إن القسطنطينية بفقدها لهذه الولايات الغنية بآسيا الصغرى أصبحت رأسا حرم من الجسد الذى يسنده " (٩٠).

وتحدث المؤرخ أريستاكيس عن الضعف الذى استشرى فى كيان الإمبراطورية البيزنطية نتيجة معركة ملاذكرد فيقول :" ومنذ ذلك الحين فقد الرؤساء والجنود شجاعتهم ، ولم تحرز الإمبراطورية البيزنطية ، نصرا على الإطلاق فقد تفشى الغدر والحقد بين زعماء البلاد ، وساد الظلم بعد أن داسوا بأقدامهم العدالة ، ولم يكن همهم إلا تدمير البلاد بدلا من المساعدة على نشر السلام في ربوعها " (٩١).

على أن أهم نتيجة لموقعة ملاذكرد –وخاصة بالنسبة لموضوع دراستنا– تتمثل فى أنها فتحت الطريق أمام الأتراك السلاجقة لابتلاع آسيا الصغرى التى تعتبر مصدرا رئيسيا لموارد بيزنطة البشرية والاقتصادية .

---

(٨٩) حسنين ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية (القاهرة ١٩٩٣) ص ١٩٠-١٩١ .

(90) Vryonis (Speros) : Byzantium : its internal History and relation with the Muslim world (London 1971) p . 134 .

(٩١) فايز نجيب إسكندر : أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك والسلاجقة ، في مصنف أريستاكيس اللستيفرتي ، ص ١١٥ .

ظهور حركات التمرد و الحركات الانفصالية في آسيا الصغرى ومحاولة إقامة دول مستقلة ضد الدولة البيزنطية

الملاحظ هنا أنه بوفاة رومانوس ديوجنيس سقطت المعاهدة المعقودة بينه وبين ألب أرسلان . وعندما بلغ ألب أرسلان نبأ عزل رومانوس وإلغاء المعاهدة أعلن أنه سيتوجه بنفسه إلي الأناضول ليثأر له ، ولكن حال دون قيامه بذلك المشاكل التي ظهرت له فيما وراء النهر والتي استلزمت منه القيام بحملة سنة ١٠٧٣م (٤٦٥هـ) في وسط آسيا ضد الإلخانيين (٩٢) فيما وراء النهر حيث انتهت بوفاته وحالت دون تنفيذ مشروعه في الأناضول (٩٣).

ومع ذلك فقد كانت هناك عناصر تركمانية وسلجوقية تعمل لحسابها الخاص كانت تقوم بعمليات عسكريه كثيرة داخل الأناضول ، وساعد على ذلك الخلافات الداخلية في القسطنطينية بعد موقعة ملاذكرد . وتحركت هذه الجماعات من تلقاء نفسها في الوقت الذى تدفق فيه سيل ضخم من التركمان على الأناضول . ولم يكن للسلطان ملكشاه –خليفة ألب أرسلان– سيطرة عليهم ، غير أنه رأى أن خير ما يلائمهم توجيههم إلى سهول وسط آسيا الصغرى ، وقد بدأ الكثير من أمراء السلاجقة مثل سليمان بن قطلمش ، وأرتق ، وتتش يتوغلون في قلب آسيا الصغرى ، إما بغرض تكوين إمارات لهم في ظل سيادة السلطان ملكشاه أو للاستيلاء على المدن والحصون (٩٤).

---

(٩٢) الإلخانيون (في التركستان) ، -الإلك خانات – أو خاقانات تركستان : هم الأسرة التي حكمت البلاد الواقعة شمالي جبال تيان شان وجنوبيها فيما وراء النهر من القرن الرابع الهجري إلي القرن السابع (٣٢٠-٦٠٩ هـ / ٩٣٢-١٢١٢م) تقريبا ، وتذكر هذه الأسرة كثيرا في كتب التاريخ باسم آل أفراسياب ، وأحيانا باسم خانات تركستان ، أما لقب إلك فقد كان خاصا ببعض أفراد الأسرة فقط ، والمعلومات الموجودة عن آل أفراسياب أي الإلك خانات سطحية جدا ، ومن الصعب تعيين حدود البلاد التي كانت تحت حكمهم أو بيان إماراتها بل أن التواريخ الخاصة بهم غير معينة أيضا .

لمزيد من التفاصيل انظر:

أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدول الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، الجزء الأول ، ص ٢٧٩-٢٨٠ .

(٩٣) الراوندي : المصدر السابق ، ص ١٩٠-١٩١ .

Turan (Osman) : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " the Cambridge History of Islam vol , IA pp . 231-262 (Cambridge 1970) . p . 233 .

(94) **Cahen (Cloude)** : pre-ottoman Turkey ., p . 73 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration . pp . 32-33 ; **Turan :** op . cit ., p . 233 . ; **Brhier :** viet Mort

وإزاء هذا الموقف كان على الإمبراطور ميخائيل أن يواجه خطر الهجمات السلجوقية والتركمانية ومحاولة إعادة مكانة بيزنطة في آسيا الصغرى . لذا طلب الإمبراطور ميخائيل السابع المساعدة من البابا جريجوري السابع (١٠٧٣-١٠٨٥ م) في صورة نجدة سريعة لإنقاذ الإمبراطورية من ضغط السلاجقة ، ووعده الإمبراطور ميخائيل بالعمل على إزالة الخلاف بين الكنيسة الشرقية والغربية ، فقبل البابا اقتراح الإمبراطور وأرسل إلى القسطنطينية سنة ١٠٧٣ م رئيس أساقفة البندقية نائبا عنه ، كما قام أيضا بدعوة الغرب إلى القيام بحملة عسكرية يكون هدفها تحرير الكنائس الشرقية من أيدي المسلمين ، إلا أن دعوة البابا إلى ملوك أوربا وأمرائها لم تأت بنتيجة إيجابية [٩٥].

ومن أجل وقف الخطر السلجوقي أيضا لم يتورع االإمبراطور ميخائيل عن طلب المساعدة من عناصر لا تقل عداء للإمبراطورية البيزنطية عن السلاجقة ، ومن هؤلاء النورمان . فحاول الإمبراطور ميخائيل السابع التحالف مع الزعيم النورماني روبرت جويسكارد ، فأرسل إليه عدة رسائل اقترح فيها عقد مصاهرة بين الجانبين بزواج هيلانه ابنة جويسكارد بقسطنطين ابن الإمبراطور ميخائيل ووريثه على العرش وتوقيع معاهدة بين الطرفين تقضي بعدم الاعتداء على الإمبراطورية البيزنطية والدفاع عنها ضد أعدائها [٩٦].

على أية حال ، فإن جهود الإمبراطور ميخائيل السابع مع البابا جريجوري السابع أو مع الزعيم النورماني روبرت جويسكارد لم تفلح ، فلم يحصل على المساعدات العسكرية من أي منهما رغم تباطيء السلاجقة في استغلال انتصارهم في ملاذكرد بالسيطرة الكاملة على آسيا الصغرى ، وهكذا كان على الإمبراطورية أن تعتمد على نفسها في مواجهة السلاجقة وحركات التمرد والحركات الإنفصالية .

حركة روسيل باليل :

كانت أول حركة من الحركات الانفصالية حركة روسيل باليل وذلك عندما قرر الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس سنة ١٠٧٣م القيام بحملة ضد السلاجقة لوضع حد لغاراتهم على آسيا الصغرى فجهز حملة حربية وحشد بها خيرة الجنود وأسندت القيادة فيها لإسحق كومنين ومعه أخوه أيضا ألكسيوس كومنين الذي

---

de Byzance , p . 283 . ; **Vasiliev : op . cit ., vol I . p . 357 . ; Wittek** : op . cit ., pp . 285-319 .

(95) **Brhier** : Les croisades ., p . 51 . ; **Runciman (Steven)** : The Eastern Schism (Oxford 1955) . p . 50 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol I . p . 358 . **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 213 . ; **Turan** : op . cit ., p . 235 . ;

أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جـ ٢ ، ص ١١٥ .

(96) **Anna comnena** : The Alexiad – eng trans by E.R.A Sweter (London 1979) , pp . 26-36 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis ler comnene (1081-1118) (paris-1900) ., pp . 61-63 ; **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 188 .

أصبح إمبراطورا للدولة البيزنطية فيما بعد (١٠٨١-١١١٨م) وكانت الحملة تضم بين صفوفها أربعمائة من المرتزقة النورمان يرأسهم القائد النورماني روسل باليل وتوجهت القوات البيزنطية في اتجاه قبادوقيا ، وعند وصولهم إلى مدينة قيصرية عاصمة قبادوقيا عسكرت الحملة أمام المدينة كمحطة تستأنف السير بعدها (٩٧).

ثم حدث أن قام إسحق كومنين بمعاقبة أحد الجنود النورمان وذلك لارتكابه أعمالا عنيفة مع السكان المحليين ، فاستغل روسل باليل هذا التصرف كذريعة للتمرد والعصيان ضد البيزنطيين ، فاتجه ومعه جنوده ناحية الشمال إلى المدن المختلفة بثغر الأرميناق (أرمينيكون) Armeniacon (٩٨).

والحقيقة أن روسل باليل بذلك يكون قد أفصح عن نواياه ، إذ أثار حماسه ما أقامه مواطنوه النورمان من إمارة في جنوب إيطاليا جعل لنفسه خطة ، بأن يقيم في الأناضول دولة نورمانية ، ولم يجمع حوله سوى ثلاثة آلاف رجل غير أنهم تعلقوا به وأخلصوا له واشتهروا بجودة عتادهم وحسن تدريبهم ، فيستطيع الواحد منهم أن يحرز النصر إذا التقى بأحد العساكر (٩٩).

وإزاء تمرد روسل قام القائد إسحق كومنين بتكليف أخيه ألكسيوس كومنين بأن يقود جزءا من قوات الحمله لتعقب روسل وتقضي على تمرده ، إلا أن ألكسيوس عدل عن القيام بهذه المهمة لوصول أخبار تفيد بقدوم جيش سلجوقي تجاههم ، فبدأ إسحق إعادة تنظيم قواته وعهد لألكسيوس بحراسة المعسكر البيزنطي الذي أقيم بالقرب من مدينة قيصرية ، وتحرك هو بجيشه لملاقاة هذه الجموع السلجوقية التي كانت تفوق الجيش البيزنطي والتقى الفريقان على حدود قبادقيا، وانتهت المعركة بهزيمة قاسية للجانب البيزنطي ووقوع إسحق كومنين في الأسر(١٠٠).

كما نجح الترك في تدمير المعسكر البيزنطي المقام بالقرب من قيصرية، وكاد ألكسيوس نفسه أن يقع أسيرا في يد الترك ، ولكنه بعد جهد شاق أفلت من

---

(97) **Bryennios :** op . cit .,xi-xii p . 503 . ; **A Haliated**: Historia , p . 183 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 709 . ; **Vryonis :** op . cit ., pp . 106-107 .

(98) **Attaliates :** Historia , p . 183 . ; **Bryennios :** op . cit .,xi-xii pp . 503-504 . ; **Zonaras :** op . cit ., vol III p . 709 . ; **Vryonis :** op . cit ., p . 106 .

(99) **Runciman (Steven)** : A history of the crusades ., vol . 1 pp . 66-67 .
والترجمة العربية رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١١٤ .
Brehier : Vie et Mort de Byzance ., p . 284 .

(100) **Attaliates :** Historia , pp . 183-184 . ; **Bryennios :** op . cit .,xi-xii pp . 504-506 . ; **Zonaras :** op . cit ., vol III pp . 709-710 . ; **Scylitzes :** op . cit ., vol . II p . 708 . ; **Cahen (Cloud)** : La premiere pentration , p . 33 . ; **Vryonis :** op . cit ., p . 110 .

السقوط في أيديهم أثناء عودته إلى جبادونيا[١٠١] Gabadonia التي تقع في ثغر قبادوقيا عن طريق مونت ديديمون Mt.Didymon [١٠٢].

والحقيقة أن ألكسيوس بعد أن عاد إلى القسطنطينية نجح في جمع فدية كانت مطلوبة لإطلاق سراح أخيه ، وعاد مرة أخرى إلى آسيا الصغرى وتم أطلاق سراح إسحق [١٠٣].

غير أن الجماعات السلجوقية والتركمانية إنسالت بعد ذلك بشكل كبير في آسيا الصغرى ، وبدأ الترك السلاجقة في التحكم والسيطرة على كثير من الطرق والممرات الحيوية الممتدة والتي تقطع آسيا الصغرى،حتى أن رحلة العودة لألكسيوس وأخيه إسحق عبرالطريق الرئيسي من أنقرة إلى القسطنطيبية المارعبر نيكوميديا تعرضت لهجوم من الترك والتركمان المنتشرين في تلك المنطقة المطروقة داكيا [١٠٤].

والواقع بعد موقعة ملاذكرد كان الأتراك السلاجقة يعمدون إلى احتلال الطرق والممرات في عمق آسيا الصغرى ،وقد كان هذا سمة ومظهرا لاستعمارهم شبه الجزيرة (آسيا الصغرى) بعد مانزكرت ، ولهذا فإن العديد من المدن في تلك الفترة المبكرة من الاستيطان التركي مثل أنقرة وجبادونيا على الرغم من أنها كانت محاطة بالأسوار وظلت في أيدي البيزنطيين ، إلا أنها كانت تعاني من العزلة التي فرضها عليها الترك ، لأن الترك احتلوا القرى والطرق المحيطة بها ، وقاموا بعزلها الواحدة عن الاخرى وصعب الاتصال بين تلك المدن وغيرها من المدن عن القسطنطينية ذاتها ومثيلاتها في تلك المنطقة [١٠٥].

أما روسل باليل فقد صار عند الإمبراطور أشد خطورة من الترك ، وبات من الواضح أن طموحاته أبعد من أن تكون تمرد مرتزق يطالب بزيادة مستحقاته المادية بل إنه هدف إلى تكوين إمارة نورمانية مستقلة في آسيا الصغرى كما سبق أن ذكرنا ، لذا فقد جهز الإمبراطور ميخائيل السابع حملة حربية تقمع ثورة هذا المتمرد، عهد بقيادتها إلى عمه القيصر حنا دوقاس الذي توجه بدوره إلى آسيا الصغرى ، لمواجهة روسل باليل وقمع ثورته وعصيانه والتقى الفريقان في مكان يعرف

---

[١٠١] جبادونيا : هي بلدة تقع في أقصى جنوب قبادوقيا وتعرف أيضا بجادونيا Bagadaonia .
وهناك إحتمال أن تكون نفس الحصن الشهير المعروف باسم Heraklia هيراكليا . انظر :
Ramsay (W.M) : The Historical geography of Asia Minor , p . 349 .

(102) Vryonis : op . cit ., p . 110 .

(103) Vryonis : op . cit ., p . 111 .

(104) Bryninos : N-Testimonia Veterum in (C.S.H.B , Bonn , 1836) p . 66 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 111 .

(105) Vryonis : op . cit ., p . 111 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , 72 .

باسم زومبى Zompi بالقرب من نـهر سنجاريوس Sangarius ودارت معركـة شـديدة انتهت بهزيمة قاسية للجيش البيزنطي وتم أسر القيصر حنا دوقاس [١٠٦].

ولم يكتف روسل باليل بما أحرزه من نصر على الجيش البيزنطى بل زحـف متجها إلى القسطنطينية فبلـغ الشاطىء الآسيوى للبسفـور دون أن يلقـى مقاومـة ، وأشعل الحرائق فـى ضاحيـة خريسـوبوليس Chrysopolis (اسكدرى) وعسـكر بـين أطلالها [١٠٧].

ثم اتخذ روسل خطوة على جانب كبير من الخطـورة عندما نـادى بأسيره القيصر حنا دوقاس إمبراطورا منافسا لإمبراطور بيزنطة [١٠٨] ويبدو أنه كان يأمل أن يحدث انقساما داخل بيزنطة ، محاولا إضفاء الصفة الشرعية على ما استولى عليـه من أراض بيزنطية .

وهذا الفعل أربـك حكومة القسطنطينية فى الوقت الذى كانت العاصمة عاجزة عن إرسال قوات أخرى لإخضاع المتمرد واحتواء هذه المشكلة ، لذلـك لجأ الإمبراطور ميخائيل إلى الوسـائل الدبلوماسية ، وعرض الصفح عن روسـل ومنحـة لقب قربلاط Curopalate [١٠٩] ، بالإضافة إلى إرسال زوجته وأولاده له [١١٠]

ولم تنجح وسائل الإمبراطور ميخائيل الأخيرة مع روسل ، ولم يجد مفرا إلا اللجوء إلى القوة الوحيـدة التى تستطيع مساعدته وهـم السلاجقة الأتـراك ، فأرسل سفارة إلى الأمير التركى أرتقArtoukh الذى كان على راس جيش ضخم فى أقليم

---

(106) **Attaliates** : Historia , pp . 184-186 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 709 . ; **Bryennios** : "Les Quatre livres des histoires " ch x vi p . 516 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 710 . ; **Runciman (Steven)** : A history of the crusades ., vol . 1 . pp 66-67 .

والترجمة العربية رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١١٤ .

Brhier : vie et Mort de Byzance , p . 284 . ; **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor ., p 45 .

(107) **Runciman (Steven)** : A history of the crusades ., vol . 1 . pp 66-67 .

والترجمة العربية رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١١٤ .

Vryonis : op . cit ., p . 107 .

(108) **Bryennios** : "Les Quatre livres des histoires " ch x vi p . 518 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . III p . 710 . ; **Attaliates** : Historia , p . 189 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 107 . ; **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 44 . ; **Brhier** : vie et Mort de Byzance , p . 284 .

(١٠٩) قربلاط : لقب من ألقاب التشريفات البيزنطية والتي بلغت حوالي ثمانية عشر لقبا . وكان هذا اللقب في المرتبة السادسة عشر ولا يحظي بها إلا أفراد من الأسرة الإمبراطورية . ومنذ عام ٥٨٨ م منح هذا اللقب إلي حكام الكرج ، ومنذ سنة ٦٣٥ أغدق به الإمبراطور البيزنطي علي الحكام الأرمن أيضا . انظر : فايز نجيب إسكندر : أرمينيا بين البيزنطيين والأتراك والسلاجقة ، ص ١٦٩ ، حاشية رقم ١٦٩ ، ص ١٧٦ حاشية ٢١٣ .

(110) **Bryennios** : op . cit ., p . 81 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 73 . ; **Cahen** : La premiere pentration , p . 33 .

بيثينيا [111] وقواعدها المعروفة باسم Metabole ،وطلب منه المساعدة في إخماد حركة روسل والتخلص منه في مقابل وعود كثيرة وعده بها الإمبراطور ميخائيل [112].

تحرك الجيش التركي ونجح في تطويق جيش روسل ومحاصرته ، ودار قتال عنيف انتهى بانتصار الترك ووقوع كل من روسل باليل والقيصر يوحنا في الأسر . ولقد عمل أرتق لحسابه الخاص أكثر مما عمل لحساب الإمبراطور،حيث نجحت زوجة روسل في افتداء زوجها بدفع الفدية المطلوبة قبل أن يصل مبعوثو الإمبراطور المعسكر[113]. كما أن الإدارة البيزنطية سارعت بإرسال مبعوثها إلى السلاجقة الأتراك لتحرير القيصر حنا دوقاس ، ولقد نجح الوفد البيزنطي في تحرير القيصر مقابل فدية ضخمة وكان البلاط البيزنطي حريصا على تحرير القيصر خشية أن يستغله السلاجقة مثلما كان يريد روسل باليل بإعلانه امبراطورا [114].

انطلق بعد ذلك روسل باليل في ربوع آسيا الصغرى متجها إلى ثغر الأرميناق ووجده مليئا بالجماعات السجلوقية فقام بمحاربتهم ، ثم أغار على مدينتي أماسيا وقيصرية الجديدة (نكسار) وبعض المدن الاخرى [115].

وإزاء هذا الموقف المتردي ولعجز حكومة القسطنطينية من القضاء على متاعب النورمان اضطر الإمبراطور ميخائيل إلي إرسال نيقفورس باليو لوجوس إلي ملك اللان بالقوقاز لطلب المساعدة بتجهيز جيش من المرتزقة ، ونجح نيقفورس في التحرك بقوة يصل عددها إلى ستة آلاف مقاتل تقريبا من اللان ولكن أهالي أقليم بونتس طالبوه بأجورهم فلم يستطع دفعها فتركه معظمهم عائدين إلى أوطانهم ، ومن جهة أخرى فإن روسل الذى كان يعلم بتحركاتهم نجح بسهولة في إيقاع الهزيمة بالبقية الباقية من قوة نيقفورس [116].

---

(111) أقليم بيثينيا : يقع هذا الإقليم في الجزء الشمالي الغربي من آسيا الصغري في مواجهة القسطنطينية . انظر :

Ramsay : op . cit ., p . 94 . ; Rice (T.T) : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 48 .

(112) Attaliates : Historia ., p . 189 . ; Bryennios : op . cit .,xi-xii p . 519 . ; Zonaras : op . cit ., vol III pp . 710-711 . ; Scylitzes : op . cit ., vol . II p . 710 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey , p . 73 .

(113) Scylitzes : op . cit ., vol . II pp . 711-712 . ; Zonaras : op . cit ., vol III p . 711 . ; Vryonis : op . cit ., p . 107 . ; Cahen : La premiere pentration , p . 33 . ; Brhier : vie et Mort de Byzance , p . 284 . ; Chalandon (F) : Essai sur le reigne d'Alexis ., p . 30 .

(114) Vryonis : op . cit ., p . 107 .

(115) Attaliates : Historia ., pp .198-199 . ; Bryennios : op . cit .,xix ., p . 520 . ; Zonaras : op . cit ., vol III p . 712 . ; Vryonis : op . cit ., p . 107 .

(116) Bryennios : op . cit .,xix ., p . 520 . ; Vryonis : op . cit ., pp . 107-108 .

والملاحظ هنا أن حكومة القسطنطينية فشلت على مدى ثلاث حملات عسكرية في القضاء على تمرد روسل باليل ، ولم تنجح أيضا حينما استعانت بالترك واللان الأمر الذى ولد شعورا بانعدام الثقة في الجنود والقادة العسكريين .

والحقيقة أن مشكلة روسل باليل أرقت الإمبراطور ميخائيل بما فيه الكفاية حتى أنه – كما يذكر المؤرخ ميخائيل اتالياتوس (١١٧) – كان يفضل أن تؤول ولايات الروم للأتراك السلاجقة ويتولوا تصريف شئونها على أن يحتلها هذا اللاتينى (روسل باليل) .

اتجهت أنظار الدولة البيزنطية لتكليف القائد الشاب الواعد ألكسيوس كومنين لمقاومة روسل كمحاولة ضمن المحاولات التى تبذلها الإمبراطورية ضد حركة روسل وتم تعيينه قائدا لحملة ، فتوجه إلى آسيا الصغرى ، وتحرك ألكسيوس حتى وصل إلى مدينة أماسيا (١١٨).

وفى تلك الأثناء لم تتوقف العمليات العسكرية التى قام بها السلاجقة فى آسيا الصغرى ، وعمل روسل باليل على الاستفادة من الجماعات التركية المنتشرة فى الأناضول ، وحدث أن قدم إلى آسيا الصغرى جيش تركى ضخم بقيادة تتش (توتاق) لغزو الأراضى البيزنطية ، فتحالف روسل معه واتفقا على غزو ممتلكات الإمبراطورية البيزنطية فى آسيا الصغرى (١١٩).

وعندما علم ألكسيوس بهذا التحالف استخدم مكره ودهاءه ، حيث أرسل إلى تتش بعض الهدايا القيمة وطلب منه إرسال مبعوثين ممن يثق فيهم لأنه سوف يحملهم رسالة هامة . وأسرع تتش من جانبه بإرسال مبعوثين إلى أماسيا ، وحين قابل ألكسيوس كومنين مبعوث الأمير السلجوقى سنة ١٠٧٤م طلب منه القبض على روسل باليل وشرح له مدى خطورة وضعه وأنه عدو لهما لأنه ينهب أرض الرومان ويهاجم كذلك الأتراك وإنه الآن يرتدى قناع السلام ، ولكنه عندما يمر هذا الحادث سيعود مرة ثانية عدوا للترك كما كان من قبل وعرض عليه فى مقابل القبض على روسل مبلغا كبيرا من المال فضلا عن ود وصداقة الإمبراطور البيزنطى الذى سوف

---

(117) Attaliates : Historia ., pp .198-199 .
(118) Attaliates : Historia ., p . 199 . ; Anna comnena : The Alexiad , p . 32 . ; Scylitzes : op . cit ., vol . II p . 713 . ; Bryennios : op . cit .,xix ., p . 520 . ; Runciman : op . cit ., vol . I . p . 67 .
والترجمة العربية رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٤ .
(119) Bryennios : op . cit .,xix ., p . 520 . ; Anna comnena : The Alexiad , pp . 33-34 . : Attaliates : Historia ., p . 199 . ; Cahen : La premiere pentration , p . 33 .

يعود بالنفع على الترك ، هذا بالإضافة إلى أن القبض على روسل سوف يدخل السرور على سلطان السلاجقة ملكشاه[١٢٠].

لقى عرض ألكسيوس لدى الأمير التركى تتش القبول ، وعندما توجه روسل إلى معسكر السلاجقة لزيارة تتش فى إحدى زياراته التى كان يقوم بها كثيرا بعد أن نشأت صداقة مع السلاجقة ألقى القبض عليه وسلمه تتش مكبلا إلى القائد ألكسيوس كومنين بعد أن تسلم الفدية المتفق عليها ، وقام ألكسيوس بإرساله إلى الإمبراطور ميخائيل السابع بالقسطنطينية [١٢١].

اختفى روسل من التاريخ ، غير أن قصته تركت أثرا فى البيزنطيين إذ علمتهم أنه لا يصح الوثوق فى النورمان ، وأن مطامع النورمان لا يحدها شواطىء جنوب إيطاليا ، بل إنهم أرادوا أن يقيموا لهم إمارات فى الشرق [١٢٢] . وعلى الرغم من ذلك فإننا سنرى محاولات أخرى من النورمان لإقامة دولة مستقلة فى آسيا الصغرى .

كانت حركة روسل إحدي القوى التى أحدثت قلقا كبيرا للدولة البيزنطية ، ولا شك أن تمرد روسل قد أوضح أنه لا يجب الاعتماد على جيش يعتمد بشكل كبير على المرتزقة غير المخلصة لكون أن القوات العسكرية التى يمتلكونها قد ضعفت ، والحكومة حقيقة اعتمدت فى البداية على الجنود الآلان ، ثم استعانت أيضا بالترك السلاجقة ، ورأينا أن كلا من حكومة القسطنطينية والثائر روسل لم يترددا فى الاستعانة بالأمراء السلاجقة للتحالف ضد الآخر والحقيقة أن ضعف القسطنطينية قد عجل بغزو الأناضول وغيرها من المدن ، حتى أن المؤرخ فريونس يرى أن حركة روسل بعد عزل الإمبراطور رومانوس الرابع كانت السبب فى كل المصائب التى حلت بالإمبراطورية البيزنطية بعد ذلك من حركات ثوار وثورات [١٢٣].

وعلى الرغم من انتهاء حركة روسل باليل وعودة المدن الخاصة بالدولة البيزنطية علي البحر الأسود وهى مدن أماسيا وقيصرية [١٢٤]، إلا أن الأتراك السلاجقة

(120) **Bryennios** : op . cit ., chxxi . p 522 . ; **Anna comnena** : The Alexiad , pp . 33-34 . ; **Attaliates** : Historia ., p . 199 . ; **Cahen** : La premiere pentration , p . 33 .
(121) **Attaliates** : Historia ., pp . 199-200 . ; **Bryennios** : op . cit ., chxxi . p 523 . ; **Anna comnena** : The Alexiad , p . 34 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 713 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 712 . ; **Brhier** : vie et Mort de Byzance , p . 284 . ; **Cahen** : La premiere pentration , p . 33 . **Vryonis** : op . cit ., p . 108 . ; **Chalandon** (F) : Essai sur le reigne d'Alexis ., p . 30 .
(122) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 67 .
والترجمة العربية المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٥ .
(123) **Vryonis** : op . cit ., p . 108 .
(124) **Attaliates** : Historia ., pp . 206-207 .

كانوا منتشرين بشكل كبير في آسيا الصغرى حتى وصلوا إلى إقليم بيثينيا الذي يقع في الشمال الغربي من آسيا الصغرى (١٢٥).

وقد توقف القائد ألكسيوس كومنين عند عودته من مدينة أماسيا متوجها إلى القسطنطينية مع سجينه روسل باليل في الطريق عند مدينة قسطمون Castamon (١٢٦) لكي يرى أملاك أسلافه وجدها مهجورة وبجهد جهيد نجا من الأسر في أيدى الترك الذين نهبوا المنطقة ، وعندما وصل إلى البحر الأسود عند ميناء هرقليا قام الأتراك المنتشرون هناك بمهاجمته ، وعلى الرغم من أن ألكسيوس كومنين اعاد تنظيم قواته ورتب دفاعاته من أجل وقف هذه الغزوات ، إلا أن مركب إمبراطورى وصل إلى هرقليا وأمره بالتوجه إلى القسطنطينية على الفور عن طريق البحر حيث أن الطرق الأناضولية في الغرب كانت مبتلاة بالترك(١٢٧).

وهكذا استمر السلاجقة في الانتشار في آسيا الصغرى ، حتى أن المؤرخ أتالياتوس يعلق بأن مدينة خريسوبوليس Chrysopolis التى لا يفصلها إلا بعض الممرات عن القسطنطينية أصبحت " مكانا لراحة الترك " (١٢٨).

واستمر السلاجقة في السيطرة على الطرق الرئيسية وامتد نشاطهم إلى ساحل البسفور
ووصلت غاراتهم الشواطىء الشمالية والغربية لآسيا الصغرى حتى وصلوا إلى بحر إيجة حول منطقة لاتروس Latrus (١٢٩) بل أن المؤرخة آنا كومنين تشير إلى أن مدينة طرابيزون الواقعة على البحر الأسود قد وقعت في أيدي الترك في الفترة الواقعة من سنة ١٠٧١م إلى سنة ١٠٧٥م (١٣٠).

ولا شك أن الوضع المتردى في آسيا الصغرى أدى إلى توقف وصول المحاصيل الزراعية من آسيا الصغرى إلى القسطنطينية هذا فضلا عن الهجرات الجماعية لمواطنى آسيا الصغرى إلى عاصمة بيزنطة القسطنطينية الأمر الذى أدى

---

(125) **Vryonis** : op . cit ., p . 108 .

(١٢٦) قسطموني : مدينة واسعة تقع في شمال آسيا الصغرى على البحر الأسود ، والذي يحيط بها من كافة الجهات عدا جهة الشرق . انظر :

أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٩٣ ؛ لسترنج : المرجع السابق ، ص ١٩١ .
Heywood (C.J) : Kastamuni in Ency . of Islam , vol . 1 v (1990) .

(127) **Vryonis** : op . cit ., pp . 111-112 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 72 . : **Cahen** : La premiere pentration , pp . 33-34 .

(128) **Attaliates** : Historia ., p . 267 .

(129) **Vryonis** : op . cit ., p . 112 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 73 . ; **Cahen** : La premiere pentration , p . 34 .

(130) **Anna comnena** : The Alexiad , p . 211 .

إلي نشوء مشاكل إقتصادية وخيمة إلي جانب انتشار المجاعات والأوبئة والأمراض المختلفة (١٣١).

حركة نقفور بوتنياتس :

من حركات التمرد التى واجهت الإمبراطورية البيزنطية الحركة التى قام بها نقفور بوتنياتس ، إذ يبدو أن الظروف التى كانت تمر بها القسطنطينية قد شجعت بعض قواد الإمبراطورية ممن وجدوا أن الموقف قد حان لهم ليدعوا الحق في امتلاك الأحذية الأرجوانية، وقد استغل القادة العسكريون سوء الحالة وأعلن اثنان منهم الثورة ، أحدهما من القسم الأوربى من الإمبراطورية وهو نقفور برينيوس . والآخر هو الذى يهمنا من آسيا الصغرى وهو نقفور بوتنياتس .

ففى سنة ١٠٧٨ م أعلن الثورة نقفور بوتنياتس وهو حاكم لثغر الناطليق (الأناتوليك) الشاسع الذى يقع فى وسط آسيا الصغرى وغربها ودفعه لهذه الثورة الطموح الشخصى من جهة ، و شدة ثائرته على ضعف حكم ميخائيل من جهه أخري(١٣٢).

وفى تلك الفترة كان الزعماء الأتراك يتغلغلون داخل الأراضى البيزنطية ، ومن أخطر الجماعات السلجوقية تلك التي كان يقودها سليمان بن قطلمش الذى نجح فى الاستيلاء على مساحات شاسعة من أراضى آسيا الصغرى حتى اضطر الإمبراطور ميخائيل السابع إلى عقد اتفاقية سنة ١٠٧٤م مع سليمان ابن قطلمش يتعهد فيها الأخير بأن يمد الإمبراطور بالمساعدات العسكرية فى مقابل تنازله عن بعض المقاطعات البيزنطية في آسيا الصغرى التى فى حوذته (١٣٣).

وكان نقفور بوتانياتس يعمل سرا على مراسلة من يستطيع استقطابهم فى حركته هذه من القادة والمسئولين فى حكومة القسطنطينية ووعدهم إذا ما ساعدوه على الوصول إلى العرش بالمكافآت والمناصب الرفيعة (١٣٤).

---

(131) **Zonaras** : op . cit ., vol III pp . 714-715 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp . 224-226 . ; **Attaliates** : Historia ., pp . 211-212 . ; **Brhier** : vie et Mort de Byzance , p . 285 .

(132) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 68 .

والترجمة العربية رنسيمان :المرجع السابق ،جـ١ ، ص ١١٦ .

Levtchenko : Byzance des origines , p . 220 .

سيد علي الناصري : الروم والشرق العربي (القاهرة ١٩٩٣م) ، ص ٣٨٢ .

(133) **Grousset** : Histoire des croisades ., vol . 1 p . 35 . ; **Grousset (Rene)** : L'Empire du Levant ., p . 169 . ; **Cahen** : La premiere pentration , p . 35 . **Tout (T.F)** : The Empire and the papacy . , p . 172 .

(134) **Attaliates** : Historia ., pp . 213-214 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 715 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 726 . **Bryennios** : op . cit ., chxvi . pp . 893-894 .

ولقد قوبلت حركة نقفور بوتنياتس لدى مواطني العاصمة القسطنطينية بالترحاب والابتهاج،حيث خرجوا من العاصمة والمدن القريبة الأخرى لتأييد تمرد نقفور بوتنياتس[١٣٥] مما دفع الإمبراطور ميخائيل إلى أن يرسل في طلب المساعدة من سليمان بن قطلمش،والتحالف معه ضد تمرد نقفور بوتنياتس وليضع الاتفاقية المعقودة بينهما موضع التنفيذ واعدا إياه بمزيد من المنح اذا سلمه بوتنياتس[١٣٦].

ولهذا فقد أدرك بوتنياتس أن أي تقدم نحو نيقيه أو القسطنطينية ميئوس منه في وسط أسراب الترك ، لذا فقد اضطر أن يتفادى بقواته الطرق المعتادة وأن يسافر ليلا خشية الوقوع في أيدي الجماعات السلجوقية التي يرأسها سليمان ومنصور ابنا قطلمش [١٣٧].

أدرك بوتنياتس صعوبة موقفه ، لذا فقد أرسل إلى سليمان بن قطلمش أميرا سلجوقيا يدعى أرسيغي كان في خدمة نقفور بوتنياتس للتفاوض مع سليمان وإقناعه بالتخلي عن ميخائيل السابع والتحالف مع بوتنياتس في مقابل عرض أفضل مما قدمه ميخائيل [١٣٨].

والحقيقة أن السلاجقة كانوا دائما على استعداد لتلبية نداء من يدفع أكثر لذلك فقد تحولوا عن ميخائيل ودخلوا في خدمة الثائر نقفور بوتنياتس . وتشير كثير من المصادر البيزنطية إلى مدى الخضوع والطاعة التي أظهروها في خدمة بوتنياتس وعلى رأسهم سليمان ومنصور ابنا قطلمش[١٣٩]

وأثناء زحف بوتنياتس على القسطنطينية حشد تحت لوائه أعدادا كبيرة من الترك واستخدمهم لحراسة ما استولى عليه من المدن أمثال سزيكوس (أرواد)، نيقية، نيقوميديا ، خلقيدونيا ، خريصوبولي (سكودار) ، بلاى Plae ، برانتوس Praenetus ، روفينياناى Rophinianae [١٤٠] كما تدفق العديد من الثوار من العاصمة القسطنطينية وحضروا إلى إقليم بيثينيا لتأييد نقفور بوتنياتس [١٤١].

---

(135) **Attaliates** : Historia ., pp . 238-240 .
(136) **Attaliates** : Historia ., pp . 240-241 . ; **Bryennios** : op . cit ., chxvi . p . 894 . **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 715 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 726 .
(137) **Vryonis** : op . cit ., pp . 112-113 .
(138) **Bryennios** : op . cit ., chxvi . pp . 894-895 . ; **Attaliates** : Historia ., pp . 240-241 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 113 . ; **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 201 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 75 .
(139) **Attaliates** : Historia ., pp . 265-267 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III pp . 718-719 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp 731-733 .
(140) **Attaliates** : Historia ., pp . 263-268 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 68
والترجمة العربية رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٦ .
Vryonis : op . cit ., p . 106 . **Grousset (Rene)** : L'Empire du Levant ., p. 170 . **Levtchenko** : Byzance des origines , p . 221 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol. 1 p . 357 .
(141) **Vryonis** : op . cit ., p . 113 n . 169 .

ومما يجدر ذكره أن سكان القسطنطينية والمدن القريبة منها استقبلوا خبر تحرك جيش بوتنياتس نحو العاصمة بالابتهاج والفرح (١٤٢).

وفي مارس سنة ١٠٧٨م شبت الثورة في القسطنطينية ولعب رجال الكنيسة دورا فيها وكان على رأسهم أميليانوس بطريرك أنطاكيا الذى كان آنئذ في العاصمة ، وتمت المناداة بنقفور بوتنياتس إمبراطورا ، وقبض علي الإمبراطور ميخائيل السابع حيث أرسل إلي أحد الأديرة ، وتم تتويج بوتنياتس إمبراطورا (١٤٣).

وكان الإمبراطور ميخائيل المعزول أسعد حظا من معظم الأباطرة المعزولين، فلم تمض إلا سنوات قليلة ، حتى ارتقي كرسي أسقفية كبرى بفضل كفايته ومؤهلاته ، أما زوجته التى تخلت عنه ، وهي مارية القوقازية الآلانية ، والتى كانت تعتبر أجمل أميرات عصرها ، فإنها رأت أنه من الحكمة أن تتزوج المغتصب(١٤٤).

وهكذا كان بوتنياتس أحد القوى التى لعبت دورا كبيرا في آسيا الصغرى ، كما لعبت دورا في تمكن السلاجقة من آسيا الصغرى كقوة جديدة حيث أخذت جماعاتهم المسلحة تطوف البلاد في غرب آسيا الصغرى واستولوا باسم الحاكم الثائر علي كثير من المدن مثل نيقية ، نيقوميديا ، وخلقدونيا والبفسور . وكانت هذه أول مرة يحتل فيها السلاجقة نيقية بوصفهم حماة الإمبراطورية أى باسم الإمبراطور نقفور الثالث (١٤٥).

وعندما وصل سليمان بن قطلمش وقواته الى البسفور قدر له أن يرى -ربما لأول مرة- عبر البحر اللامع قلب المملكة المسيحية وموضع الإمبراطورية البيزنطية " القسطنطينية " والتي قدر لها أن تصبح مركزا للقوى التركية على مدى أربعة قرون تقريبا فيما بعد وهو يحلم بامتلاكها (١٤٦).

---

(142) **Attaliates** : Historia ., pp . 267-268 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp . 732-733 .

(143) **Attaliates** : Historia ., pp . 270-272 . **Michel le Syrien** : op cit ., p . 326 . ; **Bryennios** : op . cit ., chxviii . pp . 896-898 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III pp . 719-720 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 308 .

أسد رستم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٤ ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص ٥٧ .

(144) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 69 .

والترجمة العربية رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٧ .

Ostrogorsky : op . cit ., p . 308 .

(١٤٥) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٧٣-٧٤ .

(146) **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor . p . 46 .

حركة نقفور بيرينيوس :

من الحركات الإنقلابية أو ما يطلق عليها - إنقلاب فى سلطة الدولة - الحركة التي واجهت الإمبراطورية البيزنطية والتى تمثلت فى حركة نقفور بيرنيوس ، فالحاصل أنه على الرغم من أن نقفور بوتانياتس كان عسكريا لامعا إلا أنه لم يستطع إعادة تنظيم صفوف الجيش ، وكانت الإمبراطورية فى عهده فى حالة فوضى ، وتميز عهده القصير بسلسلة من الثورات بمجرد اعتلائه العرش سنة ١٠٧٨م حيث تمرد عليه ثائر عسكرى هو نقفور برينيوس ، وكان قد تمرد فى وجه الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس فيما قبل ، ثم استمرت ثورته بعد اعتلاء بوتانياتس العرش وكانت ثورته فى الغرب [١٤٧].

ولقد حاول الإمبراطور نقفور بوتنياتس احتواء هذه الثورة بالطرق الدبلوماسية ، إذ أرسل إليه قائلا " ... ربما أن الله رفعنى على عرش الإمبراطورية وأود أن تكون ابنى بالتبني ووريثى الشرعى ..وأتمنى ان أرى فيك ابنا مخلصا كريما وليس ابنا شرسا .. واليوم تقبل منى لقب " قيصر " ذلك اللقب الذى يأتى بعد لقب إمبراطور مباشرة وفيما بعد ستصبح خليفته على عرش الإمبراطورية ولكن برينيوس كان عسكريا متغطرسا وسياسيا يشتهر بالرعونة لذا رفض الاعتراف بالأمر الواقع [١٤٨] . وهكذا لم يذعن برينيوس للطاعة ولم يعلن ولاءه وبذلك تكون محاولات بوتنياتس لتسوية الأزمة بالطرق الدبلوماسية قد فشلت . وإزاء هذا الوضع تم تكليف القائد ألكسيوس كومنين الذى يتصف بالمكر والدهاء والذكاء للقيام بهذه المهمة [١٤٩].

وعلى الرغم من أن نقفور برينيوس كان أحد العوامل التى أحدثت قلقا لبيزنطة في الغرب الاوربى وليس فى آسيا الصغرى فقط ، إلا أن القوة الناشئة فى آسيا الصغرى -أعنى قوة سلاجقة الروم- كان لها دور كبير فى هذه الثورة ، فقد عملت هذه الثورة على زيادة توغل السلاجقة وتدخلهم فى شئون بيزنطة ، حيث إن النزاع بين العسكريين والبيروقراطية اشتعل فى بيزنطة ، وبظهور الترك فى الأناضول

---

(147) **Attaliates** : Historia ., pp . 242-243 . ; **Zonaras : op** . cit ., vol III pp . 716-717 . ; **Bryennios** : op . cit ., chivii ., pp . 901-902 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 727 . ; **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor . p . 46 . ; **Levtchenko** : Byzance des origines , p . 220 .

(١٤٨) فايز نجيب أسكندر : أسرة برينيوس ودورها في تاريخ الإمبراطورية البيزنطية ، المجلة التاريخية مج ٣٣ ، ص ٨٣-١١٨ (١٩٨٦م) ، ص ٢٨-٢٩ . ؛ عبد الغني محمود عبد العاطي : المرجع السابق ، ص ٩٦ .

(149) **Bryennios** : op . cit ., CHIVII ., pp . 258-260 . ; **Attaliates** : Historia ., pp . 288-289 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 721 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 69 .

والترجمة العربية رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٧ .

– على ما يبدو – قد اضاف لذة في الجهاد ، إذ كان كل جانب قد جاهد ليتفوق على الآخر في الحصول على المساعدة العسكرية . وهذه صورة للنظرة الضيقة والسياسة الحمقاء البعيدة عن الاتزان لهؤلاء القادة ، وعلى الرغم من أن الطبيعة الحقيقية للخطر التركي كانت واضحة للجميع لكل من البيروقراطية والقادة ، إلا أن الرغبة في التاج الإمبراطوري كانت فوق كل اعتبار(١٥٠).

أعلن نقفور برينيوس في غرب شبه جزيرة البلقان نفسه إمبراطورا واجتذب إلى لوائه جند الأقاليم الأوربية فتوجه لقتاله ألكسيوس كومنين في جماعة صغيرة من العساكر اليونانيين الذين يعوزهم التدريب ، فضلا عن عدد قليل من الفرنج الذين تخلوا عنه جريا على عاداتهم ولم يستطع ألكسيوس كومنين أن يهزم برينيوس إلا حينما وصل إليه في الوقت المناسب جماعة من الترك المأجورين (١٥١).

والحقيقة أن الإمبراطور بوتنياتس حينما وجد أن قوات نقفور برينيوس أضخم من أن تتصدى لها قوات الإمبراطورية ، ونظرا لضعف وعجز قواته العسكرية ، فقد لجأ إلى طلب المساعدة من منصور أخو سليمان بن قطلمش وخليفته والذي أسرع بالاستجابة وأمده بقوة قوامها ألفا فارس (١٥٢).

تقابل الفريقان عند منطقة كالفريتا Calavryta ودار قتال عنيف ونجحت قوات ألكسيوس في الانتصار على قوات المتمرد بفضل ذكاء ألكسيوس ومهارته ، ولم تكن قوات ألكسيوس لتنتصر في هذه المعركة لولا أساليب القتال العسكري للسلاجقة التي استخدموها والتي عرفت بحرب الكمائن التي اشتهروا بها ، وانتهى الأمر بأسر برينيوس حوالي أبريل سنة ١٠٧٨م واصطحبه ألكسيوس معه إلى القسطنطينية وتم سمل عينيه (١٥٣).

حركـــة باسيلاكيـــوس :

تعد حركة باسيلاكيوس Basilacius من حركات التمرد والإنقلاب التي واجهت الإمبراطورية البيزنطية . والواقع أن السلاجقة في آسيا الصغرى لم تمنعهم قوة بيزنطة من استغلال كافة الظروف من أجل تثبيت أقدامهم في المناطق التي استولوا عليها ، فلم يكد الإمبراطور بوتنياتس ينتهي من القضاء على تمرد برينيوس ،

(150) **Vryonis** : op . cit ., p . 104 .
(151) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 69 .

والترجمة العربية المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٧ .

(152) **Attaliates** : Historia ., pp . 288-291 . ; **Bryennios** : op . cit ., ch11-iv . pp . 901–902 . **Scylitzes** : op . cit ., vol . II pp . 735 –736 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 721 . ; **Anna comnena** : The Alexiad , p . 39 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 106 . ; **Cahen** : La premiere pentration . p . 43 .
(153) **Anna comnena** : The Alexiad , pp . 41-46 . ; **Bryennios** : op . cit ., iv ch xvii . p . 282 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 181 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III pp . 721-722 . ; **Attaliates** : Historia ., p . 292 .

حتى كان لزاما عليه أن يمضي إلى تساليا لقمع ثائر آخر هو باسيلاكيوس ، وفي تلك الظروف السيئة التي كانت تمر بها الإمبراطورية كان السلاجقة يرتعون في آسيا الصغرى حيث تمردت الحامية التركية المرابطة في نيقية [١٥٤].

حركة قنسطنطين دوقاس :

تعتبر حركة قنسطنطين دوقاس من حركات التمرد والإنقلاب والتي واجهت الإمبراطورية البيزنطية ، ففي الجانب السلجوقي في آسيا الصغرى نجح سليمان بن قطلمش في توسيع حدود سيطرته في آسيا الصغرى بفضل ما استولى عليه ، حيث جعل مركز إدارته في مدينة خريسوبوليس (اسكودار) في سنة ١٠٧٨م(٤٧١هـ) [١٥٥].

وحقيقة الأمر أن التوغل السلجوقي قد شتت جيوش أقاليم آسيا الصغرى البيزنطية في أماكن مختلفة وسيطر الأتراك السلاجقة على قطاعات كثيرة من آسيا الصغرى خاصة الواقعة بين البحر الأسود ومضيق البسفور والدردنيل وبحر إيجة وأنهار آسيا الصغرى الداخلية ، وأيضا تلك التي تسير بمحاذاة إقليمي بامفيليا وقيليقية والتي تصب في البحر المتوسط [١٥٦].

ومن جهة أخرى ، فإن تمرد الحاميات التركية في كثير من مقاطعات آسيا الصغرى وسيطرتهم عليها دفع الإمبراطور نقفور بوتنياتس إلى أن يعد حملة لتقليم أظافر السلاجقة أو ردهم أو إشعارهم بوجود الإمبراطورية ، فأعد حملة أسند قيادتها إلى قنسطنطين دوقاس -شقيق الإمبراطور المخلوع ميخائيل السابع دوقاس- وعندما وصل قنسطنطين بحملته إلى مدينة خريسوبوليس بآسيا الصغرى قام بشق عصا الطاعه وأعلن نفسه إمبراطورا . وفي ذلك الوقت كان ألكسيوس يقوم بإخماد ثورة باسيلاكيوس مما دفع الإمبراطور بوتنياتس إلى استخدام عنصر الرشوة والدعوة إلى المناصب الرفيعة في الإمبراطورية لمن أيدوه مع رفاقه الذين خانوه وسلموه للإمبراطور [١٥٧] ، وبذلك تمكنت أحدى القوى المتمردة على الدولة البيزنطية في زعزعة وضعها بآسيا الصغرى.

حركة نقفور ميليسينوس :

وهكذا نأتي إلى آخر حركة من حركات التمرد والإنقلاب التي واجهت الإمبراطورية البيزنطية حيث أعلن الثورة في آسيا الصغرى طمعا في الحكم واحد

---

(154) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 69 .

والترجمة العربية رنسيمان : المرجع السابق ،جـ١ ، ص ١١٧ .

(155) **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks , The Cambridge History of Islam . vol. IA. p.235 .

(156) **Anna comnena** : The Alexiad , p . 38 .

(157) **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 724 . ; **Attaliates** : Historia ., pp . 306-307 . ; **Scylitzes** : op . cit ., vol . II p . 742 . ; **Brehier** : Vie et Mort de Byzance . p . 287 .

من أشهر قادتها هو القائد نقفور ميليسينوس Nicephorus Melessenus ، ولم يجد قوة فى آسيا الصغرى تسانده إلا قوة السلاجقة الأتراك الذين أصبحوا بقوتهم الناشئة سادة آسيا الصغرى ، متبعا بذلك التقليد الذى سبقه إليه المتمردون البيزنطيون حيث عقد هذا الثائر معاهدة مع سليمان بن قطلمش كان أهم شروطها أن يقوم سليمان بتقديم المساعدات العسكرية اللازمة فى كفاحه ضد بوتنياتس فى مقابل التنازل لسليمان عن نصف المدن والمقاطعات التى يستوليان عليها فى زحفهما على القسطنطينية (١٥٨).

وبفضل هذا التحالف تهيأ للسلاجقة الأتراك القدرة على حوز مكاسب أقليمية أخرى حيث تحركوا وسيطروا على كثير من المدن والقرى فى غرب الأناضول وعلى فريجيا وجلاتيا ، وساروا مطمئنين إلى بيثينيا دون أى مقاومة ، حيث رحبت به الحامية التركية التى أقامها بوتنياتس ، كما سيطروا أيضا على المقاطعات والأقاليم حتى جزيرة أرواد ، كما سيطروا على مدينة نيقية الشهيرة التى استعصت عليهم فى البداية (١٥٩).

وعند دخول الجيوش التركية مدينة نيقية بمصاحبة نقفور ميليسينوس أعلن نفسه إمبراطورا هناك . وإزاء هذا الوضع قامت القسطنطينية بإرسال حملة عسكرية لقمع الثائر واسترداد مدينة نيقية ، ولكن السلاجقة تمكنوا من هزيمة هذه الحملة (١٦٠) ولقد أورد المؤرخ العظيمي خبر فتح سليمان بن قطلمش لنيقية وأعمالها (١٦١).

والحقيقة أن السلاجقة بعد أن هزموا الجيش البيزنطى فى نيقية سنة ١٠٨٠م قاموا بتعزيز مواقعهم وأقاموا منازل المعيشة المعتادة ولولا نقص قواتهم البحرية لهاجموا القسطنطينية ذاتها (١٦٢) ولكن ثورة ميليسينوس لم يكتب لها النجاح

---

(158) **Cahen** : La premiere pentration . p . 43 . ; **Grousset** : L'Empire du Levant ., p . 170 . ; **Rice** : op . cit ., p . 46 .

أسد رستم : المرجع السابق ، جـ ٢ ، ص ١١٤ . ؛ سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٧٤ . ؛

زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ٥٨ . ؛ عبد الغني عبد العاطي : المرجع السابق ، ص ٩٨ .

(159) **Bryennios** : op . cit ., ch – xxxi p . 921 . ; **Anna comnena** : The Alexiad , pp . 129-130 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 71 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 75 . ; **Cahen** : La premiere pentration . p . 43 . ; **Grousset** : L'Empire du Levant ., p . 171 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 113 . **Turan** : op . cit ., p . 235 . ; **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 201 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 69 .

والترجمة العربية رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٨ .

(160) **Bryennios** : op . cit ., ch – xxxi pp . 921-922 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 724 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p 75 . ; **Jorga (N)** : The Byzantine Empire translated from the frensh by Allen H . Powles (London 1907) p . 129 .

(١٦١) **العظيمي : تاريخ العظيمي ، نشرة كلود كاهن في الموسوعة الآسيوية**

Journal Asiatique : T.ccxxx . pp 353-448 (1938) . p . 361 .

(162) **Turan** : op . cit ., p . 235 .

حيث فشل في الاستيلاء على القسطنطينية ،ورفض سليمان أن يعيد ما استولى عليه من المدن بل إنه استقر في نيقية ، وبذلك أضحت نيقية التي تعتبر من أجل المدن بالعالم المسيحي ، احتراما وتبجيلا – والتي لا تبعد عن القسطنطينية أكثر من مائه ميل – عاصمة للسلطنة التركية (١٦٣).

قيام سلطنة سلاجقة الروم :

يعتبر سليمان بن قطلمش المؤسس الحقيقي لدولة سلاجقة الروم ، حيث نجح السلاجقة في عهده في غزو معظم الأناضول ، وأصبح سليمان سيدا على جزء كبير شاسع من آسيا الصغرى. واعتبرت المدن المختلفة في آسيا الصغرى ، مثل قونية وسيواس وسيباستيا في قبادوقيا عواصم مختلفة لهم (١٦٤).

ولقد تمكن سليمان من التوسع ، فسيطر على معظم آسيا الصغرى من قيليقيا إلى مضيق الدردنيل وبذلك تكونت مملكة سلاجقة الروم . ولقد سارع التركمان المنتشرون في آسيا الصغرى إلى الاعتراف بسلطانها سنة ١٠٧٧م ، بل هاجرت بعض القبائل التركمانية من آسيا الوسطى إلى الدولة الحديثة ، وكان ذلك إيذانا بفقد بيزنطة لآسيا الصغرى وانهيار نظام الدفاع والإدارة في الولايات الاسيوية وإندحار نظام الثغور القائم على امتلاك الجندي للأرض . ولقد ترتب على ضعف بيزنطة الحربي إنهيار نظامها الاقتصادي والمالي (١٦٥).

وحينما زحف سليمان بن قطلمش السلجوقي على آسيا الصغرى فتح الكثير من مدنها مثل نيقية ونيقوميدية وقونية وغيرها (١٦٦) وقد اختار سليمان مدينة نيقية لتكون مركزا له ، وهي المدينة التي أصبحت أول عاصمة لسطنة سلاجقة الروم في

---

(163) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 69 .

رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١١٨ .

Grousset : L'Empire du Levant ., p . 171 . ; **Charanis** : op . cit ., vol 1 . p . 201 .

(164) **Marsden (W.F.R.S)** : The oriental coins " Numismata orientalia illustrata . part 1 (London –1823) p . 84 . ; **Thierry (N)** : The Rock Churches (pp . 129-176) in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia (London 1971) p . 131 . ; **Art.Saldjukids** en Ency of Islam ., vol viii p . 948 . ; **Atil (Esin)** : Turkish Art . , p 21 .

(١٦٥) زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص ٥٨ .

(١٦٦) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١١٨ .

آسيا الصغرى [١٦٧] ثم حلت محلها مدينة قونية التي أصبحت عاصمة سلطنة سلاجقة الروم [١٦٨].

ولقد نسبت سلطنة سلاجقة الروم إلى الروم، لأن المسلمين كانوا يسمون أقاليم الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى في جملتها بلاد الروم، وحينما انتقلت هذه البلاد في ختام المائه الخامسة الهجرية (الحادية عشرة ميلادية) إلى أيدى المسلمين باستيلاء السلاجقة عليها [١٦٩] أصبحت تعرف السلطنة السلجوقية بسلطنة سلاجقة الروم،ولقد استخدم هذه التسمية (سلطنة سلاجقة الروم)معظم المؤرخين القدامى والمحدثين المعنين بتاريخهم وعلى رأسهم أقدم مؤرخ لسلطنة سلاجقة الروم ابن بيبى [١٧٠].

وفي نفس تلك الفترة بدأت النصوص البيزنطية تستخدم لقب " سلطان " للإشارة إلى سليمان بن قطلمش ،والمؤكد أنه لم يحصل على هذا اللقب من السلطان السلجوقي الأعظم ملكشاه الذى اعتبر نفسه السلطان الروحي للسلاجقة أو من الخلافة (العباسية) ، ولا شيء يمنعنا من الاعتقاد أن رجال سليمان بدأوا ينادونه بهذا الاسم من خلال علاقته مع بيزنطة [١٧١] . والمفترض هنا أن حصول سليمان على هذا اللقب كان من قبل الدولة البيزنطية ، حيث جعلوا سليمان سلطانا تابعا للدولة البيزنطية في مواجهة سلطنة السلاجقة العظام بعد أن نجح سليمان في فتح مساحة كبيرة من آسيا الصغرى تصل إلى ألف كيلومتر،هذا بالاضافة إلى أنه يعمل في إطار الدولة البيزنطة كحليف لبيزنطة [١٧٢]

ومهما يكن من أمر فإن سلطنة سلاجقة الروم قامت في الأناضول سنة ١٠٧٤م تقريبا ، على يد الأمير سليمان بن قطلمش بن أرسلان واستمرت قائمة حتى سنة ١٣٠٢ م .

---

(167) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 129 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p 76 . ; **Lamouch (C.H)** : Histoire de la Turquie (Paris 1934) , p . 15 . ; **Atil (Esin)** : Turkish Art . , p 21 . ; **Rice** : op . cit ., p . 46 .

(168) **Rose (L.C)** : Ikonion in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 6 p . 418 . ; **Clive FW . Foss** : Ikonion in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 985 . ; **Milton (J) & Steinberg (R)** : op . cit ., p . 90 .

(169) **Strange (G.Le)** : The Lands of the Eastern Caliphate . (Cambridge 1930) .p . 127 .

والترجمة العربية : لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية . (بغداد - ١٩٥٤ م) ، ص ١٥٩ .

Marsden : op . cit ., part 1 p 83 . ; **Thierry** : op . cit ., p . 131 .

(170) **Houtsma (M.Th** : Recueil des textes Relatifs a Histoire des seldjoucides d'Asia Mineure D'apres Ibn-Bibi . vol . III , VI E.J Brill (Leiden 1902) ., p 23 .

ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، دراسة وترجمة دكتور محمد علاء الدين منصور (القاهرة ١٩٩٤) ؛ ابن بطوطة : " تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار " (القاهرة ١٩٦٦) ، ص ١٨٨ .

(171) **Cahen** : pre-ottoman Turkey pp . 75-76 .

(172) **Cahen** : La premiere pentration , p . 44 .

ومن القوى التى لعبت دورا ضخما فى آسيا الصغرى قبيل الغزو الصليبى المغامر الأرميني فيلاريتوس براخاميوس Philaretos Brakhamios الذى عمل على تكوين دولة أرمينية مستقلة عن الدولة البيزنطية ، والحقيقة إنه عندما حلت الهزيمة بالجيش البيزنطى فى ما نزكرت سنة ١٠٧١ م لم يخف الأرمن شماتتهم فيما أصاب الجيش البيزنطى[١٧٣]. وكانت الإمبراطورية البيزنطية قد لجأت إلى ضم أرمينية بهدف تحويلها إلى منطقة دفاعية عن الإمبراطورية [١٧٤].

والحقيقة أن قيام بيزنطة بضم أرمينية كان من أهم الأسباب الى أدت إلى ذلك الإنهيار الذى تعرضت له بيزنطة على يد السلاجقة حيث كانت نتيجة حتمية لضمها ومحاولة تذويبها فى الكيان الإمبراطورى ، وبذلك حرمت الإمبراطورية من كيان سياسى كان يشكل دولة حاجزة بين بيزنطة وبين القوى الأخرى التى تقع خلفها [١٧٥].

على أن ضم أو إلحاق الممالك الأرمينية بالإمبراطورية البيزنطية لم يترتب عليه إيقاف خطر السلاجقة ، بل على العكس فإنه أضعف من القدرات الدفاعية للإمبراطورية البيزنطية ، فبعد أن كانت أرمينيا دولة حاجزة بين السلاجقة والأراضى البيزنطية ، أصبح الطرفان وجها لوجه وأصبح الهجوم على أرمينيا يعنى فى نفس الوقت الهجوم على الأراضى البيزنطية ذاتها [١٧٦].

ولقد نتج عن استيلاء السلاجقة على أرمينية هجرة أعداد كبيرة من الأرمن من مواطنهم الأصلية إلى داخل الأراضى البيزنطية فى آسيا الصغرى خاصة إلى جبال طوروس وإقليم قيليقية فى جنوب شرق آسيا الصغرى [١٧٧].

ولما كانت الدولة البيزنطية منذ ذلك الوقت في الربع الأخير من القرن الحادى عشر شبه عاجزة عن حماية حدودها الشرقية ، كما كانت تعلم الكثير عن شجاعة الجندى الأرمينى فقد رأت أن تتخذ من أولئك الأرمن درعا حاميا ووسيلة وأداة للدفاع عن حدود الدولة من ناحية الشرق [١٧٨].

---

(١٧٣) عليه عبد السميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية (القاهرة –١٩٧٥) ، ص ٣٧ .

(174) Rice : op . cit ., p . 34 .

(١٧٥) عاطف بطرس : المرجع السابق ، ص ١٧٢ .

(175) Vasiliev : op . cit ., vol 1 . p . 355 .

(176) Der Nersessian (s) : The Armenians , p . 43 . ; **Lang (D.M)** : Armenian cradle of civilization ., p . 200 . ; **Macler** : Armenia in cam. Med. Hist. pp . 153-182 . , vol . IV (New York 1923) , p . 167 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 1 , p . 73 .

رنسيمان المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١٢٣ . ؛ سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ١٣٦ –١٣٧ ، علية الجنزوري : المرجع السابق ، ص ٣٨ .

(178) Pasdermadjan : Histoire de l'Armenie , p . 190 . ; **Morgan (J)** : Histoire Du peuple Armenien ., p 163 .

ويذكر " باسدرمدجان " أنه منذ أواسط القرن الحادى عشر قدمت جموع من الأرمن استقرت تحت زعامة نبلائهم فى اقليم طوروس ، ولم تلبث هذه الجموع أن دخلت دائرة السياسية البيزنطية الخاصة بشحن المضايق الموصلة إلى قيليقية بوصفها إحدى الأقاليم التى كانت أكثر تعرضا للخطر من ناحية هجمات المسلمين(١٧٩).

وكانت الإمبراطورية البيزنطية قد منحت ملوك أرمينية وأمراءها ضياعا واسعة فى إقليم قبادوقيا، مما ترتب عليه هجرة أعداد كبيرة من الأرمن الى ذلك الإقليم فى شرق آسيا الصغرى. ولكن توسع الأتراك السلاجقة فى قبادوقيا واستقرارهم فى ذلك الإقليم، جعل أولئك الأرمن يبحثون عن مأوى جديد، فاتجهوا نحو أقليم قيليقية الجبلى فى جنوب شرق آسيا الصغرى ، وتركزوا فى الجهات المحيطة بملطية والرها وأنطاكيا (١٨٠) كما قامت بيزنطة بتشجيع الأرمن على إقامة إمارات أرمينية صغيرة تدين بالولاء للقسطنطينية (١٨١).

كان هناك قسم من الأرمن الذين استقروا فى قيليقية وهم من العناصر التى اتجهت نياتها لا للخضوع لبيزنطة وإنما للبقاء مستقلين ، وعمل رؤساء هذا الفريق على إقامة إمارات مستقلة(١٨٢).

ويأتى فيلاريتوس براخاميوس على رأس زعماء الأرمن المغامرين الذين أفادوا من عجز الإمبراطورية البيزنطية عن حماية أرضها فى جنوب شرق آسيا الصغرى ،وكان فيلاريتوس براخاميوس قد صنع لنفسه مكانة كبيرة فى عهد رومانوس حيث خدم فى الجيش البيزنطى وأصبح من كبار ضباط الجيش وعينه الإمبراطور رومانورس حاكما على مرعش ،وبعد سقوط رومانوس فى ملاذكرد رفض الاعتراف بسلطة الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس وأعلن استقلاله (١٨٣) ، واتجه إلى تأسيس حكومة أرمينية مستقلة عن البيزنطيين .

بدأ فيلاريتوس بإعداد جيش من الأرمن والترك والسيطرة على مدن بيزنطية وقواعدها التى كانت قد اقتطعت من العاصمة نتيجة للغزوات التركية ، والقاعدة الرئيسية لجيشه كانت تتكون من ثمانى آلاف مقاتل من الفرنجة بالإضافة

(179) Pasdermadjan : op . cit ., p . 198 . . ; Der Nesessian : The Armenians ., p 44 .

(١٨٠) سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٧٩ ؛ محمود الحويري : الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد (القاهرة ١٩٧٩) ، ص ٩٢ .

(181) Der Nesessian : The Armenians., p 44 . ; Pasdermadjan : op . cit ., p . 198 .

(182) Pasdermadjan : op . cit ., p . 198 .

(183) Scylitzes : op . cit ., vol . II p . 471 . ; Brhier : vie et Mort de Byzance , p . 284 . ; Vryonis : op . cit ., p . 109 . ; Grousset : L'Empire du Levant ., p . 177 . ; Runciman : op . cit ., vol . 1 . p . 73 .

سيمان المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١٢٣ .

إلى الأرمن والترك الذين خدموا تحت لوائه ، واتخذ من إقليم مرعش قاعدة للتوسع بعد أن كون من مرعش ورعبان والابلستين إمارة قوية مستقلة عن الدولة البيزنطية(١٨٤).

ظهرت قوة فيلاريتوس واتضحت أهميته حيث نجح في توسيع إمارته القوية في جنوب شرق آسيا الصغرى والتي تضم الأقاليم ما بين روما نوبوليس Romanopolis وخرتبرت Kharpert وملطية شمالا حتى المصيصة وعين زربة وطرسوس في قيليقية في الجنوب (١٨٥).

وكان فيلاريتوس لا يتوانى عن السعي في أي طريق يقوده إلى الحفاظ على دولته ، وبسبب ذلك نراه متقلبا في ولائه السياسي بين البيزنطيين والمسلمين ، كما تذبذب ولاؤه العقائدي بين المونوفيزيتية (١٨٦) والأرثوذكسية ، مما جعله مكروها من بني جلدته ، ومن أجل الحفاظ على دولته من السلاجقة توجه إلى بغداد وأعلن اعتناقه للديانة الإسلامية (١٨٧).

وحينما عزل ميخائيل من العرش أعلن فيلارتيوس ولاءه وخضوعه للإمبراطور نقفوربوتنياتس الذي أبقاه حاكما على ما منحه من بلاد (١٨٨) ثم إن فيلاريتوس كان حذرا تجاه جيرانه المسلمين فاعترف في حكمه للجهات القريبة من الموصل بالتبعية لبني عقيل حكام أتابكية الموصل (١٨٩).

وهكذا نجح فيلاريتوس في تكوين دولة أرمينية جديدة ، وهي من أهم أحداث تلك الفترة بعد كارثة ملاذكرد ومجيء الحملة الصليبية الأولى ، وفي هذا

---

(184) **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 124 ; **Grousset** : L'Empire du Levant ., p . 177 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 169

سعيد عاشور : المرجع السابق ، ص ٧٩ .

(185) **Michel le Syrien** : op cit ., p . 325 . ; **Grousset** : L'Empire du Levant ., p . 179 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 109 . ; **Lang** : op . cit ., p . 201 .

(١٨٦) يعرف مذهب الطبيعة الواحدة بالمذهب المونوفيزيتي ، ويرى هذا المذهب أنه كانت هناك طبيعتان للمسيح قبل التجسد –طبيعة إلهية وطبيعة بشرية– ولكن بعد التجسد اتحدت الطبيعتان معا حتى أصبح للمسيح طبيعة واحد فقط هي الطبيعة الإلهية ، وبمعنى آخر أن الطبيعة البشرية في المسيح تلاشت في طبيعته الإلهية كما تتلاشي تماما نقطة خل في المحيط ، ومن ثم أصبح للمسيح طبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية ، انظر محمود الحويري : مصر في العصور الوسطى (القاهرة – ١٩٩٦) ، ص ٣٩ .

(187) **Michel le Syrien** : op cit ., p . 325 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 109 .

(188) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 74 .

رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ٢٤ .

Vryonis : op . cit ., pp . 119-110 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 39 .

(١٨٩) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٨٠ ، عبد الغني عبد العاطي : المرجع السابق ، ص ٩١.

الشأن يعقب المؤرخ جروسيه بالقول :" بدون النظر إلى روح الكراهية التى كان يضمرها له (فيلاريتوس) مواطنوه بسبب تحوله إلى مذهب الكنيسة الأرثوذكسية البيزنطية ،إلا أنه يعد مغامرا من الطراز الأول إذ استطاع أن يكسب تأييد البيزنطيين والمسلمين "(190). وبذلك أقام فيلاريتوس إمارة قوية من خلال ما استطاع ضمه معلنا الاستقلال عن الإمبراطورية البيزنطية.

ووجدت أيضا بعض الإمارات الأرمينية المتناثرة فى آسيا الصغرى بعد انهيار دولة فيلاريتوس سنة ١٠٨٥م لكنها لم تكن تمثل قوى تخشاها الدولة من تلك الإمارات فقط ، ولم يكن فى مقدورها غير ذلك حيث قامت هذه الإمارات فى فترة كانت الإمبراطورية محاطة بالأعداء من كافة الجوانب بالسلاجقة والنورمان والبشناق والكومان ، حيث كان لهؤلاء حلم واحد هو السيطرة على القسطنطينية والاستيلاء على العرش . كما لم يكن لتواجدها العسكرى أية فاعلية فى آسيا الصغرى ، لذا آثر بعض هؤلاء الأمراء أن يكونوا مزدوجين فى ولائهم للبيزنطيين وللسلاجقة .

تكونت إمارة فى مدينة ملطية التى كانت من قبل خاضعة لفيلاريتوس، وانتقلت السلطة فيها إلى أحد نوابه المدعو جبريل الأرمينى الجنسية. ولم يكن جبريل يختلف كثيرا عن فيلاريتوس حيث لجأ للحفاظ على إمارته إلى اعتناق مذهب كنيسة القسطنطينية حتى يكسب ود ورضاء القسطنطينية ،وعندما خشى على أملاكه من قوة السلاجقة المجاورين أسرع بالدخول فى تبعية سلطان السلاجقة العظام ،ومن ثم قام بإرسال زوجته إلى بغداد للحصول على تأييد الخليفة العباسي والسلطان السلجوقى لحكمه على ملطية(191).

كما أن بعض القوى الصغيرة من قوى الأرمن تمثلت فى شخص اسمه باسيل Kogh Vasil استطاع أن يبسط نفوذه على مناطق مرعش وألكسيوم ورعبان ومناطق أخرى (192).

كما نجح فريق آخر من الأرمن فى تكوين دولة أرمينية جديدة فى اقليم قيليقية ، وتحقق هذا الأمر على يد اثنين من الأمراء المهاجرين إلى إقليم قليقية ، نجحا فى تكوين أسرتين حاكمتين ظلتا تتنافسان حول الاستئثار بالسلطة ، وقد حكم

---

(190) Grousset : L'Empire du Levant ., pp . 179-180 .

علية الجنزوري : المرجع السابق ، ص ٤١ .؛ عاطف بطرس : المرجع السابق ، ص ١٨١ .

(191) Matthieu d'Edesse : op . cit ., p . 431.; Grousset : L'Empire du Levant ., pp . 184-185.; Lang : op . cit ., p . 201

علية الجنزوري : المرجع السابق ، ص ٤٢ .

(192) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٣٤-١٣٥ .

Matthieu d'Edesse : op . cit ., p . 259 . ; Grousset : L'Empire du Levant ., p . 184 .

هذه الإمارة أسرة آل الهيثوميين Hethoumians وأسرة الروبينيين Roupenians (١٩٣) . وسنرى فى الفصول القادمة الدور الكبير الذى لعبه الأرمن فى آسيا الصغرى كقوة محورية بين القوى المختلفة التى كانت تتصارع فى تلك المنطقة .

جهود الدولة البيزنطية لاستعادة نفوذها فى آسيا الصغرى قبيل وصول الحملة الصليبية الأولى :

اعتلى ألكسيوس العرش فى أبريل سنة ١٠٨١م والإمبراطورية فى حالة سيئة من الفوضى وعدم الاستقرار ، وفى وقت ازدادت فيه الأخطار المحدقة بالإمبراطورية (١٩٤) . ويقول رنسيمان : " كانت حالة الإمبراطورية فى سنة ١٠٨١م تتطلب أن يتولى مقاليد الحكومة شخص بالغ الشجاعة ، أو شخص شديد البلادة والغباء " (١٩٥)

وقد سبقت الإشارة إلي أن السلاجقة تدخلوا فى شئون الدولة البيزنطية بمساعدة بعض الثوار الذين تمردوا عليها ،ووصل بعضهم إلى العرش مثل نقفور بوتنياتس ونقفور برينيوس وميلسينيوس وغيرهم فإن ألكسيوس كومنين أيضا نجح وثار على بوتنياتس ووصل إلى العرش البيزنطى بمساعدة بعض الترك السلاجقة(١٩٦).

واعتلى ألكسيوس كومنين العرش البيزنطى فى وقت بدا فيه الأناضول البيزنطى كأنه قد فقد إلى الأبد . وثمة ملاحظة هامة مؤداها أنه رغم سيطرة السلاجقة شبه الكاملة على آسيا الصغرى فإنهم لم يفرضوا سلطانهم على بعض المدن الرئيسية بها ومازالت الإدارة البيزنطية فى هرقليا على البحر الأسود وفى أجزاء من بافلاجونيا Paphlagonia وقبادوقيا وكوما Choma وطرابيزون ومناطق أخرى، كما كان هناك أيضا الأرمن فى إقاليم طرسوس الداخلية الذين كانوا معتمدين من قبل بيزنطة ويدينيون بالولاء للإمبراطور . والحقيقة إنه إذا كان وضع الدولة البيزنطة ومكانتها فى آسيا الصغرى قد أضحت للمعاصرين ميئوسا منه تماما فى بداية اعتلاء

---

(١٩٣) سعيد عاشور : " سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغري " ص ١٣٣–١٨٤ . : الجمعية المصرية للدراسات التاريخية / المحاضرات العامة (الموسم الثقافي ١٩٦٨/٦٧) ، ص ١٤٠–١٤١ .
Der Nersessian (S) : Armenians ., p. 44 .
عاطف بطرس : المرجع السابق ، ص ١٧٨–١٨٥ .

(194) **Anna comnena** : The Alexiad ., p 102 . ; **Bryennios** : op . cit ., ch p . 475 . ; **Hussey** : Byzantium and the crusades (1081-1204) in setton . vol . 2 p . 124 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 301 .

(195) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 71 .
رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١٢٠ .

(196) **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 75 .; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 43 .

ألكسيوس ، إلا أن ظهوره كان نقطة تحول لبيزنطة في شئون الأناضول (آسيا الصغرى) (١٩٧)

وبعد أن تولي ألكسيوس كومنين عرش الإمبراطورية كان أكبر خطر يواجهه هو خطر السلاجقة الذين نجحوا في ظل ظروف الإمبراطورية المتدهورة من السيطرة على مساحات واسعة من الشواطيء القريبة من العاصمة حيث داوموا هجماتهم على سواحل بحر مرمرة ، كما حاولوا عبور البحر إلى القسطنطينية (١٩٨) . وكان على الإمبراطور ألكسيوس الحفاظ على عرشه وعلى القسطنطينية والقيام بعمل عسكري لوقف خطر السلاجقة ، فلجأ إلى الأسلوب العسكري المعروف بحرب الكمائن وهي عبارة عن فرق صغيرة كانت تنتقل بالقوارب عبر الشاطيء الآسيوي لتقوم ببعض العمليات العسكرية ضد السلاجقة ، وقد نجح ألكسيوس بهذا الأسلوب من طرد السلاجقة من شواطيء بيثّينيا والبسفور ونيقوميديا (١٩٩).

لكن ألكسيوس كومنين لم يستمر في حربه مع السلاجقة ، فقد تفجرت مشكلة بين يدي الإمبراطور في الغرب ، حيث كان المغامر النورماني روبرت جويسكارد يخطط لغزو القسطنطينية، بالإضافة إلى غزوات البشناق في البلقان وتهديد النورمان ، مما دفع ألكسيوس إلى استقدام العسكرية البيزنطية من أقاليم هرقليا وبافلاجونيا وقبادوقيا وكوما بآسيا الصغرى ومن أماكن أخرى في الشرق من أملاك البيزنطيين والذين مكنوا الترك من التقدم في هذه المساحات (٢٠٠) .وهكذا كان لزاما على الإمبراطور أن يقرر أي الأعداء يبدأ بقتاله .

ومهما يكن من أمر ، فإن الإمبراطور ألكسيوس كومنين سارع بقبول عرض السلام مع سليمان بن قطلمش ، وعقدت بين الطرفين اتفاقية في يونيه سنة ١٠٨١ م كان من شروطها أن يكون نهر دراكون Drakon حدا فاصلا بين حدود السيادة البيزنطية والسلجوقية شريطة ألا يقوم السلاجقة بعبوره وألا يقتربوا من حدود بيثينيا على الاطلاق ، وفضلا عن هذا يقوم الجانب السلجوقي بتقديم بعض المساعدات العسكرية للإمبراطور (٢٠١).

(197) **Vryonis** : op . cit ., p . 114 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis Ier comnene ., p . 72 . ; **Grousset** : L'Empire du Levant ., p . 172 .

(198) **Anna comnena** : The Alexiad ., p .129.

(199) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 129-130 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 72 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 114 . ; **Ahrweiler (Helene)** : Byzance et la Mer (Paris 1908) . , p . 183 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 75 .; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 43 .

(200) **Vryonis** : op . cit ., p . 114 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., pp . 58-70 . **Runciman** : op . cit ., vol . 1 . p . 74 .

رنسيمان : المرجع السابق ،جـ ١ ، ص ١٢٤ . ؛ عادل زيتون : المرجع السابق ، ص ٥١ .

(201) **Anna comnena** : The Alexiad ., p .130 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 114 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 72 .

وكان البيزنطيون والسلاجقة فى حاجة إلى السلام ، فبالنسبة للبيزنطيين ،وجد الإمبراطور ألكسيوس أن قوة السلاجقة لا يستهان بها ، كما وجد دولته غير قادرة على محاربة السلاجقة والنورمان فى وقت واحد ، ومن هنا فإن هذه الاتفاقية تتيح الفرصة للإمبراطور ألكسيوس للتفرغ لمحاربة النورمان ،كما أنه بهذه الاتفاقية ايضا يستطيع صرف أنظار سليمان بن قطلمش عن البسفور وبيثينيا القريبة من العاصمة ، هذا بالإضافة إلى أن هذه الاتفاقية يقوم بموجبها سليمان بالرقابة على التركمان الرحل الذين كثيرا ما يقومون بالسلب والنهب على حدود الدولة البيزنطية ، كما أن هذه الاتفاقية كانت فى مصلحة السلاجقة إلى حد بعيد فبموجبها يكون سليمان قد حصل على استقلاله وتتيح له فرصة التفرغ لمنع قيام أى إمارات سلجوقية صغيرة مناهضة له .

وهنا نلاحظ أن الاتفاقية المعقودة بين الطرفين دخلت موضع التنفيذ حينما طلب ألكسيوس من سليمان المساعدة العسكرية لتدعمه فى قتاله مع النورمان ، فاستجاب سليمان وأمده بسبعة آلاف فارس يقودهم قادة لهم خبرة عالية فى الحرب (٢٠٢).

ولكن السلاجقة لم يلتزموا بهذه الاتفاقية حيث أن بيزنطة لم تكن فى وضع يلزمها بذلك ، فقاموا بالإغارة على بحر مرمرة والبسفور فى شمال الأناضول . حيث استولى الأمير كارتكن Kartekin على مدينة سينوب والمدن المجاورة لها (٢٠٣).

ويبدو أن هدف ألكسيوس كومنين الذى يرمى إلى صرف نظر سليمان بن قطلمش عن البسفور والقسطنطينية فى ذلك الوقت قد نجح لبعض الوقت ، ويدل على ذلك أن سليمان وجه نشاطه صوب الشرق والجنوب الشرقى من آسيا الصغرى تجاه إمارة فيلاريتوس الأرمينية التى أقامها فى اقليم قيليقيا فى جنوب شرق آسيا الصغرى بعد معركة ملاذكرد ، وكان هدف سليمان هو ضرب هذه الإمارة خاصة بعد ان استولى فيلاريتوس على الرها سنة ١٠٧٧ م ، ثم على انطاكية سنة ١٠٧٨ وكان ان غادر سليمان نيقية بعد ان عين تابعه وقريبه أبا القاسم فى نيقية ، واتجه سليمان الى قيليقية ، ونجح فى انتزاعها من فيلاريتوس سنة ١٠٨٤م (٤٧٧ هـ) (٢٠٤).

(202) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 167 . ; **Franzius (Enno)** : History of Byzantine Empire . , p . 298 . ; **Brhier** : vie et Mort de Byzance , p . 301 .

(203) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp .198-199 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 114 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 75 .; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 43 .

(204) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp .198-199 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , pp . 76-77 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , pp . 44-45 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., pp . 96-97 .

وفـي تلـك الفـترة وصلـت إلي سـليمان اسـتغاثه مـن المنـاوئين لحكـم فيلاريتوس في انطاكية بزعامة ابنه -الـذى كـان علـى خـلاف معه -تدعوه للاستيلاء علـى المدينـة ، فنجـح سـليمان فـى أخذهـا دون مقاومـة تذكـر سـنة ١٠٨٥ م،وأرسـل سليمان إلى السلطان ملكشاه كمحاولة للتقارب يبشره بالفتح وينسبه إليه(٢٠٥).

ولكن ما لبث سليمان بـن قطلمـش أن لقـى مصرعه عند محاولته الاستيلاء على حلب في أثناء الحرب مع تاج الدولة تتش أخى السـلطان ملكشاه فـى ٢٠ صفر ٤٧٩هـ /٦ يونيه ١٠٨٦ م الذى استطاع أن يلحق الهزيمة بجيش سليمان(٢٠٦).

وقد أعطى موت سليمان الفرصة لظهور قواد آخرين مـن التركمـان ، يجـاهد كل منهم بهدف استقطاع جزء له من الأناضول وتأسيس إمارة خاصة بـه كمـا انهارت الوحدة السياسية . وكان سليمان قد أرسل أبناءه الى السلطان ملكشاه في الفترة ما بين ١٠٨٥ و ١٠٩٢ م (٤٧٩-٤٨٥ هـ) كرهائن لضمان عدم تدخل سلاجقة الروم فـى أمور الشام ، ولم يترك سليمان حاكما يتولى مقاليد الأمور فى آسيا الصغرى سوى قلج أرسلان الذى كان طفلا صغيرا ظل فى أسر ملكشاه فترة من الزمن (٢٠٧).

ويهمنا هنا أمر أبو القاسم وهو أحد أمراء السلاجقة الـذى تركـه سـليمان بـن قطلمش فى آسيا الصغرى حينما رحل إلى انطاكية ليقتحمها سنة ١٠٨٤ م (٤٧٧ هـ) ،حيث عينه حاكما على مدينـة نيقية ، فبعد وفاة سليمان أعلـن نفسه سـلطانا فـى

---

(٢٠٥) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ١٣٦ . ؛ العظيمي : تـاريخ العظيمي ، ص ٣٦٥ . ؛ ابـن القلانس : المصدر السابق ، ص ١١٧ .؛ ابن العديم : زبده الحلب مـن تـاريخ حلب ، جـ ٢ ، ص ٨٦-٨٩ . ؛ ابن الشحنة : " الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب " (بيروت ١٩٥٩م) ، ص ٢١١ . ؛ القرماني : " أخبار الأول وآثار الأول في التاريخ " ، (بيروت – بدون تـاريخ) ، ص ٩٣ . ؛ ابن خلدون : " العبر وديوان المبتدأ والخبر " ، (الطبعة الثانية – ١٩٨٨م) ، جـ ٥ ، ص ١٨٧ .
Anna comnena : The Alexiad ., p . 199 . ; Vryonis : op . cit ., p . 114 .

(٢٠٦) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ١٣٩-١٤٠ . ؛ ابن الأثير : " التـاريخ البـاهر في الدول الأتابكية بالموصل " ، ص ٦-٨ . ؛ ابـن القلانسـي : المصـدر السـابق ، ص ١١٨-١١٩ . ؛ ابـن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٩-١٠١ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١١٩-١٤٨ . ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر (القـاهرة – بـدون تـاريخ –مكتبـة المتنبي) م ١ ، جـ ٤ ، ص ١٠٦ ؛ القرماني : المصدر السابق ، ص ٢٩٢-٢٩٣ . ؛ قزوين : تاريخ كذبـدة (دار السـلطنة – لندن ١٩١٠م) ص ٤٧٤ .
Anna comnena : The Alexiad ., pp .199-200 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey , p . 78 . ; Turan : op . cit ., p . 23 . ; Atil (Esin) : Turkish Art . p . 21

(٢٠٧) ابن العديم : زبده الحلب من تاريخ حلب ، جـ ٢ ، ص ٩٠-٩٧-١٠١ . ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٢ ، ص ١٣٠ . ؛ ابن الأثير : " التاريخ الباهر " ، ص ٦-٨ .
Rice : op . cit ., p . 50 . ; Vryonis : op . cit ., p . 115 .

العاصمة السلجوقية وإزداد نفوذه بدرجة كبيرة وتابع أبو القاسم سياسة سليمان بالهجوم على المواقع البيزنطية ، فأرسل قواته وقامت بالهجوم على إقليم بيثينيا وتحريره حتى بحر مرمرة ، فقرر الإمبراطور ألكسيوس كومنين إرسال حملة عسكرية لإيقاف ابى القاسم أسند قيادتها إلى تاتيكوس Taticius وهو أمير سلجوقى دخل فى خدمة ألكسيوس ، إلا أن هذه الحملة انتهت بالفشل بعد أن أجبره جيش تركى على الاتجاه بعيدا عن نيقية إلى بازيليا Basileia(٢٠٨).

ولم يكتف أبو القاسم بما قام به بل مد نفوذه وسيطرته ونجح فى الاستيلاء على شبه جزيرة خيوس التى تقع على شاطىء بيثينيا على بحر مرمرة ، وهناك شرع فى بناء أسطول بحرى فى أحواض بناء السفن البيزنطة بجزيرة خيوس وبمعاونة مواطنى آسيا الصغرى البيزنطيين فى هذه المنطقة ، والذين استقطبهم أبو القاسم إذ تمكن بهذا الأسطول من مهاجمة سواحل بحر إيجة ، الأمر الذى دفع الإمبراطور ألكسيوس بإرسال حملة بحرية لتحطيم أو الاستيلاء على أسطول أبى القاسم أسند قيادتها الى القائد البحرى ما نويل بوتوميتيس Manuel Boutoumitez تسانده الحملة البحرية السابقة بقيادة تاتيكيوس نفسه وتمكن الجيشان البيزنطيان من إلحاق الهزيمة بقوات أبى القاسم (٢٠٩).

أما عن الجانب السلجوقى نود أن نشير إلي أن السلاجقة العظام وعلى رأسهم ملكشاه (١٠٧٢-١٠٩٢) كانوا هم القوة المسيطرة على الخلافة العباسية ، حيث كان الخليفة العباسي مجرد رمز للسلطة الروحية فقط ، بينما السلطة الحقيقية كانت فى أيدى سلاطين السلاجقة الذين استمدوا شرعية سلطانهم من كونهم الحماة والمدافعين عن الدين والخلافة . وكان السلطان ملكشاه يعتبر نفسه سلطانا على كل السلاجقة ، لذلك فإن عيونه كانت علي آسيا الصغرى وعلى الأمراء السلاجقة الذين ليس بمستبعد أن ينافسوه فى يوم من الأيام على السلطنة العظمى .

وكان الإمبراطور ألكسيوس كومنين فى ذلك الوقت يخشى خطر البشناق ، فى الوقت الذى كان يعانى من ضغط السلاجقة فى آسيا الصغرى لذلك ، فقد عرض السلام على أبى القاسم الذى رحب على الفور لسماعه بما تردد من اقتراب جيش ضخم أعده السلطان ملكشاه ضد سلاجقة الروم ، وقام ألكسيوس بتوجيه الدعوة إلى

---

(208) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp .200-201 . ; **Turan** : op . cit ., p . 237 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , pp . 79-80 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 50 .

(209) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp .202-203 . ; **Ahrweiler (Helene)** : Byzance et la Mer . , p . 183 . ;**Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 80 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 100 .

أبي القاسم لزيارة القسطنطينية وعلى أثرها لبى أبو القاسم الدعوة واستقبله الإمبراطور ألكسيوس ببالغ الحفاوة (٢١٠).

على أن الإمبراطور ألكسيوس لم يهمل الترتيبات العسكرية وتأمين دولته وفقا لمعاهدة السلام التي عقدت بينهما ، فلقد استغل وجود أبي القاسم في القسطنطينية وأمر بإقامة بعض التحصينات العسكرية بالقرب من نيقوميديا منها حصن كيفيتوت Kibotos – Civetot على بحر مرمرة لتأمين هذه المنطقة من هجمات السلاجقة . وتم البناء في سرية تامه في ظل الحفاوة والتكريم التي لقيها من ألكسيوس حيث أغدق عليه الإمبراطور الكثير من المنح والأموال وخلع عليه لقب سباستوس Sebasto (٢١١) ، وعاد أبو القاسم الى نيقية محملا بالهدايا والمنح (٢١٢). وبعد عودة أبي القاسم إلى نيقية وصل الجيش التركي الذي أرسله ملكشاه تحت قيادة الأمير السلجوقي برسق لا نتزاع أملاك سليمان بن قطلمش في آسيا الصغرى من أبي القاسم ، وتمكن هذا القائد من فرض الحصار على مدينة نيقية لمدة ثلاثة شهور ، فطلب أبو القاسم المساعدة من الإمبراطور ألكسيوس بصورة تحمل نوعا من الرجاء حيث قال له : " إننا نفضل نحن السلاجقة أن نكون خدما (عبيد) للأمبراطور ألكسيوس كومنين على ألا نخضع لبرسق " (٢١٣).

ولبى الإمبراطور ألكسيوس على الفور نداء الأمير ، وبعث بفرقة عسكرية إلى أبي القاسم . وكان من المفترض ألا يقوم ألكسيوس بالاستجابة لأي الفريقين لانهم أعداء للامبراطورية وسوف ينهكون بعضهم ، فضلا عن أن المنتصر من الطرفين السلجوقيين لابد وسوف يتجه بعد نصره إلى الإمبراطورية البيزنطية ، لكن المؤرخة آنا كومنين توضح لنا خطورة الإمبراطور في هذا الشأن فذكرت أنه لم يبعث بقواته بهدف مساعدة أبي القاسم حبا فيه أو كرها لبرسق فالإثنان عدوان للإمبراطورية البيزنطية .ولكن المبدأ الروماني يقول أنه إذا كان هناك عدوان يتقاتلان كان من الضروري على الإمبراطورية تأييد الضعيف فيها ليس من أجل تقويته وانتصاره على

---

(210) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 201-202 .

(٢١١) سباستوس (أي الجليل) ، كان الإمبراطور ألكسيوس الأول قد ابتدع ألقابا جديدة ، تقع دون لقب قيصر منها هذا اللقب سباستوس ، وأيضا لقب بروتو سباستوس (أي الجليل الأول) ولقب بانهيبر سباستورس (أي الجليل الأعلي) ، علي حين أن أصهار الإمبراطور ذوي الطموح كانوا يستطيعون الحصول علي لقب أبي الملك (Basileopator) ، وكان يسمح لحمله هذه الألقاب وزوجاتهم أن يتناولوا الطعام علي المائدة الإمبراطورية . انظر :

رنسيمان (ستيفن) : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد ، راجعه ذكي علي (القاهرة ١٩٦١) ،ص ٩٢ .

(212) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 201-204 .

(213) Anna comnena : The Alexiad ., pp .204-205 . ; Turan : op . cit ., p . 237 .

الطرف الآخر ، بل للقضاء على الطرف الأقوى ومن ثم يصبح من السهولة للإمبراطور الهيمنة على الطرف الثاني (٢١٤).

ويعلق المؤرخ المحدث كاهن على حملة برسق هذه بالقول " إن الإمبراطور ألكسيوس كومنين اعتبر الأمير برسق يمثل خطرا جسيما على الإمبراطورية وهو أخطر من أبي القاسم ، ولذلك استجاب الإمبراطور على الفور"(٢١٥).

وحينما وصلت القوات البيزنطية إلى نيقية لم تجد قوات الأمير برسق التي يئست من طول الحصار ، فضلا عن سماعها بقدوم دعم بيزنطي ، الأمر الذي أجبر الأمير برسق على رفع الحصار عن نيقية والعودة إلى بلاده (٢١٦).

ورغم فشل حملة برسق للقضاء على أبي القاسم فإن السلطان الأعظم ملكشاه لم يفقد الأمل تماما في تكرار المحاولة ، وبعث جيشا آخر بقيادة الأمير بوزان حاكم الرها بهدف القضاء على أبي القاسم ومحاولة إقامة تحالف مع الإمبراطور ألكسيوس كومنين (٢١٧).

وصل الأمير بوزان وقام بفرض الحصار على نيقية ، وعندئذ طلب أبو القاسم المساعدة من ألكسيوس كومنين الثانية ولبى الأخير النداء خشية أن تسقط نيقية في يد بوزان وبالتالي في يد ملكشاه، وتمكنت القوات المتحالفة من إحباط محاولات بوزان للاستيلاء على نيقية وأجبر بوزان إلى الانسحاب بعيدا عن نيقية ، ثم قام بوزان بإقامة معسكره قرب لامب Lampe (٢١٨) في جوار حصن لوباديون Lopadion للقيام بعمليات عسكرية أخرى (٢١٩).

ويبدو أن أبا القاسم شعر أنه لا طاقة له بالسلطان ملكشاه ، وآثر أن يتوجه إليه لطلب عفوه غير أن ملكشاه رفض مقابلته وأمر بتوجيهه إلى الأمير بوزان للتفاوض معه

---

(214) Anna comnena : The Alexiad ., p. 205 .
(215) Cahen : La premiere pentration . , pp . 50-51 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey , p . 80 .
(216) Anna comnena : The Alexiad ., p . 206 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey , p . 80 . ; Vryonis : op . cit ., p . 152 .
(217) Anna comnena : The Alexiad ., pp 206-207 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 100 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey , p . 80 . ; Cahen : La premiere pentration . , p . 51 .

(٢١٨) لامب : تقع لامب في إقليم فريجيا جنوب مضيق الدردنيل . انظر :
Ramsay (W.M) : The Historical geography of Asia Minor , p . 115 , 136 .
كما يقع حصن لوباديون علي شاطئ نهر الريندا كوس Rhyndacos جنوب مضيق الدردنيل . انظر :
Ramsay (W.M) : op . cit ., p . 160 ; Cahen : pre-ottoman Turkey , p . 80 .
(219) Anna comnena : The Alexiad ., p . 207 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 135 .

والذى قام بدوره بالقضاء على أبي القاسم بناء على أوامر ملكشاه حيث أجهز عليه رجاله بعد عودته من مقابلة السلطان (٢٢٠).

وتطالعنا المؤرخة آنا كومنين برواية مفادها أن السلطان ملكشاه بعث برسالة إلى الإمبراطور ألكسيوس كومنين يعرض عليه مشروع تحالف بين الدولتين ، وتفيد الرسالة بأن ملكشاه قد سمع بمتاعب الإمبراطور والمصاعب التى قابلها فى بداية عهده كحربه مع البشناق وقيام أبى القاسم بخرق المعاهدة التى عقدها معه سليمان بن قطلمش فيما قبل ، وقيامه بتخريب الأراضى البيزنطية فى آسيا الصغرى ، لذا فإن السلطان اقترح زواج ابنه من ابنة الإمبراطور فى مقابل إعادة أنطاكيا وآسيا الصغرى إلى بيزنطة ، ووعده السلطان بإمداده بالقوات التى يطلبها ،ووافق الإمبراطور ألكسيوس على هذا الاقتراح وأرسل ألكسيوس رسولا يدعى كورتيكيوس Kourtikiosعلى رأس وفد ليبلغ السلطان تلك الموافقة ، ولكن الوفد البيزنطى سمع بوفاة السلطان ملكشاه سنة ١٠٩٢ م ، قبل وصوله واضطر الوفد للعودة الى القسطنطينية (٢٢١).

ويبدو أن الإمبراطورية البيزنطية كانت عاجزة فى ذلك الوقت عن القيام بأى دور فعال لاستعادة أملاكها فى آسيا الصغرى . لذا فإن الإمبراطور ألكسيوس كان ينتهز أى بادرة لاستعادة الأملاك سواء بالقوة العسكرية أو بالطرق الدبلوماسية . وحينما تقدم ملكشاه بهذا العرض وجد أن إمكانية إقامة علاقات طيبة مع بيزنطة قد آن أوانها لخوفه من سلاجقة الروم لكونهم عدوا مشتركا لكل من الجانبين.

وبعد وفاة أبى القاسم تولى شقيقه بلداق بلداجى -بولكاس Buldaji (Pulchases Buldagi) أمر نيقية بعد أن ترك قبادوقيا سنة ١٠٩٢ وبعث الإمبراطور ألكسيوس كومنين يطلب منه تسليم مدينة نيقية فى مقابل الأموال الكثيرة والهبات والمنح من الإمبراطور ولكن طلب ألكسيوس قوبل بالرفض (٢٢٢).

ويبدو أن الحوادث الكبرى فى سلطنة السلاجقة كان لها انعكاسها على آسيا الصغرى . فكما حدث بعد وفاة ألب أرسلان سنة ١٠٧٢م وفرار أبناء قطلمش إلى آسيا الصغرى ، تكرر نفس الشيء بعد موت ملكشاه سنة ١٠٩٢م فلقد وصل قلج

---

(220) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 210 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 80 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , pp 51-52 .

(221) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 207-208 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 80 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , pp 51-52 .

عادل زيتون : المرجع السابق ، ص ٨٠ .

(222) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp .209-210 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p .52 .; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 80 .

أرسلان بن سليمان بن قطلمش إلى آسيا الصغرى بعد أن أفرج خليفه ملكشاه، السلطان بركياروق-عن أولاد سليمان وعادوا إلى آسيا الصغرى لتسلم أملاك والدهم .

وصل قلج أرسلان إلى آسيا الصغرى واتجه إلى مدينة نيقية فأستقبله الأهالي بالترحاب والابتهاج وقام الأمير بلداق بتسليمه المدينة بإعتباره الأبن الاكبر والوريث الشرعي لسليمان بن قطلمش وحصل قلج ارسلان على لقب سلطان وأصبحت نيقية عاصمة لسطنه سلاجقة الروم (٢٢٣).

نشأة الإمارات المستقلة داخل آسيا الصغرى :

كان من نتائج وفاة السلطان سليمان بن قطلمش سنة ١٠٨٦ م أن خلا عرش نيقية من أى حاكم حتى عاد ابنه قلج ارسلان سنة ١٠٩٢م ، وفى تلك الفترة التي خلا فيها العرش ظهرت قوى تمثل زعامات جديدة مستقلة فى آسيا الصغرى .

الدانشمنديون : (١٠٧١-١١٧٧ م)

الدانشمنديون فرع من الأتراك شأنهم فى ذلك شأن السلاجقة ومؤسس هذه الأسرة وهو ملك دانشمند أحمد غازى من أسرة تركمانية فرضت نفوذها فى شمال قبادوقيا بآسيا الصغرى فى الربع
الأخير من القرن الحادى عشر (٢٢٤) ، والدانشمنديون يرتبطون بالسلاجقة عن طريق صلة القرابة (٢٢٥) ولقد اختلف المؤرخون بشأن أصل الدانشمنديون ، إذ لم يتفقوا علي تحديد بداية معينة أو تاريخ دقيق لظهور الأمير أحمد دانشمند غازى على مسرح الأحداث داخل الأناضول (٢٢٦).

وأصل أسرة بنى دانشمند يعتبر من الموضوعات الغامضة فى التاريخ حيث تشكل شخصية دانشمند محورا تدور حوله أحداث ملحمة شعبية لم تكن قبل مضى قرنين على وجه التقريب قد دونت بعد ، وفى هذه الملحمة يربط الخيال الشعبى

---

(223) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 210 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 136 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey , p . 81 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 52 . ; **Rice** : op . cit ., p . 50 . ; **Turan** : op . cit ., p . 237 .

(224) **Melikoff** : Danishmendids in E.I ., vol II p . 110 . ; **Golden (P.B)** : Danishmend in Dictionary of the Middle Ages , vol . 4 (pp . 91-93) . ; **Mokrimin (H.Y)** : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 . Istanbul 1977 (pp . 468-479)

علي أكبر دهخدا : لغت نامه (دانشمند) ، جـ ٢٢ ، ص ١٨٦ . ؛ أحمد السعيد سليمان : " تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة " ، (مصر-١٩٧٢) ، ص ٣٢٦.

(٢٢٥) الآقسراى : مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار ، (أنقرة - ١٩٤٣) ص ٢٧.

(٢٢٦) لمزيد من التفاصيل انظر :

علي بن صالح المحميد : الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول ، (الإسكندرية -١٩٩٤) ص ١٦-٣٥.

بينه وبين شخصية إسلامية أقدم عهدا هى شخصية " سيد بطال " القائد العربى الذى اشتهر بمحاربة البيزنطيين فى آسيا الصغرى واستشهد عام ٧٣٩ م (١٢١ هـ) أثناء قتاله ضد البيزنطيين . وقد ناقش كثيرا من المؤرخين المحدثين الملحمة الأسطورية الخاصة بسيد بطال ، وقال بعضهم أنه الجد الأول للسلالة الدانشمندية من التركمان وتزوج أحدى بنات عمر النعمان وأخت سيد بطال [٢٢٧].

أصل أرمينى وقد حذا حذوهم بعض المؤرخين المحدثين [٢٢٨] . ولكن على ما يبدو أن هذا الأمر بعيد عن الصحة ، لكن ربما يكون مؤسس أسرة بنى دانشمند قد ولد فى أرمينية ، وأن المعاملة الحسنة ونشر العدل والمساواة بين السكان المسيحيين والأرمن الذين وقعوا تحت سيطرتهم وما تمتع به المسيحيون فى عهد بني دانشمند جعل المؤرخين الأرمن يظنون أن أصل بنى دانشمند من الأرمن فليس من المقبول أن يقبل التركمان على اختيار رجل غريب عن أصلهم ولا يعرف لغتهم ولا تقاليدهم ليكون قائدهم وبطلا يمثلهم [٢٢٩].

وتشير بعض الروايات أن الأمير توشتكين الدانشمندى كان خالا لمؤسس دولة سلاجقة الروم سليمان بن قطلمش ، وذلك عند حديثه عن فتح ملطية حيث قال " ولم نزل فى أيديهم إلى أن فتحها توشتكين الدانشمندى خال سليمان بن قطلمش سنة خمس وتسعين وأربعمائة [٢٣٠].

ولفظ دانشمند لقب فارسي بمعنى عالم أوذكى أو ماهر وهو يتألف من الكلمة الفارسية دانش " بمعنى علم والمقطع " مند " الذى يضاف إلى الأسماء

---

(٢٢٧) القرماني : " أخبار الأول وآثار الأول في التاريخ " ، ص ٢٩٢ . ؛ هزارفن : "تنقيح تواريخ نام " ، مخطوط تركي ، جامعة القاهرة تحت رقم (٢٧٨٥) ، ص ٩٩ ؛ عالي : فصول حل وعقد أصول خرج ونقد ، مخطوط تركي ، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٥٣٧) ، ص ٣٥ (أ) ؛ كليفورد بوزورث (أ) : " الأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي " ترجمة / حسين اللبودي ، مراجعة د. سليمان العسكري ، (الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٩٥) ، ص ١٨٩ .

Kyriakidos (P) : " Le Roman Epique Turcd Sayyid Battal " Byzantion . pp . 563-70 T-II (1936) pp . 563 -570 . ; **Canard (M)** : Delhemma sayyid Battal et Omar al-Noman in Byzantion T.XII (1937) , pp 182-188. ; **Wittek** : op . cit ., p 295 .

(228) **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 256 . ; **Choniates (Nicetas)** : Historia in corpus scriptorum Historiae Byzantinae (Bonnae MDCCCXXXV) 1835 ., p 45 .

بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية ، نقله إلي العربية نبيه أمين فارس ، منير البعلبكي – الطبعة الرابعة (بيروت – ١٩٦٥) ، ص ٤٠٣ .

(229) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., pp . 82-83 .

(٢٣٠) ابن الشحنة : " الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب " ، ص ١٩٧ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١١٨ .

لتأليف صفات للدلالة على اتصاف أصحابها بمدلول الاسم ،وكان يلقب به المدرسون في الدولة السامانية [٣٣١].

وأشار ابن الاثير [٣٣٢] الى انه كان يقال لكمشتكين بن طايلو بابن الدانشمند لأن أباه كان معلما للتركمان ، ويبدو أنه كان يقوم بتفقيه الجماعات حديثة العهد بالإسلام في البلاد المفتوحة .

أما عن تاريخ قيام الإمارة الدانشمندية في آسيا الصغرى فإن المؤرخين قد حددوا بدايات متفاوتة لقيام هذه الإمارة في سيواس وأرجع بعضهم ذلك إلى سنة ١٠٦٧ م (٤٦٠ هـ) ، وذهب البعض الآخر إلى أن ذلك حدث سنة ١٠٧١ م (٤٦٤هـ) في حين رأى فريق ثالث أن ذلك قد تم سنة ١٠٨٤ م (٤٧٧ هـ) [٣٣٣].

ويهمنا هنا أن ملك غازي الدانشمند نجح في تكوين إمارة قوية في شمال آسيا الصغرى هددت أقاربهم من أسرة قطلمش ، وعاشت أسرة بني دانشمند في مناطق العواصم والثغور ،وقد احترفت الجهاد والغزو ، ولقد استغل الداشمنديون ما وقع للبيزنطيين في موقعة ملاذكرد سنة ١٠٧١ م ونجحوا في أن يكونوا لهم إمارة في منطقة قبادوقيا قاعدتها سيواس - خاصة بعد وفاة سليمان بن قطلمش ١٠٨٦ م الذى كان له السيادة على كل أمراء آسيا الصغرى وشملت منطقة قيذل ارماك Kizil Irmak ويشيل إيرماك Yeshirmak وكيلكيتسو Kelkitsu وأماسيا Amasya وكومان Comana وتوقاتTokat ونيكسارNiksar (نيو قيصرية) ، وشنقيري Chankiri وأنقرة وملطية ، بالإضافة إلى مدينة سينوب في غرب كاراتكين Karatekin وكان لهذه الإمارة شعبتان إحداهما في سيواس (١٠٨٤-١١٧٤ م) / (٤٧٧ هـ -٥٧٣ هـ) والأخرى في ملطية (١١٤٢-١١٧٧م /٥٣٧-٥٧٣ هـ) وكان لسلاجقة الروم السيادة الاسمية على أمراء بني دانشمند[٣٣٤] وسنرى في الدراسة أحداث النزاع بين سلاجقة الروم وبني دانشمند من أجل السيادة على آسيا الصغرى إذ لم تتحد القوتان إلا مع وصول الحملة الصليبية الأولى .

---

(٣٣١) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، (القاهرة -١٩٧٨) ، ص ٢٨٧ . ؛ علي أكبر دهخدا : لغت نامه ، ص ١٨٥ .

(٣٣٢) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " جـ ١٠ ، ص ٣٠ .

(٣٣٣) علي بن صالح المحميد : المرجع السابق ، ص ٣٢-٣٦-٣٥ .

(334) Michel le Syrien : op cit ., vol . III p . 173 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 46 . ; Matthieu d'Edesse : op . cit ., p . 51 .

ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " جـ ١٠ ، ص ٣٠ . ، ابن العبري : " تاريخ الزمان " ، ص ١١٨ .

Sevim (Ali) : op . cit ., p . 26 . ; Wittek : op . cit ., p . 306 . ; Melikoff : Danishmendids in E.I ., vol II p . 110 . ; Loewe (H.M.J) : The Seljuqs in cam. Med. Hist ., pp . 299-314 . vol IV (New York 1923) p . 315

علي أكبر دهخدا : لغت نامه (دانشمند) ، جـ ٢٢ ، ص ١٨٥-١٨٧ .

بنومنكوجك : (١٠٧١-١٢٥٢م/٤٦٤-٦٥٠هـ)

يعتبر بنومنكوجك إحدى القوى التى ظهرت فى أقاليم شرق آسيا الصغرى التىفتحها سلاجقة الروم . ومؤسس هذه الاسرة وأول حكامها هو الأمير منكوجك الغازى ، الذى كان قائدا من القواد الذين صاحبوا السلطان السلجوقى ألب أرسلان إلي آسيا الصغرى حينما انتصر علي البيزنطيين فى معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١ م) وعينه السلطان ألب أرسلان سنة ١٠٧٢ م (٤٦٤ هـ) حاكما علي أرزنجان وكماخ وكوغونية وغيرها من بلاد أرمينية ، وكان هذا الأمير شجاعا ومشهورا بالجهاد ضد الكرج والأبخاذ تارة والبيزنطيين تارة أخرى [٢٣٥] ويشير أحد المصادر إلى أن الامير منكوجك (ابن منجاك) كان أحد قادة سليمان بن قطلمش الذي ساعده فى فتح أنطاكية سنة ١٠٨٥ م [٢٣٦].

وهناك بعض القباب الأثرية فى ساحل قره صو [٢٣٧] كتب عليها باللغة الفارسية أن منكوجك هو الذى فتح ولايات أرضروم وأرزنجان وكماخ ودياربكر وقراحصار الشرقية التى كانت تسمي فى ذلك الوقت كوغيا [٢٣٨].

وكان منكوجك هذا معاصرا للملك دانشمند غازى ونجح فى تكوين إمارته التى تقع بين الدانشمنديون فى الغرب والسلاتقه Saltukids فى أرضروم فى الشرق، ويحدها من الشمال إقليم طرابيزون البيزنطى، وفى الجنوب الولايات الأرتقية، ولقد انقسمت أسرة منكوجك إلى شعبتين حكمت إحداهما فى أرزنجان بينما حكمت الأخرى فى ديوريكى[٢٣٩].

---

(٢٣٥) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٣٠ .

Cahen (C.L) : Mengucek . vol . VI (1991) in Ency . of Islam , p . 1016 . ; Rice (T.T) : The Seljoukes in Asia Minor . p . 132 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 108-109 .

أحمد سعيد سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

(٢٣٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .

(Franz Tinnefeid) : Islam Ansiklopedisi (Mengucukter) Citt 7 . Istanbul 1972-(pp . 713-718) ., p . 713 .

(٢٣٧) قره صو : يقصد بساحل قره صو هو نهر الفرات الغربي غير أن الترك أطلقوا علي هذا النهر هذه الكلمة والتي معناها عندهم الماء الأسود . انظر :

لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٤٩ .

(238) (Franz Tinnefeid) : op . cit ., p . 713 . ; Sevim (Ali) : op . cit ., p . 23 . ; Cahen (C.L) : Mengucek . vol . VI (1991) in Ency . of Islam , p . 1016.

(239) Cahen (C.L) : Mengucek . vol . VI (1991) in Ency . of Islam , p . 1016 . ; turan : op cit ., p . 237 .

أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٠ .

وتشير بعض العملات إلي أن المنكوجكيين كانوا يعترفون بسيادة سلاجقة الروم منذ فترة مبكرة من تاريخهم بآسيا الصغرى [240] وسنرى ما كان لهم من دور سياسي وحضاري في الفصول القادمة .

بنوسلدق (٤٦٤-٥٩٨ هـ/١٠٧١-١٢٠١ م) :

وهم أحدى القوى التي قامت في الاقاليم الشرقية من آسيا الصغرى أثناء الفتوحات السلجوقية المبكرة لآسيا الصغرى ، ولقد كان بنوسلدق كما كان الدانشمنديون وبنومنكوجك من الامارات القوية التي ظهرت بعد معركة ملاذكرد ، وفيما يخص هذه الامارة فإن ألب أرسلان قد أقطع أحد قواده الذى يدعى أبو القاسم ، منطقة أرضروم (أرزروم) عقب موقعة ملاذكرد سنة ١٠٧١م [241] كما اشترك الأمير (صندق) التركى مع السلطان ألب أرسلان في موقعة ملاذكرد[242].

والحقيقة أن المؤرخين إختلفوا حول أسم هذه الاسرة حيث ورد أسمها بأشكال مختلفة مثل (صلتق) ، صليق ، سلتق [243] لكن الاسم الذى غلب على الاسرة هو (سلدق) حيث ورد كثيرا في المسكوكات الخاصة ببعض حكامهم[244].

ومهما يكن من أمر فأن المؤكد أن دولة بني سلدق أقامها في أرضروم بأرمينية الخارجية القائد التركى أبو القاسم سنة ١٠٧١ م (٤٦٤هـ) وهو من قواد السلطان ألب أرسلان ولكنها نسبت إلى ابنه الأمير سلدق بن أبي القاسم [245].

وتشير بعض المصادر إلى أن إمارة بنى سلدق هى أول إمارة تكونت في آسيا الصغرى عقب موقعة ملاذكرد سنة ١٠٧١ م ، وكانت عاصمتها أرضروم وكانت تشمل بابيرت Bayburt قراحصار شابين Shabin تيرجان Terdjan ، أسبير Ispir ، أولتو Oltu، مدجنجيد Midjingerd وفي بعض الوقت قارص Kars[246] ولقد أعترف السلاتقه بالسلاجقة العظام كأسياد خاضعين لهم [247].

---

(240) **Berchem (M.V) et Halil** : Materiaux pour un corpus in scriptionum Arabicaurm , L'institut Francais D'Archeologie Oriental du Cairo ., Le Caire 1917 . part 3 . T . 1 p . 105 .

(241) **Leiser (G) :** Saltuk . vol . VIII (1995) in Ency of Islam ,. p . 1001 . ; **Vryonis** : op . cit ., p 118 .

أحمد السعيد سليمان : المرجع السابق ، ص ٣٣٣ .

(٢٤٢) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٦-٢٥ .

(٢٤٣) ابن الأثير : " الكامل في التاريخ " جـ ١١ ، ص ١٩٠ . ؛ ابن القلانس : المصدر السابق ، ص ٣٢٨ . ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٦٩ .

(٢٤٤) أحمد توحيد : مسكوكات قديمة إسلامية قتالوخي ، (قسطنطينية ١٣٢١ هـ) القسم الرابع ، ص ٧٠

(٢٤٥) فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتي اليوم ، القاهرة ١٩٨٦م) ، ص ١٤٧ .

(246) **Leiser (G) :** Saltuk . vol . VIII . p . 1001

إمارة سميرنا (أزمير) :

كان تزاخاس من أخطر أمراء السلاجقة على الإمبراطورية البيزنطية على الاطلاق . اذ كان يفوق سائر مواطنيه طموحا بدليل أنه كان يتطلع إلى أن يعتلي عرش الإمبراطورية . وكان تزاخاس أحد أمراء السلاجقة الذين شقوا طريقهم في آسيا الصغرى بعد معركة ملاذكرد وفي احدى الحملات العسكرية الموجهة ضد بيزنطة وقع أسيرا في يد القوات البيزنطية التى صحبته إلى القسطنطينية وبعد قضاء فترة في الاسر تم الافراج عنه حيث نشأ وترعرع في البلاط البيزنطي، وبلغ مرتبة عالية في عهد الإمبراطور نقفور الثالث ، ولكن تغير الظروف السياسية في القسطنطينية بإعتلاء الإمبراطور ألكسيوس كومنين قد انعكست بالتالي على هذا الأمير حيث قام الإمبراطور بتجريده من ممتلكاته وامتيازاته التى حصل عليها فهرب إلى مواطنيه في آسيا الصغرى(٢٤٨).

نجح تزاخاس ومعاونيه في آسيا الصغرى في الاستيلاء والسيطرة على مدينة سميرنا (أزمير) ومدينة كلازموني Clazomeae ويعاونه أخوه الأمير جالفاتسز يالافاش Galavatzes - Yalavach ثم بدأ تزاخاس في تكوين أسطول بحرى كبير بالاستعانة بالمواطنين البيزنطيين من ذوى الخبرة في الشئون البحرية (٢٤٩).

وكانت الإمبراطورية البيزنطية في ذلك الوقت تتعرض لغارات قبائل البشناق (البجناك) القاطنة علي ضفاف الدانوب ، حيث نجحوا في نهب معظم الولايات الغربية في الاقاليم الاوروبية التابعة للدول البيزنطية وعلى الرغم من نجاح البيزنطيين في تحقيق بعض الانتصارات عليهم إلا أن البشناق نجحوا في احدى المرات من السيطرة على المناطق الغربية من القسطنطينية وعزلوها بشكل حال دون

قارص Carse أو قرص : تسميها هكذا المصادر البيزنطية وهي مدينة في أرمينية الكبري من نواحي تفليس . انظر :

Cedrenus : op . cit ., p . 606 .

ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ ٤ ، ص ٣٢٣ .

(247) **Turan** : op . cit ., p . 237 .

(208) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 233 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 126 . ; **Ostrogorsky (George)** : History of the Byzantine state ., p . 319 . ; **Vasiliev** : op . cit ., p . 384 . ; **Turan** : op . cit ., p . 237 . ; **Cahen** : pre - ottoman Turkey . p . 81 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 52 .

(249) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 233 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 127 . ; **Chalandon (F)** : The Earlier comneni in cam . Med . Hist . vol . IV pp . 318-350 . (New York 1923) . , p . 331 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 52 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 81 . ; **Ahrweiler (Helene)** : Byzance et la Mer . , p . 184 . ; **Levtchenko** : op . cit ., p . 225 . ; **Vryonis (Speros)** : Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., Dumbarton oaks paper No . 29 . pp 41 – 71 (1975) ., pp . 44 54 ; **Vryonis** : The decline of Medieval . , pp 150-211 .

قيام سكانها من فتح أبوابها وزيارة كنيسة القديس ثيودور الكائنة خارج اسوار المدينة لاحتشاد البشناق بأعداد كبيرة خارج الاسوار(٢٥٠).

استغل تزاخاس الظروف التى كانت تمر بها الدولة البيزنطية وتحرك بأسطوله البحرى ، ونجح فى فتح مدينة فوكيه Phocaea والتى تقع فى خليج سميرنا على ساحل بحر ايجة . كما نجح فى السيطره على جزيرة ميتاين بسهولة بعد ان هرب منها المدعو البوس Alopus الوصى عليها من قبل بيزنطة ،كما نجح فى فتح جزيرة خيوس الواقعة على ساحل بحر ايجة ، واستطاع تزاخاس أيضا فتح جزر ليسبوس وساموس Samos وكثير من الجزر المنشرة على شاطىء بحر إيجة (٢٥١).

على أن الإمبراطور ألكسيوس استشعر خطر تزاخاس وبادر على الفور بإرسال حملة بحرية لطرد زاخاس من الاماكن التى احتلها واسند قيادتها إلى قائده النشيط قنسطنطين دلاسينوس ، ودارت مواجهة بحرية بين الطرفين حاول فيها دلاسينوس استعادة جزيرة خيوس ، إلا أن هذه المواجهة لم تكن حاسمة لاحد الطرفين مما دفع تزاخاس إلى أن يرسل إلى دلاسينوس يعرض عليه الصلح وبين تزاخاس ، سبب عداوته الحالية مع بيزنطة بعد أن سب البلاط البيزنطى وأهانه ، وكانت مطالبه أن يعيد الإمبراطور ألكسيوس كومنين ممتلكاته الشرعية بالكامل التى جرد منها ، وإقامة مصاهرة سياسية بين أسرة تزاخاس ودلاسينوس طبقا لعادات الرومان وعادات السلاجقة فى مقابل إنهاء حالة العداء وإعادة كل الجزر التى غزاها الى الإمبراطورية ، بل وأكثر من ذلك حينما يتم تنفيذ كل بنود الصلح مع الإمبراطور وعد بأن يعود إلى وطنه ، وتعلق المؤرخه آنا كومنين بأن سبب إقبال تزاخاس على هذا الفعل هو خوفه من مواجهة جيش دلاسينوس الضخم ، لكن دلاسينوس طلب إرجاء بحث الصلح ريثما يصل الدوق حنا دوقاس ، ثم أبحر تزاخاس إلى سميرنا لحشد المزيد من القوات البحرية (٢٥٢).

والحقيقة أن الاحداث التاريخية تبين أن ما قام به تزاخاس من محاولات عقد الصلح مع دلاسينوس يندرج تحت بند المناورات السياسية لكسب وقت يستطيع به جمع قوات أخرى لانه يعلم تماما أنه لن يعود الى مكانته الأولى فى القسطنطينية نظرا لتغير الظروف .

---

(250) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 250 .
(251) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 233-234 . ; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 237 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis Ier comnene . , p . 127 . **Levtchenko** : op . cit ., p . 225 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 81 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 52 . ; **Vryonis** : The decline of Medieval . , p . 115 . ; **Vryonis (Speros)** : Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., p . 44 . **Ahrweiler (Helene)** : Byzance et la Mer . , pp . 184-185 .
(252) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 234-235 .

وفي الوقت الذى أبحر فيه تزاخاس سرا إلي سميرنا لجمع قوات بحرية أخرى ثم العودة الي جزيرة خيوس ، نجح القائد البيزنطي دلاسينوس من استعادة جزيرة خيوس (٢٥٣).

غير أن بيزنطة لم تنته متاعبها التي سببها لها تزاخاس حيث نجح في استعادة قوته وتكوين أسطول بحرى حربي ضخم ، واستطاع أن يعيد فرض سيطرته على المدن والجزر التي فقدها ولم يكتف بذلك بل سعى واتصل بالبشناق الذين كانوا يهددون العاصمة البيزنطية في ذلك الوقت واتفق معهم على مهاجمة القسطنطينية برا بينما يهاجمها هو بحرا ، ونجح تزاخاس في أن يضم قوات مرتزقة كانوا في طريقهم الي الإمبراطور الذى وعدهم بغنائم وهبات كثيرة وهم إتراك قدموا من الشرق لمساعدة الإمبراطور ، وقام تزاخاس بمحاصرة العاصمة عن طريق البحر من ناحية الجنوب ومنع الامدادات عن العاصمة (٢٥٤) وانطلق البشناق وقاموا بحصار القسطنطينية وكانوا في اعداد قدرها المؤرخ الأرميني متى الرهاوى بحوالي ٦٠٠ ألف رجل (٢٥٥).

وتحالفت الطبيعة مع القوات المعادية (البشناق) ، اذ حدث ذلك في شتاء قارص سنة ١٠٩٠ م / ١٠٩١ م وكانت الثلوج الكثيفة تعوق تحرك وحشد القوات العسكرية وتغلغلها الي ميادين المعركة وذكرت المؤرخة آنا أن الثلوج التي سقطت في ذلك العام تفوق أى كمية ثلوج سقطت في أى عام مضى حيث كان الابحار مستحيلا ، الامر الذى دفع الإمبراطور إلي مراسلة القيصر نقفور ميلسينوس من اقاليم أوربا البيزنطية وكلفه بحشد كل ما يمكن لمجابهة هذا الموقف (٢٥٦).

ويقارن المؤرخون المحدثون بين هذا الموقف الذى تعرضت له القسطنطينية ، وبين وضع الإمبراطورية في الاعوام الاخيرة من حياتها عند ما قام الاتراك العثمانيون بحصار القسطنطينية من جميع الجهات ونجحوا في عزلها عن العالم الخارجي (٢٥٧).

وقد أدرك الإمبراطور ألكسيوس كومنين خطورة هذا الموقف حيث كانت الإمبراطورية في موقف لا تحسد عليه ، فأذاع منشورا دعا فيه رعاياه للتفرغ دفاعا عن

---

(253) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 237 . ; **Chalandon (F)** : The Earlier comneni in cam . Med . Hist . vol . IV p . 331 .

(254) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 251-252 .; **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 740 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 313 . ; **Levtchenko** : op . cit ., p . 225 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 81 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 52 .

(255) **Matthieu d'Édesse** : op . cit ., pp . 199-200 . ;

عادل زيتون : المرجع السابق ، ص ٧٢ .

(256) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 251-253 .

(257) **Vasiliev** : op . cit ., vol II . p . 384-385 .

العاصمة ، ولبى السكان نداء الإمبراطور ، وبدأ الإمبراطور فى التفكير فى رفع الحصار البحرى أولا ونجح فى هزيمة قوات تزاخاس ومقاومة أسطوله وأجبره على فك الحصار (٢٥٨).

وعندئذ تفرغ الإمبراطور لرفع الحصار البرى الذى كان البشناق يفرضونه على القسطنطينية ونجح بإستخدام وسائله الدبلوماسية بتحريض احد الاعداء ضد الاخر ، حيث التمس مساعدة الكومان ضد البشناق.والتقى البيزنطيون والبشناق فى معركة رهيبة قرب جبل لفونيوم Mount Levuinion – وايضا يعرف باسم Mt. Le Bounion – أنتهت بتدمير القوات البشناقية تدميرا كاملا(٢٥٩).

وعلى الرغم من ذلك فإن تزاخاس لم يفقد الامل فى تحقيق حلمه بأن يصبح امبراطورا على الدولة البيزنطية حيث أرتدى الشارة الإمبراطورية Imperial Insignia وأعلن نفسه إمبراطورا وبدأ في سيمرنا ينظم قوته ويعيد تقوية أسطوله البحرى (٢٦٠).

ثم قام الإمبراطور بتجهيز حملة عسكرية ضخمة من شأنها إيقاف أحلام تزاخاس وطرده من أزمير ، ووقع أختيار الإمبراطور على القائد حنا دوقاس أخو زوجته وتمكنت تلك الحملة من تحرير عدة جزر مثل ساموس ، مدل ، وليسبوس واستعادة مدينة ميتلين Mitylene (٢٦١) غير أن هذه الحملة لم تنجح فى القضاء علي خطر تزاخاس مما دفع الإمبراطور الى تجهيز حملة عسكرية أخرى اسند قيادتها الى قنسطنطين دلاسينوس وأمره بالقضاء على تزاخاس ، وفى ذلك الوقت تمكن تزاخاس من إغلاق مضيق الدردنيل من شاطئه الآسيويي بالسيطرة علي مدينة أبيدوس وبسط نفوذه على المنطقة(٢٦٢).

وعلى أية حال وجد ألكسيوس أن العمل العسكرى لن يفلح مع تزاخاس ، فاستخدم دهاءه الذى عرف عنه وفكر فى الاستعانة بسلطان نيقية السلطان السلجوقى قلج أرسلان الأول فى القضاء على تزاخاس فأرسل اليه رسالة تحض

---

(258) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 252 . ; **Carles (M.B) & Philip (G) & Anthony (C)** : Alexios IKomnenos . vol . 1 , p . 63 in the Oxford Dictionary of Byzantium .

(259) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 258 . ; **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 200 . **Vasiliev** : op . cit ., vol II . p . 384 . ; **Grousset (Rene)** : L'Empire des steppes (Paris , 1948) p . 240 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 331 . ; **Buss (R)** : pechenges in Lexicon universal Encyclopedia ., vol . 15 ,(New York-1983) . , p . 130 . ; **Carles (M.B) & Philip (G) & Anthony (C)** : op . cit ., p . 63 . **Omeljan pritsak** : Pecheneges , vol . 3 pp . 1613-1614

(260) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 269 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II . p . 384 . ; **Ahrweiler** : op . cit ., p . 185 .

(261) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 270-272 . ; **Franzius** : op . cit ., p . 303 .

(262) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 274-275 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 81 .

السلطان ويحرضه على القضاء على تزخاس [٢٦٣] قائلا " أيها السلطان الشهير قلج أرسلان ، تعلم أنك سلطان بحق الوراثة ، غير أن صهرك تزاخاس يستخدم هذا كمبرر للوقوف فى مواجهة الإمبراطورية الرومانية فى الحرب وينادى بنفسه إمبراطورا . وهو يعلم علم اليقين أن الإمبراطورية الرومانية لن توافقة على هذا ، والإمبراطورية الرومانية لم ولن تكن له وليس من حقه أن يصل إلى العرش السامى ، ولهذا فقد تحولت كل خططه المنحطة ضدك أنت فإذا كنت حكيما فلا يجب عليك أن تصبر على أفعاله وليس هناك ما يدعو لليأس ، ولكن على حذر وإلا ستفقد مركزك السلطاني. ومن جانبي فسوف أقوم بعون الله بطرده من الاقاليم الرومانية . ولكوني مهتما بمصالحك فإني ناصح لك بالتمسك بسلطانك وملكك ولا يتسنى ذلك الا بالقبض على تزاخاس بوسيلة سليمة وإن لم يكن ذلك فبالسيف " [٢٦٤].

ومن الغريب أن السلطان قلج أرسلان استجاب لطلب الإمبراطور وخرج بقواته للقاء تزاخاس ، الذى وجد نفسه مهددا من جهة البحر بالقوات البيزنطية ومن البر قوات صهره قلج أرسلان ،بالإضافة إلي خشيته من سكان أبيدوس فآثر التفاوض والتفاهم مع قلج ارسلان ، وحاول تزاخاس ان يوضح مدى العلاقة بينهم ومحاولات الإمبراطور ألكسيوس المغرضة للإيقاع بهم وهو غير مدرك للمؤامرة التى كانت فى انتظاره ، فبعد أن استقبله السلطان وشاركه المائده لتناول الطعام ، أمر السلطان بقتله وتعززت بذلك روابط الصداقة بين الإمبراطور ألكسيوس وقلج أرسلان [٢٦٥] ومما يثير الدهشة ان السلطان قلج ارسلان قام بقتل صهره تزاخاس ، والمعروف أن قلج ارسلان كان حديث العهد بالسلطنة ، وعلى ما يبدو أنه كان ذو خبرة سياسية محدودة لم تؤهله لادراك هذه المكيدة وما يطمح إليه الإمبراطور . ربما يكون السلطان قلج ارسلان قد خشي من ازدياد قوة تزاخاس بشكل يهدد سلطنته ، ويخشي أيضا فقدانها الامر الذى دفعه الى قتله ، وعلى الرغم من أن هذه المؤامرة دعمت التحالف بين المحرض والقاتل فإن الإمبراطور ألكسيوس نجح بالفعل فى مكيدته ، ولقد كان تزاخاس قاب قوسين أو أدنى من القسطنطينية ، ولو حدث تعاون وتنسيق بينه وبين قلج أرسلان ربما عجلوا بسقوط القسطنطينية قبل سقوطها على يد العثمانين سنة ١٤٥٣ م .

(263) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 270-275 . , **Zonaras** : op . cit ., vol III p . 737 . , **Cahen** : La premiere pentration . , p . 52 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 81 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 331 . ; **Brand (C.M)** : Alexion Ikomnenos vol I (p . 157-159) in Dictionary of the Middle Ages ., p . 158 .

(264) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 274-275 .

(265) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 275 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey . p . 81 . ; **Cahen** : La premiere pentration . , p . 52 . ; **Franzius** : op . cit ., p . 303 . ; **Turan** : op . cit ., p . 238 .; **Brhier** : vie et Mort p304

القوى الصغيرة :

كانت هناك بعض القوى الصغيرة فى آسيا الصغرى احتوتها القوى الكبرى بعد ذلك ، ولم يكن لها دور كبير ، فقد تمكن الأمير السلجوقى كارتكين Kartekin فى شمال آسيا الصغرى بالسيطرة على مدينة سينوب Sinope والمدن المجاورة لها واستقل بما وضع يده عليه [٢٦٦].

كما نجح الأميرتانجربيرمز Tangripermes والأمير ميراك Merak من السيطرة على افسوس والمدن المجاورة [٢٦٧].

وأيضا فى الوقت الذى أعلن فيه أبو القاسم نفسه سلطانا فى نيقية أعلن أخوه الأمير بلداق Bulduj سيطرته واستقلاله بالاقاليم العليا لنهر جيهان Jahan [٢٦٨] واصبح أميرا على اقليم ساموسنا Samosata[٢٦٩]

هكذا كان وضع آسيا الصغرى قبيل قدوم الغزو الصليبى وعلى أيه حال فإن الجزء الوحيد فى آسيا الصغرى الذى ظل مستقلا ولم يقع فى ايدى الترك كان يقع فى الأقليم الشرقى للبحر الأسود فى طرابيزون حيث نجح البيزنطيون فى استعادته من ايدى الترك سنة ١٠٧٥ م [٢٧٠]. وكان القائد المكلف باستعادة هذا الإقليم من ايدى السلاجقة هو القائد ثيودور جابراس Theodore Gabras وتولى جابراس هذا دوقية طرابيزون بعد استعادتها من الترك . ثم أعلن استقلاله بها عن الإمبراطورية التى لم تستطع أن تفعل شيئا سوى مهادنته ولم تعد السياده البيزنطية على طرابيزون الأ بعد الحملة الصليبية الأولى [٢٧١].

بعد ذلك انشغل الإمبراطور ألكسيوس كومنين بمشاكله على الجانب الاوربى من الإمبراطورية وبعد أن تخلص من هذه المشاكل بدأ يفكر فى التعامل مع المشكلة التركية بشكل قطعي وحاسم – كما سيأتي – وعندما وصلت انباء قدوم جيوش الصليبيين [٢٧٢] والتى غزت الأقاليم الاوربية البيزنطية ، نشأ بذلك عصر جديد[٢٧٣].

---

(266) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 119 . ; **Vryonis :** op . cit ., p .115 . ; **Turan** : op . cit ., pp . 236-237 .
(267) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 345 . ; **Vryonis :** op . cit ., p .115 .
(268) **Turan :** op . cit ., p . 237 .
(269) **Vryonis :** op . cit ., p .115 .
(270) **Turan :** op . cit ., p . 237 .
زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطى ، ص ٦٦ .
(271) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 265-269 , 286 .
(272) Vryonis : The Decline of Medieval . , p . 116 .
(273) Franzius : op . cit ., p . 303 .

الفصل الثانى

النشاط الصليبى فى آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر الميلادى (١٠٩٧ - ١١٩٢م)

- أولا: الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٧ - ١٠٩٩م).
- ثانيا: حملة الصلبيين سنة ١١٠١م.
- ثالثا: الحملة الصليبية الثانية (١١٤٧ - ١١٤٩م).
- رابعا: الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩ - ١١٩٢م).

تحولت آسيا الصغرى في نهاية القرن الحادى عشر الميلادى إلى دول سلجوقية إقليمية صغيرة ، وعلى رأس كل منها حاكم يتبع السلطان السلجوقي الأعظم في بغداد . هذا بالإضافة إلى سلطنة سلاجقة الروم التى كانت لا تزال مستمرة في فتوحاتها في آسيا الصغرى على حساب بيزنطة . ولقد حاول الإمبراطور ألكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨ م) وقف زحفهم دون جدوى .

وباتت عاصمته معرضه لخطر الهجوم عليها بين حين وآخر . لذلك لم ير ألكسيوس كومنين بدأ من اللجوء إلى البابوية في روما للاستنجاد بها ضد السلاجقة ، والعمل على وقف زحفهم ، مثلما فعل سلفه الإمبراطور ميخائيل السابع (١٠٧١-١٠٧٨م) ، فبعث رسله إلى البابا أوربان الثانى (١٠٨٨-١٠٩٩ م) وإلى ملوك وحكام أوربا يدعوهم لإرسال المساعدات لنجدة إخوانهم في الشرق ، وحماية القسطنطينية من الخطر السلجوقي ، وكان من الطبيعى أن يستجيب البابا وملوك وحكام الغرب الأوربى لنداء الإمبراطور، وذلك لتحقيق أطماعهم في كل من الشرق الإسلامى والدولة البيزنطية .

ولا شك أن الأوضاع السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التى سادت غرب أوربا في القرن الحادى عشر الميلادى ، قد تضافرت جميعا وتحكمت في توجيه الحملات الصليبية إلى منطقة الشرق الادنى الإسلامى . كما لعبت البابوية دوراً رئيسياً في قيام الحروب الصليبية ، فهى التى دعت إليها وتبنتها ووجهت مسارها بدعوى استرداد الأماكن المقدسة من المسلمين في الشرق .

الحملة الصليبية الأولى (١٠٩٧-١٠٩٩م)

بدأت سلسلة الأحداث التى أدت إلى قيام الحروب الصليبية بعقد مجمع بياكنزا (بياتشنزا Piaccenza) برئاسة البابا أوربان الثانى الفرنسى الاصل وحضرته سفارة من قبل الامبراطور البيزنطى لطلب العون من البابا ضد السلاجقة ، ولقد رحب البابا بمعاونة الإمبراطورية ، وبعد أن أنهى مجمع بياكنزا أعماله قضى البابا فصل الربيع في ايطاليا ثم انتقل الى فرنسا لعقد مجمع كلير مونت Clermont الذى استمر من ١٨ إلى ٢٨ نوفمبر سنة ١٠٩٥ . وبعد مناقشة الامور الكنسية ألقى البابا خطابه التاريخى الذى دعا فيه الى الحرب المقدسة ضد المسلمين وتخليص بيت المقدس من أيديهم . ووجدت كلمات البابا قبولا وحماسة عند الحاضرين إذ هتف جمهور الحاضرين بعبارة " ولتكن مشيئة الله" (Devs Le Volt) (it is God's will) التى تردد صداها في أوربا الغربية من ادناها الى اقصاها ، وتقدم الألوف من سامعية حاملين الصلبان واتخذوا صليباً من

قماش أحمر على اكتافهم فعرفوا بالصليبيين ، وعرفت هذه الحروب بالحروب الصليبية وتحدد يوم ١٥ أغطس سنة ١٠٩٦ موعداً لرحيل
الصليبيين على أن تلتقي جيوشهم في القسطنطينية [١].

ولقيت دعوة البابا استجابة واسعة لدى أوربا وكانت خطة أوربان محكمة تماما في اختيار القواد وتوجيه الغزاه خاصة بجنود من فرنسا التي كانت تمثل الروح الصليبية ، حيث لعبت الخبرة دوراً في رجال أمثال ريموند دى سانجيل كونت تولوز الذى حارب المسلمين في أسبانيا [٢].

وإذا كان البابا قد حدد وقت الرحيل في أغسطس سنة ١٠٩٦ وارتبط الأمراء بهذا الموعد ، إلا أن جماهير الغوغاء والفقراء لم يكن لديهم من الاسباب ما يدعوهم الى الانتظار ، وعلى ذلك فقد انقسمت الحملة الصليبية الاولى الى قسمين متباينين عن بعضهما تماماً ، فالقسم الاول أطلق عليه حملة العامة أو الشعبية وكانت على شكل مجموعات مختلفة ، أما الثانية فتسمى الحملة النظامية أو حملة الأمراء وقد قادها أمراء أقطاع .

وبعد أن دعا البابا أوربان الثاني إلى الحروب الصليبية في مجمع كليرمونت أخذ الدعاه يبشرون بتلك الحروب .ومن هؤلاء الدعاه بطرس الناسك الذى اشتهر بحماسه الشديد ، وأحرز نجاحا هائلا في دعوته . وقد أثرت هيئته تأثيرا كبيرا على جموع العامة في غرب أوربا ، فقد كان قصير القامة ودرج على السير حافي القدمين في ثياب رثه ، لم يتناول في طعامه الخبز أو اللحم بل جعل غذاءه السمك ، وصار ينتقل من مكان إلى آخر على حماره الأعرج داعيا إلى الاشتراك في الحروب

---

[١] فوشية الشارتيري : الوجود الصليبي في الشرق العربي ، الإستيطان الصليبي في فلسطين ، تاريخ الحملة إلي بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م ، ترجمة
ودراسة وتعليق الدكتور / قاسم عبده قاسم (الكويت ١٩٩٣) ، ص ٨٧-٩٤ .
Charles (M.B) & Philip (G) &Anthony (C) : Crusades Vol .1 in the Oxford Dictionary of Byzantium ., p . 558 . ; **Chalandon (F)** : The Earlier comneni in cam . Med . Hist . vol . IV p . 333 . ; **Brooke (Z.N)** : History of Europe from 911 to 1198 ., vol . II (London , 1938) , p . 236 . ; **Previte** : The shorter Cambridge Medieval History ., vol . 1 (Cambridge , 1952) ., p . 520 . ; **Hitti (P.K)** : History of Syria ., (London , 1957) ., p.590 .; **Hulm (E.M)** : The middle age ., (New York , 1938) ., p . 472 . ; **Eyre** : European Civilization : Its Origin and Development . by various contributors under the direction of Eyre . vol III (London , 1935) ., p . 192 . ; **Mango (Cyril. A)** : Constantinople . City on the Golden Horn . (New York, 1969) . , p . 107 . ; **Grabois (A)** : The Illustrated Ency of Medieval Civilization (London , 1988) . , p . 248 . ; **Matthew (D)**: Atlas of Medieval Europe . , p . 91 . ; **Milton (J) & Steinberg (R)** : The cross and the cresent ., p . 76 .
(2) **Parkes (I)** : Hist. Of Palastine from 135.A.D to modern times (London , 1949) . p 107 .

الصليبية . وبدأ رحلته من برى Berry ، وفى فبراير ومارس سنة ١٠٩٦ اجتاز أورليانز وشامبنى إلى اللورين ومنهما إلى مدن الميز ، وآخن إلى كلن ، وحيث أمضى عيد القيامه وحشد من مريديه من انفذهم الى المناطق التى لم يكن بوسعه أن يزورها ومن هؤلاء المريدين ، والتر المفلس Walter Sans Avoir ورينالد لدبرايس ، وجفرى يوريل ووالتر برتيل وجوتشالك الالمانيان ، ولم يكد يبلغ كولونيا حتى بلغ عدد اتباعه ١٥ ألف شخص ، وازداد عدد من انحاز إليه فى المانيا [٣].

وفى ابريل سنة ١٠٩٦ ، أى قبل ثلاثة أو اربعة أشهر من الموعد المحدد الذى حدده أوربان الثانى تم حشد خمسة جيوش من الفقراء ، على أن ثلاثة من هذه الجيوش بقيادة فولشر صاحب أورليان وجوتشالك ووليم النجار على الترتيب ، لم تستطع الوصول إلى القسطنطينية إذ لقيا جيشا فولشر وجوتشالك فى يونية ١٠٩٦ الدمار على يد المجريين جزاء ما ارتكبه الجند من أعمال العنف والتخريب . أما الجيش الثالث فقد أهلك نحو عشرة آلاف من اليهود وذلك بعد أن اشترك فى قتالهم بالبلاد الواقعة بوادى نهر الراين ،وكان ذلك من بوادر النتائج الاولى للحماس الصليبى الذى مالبث ان تبدد فى بلاد المجر [٤].

وعلم الإمبراطور البيزنطى أن جيشاً للفرنج اجتاز بلاد المجر ، ونفذ الى الامبراطورية فقام بعمل الترتيبات اللازمة وتوفير ما يحتاجونه من المؤن ، ثم أمر ألكسيوس قواده بالتوجه إلى دورازو وأفالونا وهى الأماكن التى سوف تستقبل الصليبيين . كما أرسل أيضاً المترجمين الذين يجيدون اللاتينية مع القوات الصليبية، وأوصى قواده وقواته بضرورة وقف هذه القوات الصليبية إذا قامت بالإغاره والنهب والسرقة فى أراضى الامبراطورية حفاظاً على سلامتها وسلامة شعبها [٥].

---

(3) Runciman (Steven): A history of the crusades ., vol . 1 pp . 113-114 .

رنسيمان : تاريخ الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٧٩-١٨٠ .

Milton (J) & Steinberg (R) : The cross and the cresent . , p . 76 .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٨ . ؛ محمود الحويري : بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبين ، ص ٣٦-٣٧

(٤) باركر (أرنست) : الحروب الصليبية ، نقله إلي العربية / السيد الباز العريني (بيروت – الطبعة الثانية) ص ٢٥-٢٦ .

William (B) & Litt (D) : The first crusade in cam . med . His . vol . v (cambridge , 1979) ., pp . 276-277 .

محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ٣٧ .

(5) Anna comnena : The Alexiad ., p . 310 .

وكانت حملة والتر المفلس هي أول حملة شعبية قامت في أوربا . فلم يرغب هذا الرجل في انتظار بطرس وجماعته فلم يكد ينتهي عيد القيامة حتى غادر والتر على رأس جيش يتكون من حوالي خمسة آلاف شخص من الطبقات المعدمة . وعندما بلغ الحدود المجرية أرسل إلى ملك المجر كولمان يستأذنه في اجتياز المملكة وتزويدهم بما يحتاجونه من الاقوات ، ولما وصلوا مدينة سملين Semlin الواقعة على الحدود المجرية البيزنطية وقعت بينهم وبين المجريين بعض المناوشات البسيطة ثم واصلوا سيرهم بعد ذلك ، فعبروا نهر الساف Save ودخلوا أراضي الدولة البيزنطية ومروا بمدن نيش وصوفيا وأدرنة ، وفي يوليو سنة ١٠٩٦ وصلوا إلى مدينة القسطنطينية وكانت أولى الجماعات التي وصلت [٦].

وسمح الامبراطور ألكسيوس كومنين لهذه الجموع بالانتظار خارج أسوار العاصمة حتى وصول جموع بطرس الناسك وأمر بإمدادهم باحتياجاتهم المختلفة[٧].

أما بطرس الناسك فقد غادر مدينة كولونيا على رأس جموعه في ٢٠ أبريل سنة ١٠٩٦ مخترقاً ألمانيا والمجر ، وعندما وصلوا إلى مدينة سملن تملكهم الغضب عند رؤيتهم منظر ملابس وأسلحة رجال والتر معلقة على الأسوار ، كما ترامى اليهم ما ذاع من الشائعات عما حل برجال والتر من المصاعب فأمر بطرس رجاله بالانتقام ومهاجمة المدينه ، ونجحوا في الاستيلاء على قلعتها ووقعت مذبحة راح ضحيتها أربعة آلاف من اهلها . ثم تركوا المدينة خوفاً من انتقام ملك المجر [٨].

---

(6) **Albert d'Aix :** Historia Hierosolymitana ., ED R.H.C HOCC . IV (Paris , 1879) ., pp 275-276 . ; **William of tyre :** A History of deeds done Beyond the sea , Translated and Annotated by Babcock and A.C Krey (New York, 1943) ., vol .1 p. 98 .

والترجمة العربية وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ترجمة د. حسن حبشي (القاهرة ١٩٩١-١٩٩٢-١٩٩٤-١٩٩٥) جـ ١ ، ص ١١٢-١١٥

Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 123 .

رنسيمان : المرجع السابق، جـ ١ ، ص ١٩١-١٩٢ .

(7) **Albert d'Aix :** Historia Hierosolymitana ., ED R.H.C . p . 276 .

سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٩ . ؛ إسحاق عبيد : روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتيني لمدينة قنسطنطين ٨٦٩-١٢٠٤ . (القاهرة -١٩٧٠م) ، ص ٨٩ . ؛ جوزيف نسيم يوسف : العرب والروم واللاتين في الحرب الصليبية الأولي (الإسكندرية ، ١٩٦٧) ص ١٥٩ .

(8) **Albert d'Aix :** op . cit ., p . 276 . ; **William of tyre :** A History of deeds done Beyond the sea . vol . 1 . p . 104 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١١٥-١١٦ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٠٩ .

مر بطرس الناسك في رحلته على مدينة نيش Nish وصوفيا والتقى بسفراء الامبرطور الذين أبلغوه قلق الامبراطور من سوء سلوك جموعه،وطلبوا منه عدم إقامتهم في موضع واحد أكثر من ثلاثة أيام ، ومع ذلك فقد أمر الإمبراطور بتوفير احتياجاتهم ، وعندما وصلت الحملة إلى مدينة فليبوبوليس Philippolis تأثر البيزنطيون عند سماعهم أخبار ما تعرضوا له من المتاعب وقام السكان المحليون بتقديم الكثير من الاموال والخيول [9].

وفي ٣٠ يوليو ١٠٩٦م وصل بطرس إلى العاصمة البيزنطية وهناك انضم إليه اللمبارديون [10] وغيرهم كثير ، فأمر الامبرطور بتزويدهم بالمؤن بقدر ما تسمح به طاقة البلد وقال لهم : " لا تعبروا البسفور قبل وصول بقية الجيش المسيحي لأنكم لستم بالكثرة التي تمكنكم من محاربة الترك ، فسار الصليبيون أسوأ سيره إذ ضربوا قصور المدينة وأضرموا فيها النيران وخلعوا الرصاص الذى كانت تغطى به الكنائس وباعوه للإغريق ، وخوفا من تماديهم فى تلك الأعمال أمر الامبراطور بنقلهم إلى الساحل الأسيوى عبر البسفور [11].

وفي ٦ أغسطس تم نقل قوات بطرس عبر البسفور ومن شاطيء البسفور الآسيوى اتخذوا طريقهم دون أن يلتزموا النظام ، فصاروا ينهبون الدور والقصور الواقعة على امتداد شاطيء بحر مرمرة حتى نيقوميديا التى هجرها سكانها بعد أن نهبها الترك منذ خمس عشرة سنة ، ووقع فى هذا الموضع شجار بين الألمان والايطاليين من جهة ، وبين الفرنسيين من جهة أخرى . ثم نصب الصليبيون

---

(9) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 282-283 . ; William of tyre : op . cit ., vol . 1 p . 105 . ; Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 126 .

رنسيمان : المرجع السابق، جـ ١ ، ص ١٩٦-١٩٧ . ؛ إسحاق عبيد : المرجع السابق ، ص ٩٠ .

(10) اللومبارديون : أحد الشعوب الجرمانية التي عاشت في أحد السواحل الجنوبية لشبة جزيرة اسكنديناوة ، ثم نزحت في القرن الأول أو الثاني قبل الميلاد إلي منطقة الدانوب ، وفي القرن السادس نزحوا إلي إيطاليا بقيادة زعيمهم ألبوين ، وقد قضي شارلمان علي مملكتهم سنة ٤٧٤ م . انظر :

محمود الحويري : اللومبارديون في التاريخ والحضارة (مصر-١٩٨٦م) .

(11) Gesta Fruncorum et aliorum Hierosolimitanorum : The Deeds of the franks and the other Pilgrims to Jerusalem edited by Rosalind Hill . (London , 1962 ., pp . 2-3 .

والترجمة العربية : المؤرخ المجهول : " أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس " ترجمة قدم لها وعلق عليه دكتور حسن حبشي (القاهرة ، ١٩٥٨) ص ٦٠

Runciman : op . cit ., vol . 1 pp . 127-128 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٩٧-١٩٨ . ؛ جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٦٠-١٦١ .

معسكرهم عند بلدة كيفيتوت Civitot الواقعة على الضفة الجنوبية لخليج نيقوميديا وكانت السفن البيزنطية تتردد عليهم باستمرار محملة بالمؤن [١٢].

غير أن الصليبيين بقيادة بطرس الناسك سرعان ما تناسوا نصائح الإمبراطور، وبدأ فريق منهم يشنون غاراتهم على القرى المجاورة وأخذ الصليبيون يزحفون على الأرض التي كانت بأيدي الترك والاستيلاء على ماشية وممتلكات السكان دون تمييز عما إذا كانوا من الرعايا البيزنطيين أو الترك ، ثم توغلوا في داخل آسيا الصغرى حتى بلغوا أبواب مدينة نيقية عاصمة السلطان السلجوقي قلج أرسلان ، فنهبوا القرى وساقوا ما صادفهم من الماشية والأغنام وقتلوا السكان المسيحيين في وحشية فاقت كل وصف ، وتذكر الأميرة آنا كومنين أنهم قطعوا أطراف بعض الأطفال وثبتوا البعض الآخر على ألواح خشبية ثم قاموا بشيهم على النيران ، وأنزلوا شتى صنوف العذاب بكبار السن ، والتحم معهم أهالي نيقية في معركة عنيفة ورجع الصليبيون إلى معسكرهم في كيفيتوت محملين بالغنائم والأسلاب[١٣].

والواقع أن الصليبيين كان يستوى عندهم المسلمون والمسيحيون الشرقيون، فقد كان المسيحيون الشرقيون في نظرهم هراطقة لأنهم على غير مذهبهم ، وقد أثار ما أحرزه هذا الفريق من الصليبيين في غاراتهم من غنيمة مثمرة غيرة فريق آخر ، فكان هذا مدعاه لانقسام جماعات بطرس على نفسها ، كل يريد أن يكون له نصيب الأسد من الغنيمة ، وكان من أثر ذلك أن انسحب فريق من الصليبيين ومضوا في سيرهم حتى بلغوا قلعة اكسريجوردوس Xerigordus فاستولوا عليها وعثروا فيها على كميات وفيرة من الميرة كالحنطة واللحوم وغيرها من المؤن ، واتخذوها مركزا يغيرون منه على الارض الزراعية المجاورة ، ولما علم السلطان السلجوقي قلج ارسلان باستيلائهم على القلعة بعث بقوة كبيرة على رأسها القائد التركي إلخان El Khanes تمكنت من استعادة القلعة بعد ان أعمل السيف في رقاب كل من وجده[١٤].

---

(12) Albert d'Aix : op . cit ., p . 283 . ; William of tyre : op . cit ., vol . 1 p . 106 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢٥ . ؛ جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٦٢.

(13) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 311-312 . ; Runciman : op . cit ., vol . I pp .128 –130 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٩٩ . ؛ جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(14) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 312-313 . ; Albert d'Aix : op . cit ., p . 288 . ; William of tyre : op . cit ., vol . 1 pp . 108-109 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢٧ .
Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 130 .

وهنا نلاحظ أن المؤرخ المجهول صاحب كتاب " أعمال الفرنجة " – وهو شاهد عيان – قد أورد معلومات لم ترد عند غيره من مؤرخي الحروب الصليبية عن هذه الواقعة حيث ذكر " أن الترك قاموا بحصار القلعة ومنعوا عنها الماء ، فاشتد الظمأ برجالنا شدة دفعتهم لفصد عروق جيادهم وحميرهم ، وشراب دمائها ، وألقى الاخرون الخرق معلقة بالخطاطيف في الكنف وعصروها في أفواههم وكان أحدهم يبول في يد رفيقه ثم يشرب الاثنان وحفر بعضهم الاراضي الرطبة واضطجعوا فيها وهالوا التراب على صدورهم "(١٥).

ولم يبق خبر هذه النكبة خافيا على من في كيفيتوت الذين راحوا يتدبرون الأمر فيما بينهم، كما أن الترك السلاجقة كانوا يعدون العدة للقضاء على الصليبيين فقاموا بنصب الكمائن في مواضع مختلفة على طول الطريق من المعسكر الفرنجي في كيفيتوت إلى مدينة نيقية(١٦).

واشتدت ثائرة الجيش الصليبي وحماسة للمضي للإنتقام في أكسيريجوردون ، غير أن والتر المفلس حث زملاءه على أن ينتظروا قدوم بطرس الذي توجه إلى القسطنطينية وسوف يعود خلال ثمانية أيام غير أنه لم يعد ، وفي تلك الاثناء شاع أن الترك أخذوا يقتربون بجيوشهم من كيفيتوت ، فاجتمع مجلس الحرب وأصدر قراراً بألا يجرى شيء إلا بعد وصول بطرس غير أن جودفرى الملقب ببوريل ويسانده الرأى العام في الجيش أصر علي أنه من الجبن والحماقة ألا يزحف الجيش للقاء العدو(١٧).

وفي ٢١ من أكتوبر تحركت من كيفيتوت جموع الصليبيين ، ولم يتركوا خلفهم سوى الشيوخ والنساء والأطفال العزل من السلاح ، وتم تسليح الجيش البالغ عدده خمسة وعشرين ألفاً من المشاه المدججين بالسيوف ، ومائتين من الفرسان المجهزين أفضل تجهيز بما عليهم من الزرديات ، وصفوا صفوفهم للقتال وزحفوا في طريق زاخر بالغابات وكانت وجهتم ناحية نيقية وما كادوا يتقدمون ثلاثة أميال في

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٠٠ .
William (B) & Litt (D) : op . cit ., p . 276 .
قاسم عبده قاسم : " الخلفية الأيدلوجية للحروب الصليبية ، (القاهرة –١٩٨٣) ص ١٦٦ .
(15) Gesta Fruncorum ., pp 3-4 . ;
المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٠ .
(16) Anna comnena : The Alexiad ., p . 312 .
(17) William of tyre : op . cit ., vol . 1 pp . 107-108 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢٧ . ؛
Runciman : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton . op . cit ., vol . 1 , p . 283 . Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 p . 131 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٠١ .

الغابة حتى كان قد بلغها أيضا قلج أرسلان على رأس جيش ضخم . وعند نهر دراكون Dracon نصب الترك كمينا وسار الصليبيون دون أن يلتزموا النظام فانهال عليهم سيل من السهام فجأة وتلقفتهم الجيوش السلجوقية وأعملت فيهم السيوف بلا رحمة وهزمتهم شر هزيمة ، وتعقبوهم حتى معسكرهم وأعملوا فيهم مذبحة شنيعة (١٨).

ولم ينج من هذه المذبحة سوى بطرس الناسك وقليل من اتباعه ، ولقد قتل في هذه المعركة بضعة رجال من ذوى المكانة في معسكر بطرس منهم والتر المفلس ورينيه دى بروس وفولشر دى أورليانز وغيرهم (١٩).

وعندما علم الامبراطور البيزنطى بما حل بالجموع الصليبية بادر بإرسال قوة كبيرة مسلحة لإنقاذ الصليبيين اتجهت الى كيفيتوت ، وعند وصول تلك القوة رفع الترك الحصار وتمكنت القوة البيزنطية من إنقاذهم وإعادتهم سالمين إلى ألكسيوس الذى رحب بهم (٢٠).

ثم قام الامبراطور الكسيوس بمعاتبة بطرس وأخذ يذكره بعدم التزامه بالنصائح والتعليمات التى بذلها له وذكر له أن الكوارث التى حلت به وبقواته إنما تعود إلى عدم أخذه بنصائحه التى أسداها من قبل ، وأجاب بطرس بأنه ليس السبب فيما حدث ، وأن رفاقه لم يطيعوه وانقادوا وراء شهواتهم متهما إياهم بأنهم لصوص مخربون وغير جديرين بالتعبد عند ضريح المسيح (٢١).

---

(18) **William of tyre** : op . cit ., vol . 1 pp . 108-109 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢٨ .

Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 pp . 131-132 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٠٢ .

Ostrogorsky : History of the Byzantine state ., p . 321 . ; **Robinson (F)** : A short Hist. Of Mediaval peoples . (London – 1912) ., p . 614 . ; **William (B) & Litt (D)** : op . cit ., p . 276 . ; **Loewe (H.M.J)** : The Seljuqs in cam. Med. Hist ., vol . IV . p . 315 .

(19) **William of tyre** : op . cit ., vol . 1 pp . 108-109 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢٨ . ؛ قاسم عبده قاسم : المرجع السابق ، ص ١٦٧.

(20) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 313 . ; **Albert d'Aix** : op . cit ., p . 289 .
William of tyre : op . cit ., vol . 1 pp . 109-110 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٦٣٠ .

Runciman : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton . op . cit ., vol . 1 , p . 284 .

(21) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 313 . ; **Albert d'Aix** : op . cit ., p . 189 .
ماكسيموس مونروند : تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب . ترجمة / مكسيموس مظلوم جزوان (أورشليم –١٨٦٥م) جـ ١ ، ص ٢٨ . ، وجدير بالذكر أن آنا كومنين مخالفة لجميع المؤرخين حيث تؤكد علي أن بطرس كان موجوداً في المعركة بينما يري باقي المؤرخين أنه كان في القسطنطينية عند حدوث المذبحة والحقيقة أننا نميل إلي الأخذ برأى باقي المؤرخين

ورغم ما قام به الامبراطور ألكسيوس من انقاذ هذه الحملة . الا اننا نجد أن المؤرخ المجهول الذى عاصر الحملة الصليبية الأولى وكتب عنها يذكر أن الامبراطور عندما بلغه خبر فناء جماعات بطرس الناسك على أيدى التركمان لم يخف فرحة العظيم بذلك ، وأصدر أمره بنقلهم عبر البسفور بعد أن جردهم من كل سلاح حتى يأمن شرهم (٢٢) وعلى الرغم من هذا الاتهام الموجه للامبراطور بأن له اليد الطولى فى هذه المأساة إلا أننا نجد اختلاف الصورة التى رسمها البرت أوف دكس للامبراطور عما قاله المؤرخ المجهول حيث تحدث عن كرمه وحسن معاملته وتقديم النصائح لهم ومبادرته لانقاذ من بقى منهم على قيد الحياه ، وإن كان قد اتفق مع المؤرخ المجهول بأنه أظهر نوعا من الفرح بما حدث للصليبيين عند نيقية(٢٣).

وجدير بالملاحظة هنا أن المؤرخة آنا كومنين تعتبر أن بطرس وجماعته السبب الرئيسى فى هذه الكارثه لعدم إستماعهم للنصح الذى بذله لهم الامبراطور ، ونلاحظ أيضاً أن مؤرخى هذه الفترة بما فيهم آنا والمؤرخ المجهول والبرت أوف دكس اتفقوا جميعاً على عدم سير هذه الجماعات الصليبية فى نظام وسلوكهم المسلك المشين فى آسيا الصغرى واستعجالهم وعدم استماعهم لنصح الامبراطور وعدم تقصير الإمبراطور الكسيوس، فعندما علم بالمذبحة أرسل سفناً وقواتاً لإنقاذهم.

ويعلق رنسيمان على ما حدث للجموع الصليبية قائلا " بأنها علمت الناس أن الايمان وحده لن يفتح الطريق إلى بيت المقدس إذا تجردوا من الحكم والنظام" (٢٤).

وهكذا فشلت تلك الحملات الشعبية وتلقت ضربة شديدة على يد الأتراك السلاجقة وتركت صورة سيئة فى أذهان المسيحيين الإغريق فى آسيا الصغرى الذين لقوا على أيديهم المهانة والسرقة والقتل ، وقد انتظر من تبقى من هذه الحملات الشعبية فى العاصمة وضواحيها حتى تصل الحملات المعروفة بالنظامية أو حملات الأمراء .

خاصة إذا علمنا أن تاريخ تأليف الكتاب كان بعد حوالي خمسين عاماً من انتهاء الحملة ويبدو أن الأمر ألتبس علي آنا كومنين.

(22) Gesta Fruncorum ., p . 5 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٢ .

(23) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 284-289 .

(24) Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 p . 133 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٠٦.

كانت الجيوش النظامية متأهبة للرحيل الى الارض المقدسة بقيادة النبلاء وكبار الساده الإقطاعيين والفرسان من مناطق متفرقة من أوربا . وفى أواخر صيف سنة ١٠٩٦ استقبلت القسطنطينية زعماء الحملة الصليبية الاولى فى نوفمبر سنة ١٠٩٦ حيث وصل جيش صليبى بقيادة هيوكونت فرماندو Hugh Count of Vermandois شقيق فيليب الأول ملك فرنسا ، وكان هذا الجيش أول الجيوش الصليبية وصولاً إلى الأراضى البيزنطية [٢٥].

وتلى جيش هيو فى الوصول الى القسطنطينية جيش بقيادة جودفرى دى بويون Godfrey of Bouillon دوق اللورين ، حيث وصل فى ديسمبر سنة ١٠٩٦ ومعه أخواه بلدوين وإيوستاس Eustace[٢٦] كما وصل إلى القسطنطينية فى ابريل سنة ١٠٩٧ جيش النورمان بقيادة بوهيموند النورمانى أمير تارنتو Taranto وابن روبرت جويسكارد [٢٧].

ووصل أيضاً الى القسطنطينية فى ابريل سنة ١٠٩٧ جيش بقيادة ريموند الرابع كونت تولوز وبروفانس بجنوب فرنسا Raymond IV of Toulouse والمعروف بالصنجيلى – نسبة إلى مقاطعة سان جيل Saint Gilles–وهو أول أمير نورمانى أعلن انضمامه إلى الحركة الصليبية وكان بصحبته أدهيمار أسقف لى بوى والمندوب البابوبى القائد الروحى للحملة [٢٨].

ولقد وصلت أيضاً إلى القسطنطينية فى أوائل مايو سنة١٠٩٧ جيوش روبرت كونت نورماندى، وستيفن كونت بلوا وشارتر وروبرت الثانى كونت فلاندرز [٢٩].

---

(25) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 315 . ; **Runciman : op . cit .,** vol . 1 p . 145 . ; **Loewe : op . cit .,** vol . IV , p . 316 . ; **Rice (T.T) :** Byzantium . , p . 95 . ; **Mango :** op . cit ., p . 107 . ; **Ahrweiler (Helene) :** Byzance et la Mer . , p . 190 .

(26) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 319-320 . ; **William of tyre : op . cit .,** vol . 1 pp . 116-117 . ; **Doggan (Alfred) :** The story of the crusades . (London , 1963) ., p . 32 . ; **Runciman :** op . cit ., vol . 1 pp . 145 -147 . ; **Mayer (H.E)** : The crusades . Translated by John Gillingham . (Oxford , 1988) ., 45 . ; **Painter (Sidney) :** A Hist. of The Middle Ages 284-1500 (New York, 1954) . p . 204 .

(27) **Gesta Fruncorum ., p . 10 .**

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٢٤ .

Runciman : op . cit ., vol . 1 pp . 156-157 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٤٠ .

(28) **William of tyre :** op . cit ., vol . 1 pp . 139-141 . ; **Runciman :** op . cit ., vol . 1 pp . 159-163 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٤٣–٢٤٧ .

(29) **William of tyre :** op . cit ., vol . 1 pp . 148-149 . ; **Runciman** : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton . op . cit ., vol . 1 , p . 288 .

ولقد دخلت هذه الجيوش الصليبية الأراضي البيزنطية مـن ثلاثـة اتجاهـات مختلفة ، فالأول كان طريق الحجاج عبر المجر ،والثاني عن طريق شمال أيطاليا ودالماشيا ، أما الثالث فكان طريق البحـر من جنوب إيطاليا إلى ساحل اليونان (٣٠) وعلى الرغم من أن مجيء الصليبيين إلى أراضي الدولة البيزنطية قد قلب خطط الامبراطور الكسيوس كومنين ومشاريعه رأساً على عقب كما كان تهديدا إيجابيا لدولته ، إلا أننا نـراه يعمل على الاستفادة بهم لخدمة مصالحة ومصالح بلاده (٣١). والحقيقة أن الطريقة التي سلكها الامبراطور في تعاملـه مع الموقف الجديد كشفت بوضوح عن ذكائه السياسي وشجاعته .

ولما كان الأمراء الصليبيون أتوا منفصلين ، فقد قرر ألكسيوس أن يتعامل مع كل أمير صليبي على حدة قبل أن تواتيهم الفرصة للتجمع وتوحيد صفوفهم(٣٢) . وبمهارة فائقة تمكن الكسيوس مـن إقناع القـواد بأداء يمين التبعية والـولاء لـه بعد مشاحنات ومنازعات قاسية ، فوعـدوه بإعادة جميع الأراضي والمدن التي يقومـون بغزوها في طريقهم إلى بلاد الشام إلى الامبراطورية – والتي كانت فيما قبل تابعة للامبراطورية– وتعهد الامبراطور من جانبه بتقديم المساعدات لهم (٣٣).

ومما يجدر ذكره أن الامبراطور نجح في التعامل مع بوهيموند عدوه وابـن عدوه اللدود جويسكارد النورماني ، وإن صرح لأحد قواد الحملـة الصليبية الأولى– ريموند الصنجيلي –بتخوفه وعـدم الثقه لانـه ورث الغدر وعدم الوفاء بالعهود عن اجداده ،وطلب منه أن يراقب أفعاله ،وقد قوبـل طلب الكسيوس لدى سـانجيل بالقبول وأعلن هو الآخر عدم ثقته في بوهيموند وأنه سوف يفعل ما يراه مناسب(٣٤).

بـارحت الجيـوش الصليبيـة النظاميـة القسـطنطينية وعـبرت مضيـق البسـفور متوجهة إلى آسيا الصغرى ،ولا شـك أن هـدف الإمبراطوريـة البيزنطيـة الأول هـو القضاء على الاتراك السلاجقة في آسيا الصغرى باستعادة الأراضي التي فقدتها ،ولكن المدهش في الأمر أن الامبراطور الكسيوس كومنين رفض عرضا مـن قـادة الحملـة بأن يكون قـائداً عاماً لهذه الجيـوش واعتذر مدعيا أن مشاغل الامبراطوريـة تحـول دون قبوله هذا الشرف العظيم . وتذكـر المؤرخـة آنـا كومنين أن والدهـا كـان يرغـب

باركر : الحروب الصليبية ، ص ٢٧ .؛ حسن حبشي : الحروب الصليبية الأولي ، ص ٦٨ .

(30) Brooke (Z.N) : op . cit ., p . 240 .
(31) Ostrogorsky : op . cit ., p . 322 .
(32) Brooke (Z.N) : op . cit ., p . 241 .
(33) Hulm : op . cit ., p . 476 . ; Robinson : op . cit ., p . 615 . ; Brooke (Z.N) : op . cit ., p . 241 . ; Mango : op . cit ., p . 107 . ; Ostrogorsky : op . cit ., p . 322 .
(34) Anna comnena : The Alexiad ., p . 330 . ; Lamb (Harold) : The crusades (London , without date) ., p . 104 .

فى المشاركة فى الحملة وفى قتال الترك لكن كثرة أعداد هذه الجيوش قد أخافته[35] . ويبدو أن الامبراطور الكسيوس تخوف من حدوث خلاف مع اللاتين أثناء تحركاتهم فيتعكس ذلك على الجيش البيزنطى الذى لو تحرك معهم فإنه بالضرورة سوف يصبح فى المرتبة الثانية بالنسبة للجيوش الصليبية من ناحية العدد والقوة .

وكان أن وعد الكسيوس بتقديم المعونة العسكرية براً وبحراً مع احتمال أن يقوم بنفسه بقيادة الجيوش البيزنطية المتعاونة مع الجيوش الصليبية . كما تعهد الامبراطور بتزويدهم بالمؤن والاطعمة وتعويض الفرنجة عن كل الخسائر التى تلحق بهم وتأمين مرور الحجاج والمسافرين [36] . واكتفى الامبراطور الكسيوس بإنفاذ كتيبة عددها ألفان من القوات البيزنطية بقيادة تاتيكيوس Taticius للمشاركة مع القوات الصليبية [37].

وفى السادس من مايو سنة ١٠٩٧ وصلت بعض الجيوش الصليبية إلى مشارف مدينة نيقية (أزنيق الحالية) عاصمة سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى وإحدى مدن إقليم بيثينيا ، وكانت مدينة نيقية مقر قلج أرسلان سلطان سلاجقة الروم ، ولقد تحدثت المصادر التاريخية بما اشتهرت به هذه المدينة من حيث مناعتها وحصانتها حيث اشتهرت بتحصيناتها الطبيعية التى تتكون من بحيرة كبيرة تصل إلى أسوارها وخندق مليء بالماء المتدفق من الجداول فى جانبها الغربى ليسد المدخل من ثلاث جهات ، وقد أحيطت نيقية بأسوار عالية جدا حتي أن المدينة لم تكن تخش هجوم الأعداء ولا قوة أية آله ، وكانت نيقية مصدر قلق كبير لبيزنطة لقربها من القسطنطينية ، كما تتمتع تلك المدينة بأهمية خاصة فى التاريخ المسيحى ، وكانت من أهم المدن البيزنطية فى آسيا الصغرى قبل وقوعها فى يد السلاجقة منذ حوالى ستة عشر عاما تقريبا ولهذا تم تحديد نيقية لتكون الهدف الأول للجيوش الصليبية ،وكانت ضرورة أمن الصليبيين الحربي تتطلب السيطرة على قونية إذ لو ظلت نيقية بيد السلاجقة فسوف تكون البقعة التى تهدد مواصلاتهم وامداداتهم الحربية عند مضيهم فى جوف آسيا الصغرى[38] والحقيقية أن المطلع على خريطة

---

(35) Anna comnena : The Alexiad ., p . 330 .

(36) عبد الغني محمود عبد العاطي : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) ص ٢٩٣ . ؛ إسحاق عبيد : المرجع السابق ، ص ١٠٤ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢٧ .

(37) Anna comnena : The Alexiad ., p . 336 .

حسن حبشي : الحروب الصليبية الأولي ، ص ٨٥ .

(38) William of tyre : op . cit ., vol . 1 p . 152 .

آسيا الصغرى يجد ويتبين عند قراءاتها ان نيقية كانت خط الهجوم الاول على القوات الصليبية والبيزنطية .

جرى اختيار الوقت المناسب للهجوم على العاصمة ، إذ أن السلطان السلجوقي قلج أرسلان كان بعيدا عن العاصمة ومشغولاً بنزاعه مع أمراء بني دانشمند من أجل السياده على مدينة ملطية (٣٩) . كما أنه لم يهتم كثيراً بأنباء الغزو الصليبي ، ولم يدرك ما يتهدده من خطر من جهة الغرب فما أحرزه من انتصار على جموع بطرس الناسك في سهولة ويسر حمله على احتقار الصليبيين . ولعل حرص جواسيسه وعيونه في القسطنطينية على إرضاء سيدهم جعلهم يبالغون في أنباء النزاع بين الامبراطور والأمراء الغربيين ، ولاعتقاده أن الحملة لن تتوغل مطلقا حتى تصل نيقيه فترك داخل الاسوار زوجته وأمواله وأولاده (٤٠).

غير أن السلطان قلج أرسلان عندما علم أن مدينته تعاني أهوال الحصار ، أرسل إثنين من اتباعه ليدخل الطمأنينة في قلوب الحامية التركية المرابطة في نيقية ويشجعهم على الاستمرار في الصمود ، وقد أرسلهما في قارب يعبر بهما البحيرة وبعث معهما عبارات التشجيع التي جاء فيها " أن قدوم هؤلاء المتبربرين الذين يظنون أنفسهم قادرين على فرض الحصار على مدينتنا لا ينبغي أن يسبب لكم خوفا لأنني مرابط إلى جواركم بقوة ضخمة من الرجال الأشداء ، كما أنني في انتظار اعداد اخرى قادمه بعدهم ، وحين يتم شمل هذه القوات في جمع واحد، فسوف تفاجيء معسكرهم بالهجوم فاذا هاجمناهم نحن من الخارج فهبوا أنتم من ناحيتكم لمساعدتنا وكونوا مستعدين لفتح الأبواب وانهضوا متحدين لا يشغلكم شاغل سوى

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ١٩٩-٢٠١ ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١٠٧ ؛ ريموندا جيل : تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس . ترجمة / محمد حسن محمد عطية ، (الإسكندرية ١٩٨٩) ، ص ٧٧ .

Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 pp . 175-177 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٦٣-٢٦٤ .

Maalouf (A) : The crusades through Arab eyes (London , 1984) p . 5 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis ler comnene ., p . 188 .

(39) **Matthieu d'Edesse** : Extraits de la chronique de Matthieu d'Edesse in (R.H.C.D.Arm)., pp . 214-215 ,211-212 . ; **Michel le Syrien** : Extrait de la chronique de Michel le Syrien , patriarchd . Antioche (1166-1199) editee etitee et traduite en francais par J.B chabot ., p . 187 . ; **Runciman** ; op . cit ., vol . 1 p . 177 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

Maalouf : op . cit ., pp . 10-11 .

(40) **Runciman** : op . cit ., vol . 1 p . 177 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٦٤ .

مهاجمتهم ولا ترهبنكم كثرة عددهم إذ ليس عندهم من العدد والعدة ما يكافيء ما عندنا لأنهم جاءوا من أقصى بلاد الغرب فأعياهم طول السفر " ، إلا أن أحد هذين الرسولين قتل على ايدى الصليبيين ووقع الآخر في الأسر ، و اعترف لهم تحت التهديد والتخويف بما يعرفه [٤١].

وعلى أية حال ، فقد حاصر الصليبيون مدينة نيقية في ٣ يونيه سنة ١٠٩٧ / وكان الامبراطور الكسيوس كومنين يترقب الاحداث من عاصمته ، ويرسل إليهم الامدادات تباعاً عن طريق البحر [٤٢].

ثم غادر الامبراطور الكسيوس القسطنطينية وعبر الساحل الأسيوى وعسكر في بليكانيوم Pelecanum استعداداً لتسلم نيقية من الصليبيين فور سقوطها طبقا للاتفاقية المعقودة بينه وبين الصليبيين وكان الامبراطور يخشى أن تتعرض المدينة للسلب والنهب من قبل الصليبيين بعد سقوطها في أيديهم [٤٣].

ورغم أن الترك الذين كانوا في مدينة نيقية بعثوا برسالة إلى قلج أرسلان يستنجدونه لإنقاذ المدينة وختموها بقولهم : " أقدموا غير هيابين ،واقتربوا آمنين وادخلوها من الباب القبلى لأنكم لن تجدوا في هذه الناحية أحداً ما يعترض سبيلكم أو يقف في طريقكم [٤٤] ،إلا أن النجدة من الجانب السلجوقى تأخرت في الوصول إلى نيقية مما دفع رجال الحامية السلجوقية إلى الدخول فيمفاوضات مع القائد البيزنطى مانويل بوتوميتس بشأن تسليم المدينة للامبراطور ، إلا أن هذه المفاوضات انتهت بالفشل لما تردد عن اقتراب وصول النجده من السلطان السلجوقي ، وتجدد الأمل من جديد في عدم سقوط المدينة [٤٥].

وفي حوالى ٢١ مايو سنة ١٠٩٧ قدم السلطان قلج أرسلان بجيشه من جهة الجنوب محاولا بذلك أن يشق له طريقا ينفذ منه إلى المدينة وكان الصليبيون يحاصرون هذا القطاع من المدينة تحت قيادة ريموند كونت تولوز ، وأسرع قلج

---

(41) William of tyre : op . cit ., p . 155 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ٢٠٢ .

(٤٢) فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١٠٩ .

(43) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp 330-331 . ; **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 52 . ; **Lile (R.J)** : Die schlacht von Myriokephalon (1176) Auswirkungen auf das Byzantinische Reich imausgehenden 12 Jahrhundert Revve des Etudes Byzantines . ome 35 . pp 257-275 . Institut Francais D'Etudes Byzantines . (Paris , 1977) p . 28 .

(44) **Gesta Fruncorum** ., p . 14 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٤ .

(45) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 334 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 1 p . 178

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٦٧ .

أرسلان فشن غارة شعواء على رجال الكونت الذين صمدوا للهجوم وشتتوا شمل الصف الأول من عسكر الترك الذين فروا هاربين (٤٦).

بيد أن ظهور قلج أرسلان على رأس إمدادات قوية أحيا عزيمة عسكره فعادوا الى ساحة القتال بعد أن كان قد انفرط عقد نظامهم ، ولم يكن بوسع كل من كونت فلاندر أويوهموند أن يخاطر بتخليه عن القطاع الذى يحاصره من المدينة، غير أنهما نهضا لمساعدة ريمون بعد أن لاحظا أن الارهاق قد بلغ من رجال كونت تولوز مبلغا جاوز الحد بسبب جيش الأتراك الكاسح ، ودارت رحى القتال ولم يستطع الترك أن يشقوا لهم طريقا إلى العاصمة وتعرض الجيش لخسائر فادحة في الارواح وأحرزت القوات الصليبية النصر على الاتراك (٤٧) . وقد زاد هذا الانتصار من اعتدادهم بأنفسهم وكان من دواعي سرور الصليبيين أنهم عثروا بين القتلى على الحبال التى أحضرها معهم الترك لكى يسحبوهم مصفدين إلى خراسان ، ورغبة في بث الذعر بين سكان المدينة قام الصليبيون باجتزاز رؤوس القتلى الاتراك وقذفوا بها من فوق الاسوار إلي المدينة (٤٨) . وكان لذلك كله دور كبير في اضعاف الروح المعنوية للحامية المحاصرة داخل المدينة .

كما بعث الصليبيون الى الامبراطور ألفا من هذه الرؤوس وطائفه من الأسرى هدية ، فكان لذلك وقع طيب في نفسه ، وقام الكسيوس بمكافأة زعماء الجيوش بمبالغ مالية طائله وأرسل إليهم المواد الضرورية من غير إبقاء عليهم (٤٩).

وكان أن أدرك السلطان قلج أرسلان أنه من الحكمة أن يرتد عبر الجبال تاركا المدينة تواجه مصيرها المحتوم بعد أن أدرك أن قوة الصليبيين أكبر مما كان

---

(46) William of tyre : op . cit ., p . 156 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ٢٠٤ .

Gesta Fruncorum ., p . 14 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٤ . ؛ ريموندداجيل : المصدر السابق ، ص ٧٧ .

(47) William of tyre : op . cit ., p . 156 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

Anna comnena : The Alexiad ., p . 334 . ; Matthieu d'Edesse : op . cit ., p . 215 . ; Albert d'Aix : op . cit ., pp 220-221 .

(48) Gesta Fruncorum ., pp . 14-15 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٤-٣٥ .

Albert d'Aix : op . cit ., p . 221 . ; Runciman : A history of the crusades ., vol . 1 pp . 179-180 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٦٨ .

(49) William of tyre : op . cit ., I , p . 157 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ٢٠٥ .

يتوقع ، وأخبر الحامية أن تقوم بعمل ما تراه مناسباً إذ ليس في وسعه أن يمد لهم يد المساعدة (٥٠).

وبدأ الصليبيون إحكام الحصار على المدينة من كل جوانبها وذلك بوضع القواد في أماكن استراتيجية راحوا يصبون منها وابلا من النيران على الأهالي عسى أن يحملونهم على الاستسلام دون مشقه وكان الصليبيون قد قسموا منطقة السور إلى أقسام متساوية وعهدوا بكل قسم منها الى فريق معين من الزعماء (٥١).

وراح القاده الصليبيون يحاولون بكل مافي وسعهم نصب آلاتهم على الاسوار عسى أن يتمكنوا من شق طريق لأنفسهم يقتحمون منه المدينة حتى انهم نصبوا آله صنعت من جذوع البلوط وجهزت على أن تسع في جوفها عشرين من الفرسان عهد إليهم بتقويض السور ، ولكن حين أسندت هذه الآله إلى الجدار اشتد الأهالي في رميها بالقذائف الحجرية فتناثرت أجزاؤها وهلك جميع من كان بداخلها (٥٢).

والحقيقة أن الامبراطور الكسيوس كان يعرف قوة ومناعه تحصينات نيقية، وأن الصليبيين لن يستطيعوا إسقاطها بسهولة حتى لو كانت قواتهم تفوق قوات الحامية التركية بكثير ، لذا بادر بإرسال العديد من آلات الحصار غير التقليدية(٥٣).

كانت هناك محاولات من قبل ريموند كونت صنجيل وأدهيمر أسقف بوى لنقب أحد الابراج الواقعة إلى الجنوب واتفق الرأى على انفاذ فريق من الرجال يحميهم من حاملوا الاقواس ورماة النشاب،وقد تمكنوا من هدم الجدار واشعلوا النيران،غير أن ما أحدثوه في الجدار أصلحه المحاصرون ليلاً (٥٤).

وعلى الرغم من شدة الحصار فقد صمدت المدينة . وتبين للصليبيين أن الحصار لم يكن تاما حيث كانت الحامية السلجوقية تتصل بالعالم الخارجي عن

---

(50) Anna comnena : The Alexiad ., p . 334 .
(51) William of tyre : op . cit ., I , p . 158 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ٢٠٥ .

Gesta Fruncorum ., p . 15 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٥ .

(52) William of tyre : op . cit ., I , p . 159 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ٢٠٨ .

(53) Anna comnena : The Alexiad ., p . 336 .
(54) Gesta Fruncorum ., p . 16 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٥ .

Albert d'Aix : op . cit ., pp . 322-323 .

ريموندا جيل : المصدر السابق ، ص ٧٨ .

Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 180 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٦٩ .

طريق البحيرة التي في الجنوب وكانت منفذا لتلقي المؤن وغير ذلك .وبعد أن إجتمع القادة أرسلوا إلى الامبراطور وطلبوا منه المساعدة بإرسال سفن من ميناء كيفيتوت لإغلاق البحيرة في وجه السلاجقة ، واستجاب الامبراطور على الفور وأرسل عددا كبيرا من القوارب تم سحبها بطريق البر (٥٥) . كما أرسل الامبراطور الكسيوس قوات بيزنطية بقيادة تاتيكيوس وتزتياس Tzitas لمساندة الصليبيين وليكون لها السبق في السيطرة على المدينة عند سقوطها (٥٦).

استمر حصار المدينة وأورد وليم الصوري محاولات من جانب الصليبيين لهدم أسوار المدينة والتي انتهت بنجاحهم في هدم أحد الأبراج مما أحدث فزعا كبير لدى الحامية التركية (٥٧).

وبعد أن سيطرت القوات البيزنطية الصليبية على البحيرة تأكد للحامية التركية أمر سقوط نيقية ،وأيقن الترك أنهم لن يستطيعوا تلقي أية نجده من جيوشهم فبعثوا إلى الامبراطور سفارة تحمل اليه استعدادهم تسليمه المدينة إذا سمح لهم بالعودة بنسائهم وأطفالهم وجميع ما يملكون (٥٨).

وأجرت الحامية إتصالاً بالقائد البيزنطي بوتوميتس ودارت مناقشات وتم الاتفاق معه على كيفية تسليم المدينة ، وأرسل بوتوميتس إلى زميله تاتيكيوس الذي لعب دورا كبيرا في المفاوضات ونجح في إقناع الحامية بضرورة تسليم هذه المدينة إلى الامبراطور حيث شككهم في كل أمان يقطعه لهم الصليبيون الذين كانوا يجهلون ما يدور في الخفاء ،وساق العديد من الحجج التي حملت الأهالي على الموافقة بالاستسلام ،وفي اليوم التالي عندما احتشد الفرنجة للهجوم على المدينة فوجئوا بالأعلام والرايات البيزنطية ترفرف فوق أسوارها ،وهكذا سقطت نيقية في أيدي البيزنطيين (٥٩) وكيفما كان الأمر فقد أعيدت نيقية إلى الامبراطورية البيزنطية

---

(55) Gesta Fruncorum ., p . 16 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٦ . ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١١٠ .

William of tyre : op . cit .,vol . I , p . 160 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٠٩ .

Anna comnena : The Alexiad ., p . 330 .

(56) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 336-337 .

(57) William of tyre : op . cit .,vol . I , pp . 161-165 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢١١-٢١٦ .

(58) Gesta Fruncorum ., p . 17 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٧ . ؛ حسن حبشي : المرجع السابق ، ص ٨٧ .

(59) William of tyre : op . cit ., p . 165-166 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢١٧-٢١٨ .

Anna comnena : The Alexiad ., pp . 337-338 .; Anonymous Syriaac Chronicle : The first and second crusades . translated by A.S Triton with notes by

في ٢٦ يونيو سنة ١٠٩٧ بعد أن استمرت تحت حكم السلاحقة ستة عشر عاما وأصبح بوسع القسطنطينية أن تتنفس بحرية بعد جلاء التركمان عن هذا المعقل الامامي الحصين (٦٠).

ولقد سقطت نيقية بعد حصار دام ثمانية أسابيع (٦١) ولم يخف الصليبيون استياءهم من وقوع نيقية في أيدى البيزنطيين ، وكاد الأمر يصل الى نزاع بين الصليبيين والامبراطور ، فالصليبيون كانوا يأملون دخول المدينة والاستيلاء على ثرواتها ونهب كنوزها وسبي سكانها ، وبدلاً من ذلك لم يسمح للصليبين بدخول المدينة الا من جماعات قليلة العدد لا تزيد في كل مرة عن عشرة أشخاص بدون سلاح ، وخضعت لمراقبة شديدة من قبل جند الإمبراطور ، ورأوا الترك ينقلون مع أمتعتهم إلى القسطنطينية تحت الحراسة وشعر الصليبيون بأنهم خدعوا كما ذكرت آنا كومنين صراحة أن البيزنطيين خدعوا الصليبيين (٦٢).

ومما زاد من كراهية الصليبيين للامبراطور أنه تعهد لهم أن يسلمهم كل ما في نيقية من ذهب وفضة وخيول وامتعه موجودة داخل المدينة،وإنه سوف يقيم ديراً للاتين وملجأ للفقراء من الفرنجة ، وأنه سوف يعطيهم بسخاء يجعل كل جندى منهم يود أن يخدم الامبراطور مدى الحياه ، ووثق الفرنجة في هذه الكلمات وفرحوا لإستعادة نيقية ، ولكن ما إن أصبحت نيقية في أيدى الكسيوس حتى تصرف مع الجيش الصليبي بجحود حتى أن " الناس سيسبونه ويصمونه بالخيانه طالما كان حياً " (٦٣).

H.A.R . GIBB . in the journal of the Royal Asiatic Society . (London , 1933) p . 70 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 1 p . 181 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ .

Loewe : op . cit ., p . 315 . ; **Maalouf** : op . cit ., p . 13 . ; **Charles (M.B)** : Crusades in the Oxford Dictionary of Byzantium . Vol .1 ., pp . 558-559 .

حسن حبشي : المرجع السابق ، ص ٨٨ . ؛ ديورانت (ول) : قصة الحضارة ، ، جـ ٤ ، ص ٢٢،٤ . ؛ يشير بن القلانسي : أن الأفرنج هم الذين فتحوا نيقية وهو أول مكان يفتحوه . انظر : ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

(٦٠) جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٢٣٢ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٢٩ .

Atil : op . cit ., p . 21 .

(61) Lilie : op . cit ., p . 28 .

(62) Anna comnena : The Alexiad ., p . 340 . ; **William of tyre** : op . cit ., p . 167-168 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٠ . ؛ رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ .

Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 181 .

(٦٣) ريموند اجيل : المصدر السابق ، ص ٧٨ . ؛ جوزيف نسيم : المرجع السابق ، ص ٢٢٩ .

وقد خفف من حدة هذه الكراهية إلى حد ما ، ما إشتهر بـه الامبراطور من السخاء ، حيث أراد الامبراطور أن يرضى حلفاءه الصليبيين وبادر باصدار الأوامر بتوزيع الهبات والصدقات والأطعمه على الفقراء (٦٤).

ثم دعا الامبراطور القادة الصليبيين إلى بليكانوم للاحتفال بالنصر وبذل لهم كميات ضخمه من الذهب والجواهر ، ثم طلب الامبراطور من القاده والفرسان الذين لم يقسموا له يمين الولاء أن يؤدوه فاستجابوا (٦٥).

وكان من بين الأسرى زوجة قلج أرسلان (وهي ابنه الامير تزاخاس "جكا") مع أبنها وجرى استقبالها بحفاوة في القسطنطينية ، وعاملهما الامبراطور معاملة طيبة وبالغ في الإحسان إليهم وإكرامهم (٦٦) . وكان لابد أن تبقى فى القسطنطينية حتى تصلها رسالة من زوجها عن الموضع الذى تلحقه به وتقرر انفاذها مع ابنها الى السلطان دون دفع الفدية (٦٧).

والمعروف أن الامبراطور الكسيوس اشتهر بالرأفه والأمان ، كما أنه من واقع تجاربه السابقة ومن تعاملاته مع المسلمين يدرك أهمية العفوعند المقدرة ويقدر قيمة ما يبديه من تسامح ومروءة مع العدو المغلوب ، ولكن الصليبيين اعتبروا أنه يتصرف بوجهين مختلفين وأنه خائن ، فقيام الامبراطور بالاحسان إلى الاسرى قد فسره المؤرخ المجهول بسوء نية الكسيوس نحو الصليبيين وأنه لم يفعل ذلك إلا لكي يكونوا على أتم استعداد لنصب الكمائن للفرنجة ووضع العقبات فى سبيلهم (٦٨) . ويرى البعض الأخر أن الدافع وراء ذلك هو ما كان يراوده من الأمل فى كسب مودة الترك (٦٩).

---

(64) Gesta Fruncorum ., p . 18 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٨ . ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١١١.

Runciman : The first crusade constantinople to Antioch in setton . op . cit., vol . 1 , p . 291 .

(65) Anna comnena : The Alexiad ., pp 340-341 .

فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١١١.

Grousset : Histoire des croisades et du Royaume France du Jerusalem ., pp . 30-31 . ; Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 p . 181 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٧٣ . ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٢٩.

(66) William of tyre : op . cit ., pp .168-169 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢١ .

(67) Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 p . 182 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٤٧ .

Runciman : The first crusade constantinople to Antioch in setton . op . cit, vol . 1 , p . 291 . ; Rice : op . cit ., p . 53 .

(68) Gesta Fruncorum ., p . 17 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٧ .

(69) William of tyre : op . cit ., pp .168-169 .

وهناك بعض المصادر التي أشارت الى أن الامبراطور الكسيوس كومنين قام بتحذير الترك في نيقية وجيرانها من الهجوم عليهم وقتلهم (٧٠) . كما يرى أحد المؤرخين المحدثين أن الامبراطور الكسيوس كان يرغب في تفادي التورط في حرب مع المسلمين وعمل جاهداً على ألا تشتعل نار التعصب أو احياء حركة الجهاد عند المسلمين (٧١).

والواقع أن الامبراطور الكسيوس كان دائما ما يرتاب في نوايا حلفائه الصليبيين ، وكان يتوقع اخلالهم بعهودهم هذا بالإضافة الى ان السلطان قلج أرسلان كان بالأمس القريب الحليف للإمبراطور الكسيوس (٧٢).

وعلى الرغم مما أصاب الصليبيين من خيبة أمل في أنهم لم يستولوا على مدينة نيقية ، ولم يسهموا في الحصول على ثرواتها ، فان تحرير نيقية ملأهم غبطة وسروراً وأملا في المستقبل ، إذ جرى انفاذ الرسائل الى الغرب الأوربي تعلن أن هذا الموضع المبجل عاد مسيحيا مرة أخرى وتلقى الناس الخبر بحماس شديد ،وأثبتت الحملة الصليبية النظامية أنها أحرزت نجاحا باهراً ، فكثر قدوم العساكر وأخذت المدن الإيطالية التي ظلت حتى ذلك الحين شديدة الحذر وبالغة الميل الى التمهل في بذل ما وعدت به من مساعدة تزداد اهتماما بالحركة الصليبية (٧٣).

وقد مكن سقوط نيقية على أيدى الصليبيين سنة ١٠٩٧ من إعادة غزو مساحة عظيمة من ساحل الاناضول (آسيا الصغرى) وسيمرنا وافسوس (٧٤) ، كما أدى سقوط نيقية إلى ارتفاع الروح المعنوية لدى الصليبيين وشجعهم على المضى قدما في مواصلة زحفهم في آسيا الصغرى عبر طرقها المختلفة (٧٥) وبدأت القوات المشتركة تغادر نيقية في ٢٦ يونية سنة ١٠٩٧ في طريقها الى بلاد الشام ، وقاموا بتقسيم قواتهم إلى قسمين ضم القسم الاول النورمان : نورمان ايطاليا بزعامة بوهيموند وتانكرد ، ونورمان فرنسا واتجه القسم الاول ناحية شمال شرق آسيا الصغرى ، والقسم الثاني ويضم المندوب البابوى أدهيمر ومعه من الامراء جودفرى

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢١ .

(70) Anonymous Syriaac Chronicle : op . cit ., p . 70 .

(71) Lamb : op . cit ., p . 110 .

(72) Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 85 .

(73) Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 p . 183 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٧٥ . ؛ سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ١٣٠ .

(74) Diehl (Charles) : Histoire de l'empire Byzantin (Paris , 1920) ., p . 147 .

(٧٥) عن الطرق المختلفة التي تجتاز آسيا الصغري . انظر :

Ramsay (W.M) : The Historical geography of Asia Minor , pp . 74-82 .

بوايون وريموند الصنجيلي اتجه ناحية الجنوب الشرقي على أن يكون اللقاء عند دوريليوم (٧٦).

وفي الوقت الذي سقطت فيه نيقية في أيدي البيزنطيين والصليبيين وفشل قلج أرسلان في انقاذها ، اضطر إلي الانسحاب إلي الجنوب الشرقي ليحشد جيوشه من جديد ، حيث عقد صلحاً مع الأمير الدانشمندي وأقنعه بتكوين جبهة إسلامية واحدة لمواجهة هذا الخطر الصليبي وسد الطريق في وجه الصليبيين ،وتم حشد جيش إسلامي تحت قيادة قلج أرسلان والامير الدانشمندي والامير حسن أمير التركمان النازلين في قبادوقية واجتمعوا في دوريليوم استعداد لمواجهة الصليبيين(٧٧).

وقد عسكر الجيش الصليبي بقيادة بوهيموند في سهل بالقرب من دوريليوم وعند شروق الشمس انقض عليهم الترك ،وهم يصرخون صرخات مدوية مرددين بأعلى أصواتهم " الله أكبر " فأمر بوهيموند فرسانه على الفور بأن يترجلوا وأخذ يشجع جنوده ويرفع من معنوياتهم قائلا : " أيها المبجلون ويا فرسان المسيح الاشاوس أمامكم معركة صعبة ،والعدو محدق بنا من كل جانب " وتم الاستعداد لخوض المعركة وتولت النساء نقل المياة إلي الخط الامامي (٧٨).

أخذ الجيش الاسلامي يطوق الجيش الصليبي من كل جانب ، وتراءى للصليبين أن عدد الترك لا حصر له ، والتحم الفريقان في قتال عنيف ، واستخدم الترك ما برعوا فيه من الخطط الحربية حيث رموا الصليبيين بالحراب ورشقوهم بالنبال .ولم يكن يسمع إلا صليل السلاح وهتافات العسكر الحماسية التي تعالت حتي خيل أنها تبلغ عنان السماء وسدت على الصليبيين مسالك الفرار ، ورجحت كفة الجيش الاسلامي عن كفة الجيش الصليبي الذي اخذت شوكته في الضعف(٧٩).

---

(76) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 327-328 . ; Gesta Fruncorum ., p . 18 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٨ .

William of tyre : op . cit ., pp .170-171 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٢ .

Anna comnena : The Alexiad ., p . 341 .

(77) Albert d'Aix : op . cit ., p . 329 . ; Anna comnena : The Alexiad ., p . 341 . ; Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 p . 184 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٧٨ . ؛ علي بن صالح المحميد : الداشمنديون وجاهدهم في بلاد الأناضول ، ص ١٦٩-١٧٠ .

(78) Gesta Fruncorum ., p . 19 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٩ .

(79) William of tyre : op . cit ., pp .173-175 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٣-٢٢٦ .

Gesta Fruncorum ., p . 19 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٩ . ؛ ريموندانجيل : المصدر السابق ، ص ٧٩ . ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١١٢ .

وأثناء القتال بعث بوهيموند رسولاً إلى القسم الثاني من الجيش الصليبي يطلب النجده على عجل للمشاركة في هذه المعركة (٨٠) ، فوصلت بقية الجيوش الصليبية إلى أرض المعركة بقيادة جودفرى دى بويون وهيو وكانت قواتهما أول القادمين ثم تلتها قوات أدهيمر أسقف لى بوى وكونت صنجيل (٨١).

أدى وصول هذه القوات إلى تغير دفة القتال وغير من مصير المعركة المقبلة وقلبها رأساً على عقب حيث تشجع الصليبيون وقويت روحهم المعنوية وشرع الجيش الصليبي الموحد في القيام بهجوم على الاتراك المسلمين، وانتصر الصليبيون على الاتراك في أول يوليو سنة ١٠٩٧ في دوريليوم وإضطر الترك إلى الإنسحاب وتركوا معسكرهم بما حواه من نفائس فاستولى عليها الصليبيون (٨٢) وعلى الرغم من الانتصار الساحق الذى أحرزه الصليبيون في هذه المعركة إلا أنهم فقدوا الكثير من رجالاتهم الاقوياء (٨٣).

والحقيقة أن وقع الهزيمة لم ينصب على الاتراك وحدهم بل على المسلمين قاطبة ، حتى أن المؤرخ ابن القلانسي علق على هذه المعركة قائلا "واشترى ملك الروم من السبى خلقاً كثيراً وحملهم إلى القسطنطينية وتواصلت الاخبار بهذه النوبه المستبشعة في حق الاسلام فعظم القلق وزاد الخوف والفرق" (٨٤).

---

(80) Gesta Fruncorum ., p . 20 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٩ . ؛ ريموندانجيل : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

(81) Gesta Fruncorum ., p . 20 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٣٩ .

William of tyre : op . cit ., p .175 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٦ . ؛ سعيد عبد الفتاح عاشور : المرجع السابق ، ص ١٣١ .

(82) William of tyre : op . cit ., pp .175-176 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٦-٢٢٧ . ؛ المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٠-٤١ . ؛ ريموندانجيل : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

Gesta Fruncorum ., p . 21 . ; Anna comnena : The Alexiad ., p . 342 .

فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ٧٩ .

William (B) & Litt (D) : op . cit ., p . 286 . ; Rice : op . cit ., p . 55 . ; Loewe : op . cit ., vol . IV , p 315 . ; Lilie : op . cit ., p . 29 . ; Lamb : op . cit ., pp . 114-120 . ; Rice (T.T) : Byzantium . op . cit ., p . 96 . ; Halt (P.M) : TheAge of the crusades ., p 169 .

(83) William of tyre : op . cit ., p .174 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٢٥ . ؛ المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤١.

Gesta Fruncorum ., p . 21 .

(٨٤) ابن القلانس : المصدر السابق ، ص ١٣٤ .

وتعتبر معركة دوريليوم [٨٥] من المعارك الهامة ، وينظر اليها المؤرخون باعتبارها من المعارك الفاصلة في التاريخ التي لا تقل في اهميتها عن معركة ملاذكرد التي جرت قبل ذلك بحوالي ربع قرن ١٠٧١ م (٤٦٣ هـ) ، ففيها تمكن الصليبيون من القضاء على قوة السلاجقة لفترة من الزمن ،وهي القوة التى كثيرا ما عجزت الجيوش البيزنطية عن وقفها ، كما أن النصر الذى أحرزه الصليبيون كان ذا أهمية خاصة بالنسبة لهم اذ فتح لهم الطريق الى الاراض المقدسة ،كما أوضحت هذه المعركة للصليبيين أن السلاجقة قوة لا يستهان بها إذا ما توحدت وليس أدل على تقدير الصليبيين لقوة السلاجقة ما قاله المؤرخ النورماني المجهول في حقهم حيث اعتبر الترك من أروع العناصر وأكثرها شجاعه وبساله، وتمنى لو كانوا مسيحيين وردد الاسطورة التى تجعل من الفرنج والترك أقارب باعتبارهما منحدرين من سلالة الطرواديين ، وهي أسطورة قامت على اشتراكهما معا في مناهضة اليونانيين ولا تستند على أساس عنصرى [٨٦].

لكن الشئ اللافت للنظر هو ألا نجد في كتابات المؤرخين المعاصرين من الفرنجة ما يشير إلى أى دور قام به البيزنطيون في هذه المعركة ، وأن دل هذا على شيء فأنما يدل على شدة كراهية المؤرخين – خاصة المؤرخ المجهول – للبيزنطيين والحرص على استئثار الصليبيين وحدهم بالنصر دون البيزنطيين .

أما بالنسبة لقلج أرسلان [٨٧] الذى فقد الكثير على يد الصليبيين فقد أدرك أنه لا جدوى من محاولة وقف زحف الصليبيين في ذلك الوقت ، وعندما التقى أثناء انسحابه بقوة عربية قوامها عشرة آلاف مقاتل كانت قادمة من بلاد الشام للاشتراك في

---

(٨٥) دوريليوم : تقع دوريليوم التي سميت المعركة باسمها علي بعد ميلين من الشمال الشرقي لمدينة اسكي شهر الحالية Eski-Shehir أما الموضع الدقيق للمعركة فلازال موضع خلاف بين المؤرخين حيث أشار ألبرت الآخي أن المعركة وقعت في وادي ديجورجا نهي Degorganhi الذي يعرف الآن باسم أوزيليس Ozellis بينما أشارت آنا كومنين أن هذه المعركة جرت في سهل دوريليوم ، واشار هجنماير أن المعركة دارت عند Boisuzak الحالية .انظر :

Albert d'Aix : op . cit ., p . 329 . Anna comnena : The Alexiad .,-p . 341 . ; Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 186 . ; Guerdan (Rene) : Byzantium . its triumphs and tragedy . translated by D.L.B Hartley with a preface by Charles Diehl . (New York , 1962) ., p 115 .

(86) Gesta Fruncorum ., p . 21 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤١-٤٢ .

Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 187 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٨١ . ؛ حسن حبشي : المرجع السابق ، ص ٩٣ .

(٨٧) من الملاحظ أن معظم المؤرخين الغربيين كانوا يطلقون علي قلج أرسلان اسم سليمان بن سليمان .

المعركة ولكنها وصلت متأخرة ، أوضح لهم ملابسات المعركة وأن ما لدى الصليبيين من جند وقوة يزيد كثيراً عما كانوا يتوقعونه ، وأنه ليس في وسعه أن يقاومهم ونصحهم بالرحيل فوراً قبل ان يعلم الصليبيون بوجودهم(٨٨).

وكيفما كان الأمر ، فإن انتصار الصليبيين في معركة دوريليوم على السلاجقة قد سمح للبيزنطيين بإعادة غزو الجزء الغربي للاناضول وإضعاف سلطنة قونية (٨٩)، إذ أن الصليبيين بعد أن استراحوا مدة في دوريليوم راحوا يدبرون خلالها خطة زحفهم ، وواصل الجيش الصليبي زحفه في ٣ يوليه ١٠٩٧ (شعبان ٤٩٠هـ) في جموع متصلة وذلك لكي يتجنبوا ما حدث في دوريليوم ، وأخذوا يشقون طريقهم صوب الجنوب الشرقي عبر هضبة الاناضول ،وفي تلك المرحلة صادف الصليبيون كثيرا من المتاعب ، حيث واجهوا عدواً جديدا تمثل في المناخ السيء وقسوة الطبيعة ،وساروا فريسة للخطرين الجسيمين : الظمأ وشدة قيظ يوليو ، فلم يصادفوا الماء إلا في المستنقعات المالحة بالصحراء ، ولم يجدوا من النبات إلا الشوك الذى كانوا يقتلعونه واتخذوه طعاما ، وتعرضت معظم الخيول إلى الهلاك واضطر عدد كبير من الفرسان إلى الترجل ، ودفعهم نقص المطايا إلى ركوب الثيران ، وتم جمع الكلاب والماعز لحمل الآمتعة (٩٠).

وقد حدث ذلك على الرغم من استعانة الصليبيين بالأدلاء البيزنطيين وذلك لخبرتهم بهذه النواحي ومعرفتهم بمسالكها وطرقها وشعابها وآبارها ، ولا شك أن البيزنطيين كانوا صادقين في ارشادهم للطرق الآمنه إلا أنهم قوبلوا بروح الكراهية والشك من قبل المؤرخين الصليبيين ونسوا ان البيزنطيين مثلهم لا حول لهم ولا قوة في طرق ومسالك كثيرا ما تعرضت لحروب طويلة بين المسلمين والبيزنطيين ، وما خلفته تلك الحروب من تغيير وهدم لمعالم الطرق .

وفي منتصف أغسطس سنة ١٠٩٧ بلغ الصليبيون قونية Iconium التي وقعت في يد السلاجقة منذ ثلاثة عشرعاما والتي اتخذها قلج أرسلان مركزا لتجمعاته

---

(88) Gesta Fruncorum ., p . 22 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٢-٤٣ .

Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 187 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٨١-٢٨٢ .

(89) Grabois (A) : The Illustrated Ency of Medieval Civilization ., p . 248 .

(90) Gesta Fruncorum ., p . 23 . ; William of tyre : op . cit ., vol . 1 pp . 188-189 . ; Dugan : op . cit ., pp . 43-44 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٣-٤٤ . ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ،ص ٢٢٩-٢٣٠ . ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ٢٨٣ . رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٨٣ .

بعد هزيمته فى نيقية ، وعندما دخل الصليبيون قونيه وجدوها مهجورة إذ هرب الترك الى الجبال بكل ما لديهم من منقولات وأمتعة ولم يوجد بالمدينة من يدافع عنها ، ووجدها الصليبيون فرصة للاستجمام حيث إنها كانت منطقة خصيبة زاخرة بشتى أنواع الحياه ،وأشار عليهم بعض الارمن المقيمون فى قونية ان يحملوا معهم كميات وفيرة من الماء قبل أن يقدموا على اجتياز الصحراء المقفرة بين قونيه وهرقلة (٩١).

واصل الصليبيون زحفهم حتى وصلوا هرقلة ،وعندها فوجىء الصليبيون بجيش من الترك بقيادة الامير حسن وأمير دانشمند ، ونشب قتال بين الفريقين . وكان بوهيموند يقود الصليبيين فى هذه المعركة ،وأبدى فيها شجاعة فائقه ، ولم يشأ الترك أن تكون هذه المعركة فاصلة بين الجانبين فاسرعوا بالانسحاب الى الشمال ،وتذكر الصليبيون هنا وصية الامبراطور الكسيوس كومنين فلم يقوموا بمطاردة الاتراك ، وسقطت هرقلة فى ايدى الصليبيين (٩٢).

وأشار المؤرخ المحدث رنسيمان الى أن الاميرين التركيين نظراً لحرصهما على أملاكهما فى قبادوقيا كانا يأملان من حضورهما إلى هرقلة أن يحملا الصليبيين على اجتياز جبال طوروس إلى ساحل البحر المتوسط وعدم سيرهما عبر الطريق المؤدى إلى أملاكهما فى قبادوقيا (٩٣) ، إلا أنهما لم يحققا ما ارادوه وكانت محاولة فاشلة قام بها الترك لصد الصليبيين ذوى الروح المعنوية المرتفعة لتوغلهم المستمر فى اعماق آسيا الصغرى .

وبعد سقوط مدينة هرقلة فى أيدى الصليبيين وبقائهم فيها بضعة أيام للراحة كان لابد وقتذاك من مناقشة الطريق الذى ينبغى اتخاذه حيث كان هناك طريقان: الطريق الاول يخترق جبال طوروس خلال الممر الكبير لبوابات قيليقية، والطريق الاخر يؤدى الى انطاكية عبر قيصرية ومرعش ، ولقد أوصى تاكيتوس نائب الامبراطور البيزنطي بالطريق الثاني لانه يجتاز بلاداً يحكمها مسيحيون ومزايا أخرى، وقبل بعض القاده مشورته ، ولقى الاعتراض من بعض القادة الآخرين الذين

---

(91) Gesta Fruncorum ., p. 23 . ; William of tyre : op . cit ., vol . 1 p . 181 . ; Loewe : op . cit ., p . 315 . Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 189 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٤ . ؛ وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ،ص ٢٨٤ . ؛ سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٣١ ؛ حسن حبشي : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(92) Anna comnena : The Alexiad ., p . 342 . ; Gesta Fruncorum ., p . 23 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٤ . ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

(93) Runciman : op . cit ., vol . 1 p . 189 .

رنسيمان : المرجع السابق، جـ ١ ، ص ٢٨٥ .

يحملون الكره للبيزنطيين ، لـذا فقد انفصل تنكرد وبلدوين واتجها صوب قيليقية وسلكا الطريق الذى يمر عبر جبال طوروس (٩٤).

أمـا بالنسـبة لبقيـة الجيـوش الصليبيـة وعلـى رأسـها المنـدوب البـابوى، وجودفرى، وبوهيموند ، وريموند ، فقد سلكوا طريقا ناحية الشمال الشرقى نحـو قيصرية ، وعند قلعة أوجو ستو بوليس Augustopolis (٩٥) اصطدموا بجيـش مـن الاتراك المسلمين يقودة الامير حسن أمـير التركمان فـى قبادوقيا فالحق الصليبيون بهم هزيمة أخرى (٩٦).

ثم تقدم الجيش الصليبي وأفضى به السير إلى أحد الحصون وتقرر تسليمه الى امير أرمني اسمه سيمون بناء على طلبه ،وكان معادياً للترك (٩٧).

ثم بلـغ الصليبيون مدينة قيصرية واستولوا عليها فى ٢٧ سبتمبر ١٠٩٧ م ، وقد هجرها الترك ، وأسرع الصليبيون فى الحال الى الجنوب الشرقى فاستولوا على كومانا Comana (Placentia) وهى مدينة وافرة الغنى والرخـاء سـكانها مـن الارمن ،وكان الدانشمنديون يحاصرون هذه المدينة إلى أن ابتعدوا عنها عند علمهم باقتراب مسير الصليبيين إليها ، ولما وصل الجيش الصليبى إلى كومانا طلب سكانها مـن تـاتيكيوس المنـدوب البيزنطى أن يرشـح حاكمـاً يتـولي أمـر المدينـة باسـم الامـبراطور ، فرشـح لهـذه الوظيفـة فـارس بروفنسـالي اسمـه بطـرس الابوسـى

---

(94) **Gesta Fruncorum** ., p . 24 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٤ .

Grousset : Histoire des croisades et du Royaume France du Jerusalem ., p . 38 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 1 pp . 190-191 .

رنسيمان : المرجع السابق، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .

Runciman : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton . op . cit ., vol . 1 , p . 266 .

سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ١٣٢ . ؛ محمود الحويري : بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين ، ص ٤٤ .

(٩٥) أوجستوبوليس : أو أغوستوبوليس ، هو الاسم الذي عرفت به قلعة قيرشهر التركية ، والتي تقع على بعد ثمانين ميلاً غرب مدينة قيصرية في وسط آسيا الصغرى . انظر : لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٧٩ .

(96) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 342 . ; **Runciman** :A history of the crusades ., vol . 1 p . 190 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٨٦ .

Runciman : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton . op . cit ., vol . 1 , p . 297 .

(97) **Gesta Fruncorum** ., p . 25 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٥ .

ثم تقدم الجيش الصليبى من كومانا الى مدينة كوكسن Petrusade Alpibus Cocxon فأقام بها ثلاثة أيام [٩٨].

والواقع أن أختيار المندوب البيزنطى لحاكم لاتينى لهذه المدينة هو اختيار ذكى إن دل على شيء فإنما يدل على ذكاء ودبلوماسية تاتيكيوس الذى أعطى الانطباع بأن الفرنجة والبيزنطيين لا زال بإمكانهم أن يتعاونا.

ثم تابع الجيش الصليبى زحفه الى ان وصل إلى مدينة مرعش فى ١٣ اكتوبر ١٠٩٧ م، فرحب سكانها الارمن بالصليبيين عند وصولهم وأعطوهم كل ما احتاجوه من مؤن [٩٩] وكان يحكم مدينة مرعش موظف بيزنطى اسمه ثاتول Thatoul. فتقرر إبقاءه فى وظيفته [١٠٠].

ومهما يكن من أمر فإن قواد الصليبيين عملوا على إقامة روابط الصداقة مع المملكة الارمينية، ولقد استخدم الصليبيون طرقهم واستعانوا بقواتهم واستقبلوا سفاراتهم وقاتلوا أعداءهم، وأقاموا حكومات إقطاعية بالقرب منهم [١٠١].

وهكذا وجد الصليبيون فى الارمن عوناً قوياً ووجد الارمن فى الصليبيين حليفاً كبيراً، ولاشك فى أن هذه الصداقة التى قامت بين الطرفين فى أول الامر انما كانت تستهدف مواجهة العدو المشترك ممثلاً فى الدولة البيزنطية من ناحية، والقوة الاسلامية ممثلة فى الترك من ناحية أخرى [١٠٢].

---

(98) **Gesta Fruncorum ., p . 26 .**

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٦ .

Anna comnena : The Alexiad ., p . 343 . **Grousset** : op . cit ., p . 38 . ; **Runciman** :A history of the crusades ., vol . 1 p . 191 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٨٧ .

Duggan : The story of the crusades ., p . 48 .

(99) **Gesta Fruncorum ., p . 27 .**

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٨ . ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١١٧ .

Macler : Armenia in cam. Med. Hist. vol . IV . p . 168 . ; **Morgan (J)** : Histoire Du peuple Armenien ., p 168 . ; **William (B) & Litt (D)** : The first crusade in cam . med . His . vol . v . p . 286 . ; **Lang** : op . cit ., p . 201 .

عاطف مرقص بطرس : المرجع السابق ، ص ٢١٧ . ؛ عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ١٣٤-١٣٥ .

Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 pp . 192-193 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٨٩ .

(100) **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 230 . ; **Runciman** : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton . op . cit ., vol . 1 , p . 298 .

(101) **Macler** : op . cit ., p . 167 .

إستارجيان : تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢٠٧ .

(١٠٢) سعيد عاشور : " سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغري " ص ١٤٢ . ؛ علية عبد السميع الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، ص ٤٦ .

وقد قيم بعض المؤرخين هذه المساعدات الارمينية بأنه لولاها لما تمكن الصليبيون من الوصول الى هدفهم وهو الشام وفلسطين [103]. حتى أن البابا جريجورى الثالث عشر (١٥٧٢-١٥٨٥م) صرح بعد تلك الأحداث بفترة طويلة قائلاً : " إن الصليبين لم يتلقوا المساعدة إلا من الشعب الأرمنى الذى قدم لهم الرجال والجياد والاسلحة والمؤن [104]. ومهما يكن من أمر ، فإن الصليبيين اتجهوا من مرعش نحو بلاد الشام حيث وصلوا إلى انطاكيه في عشرين أكتوبر ، وبذلك بدأ الغزو الصليبى للشام [105].

أما تانكرد وبلدوين اللذين انفصلا عن الجيش الصليبى الرئيسي فقد اتجها إلى طرسوس فاستولى تانكرد عليها ،ووقع نزاع بين تانكرد وبلدوين مرتين أمام كل من طرسوس والمصيصة وذلك لمطامعهما الشخصية التى كانت تحركهما ، إلا أنهما أدركا فى النهاية أنه من الافضل أن يتوطد السلم بينهما ، فنبذا الخصومة جانباً ورحل الاثنان إلى الشام ثم تكونت بعد ذلك إمارة الرها الصليبية وهى أول إمارة للصليبيين [106].

على أن النجاح الذى حققه الصليبيون من غزوهم لأراضى سوريا وفلسطين قد وصل إلى مسامع لورد فرنجى اسمه بيتابينPitabin (Poitevin ?) ودفعه ذلك إلى أن يخطط ليمر علي بامفيليا وكابادوكيا لكى يستولى على الاراضى الشمالية ، وقد وصل إلى القسطنطينية حيث حضر مجمع دينى مع الكسيوس وسأله مرشدين ممن يعرفون الطرق فى آسيا الصغرى . ويذكر الكاتب السرياني المجهول أن الكسيوس خدعه وخانه وضلله ، حيث أرسل معه رجالاً قادوه إلى الصحراء حيث لا يوجد ماء ولا طعام ، ووشى به إلى الترك وقاموا بتطويقه ورفاقه وباغتوهم لكونهم متعبين وأمطروهم بسحابات من السهام وقد ذبحوا وهزموا على يد الترك واستولوا

---

(103) فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتي اليوم ، ص ١٤٩ .

(104) Morgan : op . cit ., p . 169 .

(105) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ،جـ ١، ص ١٣٢ .

(106) William of tyre : op . cit ., p .185 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٣٥-٢٤٧ .

Gesta Fruncorum ., pp . 24-25 .

المؤرخ المجهول : أعمال الفرنجة ، ص ٤٥ . ؛ فوشية الشارتيري : المصدر السابق ، ص ١١٧-١١٩ .

Runciman :A history of the crusades ., vol . 1 pp . 197-205 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ، ص ٢٩٦-٣٠٥ .

Runciman : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton . op . cit ., vol . 1 , p . 300 .

على ذهب كثير كان معهم ، ولقد هرب اللورد الفرنجي مع قلة من رجاله وعادوا إلى أوطانهم (١٠٧).

ومما سبق يتضح لنا أن الحملة الصليبية الأولى قد شقت طريقها عبر آسيا الصغرى بعد أن حققت انتصارات عديدة على جيوش الأتراك المسلمين . ويجب تسجيل حقيقة هامة هنا . إن البيزنطيين لو لم يرشدوا الصليبيين لما استطاعوا أن يشقوا طريقهم عبر آسيا الصغرى وذلك لما لهم من خبرة سابقة في قتال الترك جعلتهم يبذلون النصيحة ونجح الصليبيون، فكونوا في الشرق الإمارات المختلفة . إمارة الرها (١٠٩٨ م) وانطاكية (١٠٩٨ م) ومملكة بيت المقدس (١٠٩٩ م) وطرابلس (١١٠١ م) .

الحملة الصليبية سنة ١١٠١ م :

لم يكد الغرب الاوربى يعلم بالنجاح الذى حققته الحملة الصليبية الاولى في استرداد الاراضى المقدسة من المسلمين ، حتى تحمس كثير من ابناء غرب أوربا لحمل الصليب والزحف نحو الشرق .

وقد تتابعت الجيوش الصليبية على القسطنطينية فوصلت أولاً الجيوش اللومباردية في مارس سنة ١١٠١م ، وكانت هذه الحملة قد غادرت ميلان في ١٣ سبتمبر ١١٠٠ م وتولى قيادتها أنسلم بويه Anselim of Bois رئيس أساقفة ميلان وألبرت كونت بياندرانت وجيبريت كونت بارما وهيوكونت مونتبيللو . وكان عدد كبير ممن التحق بهذا الجيش قد سبق له الاشتراك في حملة العامة بقيادة بطرس الناسك سنة ١٠٩٦ م – في الحملة الصليبية الاولى – حيث تألفت غالبيتها من العامة والدهماء (١٠٨).

وبعد أن وصلت هذه الجيوش الى القسطنطينية نصبوا معسكرهم بناء على الامر الامبراطورى خارج المدينة على ذراع القديس جورج على شاطىء البسفور ، ومكثوا شهرين في انتظار باقى الجيوش والامدادات القادمة من فرنسا وألمانيا ، غير إنهم لجأوا إلى السلب والنهب مما أثار سخط البيزنطيين ، ولذلك طلب منهم الامبراطور العبور الى الشاطىء الاسيوى والانتظار في مدينة كيفيتوت أوفي روفينل Rufinel حتى تصل الفرق الاخرى ، ولكنهم رفضوا فاضطر الامبراطور الى قطع

---

(107) **Anonymous Syriaac Chronicle** : pp . 74-75 .

(108) **Albert d'Aix** : op . cit ., p . 559 . ; **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 335. ; **Grousset** : Histoire des croisades . vol . 1 pp 322-323 . ; **Runciman** :A history of the crusades ., vol . 2 pp . 18-19 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٣٨ .

Chalandon (F) : The Earlier comneni in cam . Med . Hist . vol . IV p . 340 . ; **Charles (M.B)** : Crusades . vol . 1 p . 559 .

المؤن عنهم لثلاثة أيام مما دفعهم إلى مهاجمة القسطنطينية ، كما هاجموا القصر الامبراطوري في بلاخرناى Blochernae وقاموا بقتل أحد أقارب الامبراطور ولم يردهم إلا قوادهم الذين اعتذروا إلى الامبراطور وتحركوا إلى الشاطىء الأسيوي(١٠٩).

وبعد أن عسكر الجيش في نيقوميديا وصلت الجماعات الألمانية بقيادة كونوراد كونستابل الامبراطور الالماني هنري الرابع (١٠٦٥-١١٠٥م) الذى قاد قواته عبر الاراضي اليونانية بدون متاعب ، وبعد استقبال كريم من قبل ألكسيوس عبر إلى آسيا الصغرى والتحق بالجيش اللومباردى ، كما وصلت الجماعات الفرنسية بقيادة ستيفن كونت بلوا ، وكذلك وصل العديد من القادة الصليبيين واستقبلهم الامبراطور استقبالاً طيباً وعبرت تلك القوات المضايق لتلحق بالقوات اللومباردية(١١٠).

قام الامبراطور باستدعاء ريموند الصنجيلي الذى كان قد وصل إلى القسطنطينية في صيف سنة ١١٠٠ م ليصاحب الحملة كمستشار لما له من خبرة ودراية بالمنطقة ، وأيضاً القائد البيزنطي تزيتاس Tzitas كناصح ومرشد للحملة ، كما أمد الحملة بقوات مرتزقة تقدر بحوالي خمسمائه جندى ، وهي متخصصة في تسلق الجبال (١١١) ويذكر رنسيمان أن هذه القوات من الراجح أنها من البشناق (البجناك) (١١٢).

وكان هدف الحملة الصليبية لسنة ١١٠١م الوصول إلى الارض المقدسة في بلاد الشام ، وكان الاتجاه الغالب والذى اقترحه كل من ستيفن كونت بلوا وريموند أوف تولوز هو أن يسلكوا الطريق المألوف لديهم والذى سلكوه في عام ١٠٩٧ الماضي وهو طريق نيقية ، ودوريليوم وقونية الذى يؤدى بعد ذلك إلى

---

(109) **Albert d'Aix** : op . cit ., pp . 560-562 . ; **Cate (J.L)** : The crusade of 1101 in setton : A hist. of the crusades ., vol . 1 , (pp.343-367) ., pp . 353 . ; **Maalouf** : op . cit ., p . 64 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis ., p . 225 . ; **Grousset** : Histoire des croisades . vol . 1 p . 323 . ; **Runciman** :op . cit ., vol . 2 pp . 19-20 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٣٩-٤٠ . ؛ سميث (جوناثان ريلي) : الحملة الصليبية الأولي وفكرة الحروب الصليبية ترجمة د. محمد فتحي الشاعر (القاهرة ١٩٩٣ م) ص ١٤٢ .؛ سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٢ .

(110) **Cate (J.L)** : op . cit ., vol . 1 p . 354 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 225 . ; **Grousset** : op . cit .,vol . 1 . p . 323 .

(111) **Albert d'Aix** : op . cit ., pp . 560-562 . ; **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 365 . ; **Cate (J.L)** : op . cit ., vol . 1 p . 354 . ; **Grousset** : op . cit .,vol . 1 . p . 323 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 226 .

(112) **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 121 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤١ .

الاراضي المقدسة ،وكان هذا الإقتراح مطابقاً لتعليمات الامبراطور ألكسيوس، ولكن الومبارديين كان لهم وجهة نظر أخرى ، حيث أصروا على اجتياز آسيا الصغرى والاتجاه إلى بني دانشمند في قبادوقيا لغزو البحر الأسود أو خراسان كما كانوا يسمونها ، لإطلاق سراح بوهيموند من الاسر (113). والواقع أن بوهيموند قد وقع في الاسر أثناء محاولات الجانب الإسلامي والصليبي للسيطرة على مدينة ملطية ، حيث دخل في معركة مع الملك الغازي جومشتكين الدانشمندي انتهت بهزيمته ووقوعه هو ونفر من أصحابه في الأسر ، ولقد نقل الامير الدانشمندي، بوهيموند إلى قلعة نيكسار التي تقع في المنطقة الجبلية الواقعة على حافة البحر الاسود (114).

ومن الواضح أن هذا الرأي الذي اتخذه اللومبارديون بشأن انقاذ بوهيموند بعيد تماماً عن الصواب لأن قلعة نيكسار التي وضعوا فيها بوهيموند تقع بالقرب من الساحل الجنوبي الشرقي للبحر الاسود ،وهذا يعني أن الحملة سوف تخوض مغامرة محكوم عليها بالفشل لانها سوف تتوغل في أقصى شمال شرقي الأناضول ، وكان اللومبارديون يجهلون الصعوبات الطبيعية والاستراتيجية .

تحرك الجيش الصليبي بعد ذلك من نيقوميديا في بداية شهر يونية سنة ١١٠١م ومعه ريموند وفرقة التركوبولي في طليعة الجيش ، حيث وصلوا في ٢٣ يونيه إلى أنقره واستولوا عليها بعد ان أدركوا ضعف دفاعاتها وحاميتها التركية وقاموا بالاستيلاء عليها ، ثم قاموا بتسليمها إلى ممثلي الامبراطور طبقاً للقسم الذى حصل عليه ألكسيوس من أمراء الغرب (115).

على ان تحركات الصليبيين دفعت قلج ارسلان بعد استيلائهم على انقره إلى أن يكتب إلى أمير بني دانشمند الامير أحمد دانشمند غازي (١٠٧١-١١٠٥م) لتجديد التحالف ويحثه على الاستعداد للقتال ، كما أرسل إلى رضوان أمير حلب وحثه على الجهاد لكي يبعث إمداداً من الجنوب (116).

(113) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 355-356 . ; **Albert d'Aix :** op . cit ., pp . 563-564 . ; **Lamb** : The crusades ., p . 241 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 226 . ; **Brehier** : Les Crosades . , p . 84 . ; **Cahen (Cloud)** : La Syrie du nord al'Epoque des Croisades (Pars 1940) ., p . 231 . ; **Cate (J.L)** : op . cit ., vol . 1 p . 354 .

زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص ٨٢ .

(114) **Anonymous Syriaac Chronicle :** op . cit ., p . 74 . ; **Albert d'Aix :** op . cit ., p . 524 . ; **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., pp . 230-231 . ; **Boase and others :** The cilician Kingdom of Armenia edited by T.S.R.Boase (London 1978) . , p . 19 . ; **Gabriele :** Arab historians of the crusade . translated from the Italian by E.J Costello (London 1984) ., p 13 . ; **Loewe :** op . cit ., p . 315 . ; **Previte :** The shorter Cambridge Medieval History ., vol . 1 p . 523 .

(115) **Cate (J.L)** : op . cit ., vol . 1 pp . 354-355 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 326 .

(116) **Matthieu d'Edesse** : op . cit ., p . 243 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 22 .

اتجه الجيش الصليبي بعد ذلك من أنقره نحو جنجرة Gangra(١١٧) فوجدوا أن تحصيناتها القوية تحول دون تدميرها فاكتفوا بنهب القرى والاراضي التي حولها ، وحصلوا على ما صادفوه من مؤن ، ثم تقدموا صوب الشرق ، ولما استبد بهم التعب والجوع والعطش ألتفتوا إلى نصائح الكونت ريموند الذى اقترح أن يسيروا صوب الشمال الشرقي الى قسطموني Kastamuni، ومنها إلى احدى المدن البيزنطية على ساحل البحر الأسود ،ولقد عاني الجيش الصليبي في الصحراء معاناة شديدة حتى قيل أن الاتراك رشوا ريموند حتى يقود الجيش إلى الهلاك (١١٨).

وفي طريقهم إلى قسطموني تعرضت مقدمة الجيش الصليبي إلى هجوم تركي مفاجيء راح ضحيته سبعمائه مقاتل من اللومبارديون ، واتهم اللوبارديون ريموند بالخيانه والتواطيء مع الامبراطور ،ولقد أجبرت هذه الحادثه رجال الحملة على أن يسلكوا الطريق الرئيسي ،وسارت الحملة فاجتازت نهرهاليس ووصلت إلى آماسيا ثم إلى بلاد الدانشمنديين – وكان بوهيموند ما يزال أسيراً بمدينة نيكسار – ووصل الصليبيون بعد أن قاموا بنهب إحدى القرى المسيحية أثناء سيرهم إلى مرسيفان Mersivan التي تقع ما بين نهر هاليس وأماسيا في أوائل اغسطس سنة ١١٠١ م (١١٩).

وفي تلك الاثناء أخذت قوى الأتراك المسلمين تتجمع لمواجهة الخطر الصليبي ، وضمت قوات الملك غازي جمشتكين الدانشمندي ،وقوات قلج أرسلان، وقوات رضوان بن تتش أمير حلب وأمير مدينة حران (١٢٠) قراجا التركي ، والتقت القوات الاسلامية بالجيش الصليبي ، ودارت معركة بين الجانبين استخدم فيها الترك مهارتهم وخططهم الحربية ، واستمرت المعركة عدة أيام ولم يمض وقت طويل حتى فقد اللومبارديون تماسكهم ، فولوا الأدبار مذعورين ، ولم تفلح محاولات ريموند

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣ .

(١١٧) جنجرا : تعرف بجنجرا أو خنجرة أو غنجرة ، وهي مدينة تقع علي بعد خمسين ميلاً جنوب مدينة قسطموني ، وتعتبر هذه المدينة من أهم مدن البحر الأسود وأشهرها . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ . ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٩١ .

Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 28 .

(118) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 566-567 . ; **Grousset** : op . cit .,vol . 1 . p . 325 . ; **Cate (J.L)** : op . cit in setton ., vol . 1 p . 355 .

(119)Albert d'Aix : op . cit ., p . 567 . ; **Cate (J.L)** : op . cit in setton ., vol . 1 p . 356 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 23 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٤ .

(١٢٠) حران : قصبة ديار مضر وهي قريبة من الرها والرقة . انظر : ياقوت : معجم البلدان ، جـ ٢ ، ص ٢٣٥ .

لحثهم على الثبات ،وظل الفرنسيون والالمان يستبسلون في القتال حتى أرتدوا، كما اضطر ريموند الى الانسحاب ومعه حرسه من البروفنساليين والبيزنطيين المصاحبين ، واتجه شمالاً نحو البحر الاسود ، فوصل إلى ميناء بفرا ثم إلى سينوب ومن هناك أبحر إلى القسطنطينية وكان انسحاب ريموند بمثابة إعلان لنهاية الحملة لأن باقي الامراء لاذوا من بعده بالفرار ، وقام الترك بابادة معظم من كان بالمعسكر الصليبيي وزخرت أسواق الرقيق ودور الحريم بما أصابه الترك من الفتيات والاطفال [١٢١].

وقد بالغت بعض المصادر التاريخية في ذكر عدد قتلى هذه المعركة حيث ذكر ابن الاثير إنه : " لم يفلت أحد من الفرنج وكانوا ثلاثمائه ألف غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا مجروحين " [١٢٢] . وإذا كان ابن الاثير محقا فيما ذكره فسوف يصبح عدد هذا الجيش مساوياً لعدد قوات الحملة الصليبية الأولى التى قدر عدد أفرادها بحوالى ثلاثمائه ألف مقاتل وهذا مبالغ فيه أيضاً .

ولقد ترتب على هذه المعركة نتائج بالغة الأهمية على كافة الاطراف المشتركة فيها ، فعلى الجانب الاسلامى يعتبر الانتصار الذى حققه المسلمون على الصليبيين في موقعة مرسيفان انتصاراً هاماً بلغ من اهميتة أنه قضى على الاثر السيء الذى تركه في نفوس الأتراك المسلمين انتصار الصليبيين فى معركة دوريليوم . سنة ١٠٩٧ م . أما بالنسبة للصليبيين فقد فشلوا فى تحقيق هدفهم بإطلاق صراح بوهيموند ،واتهموا البيزنطيين بالخيانه واعتبروهم مسئولين عما حل بهم من كارثة ، بينما أغضب البيزنطيون غباء الصليبيين وجحودهم وإنكارهم لما بذلوه لهم من عطاء .

والمدهش أن اللومبارديين زينت لهم أنفسهم أن بإمكانهم التقدم إلى بغداد وتدمير الخلافة العباسية من خلال زحفهم على آسيا الصغرى [١٢٣]. ولقد تشكك ألبرت الآخنى فى سجلاته التاريخية أن ينجحوا فيما أقدموا عليه ، والغريب أن المؤرخ المحدث جوناثان ريلى سميث يعتبر اختيارهم للاناضول كطريق لتحقيق هذا الهدف هو اختيار مقبول ولا غبار عليه حتى ولو انطوى على مخاطر [١٢٤].

---

(121) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 569 –573 . ; Anna comnena : The Alexiad ., p . 357 . ; Cate (J.L) : op . cit in setton ., p . 357 . ; Duggan : op . cit ., p . 85 . ; Grousset : op . cit .,vol . 1 . p . 327 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 24 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٦ . ؛ سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٢٧٤ . ؛ زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ٨٢-٨٣ .

(١٢٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٤٩٣ هـ .

(123) Albert d'Aix : op . cit ., p . 563 . ; Brehier : op . cit ., p . 84 .

(١٢٤) سميث (جوناثان ريلي) : المرجع السابق ، ص ١٤٣ .

ويعلق أحد المؤرخين المحدثين ذاكراً إن هروب الفرسان في المعارك تاركين خلفهم زوجاتهم وأطفالهم قد أصبح شيئاً مالوفاً دون توبيخ وتعنيف من الحوليات التاريخية ، هذا الامر هو بالفعل تعليق سيىء على تصرف وسلوك الفارس الصليبي ومخالف لنظريات الفروسية والشهامة [(١٢٥)] المعروفة في العصور الوسطى .

ولقد استقبل الامبراطور ألكسيوس الناجين من المعركة بكل ترحيب وحاول أن يعوضهم ويحسن إليهم بالعطايا والهدايا ثم جهزهم ليكملوا طريق حجهم إلى القدس عن طريق البحر [(١٢٦)] . وفي الوقت الذى كان فيه الجيش الصليبي السابق يشق طريقه في آسيا الصغرى وبعد أن غادر نيقوميديا وصل إلى القسطنطينية في يونيه سنة ١١٠١ م جيش فرنسي يضم خمسة عشرة ألف مقاتل يقودهم وليم الثاني كونت نيفرز William II Count of Nevers(١٠٨٩-١١٤٧م)،وكان وليم قد قاد قواده عبرايطاليا وبرنديزى إلي أفلونا والتزم الجيش الدقة والنظام أثناء عبوره، وحظى الكونت وجيشه باستقبال كريم من الامبراطور ألكسيوس حيث أعطى لهم معسكراً على خليج القديس جورج ،وكان وليم يومياً في حضرة الامبراطور لكنه عزم على ألا يمكث في القسطنطينية ، لذا عبر بجيشه إلى الساحل الاسيوى[(١٢٧)].

وتحرك الجيش على امل الانضمام واللحاق بإخوانهم اللومبارديين ،وعندما وصلوا إلى أنقره أدركوا أنه ليس بمقدورهم اقتفاء أثر اللومبارديين ،وبعد توقف يوم كامل اتجه الجيش جنوباً صوب قونية وحاولوا الاستيلاء عليها ، لكن حاميتها السلجوقية دافعت عنها ببسالة ،ولما فشلوا في الاستيلاء عليها سار الجيش إلى هرقلة شرق مدينة قونية ، وكان الترك قد دمروا كل مصادر المياه ، واشتد التعب بالجيش الصليبي ، فتقدم قلج ارسلان وملك غازى الدانشمندي الذين كانا قد قضيا على الجيش اللومباردى في مرسيفان من قبل ، فهاجما جيش وليم وأبادوه إبادة تامة في معركة لم تستمر طويلاً وذلك في أواخر أغسطس سنة ١١٠١ م ، ولم ينج من المعركة إلا الكونت وليم واخوه وبعض الفرسان في قيليقية ومنها توجهوا بصحبه مرتزقة التركوبولي (البشناق) ليقودوهم إلى انطاكية [(١٢٨)].

---

(125) Cate (J.L) : op . cit in setton ., p . 357 .

(126) Anna comnena : The Alexiad ., p . 357 . ; Chalandon (F) : op . cit ., pp . 574-575 . ; Cate (J.L) : op . cit in setton ., p . 358 .

(127) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 574-575 . ; Cate (J.L) : op . cit in setton ., p . 358 .

إسحاق عبيد : روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتي الغزو اللاتيني لمدينة قسطنطين (٨٦٩-١٢٠٤) ، ص ١٣٢ .

(128) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 575-578 . ; Grousset : op . cit .,vol . 1 . pp . 329-330 . ; Cate (J.L) : op . cit in setton ., p . 359 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 228 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 pp . 26-27 .

وفي الوقت الذى كانت القوات الاسلامية التركية تقوم بالقضاء على الجموع الفرنسية وصل إلى القسطنطينية الجيش الثالث من تلك الحملة في أوائل يونيه سنة ١١٠١ م تحت قيادة وليم التاسع دوق أكوتين وولف الرابع دوق بافاريا واستقبلهم الامبراطور بالود وعاملهم " كأبناء " وأمطرهم بالهدايا والاموال ، وحصل منهم على قسم الولاء والذى كان مشابها للقسم الذى اقسمه في عام ١٠٩٧ م الصليبيون كما جعل ألكسيوس الاسواق متاحة لجميع الصليبيين (١٢٩).

غير أن الارتياب بدأ يساور الجنود الالمان من نوايا الامبراطور الكسيوس كومنين خاصة إنهم لم يسمعوا أى اخبار عن اللومبارديين ،وشكوا في أن يكون اليونانيون (البيزنطيون) قد أجبروا الصليبيين على العبور إلى آسيا الصغرى كارهين قبل وصول الامدادات ،وخشوا أن يخدعهم لصالح الترك ، فاستولى الذعر على الحجاج حتى لجأ البعض إلى بيع خيولهم واشتروا حق عبور السفن إلى الاراضى المقدسة، وراجت الاشاعات أن بإمكان ألكسيوس أن يحطمهم في البحر تماما ، كما يستطيع أن يدمرهم في البر ، ومن ثم غادر كثير منهم السفن وعادوا إلى الرحلة البرية (١٣٠).

تحرك الجيش الصليبى بعد أن اتخذ الطريق البرى وزوده الامبراطور ألكسيوس بمرشدين من التركوبولي وسلك الصليبيون نفس الطريق الذى سلكته الحملة الصليبية الاولى . ولقد اتبع الترك نفس أسلوبهم حيث تركوا المدن مفتوحه أمامهم بعد اخلائها تماماً مع احراق المحاصيل ، كما ضربوا مستودعات المياه والابار وكان الطقس شديد الحرارة (١٣١).

واصل الجيش الصليبى تقدمه ومر على قونية وقام الصليبيون بتحطيم " سلامية " ثم تقدموا إلى هرقلة واستولوا عليها ، ثم اندفعوا في غير نظام إلى النهر الذى كان يجرى وراء المدينة ليطفئوا ظمأهم واضطرب نظام الصليبيين ، ثم انقضت عليهم قوات قلج ارسلان والامير غازى والامير قراجا وأطبقوا عليهم من

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٨-٤٩ .

Brehier : The life and death of Byzantium . translated by Margaret Vaughan , p . 219 .

إسحاق عبيد : المرجع السابق ، ص ١٣٢ .

(129) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 579-580. ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 229 . ; **Cate (J.L)** : op . cit in setton ., p . 360 .

(130) Cate (J.L) : op . cit ., in setton ., pp . 360-361 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 229 .

إسحاق عبيد : المرجع السابق ، ص ١٣٣ .

(131) Cate (J.L) : op . cit ., in setton ., p . 361 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 229 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 28 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٥١ .

جميع الجوانب ، فأبادوا الجيش الصليبي إباده شبه تامة ، ولم يستطيع النجاة سوى القلة القليلة التي هرب بعضها إلى الجبال والبعض الآخر تبع التيار طلباً للنجاه، ومعظم المسيحيين إما قتلوا أو استبعدوا ونجي كل من وليم التاسع دوق أكوتين وولف الرابع دوق بافاريا اللذان اتجها الى طرسوس ثم الى انطاكية وكانت هذه الموقعة في اوائل سبتمبر سنة ١١٠١م (١٣٢).

وهكذا لقيت حملة ١١٠١م بأقسامها الثلاثة خاتمة مشئومة ، ولا شك في أن هذه الحملة كان لها نتائج خطيرة ، إذ انها عملت على تقوية الروح المعنوية لدى الاتراك المسلمين بآسيا الصغرى ، كما - لاول مرة - اثبتت ان اتحاد الترك في ملاقاه الجيش الصليبي قد أتى بثمارة الطيبة ،كما أن تفرع الصليبيين وتقدمهم في طرق مختلفة وبطرق مختلفة أيضاً وعدم استماعهم للنصح وعدم كفاية مؤنهم واصطحابهم جموعاً غفيرة من غير المقاتلين ، كل هذه الاسباب كانت من عوامل فشل الصليبيين في تحقيق أي نجاح ، أما البيزنطيون فقد حملهم الصليبيون مسئولية هذه الكارثة ،واتهموا الامبراطور ألكسيوس بالخيانه .

الحملة الصليبية الثانية في آسيا الصغرى (١١٤٧-١١٤٩ م) :

جدت ظروف خطيرة في الفترة التي وقعت بين الحرب الصليبية الاولى والحرب الصليبية الثانية . ففي جبهة الصليبيين حل الشقاق محل الوفاق وساءت العلاقات بين الامارات الصليبية في بلاد الشام بالإضافة إلى التوتر الدائم بينهم وبين الدولة البيزنطية ، وبينما كانت الجبهة الصليبية تضعف بسبب ضعف التعاون بينها ، وبسبب الحقد والتنافس بين تلك الامارات الصليبية من جهة أخرى ، كانت الجبهة الإسلامية تشتد وتقوى حول الصليبيين ، فقد أفاق المسلمون وهبوا من سباتهم وعملوا على استعادة ما فقدوه .

وكان أهم ما نجح المسلمون في استعادته هو مدينة الرها من الصليبيين حيث استطاعت قوات عماد الدين زنكي أن تستولي عليها بعد حصار دام حوالي اربعة أسابيع ، حيث سقطت في أيدى المسلمين في ٢٦ جمادى الاخر ٥٣٩ هـ (٢٤ديسمبر ١١٤٤ م) . وكانت هذه أولى الامارات الصليبية التي تقوم في الشرق

---

(132) Albert d'Aix : op . cit ., pp . 581-582 . ; Grousset : op . cit .,vol . 1 . pp . 231-232 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 229 . ; Cate (J.L) : op . cit in setton ., p . 361 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 29 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٥٢ .

روت القصص الشعبية عن أن دوقة النمسا إدا Ida قد وقعت في الأسر في هذه المعركة وعاشت في حريم أحد الأمراء المسلمين حيث ولدت منه ولداً أصبح بطلاً من أبطال المسلمين وهو زنكي .

انظر:

Cate (J.L) : op . cit ., in setton ., p . 362 .

العربى الاسلامى وأسبقها الى السقوط . وكان لسقوطها صدمة نفسية حيث أحدث سقوطها دوياً هائلاً فى أوساط الصليبيين فى بلاد الشام والعالم المسيحى فى الغرب الاوربى ،إذ أن المدينة كانت تتمتع بمكانة دينية فى تاريخ المسيحية ، وكان سقوطها مؤشراً بترنح البناء الصليبى الكبير الذى نجحت الحملة الصليبية الاولى فى إقامته بالشرق (١٣٣).

بلغ مسامع الغرب الاوربى نبأ سقوط إمارة الرها الصليبية بأيدى المسلمين حيث أذاع الحجاج والمسافرون القادمون من بيت المقدس إلى أوطانهم سنة ١١٤٥م الانباء الحزينة عن سقوط الرها ، كما أن الاساقفة الارمن الذين قدموا إلى أوربا بعد ذلك بوقت قصير للتشاور مع البابا إيوجين الثالث Eugenius III (١١٤٥-١١٥٣م) حول إمكانية توحيد كنيسة روما مع الكنيسة الارمينية قد أبلغوه بأخبار الشرق وفى نفس الوقت أرسل الصليبيون فى الشرق رسلاً الى الغرب الاوربى لطلب النجدة (١٣٤).

وقام البابا إيوجين الثالث فى روما بتحريض الرأى العام الغربى ضد المسلمين حيث أنفذ من ناحيته رسلاً الى شتى اقطار الغرب ليخبروا الامراء والشعوب بالمحنة التى يمر بها إخوانهم فى الشرق ، وكان من بين هؤلاء المبعوثين برنارد راعى دير كليرفو (١٠٩٢-١١٥٣ م) الذى نجح فى إثارة الغرب بالقيام بحملة صليبية ، فأبدى الناس كافة مواقفهم السريعة على ما دعاهم إليه وأقسموا ليزحفوا إلى بيت المقدس ووضعوا شارة الصليب على أكتافهم استعداداً للرحلة ،ولقيت حملة البابا هذه تأييداً واسعاً من أغلب ملوك أوربا حيث قرر كل من كونراد إمبراطور المانيا ولويس السابع ملك فرنسا الخروج للدفاع عن الصليبيين فى الشرق (١٣٥).

---

(١٣٣) عن سقوط الرها انظر :

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٧٩-٢٨٠ . ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابيكية لاموصل ، ص ٦٦-٧٠ . ؛ ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب . جـ ٢، ص ٢٧٨-٢٧٩ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٥٦-١٥٩ .

William of tyre : op . cit ., vol . II . pp . 140-144 . ; **Mayer (H.E)** : The crusades ., pp . 94-95 . ; **Grabois (A)** : The Illustrated Ency of Medieval Civilization . p . 248 .

علية الجنزوري : إمارة الرها الصليبية ، ص ٢٩٥-٣٠٨ .

(134) **Berry (virginia .G.)** : The second crusade ., in setton , Hist . of the crusades . vol . 1 (pp . 463-512) ., p . 466 .

(135) **William of tyre** : op . cit ., pp . 163-165 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٦٧-٢٦٩ .

Berry : op . cit ., p . 248 . ; **Matthew (D)** : Atlas of Medieval Europe ., p . 91 . ; **Rice (T.T)** : Byzantium . , p . 98 . ; **Ahrweiler (Helene)** : Byzance et la Mer ., p . 237 . ; **Levtchenko (M.V)** : Byzance des origines A 1453 ., p . 230 . ; **Charles (M.B)** : Crusades . vol . 1 p . 559 .

والحقيقة أن الملك لويس ملك فرنسا حين أبدى استجابة سريعة للاشتراك في الحملة الصليبية ، لم يكن إلا رد فعل لما اقترفته يداه دون مبرر في المذبحة التي قام بها جنوده في مدينة فتري Vitry وهي المدينة التي أشعل فيها النيران أثناء صراعه مع كونت شامباني وأحرقها بما فيها من أحياء حيث نذر للقيام بحملة صليبية من أجل الندم والتوبه (١٣٦) أما اشتراك الامبراطور الالماني كونراد فيرجع الفضل فيه الى برنارد بعد أن استمع الى موعظته المؤثرة التي ألقاها في كاتدرائية سبير Speyer في ٢٤ ديسمبر ١١٤٦ م (١٣٧).

وهكذا اكتسبت الحملة الصليبية الثانية سنة ١١٤٧ م طابعاً مختلفاً في أساسه عن الحملة الصليبية الاولى سنة ١٠٩٦ م ، فبينما اتخذت الحملة الاولى في أواخر القرن الحادى عشر شكل هجرة ضخمة تألفت من جموع مختلفة من المسيحيين الغربيين انتموا الى أجناس ودول متعددة ، إذا بالحملة الصليبية الثانية قرب منتصف القرن الثاني عشر تتألف من جيشين كبيرين ، ينتميان إلى أكبر دولتين في الغرب الاوروبي ويقودهما أكبر عاهلين في العالم الكاثوليكي وهما كونراد الثالث ولويس السابع (١٣٨).

وعلى هذا النحو بدأت الحملة الصليبية الثانية على الشرق الاسلامي ، وقرر الملك لويس السابع أن يرتحل بجيشه في ١٥ يونيه ١١٤٧ م ، بينما اتخذ كونراد الثالث منتصف مايو تاريخاً لرحيل الجيوش الالمانية علي أن تلتقي الجيوش كلها بالقسطنطينية ، والملاحظ هنا أن العاهلين قررا أن يسيرا كل منهما مستقلاً عن الآخر وفي أزمنة مختلفة حتي يتجنبا أية منازعات تقع بين جيوشهما من ناحية وحتى لا يؤدى مسير الجيشين معاً إلى حدوث مشاكل في التموين من ناحية أخرى (١٣٩).

اتخذ كونراد الثالث الطريق الرئيسي الذي سلكته الحملة الصليبية الأولى ، ولدى سماع الامبراطور البيزنطي مانويل (١١٤٣-١١٨٠ م) في ذلك الوقت عن اعتداءات الجيش الالماني على المدن البيزنطية في البلقان سارع بإرسال جيش بقيادة بروزوخوس Prosuch والقائد البيزنطي بازيليوس الملقب تزكاندليس Tzicandyles واشتبكا مع الالمان عند مدينة أدرنة (أدريا نوبل Adrianopol ومدينة لونجي Longi المجاورة . وعندما اشتد قلق الامبراطور مانويل أرسل إلى

---

(136) **Tout (T.F) :** The Empire and the papacy (918-1273) ., p . 284 .

باركر : الحروب الصليبية ، ص ٧٣ .

(137) **Berry :** op . cit ., p . 475 .

باركر : الحروب الصليبية ، ص ٧٣ .

(١٣٨) سعيد عاشور: المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٤٨٥ .

(١٣٩) محمود الحويري : بناء الجبهة الإسلامية المتحدة وأثرها في التصدي للصليبيين ، ص ١٠١ .

كونراد ، يطلب منه أن يتخذ الطريق الى مدينة سيستوس Sestos الواقعة على الشاطيء الاوربي لمضيق الدردنيل ، ويعبر منها إلى آسيا الصغرى مباشرة دون المرور بالقسطنطينية ، لكن طلب مانويل قوبل بالرفض من قبل الامبراطور كونراد ، وعزم الامبراطور مانويل على استخدام القوة في مقاومة الصليبيين ،ولكنه عدل عن رأيه والغى الاوامر التى أصدرها الى بروزوخوس وبازيليوس (١٤٠).

واصلت القوات الالمانية سيرها وكان الامبراطور مانويل يترقب أخبارها وشرع في تحصين العاصمة ، ولما وصل الجيش الالماني إلى حدود الدولة البيزنطية في أوربا أرسل اليهم الامبراطور سفارة مكونة من مبعوثين هما ديمتريوس ومايروس Mairus للوقوف على نوايا كونراد ورفضا السماح لهما بعبور الاراضي البيزنطية إلا بعد أن أقسم كونراد وكبار قادة الجيش الالماني العمل على مراعاة مصالح الامبراطورية (١٤١).

بلغ الجيش الالماني العاصمة في العاشر من سبتمبر ١١٤٧م و(الثاني عشر من ربيع الثاني ٥٤٢ هـ) وكانت العلاقات متوترة بين الطرفين ، ولقد أغلق أهالي القسطنطينية أبوابها في وجه الالمان ،وكان الأهالي يدلون الحبال من فوق الاسوار مشترطين أخذ المقابل المادى مسبقاً قبل عملية المبادلة بالطعام،ولقد استاء الالمان من البيزنطيين حيث لجأوا معهم الى الغش والخداع كما أن اللامبراطور مانويل استخدام كل الحيل ضد الالمان (١٤٢).

ولم تلبث العلاقات التي كانت بين مانويل وكونراد أن تحسنت ، ويرجع ذلك إلى برتاسا من سولزباخ Bertha of Sulzbach زوجة الامبراطور مانويل التي هي في نفس الوقت أخت زوجة كونراد وكانت معروفة في القسطنطينية باسم إيرين حيث لعبت دوراً في التوفيق بين العاهلين (١٤٣).

والواقع أن مانويل بذل كل ما في طاقته ومارس كل الضغوط على كونراد الثالث ليجبره على عبور البسفور ،ونقل قواته الى آسيا الصغرى قبل وصول الجيش

---

(140) **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 29 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٢٠-٤٢١ .

Berry : op . cit ., p . 485 . ; **Hussey** : Byzantium and the crusades in setton . , p . 135 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 339 .

(141) **Kinnamos** : Deeds of John and Manuel comnenus trans. By Charles M.Brand (New York 1976) ., pp . 66-69 .

(142) **Choniates (Nicetas)** : Historia ., pp . 87-89 .

(143) **Berry** : op . cit ., p . 486 . ; **Austin lan pool (M.A)** : Germany 1125-1152 n Cam. Med. Hist. (cam , 1979) ., p . 256 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 267 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٢٩ .

Ostrogorsky : op . cit ., p . 338 .

الفرنسي لان اجتماع الجيشين على ابواب العاصمة يشكل خطورة على العاصمة لكبر حجم الجيشين ، ولقد حذا حذو جده الامبراطور الكسيوس كومنين عندما جاءت الحملة الصليبية الاولى سنة ١٠٩٧ [١٤٤].

بعد أن عبر كونراد البسفور تقدم بقواته حتى وصل الى خلقدونية ، ثم طلب من مانويل أن يمده بالادلاء ليصاحبوه اثناء اجتياز آسيا الصغرى ، فعهد مانويل بهذا الامر إلى ستيفن قائد حرس الورنك وفي الوقت ذاته نصح الالمان أن يتجنبوا الطريق المستقيم الذى يخترق شبه جزيرة آسيا الصغرى وأن يتخذوا الطريق الساحلي إلى أضاليا [١٤٥] وبذا يسلكون بلاداً خاضعة للامبراطور ،واقترح أيضاً أنه لمن الخير لهم أن يعيدوا إلى أوطانهم كل الحجاج الذين لن يشتركوا فى القتال لأن بقائهم فيه ارتباك وتعطيل للجيش ولكن كونراد لم يأخذ بنصائح الامبراطور مانويل [١٤٦].

تقدم كونراد بقواته حتى وصل إلى مدينة نيقية وهناك أعاد النظر فى خط سير الحملة ،ولهذا قسم جيشه الى قسمين القسم الاول الرئيسى جعله كونراد تحت قيادته وسار به فى ١٥ أكتوبر ١١٤٧ م عبر الطريق الذى يخترق قلب آسيا الصغرى ،والذى سبق أن اتخذته الحملة الصليبية الاولى ، إذ رأى أنه اقصر الطرق الى بلاد الشام ، والقسم الثانى وهو غير مسلح حيث ضم المشاة غير المحاربين من نساء وشيوخ وأطفال وعهد بقيادته الى أوتو أف فرايزنج – وهو أخ غير شقيق للامبراطور

---

(144) Vasiliev : op . cit ., vol II . p . 420 . ; Ostrogorsky : op . cit ., pp . 380-382 . ; Berry : op . cit ., p . 486 .

(١٤٥) أضاليا : هي مدينة أنطالية (أتاليا-أداليا) وهي ميناء كبير تقع علي البحر المتوسط في القسم الجنوبي من آسيا الصغرى وقد ورد هذا الاسم كثيراً في أخبار الحروب الصليبية بصور ستالية Setalia أو أتالية Attaleia انظر :

ياقوت : معجم البلدان ، جـ ١ ، ص ٢٧٠ . ؛ لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٣-١٨٤ .

(146) Runciman : op . cit ., vol . 2 pp . 267-268 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٠-٤٣١ .

Grousset : op . cit ., T.2 . pp . 233-234 . ; Berry : op . cit ., p . 486 . ; Brehier : Les Crosades . , p . 105 . ; Ostrogorsky : op . cit ., p . 339 .

سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣-١١٨٠م ، (الإسكندرية ١٩٨٤م) ، ص ١٤٤ . ؛ محمد زكي نجيب : علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عهد أسرة كومنين ، ص ١٤٨ .

- ومطران فرايزنج واتخذ هذا القسم الطريق الذى يمر الى لاوديكا على نهر ليكوس ثم الى أضاليا (١٤٧).

ويعقد المؤرخ الفرنسي أودو أوف دويل مقارنة بين الطرق التي تؤدي إلى انطاكية ، حيث يذكر أنه كان هناك ثلاثة طرق كل طريق منها له سلبياته وايجابياته ، ويذكر أن الامبراطور قسم جيشه ، واختار اوتو فرايزنج الطريق الاوسط الذى كان أكثر اماناً عن الطريقين الأخريين وإن كان طويلاً قليلاً (١٤٨).

أصدر كونراد أوامره إلى قواته بالتقدم من نيقية إلى قونية عاصمة السلطان ، ولم يأخذ كونراد مؤناً إلا ما يكفي لتموين الجيش لمدة ثمانية أيام فقط ، وكانت الرحلة شاقة ومرهقة أثناء سيرهم لوعورة الطريق عبر الممرات والجبال ، ومضى الجيش ببطء حتى إنهم استنفذوا إمداداتهم وقد رافقهم في رحلتهم هذه مرشدون بيزنطيون (١٤٩).

ولقد شكا الالمان من البيزنطيين من أن وكلاء الامبراطور خلطوا ما كان يقدم إليهم من الدقيق بالجير مما أضر بصحة الجيش الالماني وإن البيزنطيين لجأوا الى تزييف العملة التى كانوا يستخدمونها فى البيع ، حيث أمر الامبراطور بسك عملة من الفضة التالفة لشراء ما يبيعه الجيش الالمانى وإن الامبراطور طلب من المرشدين تضليل الحملة والهرب بعد ذلك ، وهذا ما أورده المؤرخ خونياتس فى هذا الشأن ويختم حديثه قائلاً إنه " لا يدرى إن كان قد تم هذا بموافقة الامبراطور أم لا وأيضاً إن كان ذلك صحيحاً أم لا " (١٥٠).

واصل الجيش الالمانى تقدمه فى الاراضى السلجوقية إلى قونية ثم استدعى الامبراطور كونراد الثالث المرشدين البيزنطيين حيث رأى انصرام الايام المحددة دون أن تبلغ الحملة قونية وسألهم عن ميعاد وصول الجيش الى قونية، واستفسر منهم عما أدى الى ان يستغرق الجيش زمناً جاوز ما اتفقوا عليه فى البداية دون الوصول الى غايتهم ! فأكد له المرشدون ان الجيش سوف يصل الى قونية فى مدى ثلاثة أيام ، وصدقهم الامبراطور ، فلما كانت الليلة التالية هرب المرشدون أثناء الليل وتركوهم بلا هاد يهديهم طريقهم (١٥١).

(147) **Kinnamos** : op . cit ., p . 68 . ; **Grousset** : op . cit .,.T.2 . p . 234 . ; **Berry** : op . cit ., pp . 495-496 . ; **Mayer** : op . cit ., p . 95 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 268 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣١ . ؛ سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤٥ .

(148) **Odo of Deuil** : De profection ludovici vii in orientem , Edited with an English translation by virginia Gingerick Berry (New York 1948) ., p . 89 .

(149) **Odo of Deuil** : op . cit ., p . 91 . ; **Berry** : op . cit ., pp . 495-496 .

(150) **Choniates (Nicetas)** : Historia ., pp . 87-89 . ; **Michaud (M)** : Histoire des croisades (Paris 1838) ., T.1 p . 382 .

(151) **William of tyre** : op . cit ., vol . Il pp . 168-169 .

ولقد روى المؤرخ الفرنسي أودو أف دويل مراحل تحرك الجيش الالماني في آسيا الصغرى حيث كانت رحلتهم شاقة أثناء توجههم من نيقية الى قونية ،وفي اليوم الرابع من تحركهم هرب الدليل البيزنطي الخائن من خلال طرق قصيرة يعرفها ،وعند بزوغ الفجر علم حاملوا الرايات – الذين كانوا على علاقة سيئة به – بهروبه وفجأة رأى الصليبيون أن الاتراك السلاجقة قد تمركزوا على قمم الجبال المحيطة بهم وأن الالمان حزنوا لأن الدليل البيزنطي هرب قبل ان يلقى الجزاء المناسب على جريمته ، ولقد علم الامبراطور بكل ذلك(١٥٢).

ويذكر المؤرخون السريان أن مانويل كومنين أمد الصليبيين بمرشدين ساقوهم الى طرق وعرة وجبال قاحلة لاماء فيها وظلوا تائهين بها خمسة أيام (١٥٣) كما أن المؤرخ وليم الصوري يتهم المرشدين البيزنطيين بأنهم خونة لأنهم أخبروا الزعماء الصليبيين بالتخفف من الطعام والمؤن لأنهم بالغوا قونية في ايام قلائل على حد قوله فيجدون أنفسهم في أخصب بقعة ولم يحدث ذلك ، كما تعمدوا إلى قيادة الكتائب الصليبية في مجاهل آسيا الصغرى عبر طرق غير مألوفه أفضت بهم إلى نواحي أتاحت لعدوهم الفرصة الملائمة لمهاجمتهم ، كما أشار المؤرخ أيضاً إلى أن الإمبراطور مانويل هو الذى أشار على المرشدين بالهروب ، أو أن الأتراك السلاجقة قد قدموا لهم الرشوة في مقابل ترك الجيش الالماني (١٥٤).

والملاحظ هنا أن معظم المصادر كانت معادية للامبراطور مانويل والبيزنطيين بشكل عام، صحيح أن الامبراطور مانويل كان في تلك الفترة قد عقد معاهدة سلام مع السلطان مسعود سلطان السلاجقة (١٥٥)، ولكن لا نتجاهل أن الامبراطور مانويل قد نصح كونراد باتخاذ الطريق الساحلي إلى أضاليا ، وهذا الطريق لا يخترق قلب آسيا الصغرى المليء بالأتراك . ولو كان مانويل يريد أن يطيح بالجيش الالماني لما أشار عليه بشأن المسير في آسيا الصغرى ، وقد أثبتت الاحداث صدق نصائح مانويل . أما المرشدين البيزنطيين فيبدو أن نفاذ المؤن واتهام الالمان لهم بالخيانه قد دفعهم الى الهرب .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .
(152) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 91-93 .
سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤٥-١٤٦ .
(١٥٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٦٢ .
(154) William of tyre : op . cit ., vol . II pp . 168-169 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٧٣-٢٧٤ .
(١٥٥) انظر : الفصل الثالث من الرسالة.

وقد يحسم هذا الموضوع نص الخطاب الذى أرسله الامبراطور الالمانى كونراد إلى ويبالد أسقف كورفرى Wibald of Corvey إذ لم يذكر كونراد عامل الخيانه من الجانب البيزنطى وذكر له أنه أختار هذا الطريق بنفسه لأنه أسرع طريق الى الشام (١٥٦). ويهمنا هنا أن نذكر أن الامبراطور كونراد بعدما اكتشف هروب المرشدين استدعى رجاله وعقد مجلساً لاستشارتهم حول هذا الموقف . ويقول المؤرخ الفرنسى أودو أف دويل فى هذا الشأن : " لقد فات الوقت على هذا لأنهم أجبروا على الاختيار ، وليس اختيار الخير من الشر ،ولكن اختيار أحد الطريقين أقلهما شراً ، فليس أمامهم إلا التقدم أو التقهقر ، ولكن الجوع والعدو وجبال لوبيا تس Lopyainth الغير معروفة لديهم أجبرتهم على عدم التقدم للامام ، وأيضاً فإن الجوع والخوف من العار أجبرهم على عدم التقهقر" (١٥٧).

اختلفت الآراء فى هذا المجلس الذى عقده الامبراطور الالمانى اختلافاً بيناً ، فبينما تمسك البعض بوجوب رجوعهم إلى أوطانهم إذا بالبعض الآخر يصر على متابعة الزحف ، وكان الجيش الصليبى فى ذلك الوقت يعانى من الجوع لنقص المؤن ، وفى نفس الوقت كان الجيش السلجوقى على مقربه منهم حيث قام بغارة فجائية على المعسكر الصليبى الذى ملأته الفوضى ، ودارت معركة شرسة أستخدم فيها الترك فنون القتال المعروفة عنهم وهى الكر والفر ، كما استخدموا الاسلحة الخفيفة كالسهام والنشاب فذبحوا من الصليبيين الآلاف ولم يبق من عسكرهم الكثيف سوى واحد من كل عشرة ، ووقع الكثير منهم فى قبضة الترك (١٥٨).

ولقد أورد أودو أف دويل تفاصيل هذه المعركة وذكر أن الاتراك لم يكونوا فى اغلب الاحيان يلتحمون كرجل واحد لرجل ،واستخدم الترك السهام التى أهلكت الجيش الصليبى وكان الكونت برنارد من بلوتزكو Bernard of Plotzkau ورجاله الذين كانوا يحمون مؤخرة الجيش ضحية هذه السهام ، وكل واحد من أفراد الجيش الصليبى ناح وندب على اقتراب أجله ، كما أصيب الامبراطور كونراد نفسه بجرح بالغ (١٥٩).

ولم يقم السلطان السلجوقى بنفسه بهذه المهمة ، بل قام بها احد قواده وهو القائد مامبلانس (بامبلانس) Mamplanes (Pamlanes) (باراموس Paramos

---

(156) Berry : op . cit ., p . 496 .

سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤٦ .

(157) Odo of Deuil : op . cit ., p . 93 .

(158) William of tyre : op . cit ., vol . II pp . 170-172 .

ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٦٢ . ؛ ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ٢٩٧ .

Chalandon (F) : op . cit ., p . 366 . ; Michaud (M) : op . cit ., T. 2 p . 338 . ; Berry : op . cit ., p . 496 .

(159) Odo of Deuil : op . cit ., p . 95 .

عند وليم الصورى) ،وحيث انتصر على الصليبيين عند نهر باثيز Bathys ، وقتلوا الكثير منهم ونجحوا في منع البقية الباقية من الصليبيين من عبور نهر المايندر والتقدم صوب مدينة فيلو ميلوم (١٦٠).

وحاول كونراد أن يعيد تنظيم فلول قواته المهزومة وهو جريح فتمكن بصعوبة بالغة من النجاة مع نفر قليل من رجاله عائدين الى نيقية مع البقية الباقية من اتباعه – وكانت نيقية فى حوذة البيزنطيين منذ أن استردوها من سلاجقة الروم سنة ١٠٩٧ م – واستولى الاتراك على الغنائم التى لا تحصى من الجياد والسلاح الوفير (١٦١) وملأت تلك الغنائم البلاد التركية حتى بيعت وزنات الفضة فى ملطية بيع الرصاص (١٦٢).

هذا ما حدث بالنسبة للقوات الرئيسية التى قادها الامبراطور كونراد ، أما عن مصير القسم الثاني من الجيش والذى كان يقوده أوتواف فرايزنج والذى اتخذ الطريق الساحلى إلى اضاليا ، فقد تعرضوا لكمين من الترك السلاجقة في مدينة لاوداكيا (اللاذقية) وتعرضوا لمذبحة رهيبة قتل فيها قائد الحملة والكونت بيرنارد والالاف من رجال هذه الحملة،والملاحظ هنا أن المؤرخ الفرنسى أودواف دويل يتهم حاكم مدينة لاوداكيا بأنه قاد الحملة الى أماكن مختصرة فى الطريق المؤدى الى كمين الترك انفسهم ، وإن هذا الحاكم ومن تبعه من اليونانيين قسموا الغنائم مع الترك ،ولم ينج من هذه المذبحة إلا قليل والذين واجهوا العطش والجوع والمجاعه بسبب نقص الإمدادات ، وقد وصلت البقية الباقية إلى أضاليا فى حاله إعياء شديد متأخرة عن الميعاد المفترض وصولها فيه بثلاثة عشر يوماً (١٦٣).

والجدير بالذكر أن المؤرخين لم يشيروا بالمرة الى وضع المرشدين فى هذه المعركة أو ينسوا الكارثه التى حلت بهم اليهم كما حدث للقسم الاول ، ويبدو

---

(160) Choniates (Nicetas) : Historia ., pp . 89-90 . ; William of tyre : op . cit ., vol . II p . 122 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٧٨ .

Kinnamos : op . cit ., p . 68 . ; Vryonis(s) : The Decline of Byzantine in Asia Minor ., p . 121 .

(161) William of tyre : op . cit ., vol . II p . 172 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٧٨ .

Vryonis(s) : op . cit ., p . 121 . ; Vryonis : Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., pp . 45-46 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 268 . ; Berry : op . cit ., p . 496 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣١-٤٣٢ .

(١٦٢) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٦٢ .

(163) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 113-115 . ; Michaud (M) : op . cit ., T. 1 p . 389 . ; Mayer : op . cit ., p . 104 .

هنا أن هؤلاء الادلاء ظلوا مع هذا القسم حتى النهاية ، ولم يقف هؤلاء موقفاً عدائياً من هذه الحملة وإلا لاشار اليهم هؤلاء المؤرخون على الرغم من تعرض هذه الحملة أيضاً الى هجوم الترك السلاجقة ، وإن كان صمتهم عن ذكر وضع المرشدين لم يقلل من تحاملهم على الجانب البيزنطي .

وفي تلك الاثناء كان الملك لويس يمضي بالجيش الفرنسي إلى القسطنطينية ولقد وصل أمام أسوارها في ٤ أكتوبر ١١٤٧ م حيث صدمه نبأ الصلح والهدنه التي عقدها الامبراطور مانويل مع سلاجقة الروم وبلغ من شدة قلق لويس أن اقترح عليه بعض قادة جيشه الاستيلاء على القسطنطينية . ولمواجهة هذا الخطر المنتظر أسرع مانويل بالتفكير في نقل القوات الفرنسية الى آسيا الصغرى [١٦٤]. وعلى أية حال اعتبر لويس هذا الامر بمثابة خيانة عظمى في حق الفكره الصليبية بوجه عام وفي حق الحملة الصليبية الثانية على وجه الخصوص [١٦٥].

وفي تلك الاثناء انتشرت شائعة كاذبة في وسط الجيش الفرنسي الذي كان يعسكر أمام أسوار القسطنطينية تشير الى أن الالمان حققوا نصراً كبيراً على السلاجقة الاتراك وذبحوا حوالي أربعة عشر ألفا من الترك ، واحتلوا قونية ،وترتب على ذلك أن تشجع الفرنسيون للعبور إلى آسيا الصغرى لعلهم يفوزون بجانب من هذا النصر[١٦٦].

ويتهم المؤرخ وليم الصوري الادلاء الذين كانوا يرافقون جيش الامبراطور كونراد بأنهم أصحاب هذه الاشاعة حيث راحوا يؤكدون لملك فرنسا ذلك الامر كي يحملوه على سلوك الطريق ذاته فيتردى في نفس المهالك التي تردى فيها كونراد ،ويجعلوه يصدق ما قالوه من نجاح كونراد حتى يحولوا بينه وبين المبادرة إلى نجدة إخوانهم الذين أحدق بهم الخطر ، وربما دفعهم إلى هذه القصة إبعاد العقاب عن انفسهم لانهم لو كانوا قد أخبروا لويس بهلاك جيش كونراد لامسكهم وعدهم خونة[١٦٧].

ويميل البعض إلى ان يكون الامبراطور مانويل مصدراً لهذه الشائعة خاصة وأنه كان يود التخلص بسرعة من القوات الفرنسية حتى لا يتحرج موقفه إذا تغلب

---

(164) Vasiliev : op . cit ., vol II . p . 421 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 268.

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٢ . ؛ حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ٢٢١.

(١٦٥) سعيد عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٤٨٨-٤٨٩.

(166) Odo of Deuil : op . cit ., p . 73.

(167) William of tyre : op . cit ., vol . II pp . 169-170.

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٧٤-٢٧٥.

الرأى الذى يطالب بالتحالف مع الملك روجر الثانى ملك صقلية ضد مانويل ،أو إذا أدت أى حادثة غير متوقعة إلى صدام بين الفرنسيين والبيزنطيين ، هذا إلى جانب أن الامبراطور البيزنطى كان يتشكك فى نوايا لويس الذى سبق له الاتصال بالملك روجر ودخل معه فى مفاوضات بشأن نقل الحملة بالطريق البحرى ، بالاضافة الى رفض لويس بالتعهد برد الاراضى التى يفتحها وكانت من قبل تابعة للامبراطورية البيزنطية [١٦٨].

ومهما يكن الأمر ، فقد تخلص مانويل من القوات الفرنسية التى عبرت البسفور إلى شاطىء آسيا الصغرى والتى اتجهت الى خلقدونية ولم يكد يعلم الامبراطور مانويل بذلك ،وبعد أن اطمئن على عاصمته اصدر اوامره بوقف إمداد الصليبيين بما يلزمهم من مؤن إلا إذا أقسم له الملك لويس والامراء المشتركين فى الحملة يمين الولاء عما يفتحونه من اراضى آسيا الصغرى فى مقابل أن يتعهد مانويل بإمداد الفرنسيين بالمؤن والمرشدين اللازمين ، فضلاً عن الهدايا لكبار البارونات الفرنسيين ، كما أن الامبراطور تعهد بأن تقوم المدن البيزنطية بتقديم كافة المساعدات للفرنسيين ،وكان من ضمن شروط لويس هو أن يكون من حق القوات الفرنسية نهب البلاد البيزنطية التى ترفض أن تقدم لهم الامدادات[١٦٩].

وصل الجيش الفرنسي إلى نيقية فى أول نوفمبر سنة ١١٤٧ م ليفاجأ بالكارثة التى حلت بالالمان وامبراطورهم كونراد الثالث ، حيث وصل فردريك دوق سوابيا إلى معسكر لويس السابع قادماً من معسكر كونراد ، فأخبر لويس عن هذه الكارثه ،وتأثر لويس تأثراً بالغاً بهذه الفاجعة ، وطالبه بالقدوم لمقابلة كونراد حيث وافق لويس على طلبه ، وفى هذه المقابله ،وبعد أن تبادل العاهلان التحايا المألوفة عقد اجتماعاً أسفر عن قرارهما بإكمال هدفهما وتوحيد قواتهما فى زحفهما معاً عبر الطريق الساحلى وترك الطريق الذى سلكه الامبراطور كونراد من قبل [١٧٠].

ونظراً لما حل بالجيش الالمانى من خسارة فقد عرض الملك لويس ونبلاؤه الاموال والمعدات على الامبراطور كونراد وجيشه واتفقوا على أن ينتظروا فى لوباديوم حتى يستطيع مونرد أن يجمع المزيد من الامدادات قبل الاستمرار فى الرحلة ،ولكن الاسواق أصبحت أكثر ارتفاعاً وندرة ، حتى لجأ الفرنسيون إلى سلب

---

(١٦٨) سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٥١-١٥٢.

(169) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 77-79 .

(170) William of tyre : op . cit ., vol . II p . 173 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٠ .

Kinnamos : op . cit ., p . 70 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 367 . ; Grousset : op . cit ., T.2 . p . 239 . ;Berry : op . cit ., p . 497 .

ونهب الارياف تماماً ، كما تسمح لهم اتفاقيتهم السابقة مع مانويل ،وكان رد فعل الاهالي والسكان على هذا بأن أزعجوا وقتلوا افراداً من القوات الالمانية الضعيفة التي جاءت بعد ذلك(١٧١).

ولقد عبر كونراد في اجتماع عقد في ذلك الوقت عن رغبته في أن يواصل لويس الحملة الصليبية بجنوده ،وطلب أن يتمركز في منتصف الجيش حيث إنه لم يكن هو وقواته أقوياء بالقدر الكافي لأن يحموا مقدمة أو مؤخرة الجيش ،وبخصوص هذا الطلب عين الملك لويس بعض القاده علىراس قوات إضافيه الي قوات الامبراطور (١٧٢).

زحفت القوات الفرنسية والألمانية تارة عبر الطريق الداخلي ، وتارة أخرى عبر الطريق الساحلي ، جاعلة فيلادفيا على يسارها فكانت أزمير أول محطة وصول بلغوها، واتجه منها الجميع الي افسوس Ephesus في منتصف ديسمبر سنة ١١٤٨م(١٧٣).

وعلى الرغم من أن الهدف كان واحداً لكل من الفريقين الفرنسي والالماني فإن القوات الفرنسية لم تكن على وفاق مع القوات الالمانية التي تعرضت للسخرية من قوات لويس بسبب تأخرهم عن متابعتهم ، حيث سار الجيش الفرنسي في المقدمة بينما شق الالمان طريقهم متأخرين عنهم ،وكان الفرنسيون يسخرون من الالمان وينادونهم على سبيل الاحتقار " تحركوا أقبلوا أيها الالمان"(١٧٤).

وفي مدينة إفسوس سقط الامبراطور الالماني كونراد صريع المرض بسبب اعتلال صحته ولم يتمكن من مواصلة الرحلة ،وعندما سمع مانويل وزوجته بهذا قاموا بدعوة كونراد بالحضور الي القسطنطينية حتى يأخذ فترة نقاهه ويتمكن من استعادة عافيته وكان مانويل سعيداً حينما نجح في فصل الجيشين الغربيين ، كما كانت فرصة ليقوى الاتفاقية القديمة بينه وبين كونراد ضد صقلية وهنغاريا (١٧٥) .

ويتساءل هنا وليم الصوري عن الاسباب التي حملت كونراد على الذهاب إلي القسطنطينية إلا إذا كان ما أحسه من شجي ومرارة على القتلى الكثيرين من جيشه الذين كانوا تحت قيادته أو ربما مرجع ذلك إلى ما لقيه من صلف الفرنسيين الذي لا يحتمل ، ومهما يكن من أمر فإن الامبراطور مانويل قد رحب به ترحيباً فاق

(171) Berry : op . cit ., p . 497 .
(172) Ibid ., p . 497 .
(173) William of tyre : op . cit ., pp . 173-174 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٠-٢٨١ .
Chalandon (F) : op . cit ., p . 367 .
(174) Kinnamos : op . cit ., p . 70 .
(175) Berry : op . cit ., p . 498 . ; Chalandon (F) : op . cit ., pp . 367-368 .

ترحيبه فى المرة الاولى ، فظل مقيماً هو ورجال دولته فى القسطنطينية حتى مستهل الربيع الثانى(١٧٦).

والحقيقة أن الامبراطور كونراد تأثر تأثراً بالغاً لما حظي به من اهتمام الامبراطور والامبراطوره ،واثناء وجود الامبراطور كونراد فى القسطنطينية والذى استمر حتى أول مارس سنة ١١٤٨م تم تدبير زواج هنرى دوق أوستريا شقيق كونراد من ثيودوار ابنة اندرونيقوس شقيق الامبراطور مانويل (١٧٧).

ومما هو جدير بالذكر أن الامبراطور مانويل كومنين مع اهتمامه بالامبراطور كونراد من جهة لم ينس أن ينال الامبراطور لويس جزءاً من هذا الاهتمام ،إذ أرسل إليه أثناء وجوده على رأس جيشه فى مدينة إفسوس يبلغه محذراً أن الاتراك السلاجقة قد جمعوا قوات هائله لمحاربة الصليبيين وينصحه أن يتجنب نزالهم ، وحثه على ان يتخذ من الحصون البيزنطية مأوى له كما أوضح له أنه ليس فى مقدور السلطات البيزنطية كبح جماح المواطنين البيزنطيين فى آسيا الصغرى إذا ما تعرضوا للاذى من قبل الصليبيين ، ولم يرد لويس على رسائل الامبراطور مانويل ،ولم يهتم بها وسار الملك بجيشه متقدما لانه كان يرغب في الاحتفال بأعياد الكريسماس فى وداى ديكرفيون (١٧٨).

ولقد اتخذ الجيش الفرنسى طريقه المستدير بوادى نهر المياندر ،وعند ديكيرفيوم أمضى الفرنسيون عيد الميلاد ، ثم تقدمت القوات حتى وصلت الى مدينة انطاكية فى اول يناير سنة ١١٤٨م (السابع من شعبان ٥٤٢هـ) وفى هذا الموضع وعلى ضفاف نهر الميا ندر نشبت معركة حامية بين الصليبيين والترك انتهت بهزيمة الترك ووقوع اعداد منهم فى الاسر واستولى الصليبيون على المعسكر التركى الذى وجدوه زاخراً بكل أنواع الاسلاب وشتى ضروب الغنائم(١٧٩).

---

(176) William of tyre : op . cit ., p . 174 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨١ .

(177) Kinnamos : op . cit ., p . 72 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 271 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٦ .

Chalandon (F) : op . cit ., p . 368 .

(178) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 107-109 . ; Berry : op . cit ., p . 497 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 271 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٦ .

(179) William of tyre : op . cit ., p . 174-175 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٢٨٢ .

Odo of Deuil : op . cit ., p . 109 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 271-272 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٧ .

Berry ; op . cit ., p . 498 .

والغريب هنا أن المؤرخ الفرنسي أودو أف دويل يذكر أن هذه المعركة كانت مع جيش الترك تحت قيادة القادة اليونانيين (البيزنطيين) متهماً بذلك البيزنطيين أنهم سبب كل الكوارث [١٨٠].

وصل الصليبيون بعد ذلك مدينة لاوداكيا [١٨١] في الثالث أو الرابع من يناير سنة ١١٤٨م فوجدوها خالية من السكان حيث هجرها سكانها إلى التلال بكل ما معهم من مؤن خوفاً من الصليبيين من أن يقوموا بنهبها ، لذلك تعذر عليهم جمع المؤن اللازمة لهم في رحلتهم الشاقة إلى اضاليا [١٨٢]. وإن كان وليم الصورى ذكر أنهم حينما بلغوا هذه المدينة تجهزوا بالمؤنه التى تكفيهم عدة أيام ثم ساروا جميعهم كتله واحدة [١٨٣].

شقت القوات الفرنسية طريقها في آسيا الصغرى قاصده مدينة أضاليا (أنطاليا)، فالطريق إلى أضاليا يدور حول جبال شاقة وكانت الرحلة شاقة نظراً لوعورة الطريق وظروف الشتاء القاسية ،ولقد روع الصليبيين والفرنسيين ما شاهدوه من جثث حملة الالمان السابقة والتى كان يقودها أوتو اف فرايزانج – متناثرة على امتداد الطريق وواصل الجيش الفرنسي مسيرته وعمل الملك لويس على تنظيم جيشه واعاد توزيع قيادته حيث تولى بنفسه قيادة مؤخرة الجيش مع حرسه وعهد بقيادة مقدمة الجيش الى عمه الكونت مارين Maurienne ومعه البارون جوفرى أفي راتكون Geoffery of Rancon [١٨٤].

وأثناء تقدم الجيش الصليبى حدث أن خالفت بعض الفرق أوامر الملك لويس حينما أخذ الجيش الفرنسي يهبط نحو البحر حدث أن قامت فرقة جوفرى أف رانكون مخالفة لأوامر الملك التى تقضي بأن يعسكر على قمة الدرب ، فهبطت الى سطح التل وانقطعت صلتها بالجيش الرئيسي .وفي وسط هذه الظروف انقض الاتراك

---

(180) Odo of Deuil : op . cit ., p . 109 .

(١٨١) لاوداكيا : لاوديقية – لاذق – اللاذقية) ، تقع هذه مدينة في أقليم فريجيا الصغري بقرب آسيا الصغرى غرب مدينة قونية ، قد سماها الأتراك ديزكي لوفرة المياة فيها ، ويعرف هذا الموضع في وقتنا الحاضر باسم اسكي حصار ، أي القلعة القديمة . انظر :
Ramsay : op . cit ., p . 52 , 88 , 134 .
الأدريسي : المصدر السابق ، مج ٢ ، ص ٨١٢ ، لسترنج : بلدان الخلافة ، ص ١٨٦ .

(182) Odo of Deuil : op . cit ., p . 115 . ; Berry : op . cit ., pp . 498-499 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p .272 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٧ .
Chalandon (F) : op . cit ., p . 367 .

(183) William of tyre : op . cit ., pp . 174-175 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢ .

(184) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 111-115 . ; Berry : op . cit ., p . 499 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 367 .

السلاجقة على القوات الصليبية وامطروهم وابلاً من السهام ، وحدث ارتباك فى الجيش الفرنسي وسقط العديد من الجيش الصليبي بخيولهم صرعى ،وتعرض الملك لويس ورفاقه للموت ، كما قتل الترك الخيول التي لم تكن قادرة على الجرى ، حتى أن فرقة الفرنجة المكسوين بالدروع ساروا على أقدامهم بعد أن فقدوا خيولهم ، ولقد لجأ الملك لويس وحرسه إلى تسلق صخرة مرتفعة مخافة الوقوع فى الاسر ،ولقد قاوم العديد من الترك السلاجقة وكاد الملك نفسه أن يقع في الاسر لولا حلول الظلام ، وقد أفاض المؤرخ الفرنسي أودو أف دويل في وصف المعارك التي خاضها الفرنسيون مع الترك والخسائر التي لحقت بهم وعلى رأس هذه الخسائر فرقة الحراسة الملكية والتي كان عددها أربعين فارساً وكان من خيرة قوادها الكونت وارين Warenne واخوه إيفارد من بريتولى Evard of Breteuil و ماناسيس من بولزي Manasses of Bull وجوتير من مونتجاي Gautier of Montjay(١٨٥).

وعلى اية حال ، قرر الملك لويس القيام بمحاكمة المسئولين الذين تسببوا فى هذه الكارثة حيث أصدر حكماً على جيوفرى Geoffrey بالشنق ، لعدم إطاعة الاوامر حول يوم الرحيل ،ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث لان عم الملك شارك جيوفرى فى هذا التقصير ، ويضيف المؤرخ أودو أف دويل قائلاً : " وقبل زوال حزن الناس من ظل الكارثة طلع فجر اليوم التالى بضياء وإشراق وأصبح جيش الاعداء على مرئى منا منتشراً على الجبال فى حشد كبير سعداء بما حققوه بينما كان رجالنا ينوحون ويندبون على رفقائهم وممتلكاتهم المفقودة" (١٨٦).

على أننا نلاحظ أن أودو اف دويل دائماً يذكر ويكرر تحامله على البيزنطيين ، ففى تلك المعركة ذكر فى احدى عباراته " أن سهام الترك واليونانيين قد منعت أى شخص واقع فى النهوض مرة اخرى" (١٨٧).

ولقد علق المؤرخ وليم الصورى على هذه المعركة بقوله : " لقد ضاعت فى هذا اليوم شهرة الفرنجة الرائعة فى خطب كان من اشد الخطوب وفى نكبة كانت من أفدح النكبات التى حاقت بالصليبيين ، وذلك أن بسالتهم التى كانت فى هذه اللحظة مضرب الامثال عند الشعوب هوت إلى الحضيض ، وأصبحت سخرية فى عيون الامم النجسة ، بعد أن كانت بالأمس مصدر فزع لها " (١٨٨).

---

(185) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 115-123 . ; William of tyre : op . cit ., pp . 175-179 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٢-٢٨٥ .

Berry : op . cit ., pp . 499-500 .

(186) Odo of Deuil : op . cit ., p 123 .

(187) Ibid . , p . 117 .

(188) William of tyre : op . cit ., pp . 177 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٥ .

بدأ الملك لويس فى اعادة تنظيم قواته لمواصلة الزحف الى مدينة أضاليا وعهد إلى ايفرارد من باري Everard of Barre رئيس منظمة فرسان المعبد (الداوية) [١٨٩] بالمساعدة فى قيادة الجيش ، حيث كان الفرسان المعبد خبرة فى مثل هذا النوع من القتال فى الشرق والغرب أكثر من أى فرسان آخرين . وكان لإفرارد قداسته واحترامه من افراد الجيش . وبادر ايفرارد بالإخاء والمساواه بين فرسان المعبد وبقية الجيش .وأدى الجميع القسم على عدم هروبهم من ساحة القتال مهما كان الامر واتباع أوامر الذين عينوا من قبل إفرارد[١٩٠].

وعين إيفرارد قائداً عاماً هو جلبرت الذى قام بدوره بتقسيم الجيش ووضع على راس كل خمسين فارساً ،وطلب منهم جلبرت الصمود امام هجمات الترك وأصدر اوامره بعدم الهجوم الا بعد صدور الاوامر ولا ينسحبوا إلا بعد أن يعطى لهم الاشارة ، وتم وضع رماه السهام فى مقدمة الجيش لمهاجمة رماه السهام من الترك، والنبلاء الذين فقدوا معداتهم ثم وضعهم فى وسط الجيش [١٩١].

وعلى الرغم من أن الملك لويس هو سيد القوانين ، إلا أنه هو ايضاً يريد أن يكون خاضعاً –مثله فى ذلك مثل اى احد – لهذه القوانين ، وإن كان لا يستطيع أحد أن يتجرأ فى فرض أى أمر عليه ،ولكن المحافظة على الجيش وعلى خط القتال فى المعركة كانت فوق كل اعتبار [١٩٢].

---

(١٨٩) الداوية : شهدت الحركة الصليبية فى بلاد الشام أبتكاراً فذاً فريداً أوجده نجاح الحملة الصليبية الأولى ويتمثل ذلك فى الهيئات االدينية الحربية التى جمعت بين حياة الرهبانية والفروسية فى رباط واحد ومن هذه الهيئات الأسبتارية والداوية وفرسان التيوتون وغيرها أما عن هيئة الداوية ، فيرجع تأسيسها إلى عام ١١١٨ م وكانت فى البداية مكونة من مجموعة من الفرسان عاهدوا الله على العفه والطاعة والتقشف على طريقة الرهبان وأطلاقوا على أنفسهم " أتباع جنود المسيح الفقراء "

" The poor Fellow of Jesus christ "

وزادوا أن أقسموا اليمين على حمل السلاح وتجريدة ضد المسلمين، وبذلك أصطبغت هذه الجماعة منذ الحظة الأولى وهى فى دور التكوين بصبغة القتال والحرب وحصل أولئك الفرسان سنة ١١١٨ م من الملك بلدوين الثانى (١١١٨–١١٣١) على مقر لهم فى جناح القصر الملكي بالقرب من معبد سليمان ، وهو المسجد الأقصى فى بيت المقدس ، ومن ثم عرفوا بأسم فرسان المعبد Kinghts of the Temple أما فى العربية فقد عرفوا بأسم الداوية نسبة إلى محراب داود .

أنظر : محمود الحويرى : الأوضاع الحضارية فى بلاد الشام ، ص٦٥–٦٦ .

(190) Odo of Deuil : op . cit ., p 125 .
(191) Odo of Deuil : op . cit ., p 125 .
(192) Ibid . , p . 127 .

واصل الجيش الصليبي مسيرته وفي أثناء تقدمه كان الغز الاتراك يلقون بشعورهم التي كانوا يقتلعونها من رؤوسهم كعلامة يشيرون بها للصليبيين على انه لن يستطيع أحد أن يطردهم من تلك المنطقة ، وقد انعكست دقة النظام الذي سار به الجيش على ادائه القتالي حتى تمكن من هزيمة الاتراك وصد غاراتهم لاربع مرات اثناء زحفهم " لكن (الترك واليونانين) كانوا يخططون لدمارنا في طرق متعددة "، ولقد لجأ القادة للتغلب على نقص المؤن بذبح الخيول التي لم تكن قادرة على السير (١٩٣) ويلقي المؤرخ أودوأف دويل على جودفري أوف رانكون العبء قائلا انه قادهم الى الموت والدمار (١٩٤).

واصل الجيش زحفه وهو يواجه نقصاً في جميع مواد التموين ويذكر وليم الصوري أن النكبة التي كانت أدهى من ذلك كله وافدح هي أنه لم يكن معهم أدلاء يرشدونهم على المسالك ويدلونهم على الضروب ومن ثم تشردوا وهاموا على وجوههم ولم ينقذهم مما هم فيه إلا دخولهم أخيراً إلي إقليم بامفيليا (١٩٥) مجتازين الممرات الجبلية والأودية العميقة حتى قيض لهم النجاح أخيراً في بلوغ أضاليا (١٩٦).

وصل الجيش الفرنسي إلى أضاليا في العشرين من يناير سنة ١١٤٨م (السابع من شعبان سنة ٥٤٢هـ) فوجد في انتظاره لاندولف Landolph حاكم المدينة ، وكانت أضاليا تابعة للامبراطورية البيزنطية ، ولم تكن مدينة كبيرة تتوافر فيها المؤن ، وذلك لوقوعها في اقليم قروي فقير ، فهي تتاخم مباشرة أرض الترك ، وكانت تدفع الجزية للترك لعدم قدرتها على مجابهتهم وكانت أيضاً تمارس التجارة معهم (١٩٧).

ولقد عاني الجيش الفرنسي في أضاليا في الحصول على المؤن لارتفاع اسعارها ولجدب المنطقة ولتعرضها حديثاً لغارات الترك السلاجقة ، فضلا عن استيلاء القوات الالمانية السابقة ،والتي كانت بقيادة أوتو أف فريزانج على قدر كبير من

---

(193) **Odo of Deuil** : op . cit ., pp . 127-129 . ; **Berry** : op . cit ., p . 500 .
(194) **Odo of Deuil** : op . cit ., p . 129 .

(١٩٥) بامفيليا : أحد أقاليم آسيا الصغري الواقعة علي ساحل البحر المتوسط . انظر :

Ramsay : op . cit ., pp . 388-389 .

(196) **William of tyre** : op . cit ., pp . 177-179 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٧ .

(197) **William of tyre** : op . cit ., pp . 177-178 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٧ .

Berry : op . cit ., p . 500 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 pp .272-273 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩ .

المؤن ، ولم يسلم البيزنطيون من هذا الامر حيث اعتبر المؤرخ الفرنسي هذا دليلاً جديداً على خيانة البيزنطيين [١٩٨].

قرر الملك لويس مواصلة الزحف الى أنطاكية وتفاوض مع البيزنطيين والحاكم لاندولف حول الطريق المؤدى لأنطاكية ، فأشار عليهم البيزنطيون بأن الطريق إلى انطاكية عن طريق البر بحذاء الساحل الجنوبى لآسيا الصغرى هو طريق صعب وشاق ويستغرق مسيرة أربعين يوماً تتخللها أراضي جرداء ليس بها مؤن ويسيطر عليها السلاجقة ، في حين أن الرحلة عن طريق البحر تستغرق ثلاثة أيام فقط ، لذا قرر الملك لويس استكمال الرحلة عن الطريق البحرى ، ووعد البيزنطيون بتوفير السفن اللازمة على الرغم من انه ليس من السهل توفير سفن لكل هذا الجيش [١٩٩].

قام حاكم المدينة بتدبير بعض السفن اللازمة لنقل القوات الصليبية ، وبينما كان يجرى إعداد السفن قام الاتراك بشن غارات على المعسكر الصليبيى ووجه الفرنسيون اللوم الى البيزنطيين ،وتم تجهيز السفن ولكنها كانت من القلة ما لا يجعلها تتسع لكل هذا الجيش ، لذا فقد استقل الملك لويس وحاشيته وفرسانه سفينة قدمها له حاكم المدينة لاندولوف ، بينما جرى نقل جزء من القوات الصليبية الاخرى مقابل أربعة ماركات عن كل فرد .ووصلت سفينة لويس الى ميناء السويدية [٢٠٠] في التاسع عشر من مارس سنة ١١٤٨ م (٢٥ من شوال سنة ٥٤٢ هـ) .

وللواقع أن الملك لويس تخلى عن جيشه وتركه تحت رحمة السلاجقة، غير أنه قام بدفع مبلغ من المال قدره خمسمائه مارك للاندولف حاكم المدينة وطلب منه أن يرسل إليه عن طريق البحر من تبقى من الجيش ، وأناب عنه بالاشراف على هذه المهمة كونت أف فلاندرز Count of Flanders والكونت أرشيبالد أف بوربون Archibald of Bourbon ، على انه لم يمض يوم واحد على رحيل الملك حتى قام الترك السلاجقة الذين علموا فى الصباح برحيل الملك بمهاجمة المدينة بمن فيها من البيزنطيين والصليبيين ،وعلى الرغم من قيام كونت فلاندرز

(198) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 129-131 .
(199) Ibid . , p . 131 . Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 273 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩ .
Berry : op . cit ., p . 501 .
(200) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 135-137 . ; William of tyre : op . cit ., pp . 178-179 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٨٨ .
Runciman : op . cit ., vol . 2 p .272 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٣٩ . ؛ ديورانت (ول) : قصة الحضارة ،مجـ ٤ ، جـ ٤، ص٣٢.

وبوربون بتنظيم الخطوط القتالية والدفاع ، إلا أن الاتراك نجحوا فى إلحاق خسائر فادحة بالجيش الصليبى (٢٠١).

وعندئذ قام لاندولف بتوفير سفن اخرى لينقل بقية الجيش ، ولكنها لم تكن كافية ،وابتهج كونت فلاندرز وكونت بريون ، فرحل الملك لويس ،واستقل السفن هو ونخبه من القواد والاصدقاء والفرسان تاركين البقية الباقية من الجيش والحجاج ليواجهوا مصيرهم المحتوم ، حيث رفضوا البقاء فى المعسكرات التى أعدها لاندولف لهم ، وبعد أن تخلى عنهم قادتهم لاعتقادهم انهم سوف يتعرضون لهجمات الترك ، شقوا طريقهم براً إلى طرسوس مفتقدين النظام والترتيب . وتعرضوا اثناء زحفهم إلى هجمات السلاجقة ، وهلك جانب كبير منهم فى حين وقع البعض ضحية الجوع والعطش والمرض ووقع البعض فى أسر السلاجقة والبعض الاخر فى خدمة اليونانيين ، ولم يصل إلى انطاكية أو طرسوس إلا أقل من نصف عددهم (٢٠٢).

أما بالنسبة للامبراطور كونراد فقد أمضى الشتاء فى القسطنطينية حيث لقى أحسن المعاملة من مانويل ،وفى ربيع ١١٤٨م استعد للرحيل وأغدق عليه مانويل كثيراً من الهدايا ، ثم ابحرهو ومن معه من النبلاء الذين فى حاشيته الى الشرق فى اسطول جهزه مانويل لهم ، فوصل عكا فى ابريل سنة ١١٤٨ م (٢٠٣).

اجتمعت بقايا جيوش كل من كونراد و لويس فى فلسطين ، وبدلاً من قيامها هى وباقى الصليبيين باسترداد الرها – السبب الرئيسى فى قيام الحملة الصليبية الثانية – قام الصليبيون بهجوم فاشل على دمشق حيث نجحت القوات الاسلامية فى صدهم ونجت دمشق من الصليبيين وعاد الملكان الغربيان يجران أذيال الخيبة بعد فشلهما فى حصار دمشق وكان ذلك نهاية للحرب الصليبية الثانية.

على أن فشل الحملة الصليبية قد فجر العديد من الاسئلة ، هل كان الامبراطور مانويل هو السبب الرئيسى فى فشل الحملة ؟ وهل عقده اتفاق مع سلاجقة الروم هو اعلان واضح وصريح عن تحريضه للترك للقيام بالهجوم والقضاء على الصليبيين ؟ وهل الصليبيون مسئولون مسئولية كاملة عن إخفاق هذه الحملة الصليبية ؟ أم أن المسئولية كانت مشتركة بين الامبراطور مانويل والصليبيين ؟ وما

(201) Odo of Deuil : op . cit ., p . 139 . ; Berry : op . cit ., pp . 501-502 .
(202) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 139-141 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p .274 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٤١ .
Berry : op . cit ., p . 503 .
محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٦٠ . ؛ محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ١٠٣.
(203) William of tyre : op . cit ., vol . II pp . 181-182 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٩٠-٢٩١ .

حقيقه الدور الكبير الذى لعبه الأدلاء البيزنطيون فى تحركات الجيوش الصليبية فى آسيا الصغرى ؟ والحقيقة إنها كلها أسئلة واتهامات جديرة بالفحص.

بداية نود القول إن الملك لويس أرسل إلى رئيس الدير سوجر رسالة لم تختلف عن سائر الرسائل فيما انطوت عليه من عرض واحد هو طلب المزيد من المال وقد أوعز كل ما وقع فى بلاد الاناضول من كوارث " إلى خيانة الامبراطور مانويل ، وإلى ما ارتكبناه من خطأ " (٢٠٤).

كما أن المؤرخ الفرنسى أودو أف دويل الذى يعتبر المؤرخ الرسمى للحملة الصليبية الثانية نراه على طول صفحات مدونته يردد باستمرار التهمة الموجهة إلى البيزنطيين بالخيانة ، كما أننا نلاحظ عاطفة الكره للبيزنطيين فيصف القسطنطينية قائلاً : " وكانت مدينة القسطنطينية مدينة عظيمة الثروات والخيرات وفى تصرفاتها ومعاملاتها الغش والغدر ، وكانت عقيدتها فاسدة وكافرة " (٢٠٥) كما يقول : " لقد عانينا من افعال اليونانيين الشريرة " " ولقد هزمنا بسبب خيانة وتكاسل اليونانيين (٢٠٦) . ويتهم أيضاً البيزنطيين بأنهم قادوا الترك لقتالهم اثناء زحفهم فى آسيا الصغرى ، " ففى عشية ليلة الكريسماس ، عندما كانت خيامنا منصوبه فى الوادى الخصيب جداً ، فإن الاتراك تحت قيادة اليونانيين قد حاولوا للمرة الاولى أن يخدعونا لعدم انتباهنا وذلك بالهجوم على خيولنا حيث كانت ترعى فى العشب وقد قاومتهم ... " (٢٠٧) . وفى احدى المعارك يذكر " أن سهام الاتراك واليونانيين قد منعت أى شخص سقط من النهوض مرة اخرى " (٢٠٨) . ويذكر أيضاً " لكن الاتراك واليونانيين كانوا يخططون لدمارنا فى طرق متعددة مختلفة " (٢٠٩).

كما شكا المؤرخ أودو اف دويل من ان البيزنطيين لم يقدموا مؤناً كافية على الرغم من انهم تقاضوا عنها اثماناً باهظة، كما أنهم لم يوفروا للحملة وسائل النقل الكافية ، والواقع أنه ما من دولة فى العصور الوسطى حتى بيزنطة ذاتها المعروفة بقوة نظامها ، حازت من فائض كميات المؤن ما يكفى لبذلها لجيشين بالغى الفخامة (الالمانى والفرنسى) قدما دون دعوة ودون سابق إنذار ، وكلما شحت الاقوات لابد أن تنزع الاسعار إلى الارتفاع، ومن المحقق أن عدداً كبيراً من التجار المحليين وبعض موظفى الحكومة حاولوا أن يغشوا الغزاة ، ولم يكن هذا السلوك

---

(204) Runciman : op . cit ., vol . 2 p .274 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٤١ .

(205) Odo of Deuil : op . cit ., p . 87 .
(206) Ibid . , p . 99 .
(207) Odo of Deuil : op . cit ., p . 109 .
(208) Ibid . , p . 117 .
(209) Ibid . , p . 127 .

ظاهرة نادرة الحدوث فى التجارة ولاسيما فى العصور الوسطى (٢١٠). وبذلك يكون قد تأكد أن المؤرخ اودو اف دويل كان شديد البغض للبيزنطيين .

أما بالنسبة للحاكم البيزنطى لاندولف حاكم مدينة أضاليا (أنطاليا) وما وجه اليه من نقد لعدم توفيره السفن اللازمة لنقل الجيش الفرنسى عن طريق البحر فهو برىء من تلك التهمة . فلا يصح توجيه اللوم له لانه ليس فى امكانه أن يوفر ويجهز عدداً من السفن تكفى لنقل كل هذا الجيش . حيث ذكر المؤرخون أنه ميناء صغير . وعلى الرغم من ذلك فقد قدم للملك لويس سفينة مجاناً كما وفر على قدر طاقته – وفى وسط الشتاء القارص الذى تقل فيه الملاحة – عدداً من السفن نقلت جزءاً من الجيش . ولوكانت السفن متوفرة بشكل كبير لما اتخذ لويس وكونراد الطريق البرى ، أما بالنسبة للادلاء البيزنطيين والاتهام الموجه إليهم بالخيانه، فقد يقبل هذا الاتهام إذا لم نضع فى اعتبارنا التدمير والتغير الذى احدثته حروب الترك مع البيزنطيين وما قام به الترك من تدمير فى الجسور والابار لكى لا ينتفع البيزنطيون بها عند اشتباكهم معهم ، فضلاً عن انه كثيراً ما ضرب بنصائحهم عرض الحائط .

أما بالنسبة للسكان البيزنطيين فى آسيا الصغرى إذا وجه لهم اللوم أو الاتهام بأنهم لم يتعاونوا مع الصليبيين ، فإن هذا الاتهام يكون مقبولاً فى حالة خروج الصليبيين عن التزامهم فى معاملتهم مع هؤلاء السكان ، بل إن بعض البلاد تعرضت لهجوم عنيف من الصليبيين على الرغم من أن الطرفين تظلهم ديانه واحدة (المسيحية) . كما اعتبر الصليبيون أن السكان المحليين كانوا متواطئين مع الترك كما أن السكان البيزنطيين فى آسيا الصغرى لم يكن يعنيهم من يهاجمهم سواء كانوا صليبيين أو أتراكاً طالما أن هذا يعرضهم للخطر فاتخذوا ما رأوه مناسباً فى الحفاظ على سلامتهم.

أما بالنسبة للامبراطور مانويل وموقفه من الحملة الصليبية الثانية فإن معظم المؤرخين المحدثين يميلون إلى أنه لم يكن مسؤولاً عن فشل الحملة الصليبية (٢١١).

---

(210) **Runciman** : op . cit ., vol . 2 pp .274-275 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٤١-٤٤٢ .

(211) **Runciman** : op . cit ., vol . 2 pp .274-275 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٤١-٤٤٥.

Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 97-98 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II . p . 420 .

سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٤٣-١٤٤،١٤٥،١٥٣،١٥٨ . ؛ محمد زكى نجيب : المرجع السابق : ص ١٥٣ . ؛ حسنين ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٢٢ .

وفيما يتعلق بالتحالف الذى عقده مانويل مع الاتـراك السلاجقة فالواقع أن الحروب بين السلاجقة والاتراك فى آسيا الصغرى وبين البيزنطيين كـانت سجالاً بين الطرفين [٢١٢] وكانت الظروف بين الفريقين تتطلب أن يحافظ كل منهما على السلام بينهما ، كما أن الامبراطور مانويل لم يكن راغباً فى قدوم الحملة الصليبية ،ولم تكـن بموافقته لأن تجاربه جعلته لا يثق فى مساعدة الغرب . أما السلاجقة فكثيراً ما كـان يحدث خلاف بين الامراء المسلمين فى آسيا الصغرى، الامر الذى دفع سـلطنة سلاجقة الروم الى عقد معاهدة السلام مع بيزنطة للتفرغ للمشاكل التى تواجهها ، والشـيء نفسه بالنسبة لبيزنطة فكثيراً ما يحدث اضطرابات فى بعض منـاطق الامبراطورية المختلفة فى أوربا .

والواقع أن البيزنطيين حينما طلبوا من الامبراطور أن يساندهم على المسلمين فاتهم أن بلادهم كانت تتعرض لهجوم عنيف من قبل دولة مسيحية أخرى هى صقلية ، إذ استولى ملكها روجر سنة ١١٤٧ م على جزيرة كورفو ومنها أرسل جيشاً ليغير على شبه جزيرة البلقان ، وما تعرض له الامبراطور من تهديد لهجـوم النورمان ، هو الذى حمله على الارتداد عن قونية فى سنة ١١٤٦ م . فإذا جرى اعتبار مانويل خائنا للعالم المسيحى باتفاقه مع السلاجقة (١١٤٧م) فمن المحقق أن روجر ملك صقلية يفوقه فى ذلك [٢١٣] لخيانته لدولة مسيحية لها ثقلها بين دول وامبراطوريات العصور الوسطى.

وعلى الرغم من ضخامة الجيش البيزنطى . فإنه لم يكن سريع الحركـة، فقد اضطر الامبراطور مانويل الى تقسيم قواته للدفاع عن الاراضى البيزنطية ضد هجمات روجر ملك صقيلة من جهة وضد هجمات البولوفتسي [٢١٤] Polovtsian

---

[٢١٢] انظر الفصل الثالث من الكتاب.

(213) Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 575 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٤٣-٤٤٤ .

[٢١٤] البولوفتسي : أحد العناصر التركية التى نزحت من أواسط آسيا وأقامت فى سهوب روسيا الجنوبية بعد البجناك والغز ، ولم يظهروا إلا بعد القرن الحادي عشر الميلادى وقد عرفوا فى اللغة اليونانية بأسم Komanoi , Komanoi وفى اللاتينية comani وcumani وأطلق عليها المجريون أسم Kun بينما اشتهروا فى الحوليات الروسية باسم بولفتسي polovtsy . أنظر :

Art . cumans , in the New Ency . Britt . , vol . III , P . 289 , Buss : Art . cumans , in lexicon universal ency . , vol 5 , P . 386 .

وجدير بالذكر أن الدكتور العرينى فى ترجمتة لكتاب رنسيمان : " الحروب الصليبية " يضع أمام لفظ البولفتسي بين خاصرتين كلمة البجناك من عنده دون أن يكون لها وجود فى كتاب رنسيمان وقد أخذ عنه محمد نجيب فى رسالته هذه المعلومة وقد عرف البولفتس بأنهم البجناك بين قوسين ، فى

الذين احدثوا القلق والاضطراب فى السهول الروسية وقاموا بالهجوم على شبه جزيرة البلقان في صيف سنة ١١٤٨م ، ولم يستطيع مانويل أن يجرد حدود قيليقية من الجند فى الوقت الذى تطلب اجتياز الصليبيين لاراضى الامبراطورية، ضرورة زيادة عدد رجال الشرطة العسكرية ، وازاء هذا الوضع لم يكن بوسع الامبراطور مانويل ان يسحب من قوات الحدود ما يكفى لاتخاذ مواقعها على امتداد حدود الأناضول (آسيا الصغرى) لذا آثر مانويل أن يعقد هدنة تكفل لرعاياه بالاناضول ان يعيشوا بعيداً عن خطر الغارات التركية. غير ان الصليبيين عرضوا هذه الهدنة للخطر، فلم يكن زحف كونراد على دور يليوم إلا استثارة مباشرة للترك، أما لويس فإنه على الرغم من التزامه المسير بداخل الاراضى البيزنطية، فقد صرح علناً أنه عدو لجميع المسلمين ورفض طلب الامبراطور بالبقاء فى داخل النطاق الذى تتولى حراسته الحامية البيزنطية (٢١٥).

على أن المسئولية الاساسية عما حل بالصليبيين من كوارث فى آسيا الصغرى ترجع حتماً الى ما ارتكبوه من حماقات ، كما أن الملكين الغربيين لم يكونا على وفاق وتعاون وكانت جيوشهما خليطاً من المحاربين والمدنيين ، وبالاضافة الى هذا فقد فتك الجوع والمرض فتكاً ذريعاً بأفراد هذه الحملة في طرق آسيا الصغرى التي يجهلونها،وبالتالى لم يصل منهم الى الأراضى المقدسة إلا فلول أنهكها الجهد .

رابعاً الحملة الصليبية الثالثة (١١٨٩-١١٩٢) :

الحقيقة أن الوضع فى الحملة الصليبية الثالثة اختلف كثيراً عما عهدناه فى الحملات الصليبية السابقة فقد ظهرت على الساحة شخصيات جديدة ، وتغيرت ملامح الخريطة السياسية بعض الشيء في آسيا الصغرى والشرق الاسلامى ، والعلاقات بين الاطراف فى المنطقة تغيرت تغيراً جذرياً ، فقد ظهر في الشرق شخصية صلاح الدين الأيوبى . فبعد وفاة نور الدين استقل صلاح الدين بمصر وتزعم حركة الجهاد

حين أن رنسيمان جاء كتابه خلواً من كلمة البجناك . والحقيقة أن البجناك والبولفتسي شعبان مختلفان ولقد سقط البجناك على يد حنا كومنين سنة ١١٢٢م وانتهوا تماماً ولم يعدلهم ذكر وتفرقوا فى أوربا ووقعوا تحت سيطرة بيزنطة . أنظر :

نجيب عاصم ومحمد عارف : عثمانلى تاريخى برنجي جلد (استانبول – ١٣٣٠ هـ) ص٧٦ .

Runciman : op . cit ., vol . II . P . 276 .

رنسيمان : الحروب الصليبية . ترجمة السيد الباز العرينى ، جـ٢ ص ٤٤٤ ؛ محمد ذكى تجيب : علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عهد أسرة كومنين (١٠٨١ –١١٨٥ م) ص١٥٤ ؛ محمد عبد الشافى المغربي: مملكة الخزر وعلاقتها بالبيزنطيين و المسلمين فى القرنين ٨،٧ . رسالة ماجستير . كليلة الآداب بسوهاج غير منشورة (١٩٩١) . اشراف أ . د محمود الحويرى . ص ٤٨ – ٤٩ ، ١٠١ .

(215) Runciman : A history of the crusades ., vol . 2 p . 276 .

وخاض صراعاً طويلاً ليقضي على منافسيه ،ولقد تفرغ لقتال الصليبيين بعد أن قام بتوحيد القوى الإسلامية التى كانت فى نظره وسيلة لغاية اكبر وهى القضاء على الكيان الصليبى فى بلاد الشام .

وكانت قمة انتصاره على جيوش الصليبيين فى موقعة حطين الشهيرة فى ٤ يوليو ١١٨٧ م (٢٤ ربيع الثانى ٥٨٢ هـ) حيث أحدثت هزيمة الصليبيين فى حطين ثم سقوط بيت المقدس رد فعل عنيف فى الغرب الاوربى ، الذى أدرك أخيراً اهماله للنداءات المتكررة التى اصدرها الصليبيون فى الشام فى السنوات الاخيرة لتردى الاوضاع التى كانت تطالب بضرورة قيام حملة صليبية جديدة من اوربا للقضاء على قوة صلاح الدين الايوبى صاحب السيادة على العالم الاسلامى بأسره(٢١٦).

ولم يلبث كونراد دى مونتفرات أن أرسل فى أواخر صيف ١١٨٧ م جوسياس Josias رئيس أساقفة صور كمبعوث من قبله يحمل رسائل إلى ملوك وأمراء غرب أوربا يشرح إليهم ماوصل اليه وضع الصليبيين فى بلاد الشام من سوء ويطلب من البابوية ، وملوك الغرب وأمرائه النجدة السريعة (٢١٧) وقد واصل جوسياس سيره فوصل إيطاليا ليشرح إلى البابا أوربان الثالث (١١٨٥-١١٨٧ م) فى روما موقف الصليبيين، غير أن البابا مات حزناً على ضياع بيت المقدس وقد بادر خليفته البابا الجديد جريجورى الثامن يحث ملوك وحكام غرب أوربا على القيام بحملة صليبية جديدة لمحاربة المسلمين واستعادة بيت المقدس من ايديهم (٢١٨).

وقد استجاب لدعوة البابوية ثلاثة من كبار ملوك غرب أوربا للقيام بحملة صليبية جديدة على الشرق وهم الامبراطور الالمانى فردريك بربروسا الاول(١١٥٢-١١٩٠) وريتشارد قلب الاسد ملك انجلترا (١١٨٩-١١٩٩ م) وفيليب أغسطس ملك

(216) **Kingsford (C.L)** : The Kingdom of Jerusalem . 1099-1291 . in cam . med . hist . vol . v (Cambridge 1979) ., p . 310 . ; **Grabois (A)** : op . cit ., p . 248 . ; **Ottin** : Land of Emperors and Sultans , p . 210 . ; **Charles (M.B)** : Crusades ., vol . 1 p . 559 .

سعيد عاشور : المرجع السابق ، جـ ٢ ص ٦٦٢ . ؛ قاسم عبده قاسم : ماهية الحروب الصليبية. سلسلة عالم المعرفة رقم ١٤٩ (الكويت ١٩٩٠م) ، ص ١٤٣ . ؛ زبيدة عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص ١٠٤ ؛ عفاف سيد صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية ، (القاهرة ١٩٨٥م) ، ص ٣٩٣ .

(217) **Grousset** : Histoire des croisades ., vol . 3 p . 8 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 3 p . 4 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢١ .

Tout (T.F) : The Empire and the papacy ., pp . 298-299 . ; **Michaud (M)** : op . cit ., vol II pp . 314-315 .

(218) **Tout (T.F)** : op . cit ., p . 271 . ; **Brehier** : Les Crosades . , p . 118 .

حامد زيان غانم : الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة (القاهرة ١٩٧٧م)، ص١٠-١١.

فرنسا (١١٨٠-١٢٢٣ م) وممثلون عن دول أخرى في أروبا [٢١٩] . وكان فردريك بربروسا أكثرهم نشاطاً وحماساً، وقد عزم على أن يسلك الطريق البرى بدلاً من الطريق البحرى الذى اعتزم اتخاذه ملك انجلترا وملك فرنسا [٢٢٠].وبذلك تكون الحملة الصليبية الثالثة قد اصطبغت من بدايتها بالصبغة الفردية ويكون لآسيا الصغرى نصيب في نشاطها .

والامبراطور فردريك هو الذى آل إليه حكم ألمانيا بعد وفاة عمه كونراد الثالث سنة ١١٥٢ م . ويعتبر فردريك الاول من أقوى الشخصيات التى تولت حكم ألمانيا منذ عهد أوتو الاول العظيم (٩٦٢-٩٧٣ م) قضى فردريك مدة حكمه الطويلة البالغة سبعة وثلاثين في كفاح مستمر من أجل اعادة عظمة الامبراطورية الرومانية المقدسة ، واتخذ فردريك الاول لقب بربروسا، لما كان لديه من لحية حمراء كثه الشعر والمعروف ان فردريك بربروسا صحب عمه كونراد الثالث (١١٣٨-١١٥٢ م) ملك المانيا في الحملة الصليبية الثانية الفاشلة. التى خرجت من غرب أوربا (١١٤٧م)، وكان فردريك حاكم سوابيا -آنذاك شاباً قوى البنية ، وتولى قيادة فريق النبلاء في تلك الحملة [٢٢١].

لم يحاول فردريك بربروسا الاستعجال في الخروج من بلاده والاشتراك في الحملة الصليبية الثالثة إلا بعد أن اتخذ ترتيبات دقيقة منظمة لحملته . وكان ذلك بسبب مالاقاه في الحملة الصليبية الثانية من عوائق السفر في البلقان وآسيا الصغرى ولكى يؤمن حملته من جانب الفشل الذى لحق بحملة عمه كونراد الثالث ، ولكى يؤمن أيضاًخط سير حملته أرسل فردريك الاول إلى حكام وأمراء الدول التى سيمر بها جيشه حتى يتخذوا من التدابير ما يكفل تأمين جيشه وامداده بالمؤن والمعدات اللازمة [٢٢٢].

ويهمنا هنا أن نوضح قبل التعرض لنشاط الحملة في آسيا الصغرى مدى تغير العلاقات والمصالح من خلال هذه الرسائل والسفارات المتبادلة بين الاطراف المختلفة المعنية .

---

(219) **Vasiliev** : op . cit ., vol II . p . 445 . ; **Michaud (M)** : op . cit ., T. 2 p . 275.; **Painter (Sidney)** : The third crusade , Richard the Lion hearted and Philip Augustus . Setton : A History of the crusades . vol . II (pp. 45-86) p . 49 . ; **Charles (M.B)** : Crusades ., vol . 1 p . 559 .

(220) **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 360 . ; **Kingsford (C.L)** : op . cit ., vol 1 . p . 310 . ; **Jorga** : The Byzantine Empire ., pp . 165-166 . ; **Painter (Sidney)** : A Hist. of The Middle Ages ., p . 281 .

(٢٢١) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ١٢-٢٠ .

(222) **Austinlanpool (M.A)** : op . cit ., vol . V p . 359 . ; **Pirenne** : A History of Europe from The invasions to the XVI century ., pp . 272-273 .

فقد أرسل فردريك بربروسا سفارة برئاسة الكاردينال كونراد رئيس أساقفة ما ينز إلى بيلا الثالث Belle III ملك هنغاريا (المجر) للتفاوض معه حول مرور الحمله عبر أراضيه وتلقى فردريك رداً طيباً من ملك المجر[٢٢٣].

كما ارسل فردريك رسالة إلى صلاح الدين الايوبى يخبره أنه سوف يقوم بحملة صليبية على الشرق وإذا لم يرد بيت المقدس وصليب الصلبوت الذى وقع فى يديه عند استرداده لبيت المقدس فإنه يتحداه بالحرب فى ساحة صوغن (صان الحجر فى شرق الدلتا الحالية)[٢٢٤].

وكان رد صلاح الدين حاسماً حيث أكد بأنه سوف يستولى على طرابلس وانطاكية وهى المدن التابعة للصليبيين، كما أن مطالب الامبراطور فردريك بربروسا والتى بمقتضاها يتحقق السلام لم تلق الأستجابة عند صلاح الدين، بالإضافة إلى ذلك عرض صلاح الدين بأنه إذا استسلمت تلك المدن فسوف يعيد له الصليب المقدس ويطلق سراح الاسرى ، ويعيد الاديرة لاصحابها المسيحيين ولا شئ سوى ذلك وإلا تحتم نشوب الحرب[٢٢٥].

كما ارسل الامبراطور فردريك سفارة إلى السلطان السلجوقى قلج أرسلان الثانى (١١٥٦-١١٩٢ م) سلطان قونية ، وقام بها أحد قادته ويدعى جود فرى ويسنباخ Godfrey of wiesnbach لترتيب مرور قواته الجيش الالمانى عبر أراضية، فرحب قلج أرسلان بالسفارة. وتلقى الامبراطور الالمانى إجابة مبدئية وهو لا يزال فى المانيا فى مدينة نورمبرج Nuremberg فى أواخر ديسمبر عام ١١٨٨م[٢٢٦].

ومهما يكن من أمر فإن العلاقات بين الامبراطور الالمانى فردريك بربروسا والسلطان قلج أرسلان الثانى سلطان سلاجقة الروم قديمة ، حيث تعود إلى سنة

(223) Brehier : op . cit ., p . 121 . ; Jobnson (Edgar) : "The crusades of Frederick Barbarossa and Henry VI " Setton : vol . II (pp . 87-122) ., p . 91 . ; Austinlanpool (M.A) : op . cit ., p . 410 .

(224) Michaud (M) : op . cit ., vol II p . 375 . ; Austinlanpool (M.A) : op . cit ., p . 410 . ; Jobnson : op . cit ., p . 91 . ; Brehier : op . cit ., p . 121 . ; Runciman : op . cit ., vol . 3 p . 11 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٢-٣٣ .

(225) Austinlanpool (M.A) : op . cit ., p . 410 .

عادل عبد الحافظ عثمان : العلاقات السياسية بين الإمبراطورية الرومانية المقدسة والشرق الإسلامي ١١٥٢-١٢٥٠م (٥٤٧-٦٤٨هـ) القاهرة ١٩٨٩م ، ص ١٢٨-١٢٩ . ؛ رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٣

Runciman : op . cit ., vol . 3 p . 11 .

(226) Jobnson : op . cit ., p . 91 . ; Michaud (M) : op . cit ., vol II p . 375 . ; Brehier : op . cit ., p . 121 . ; Austinlanpool (M.A) : op . cit ., p . 410 .

١١٦٧ م (٥٦٣ هـ) عندما تعاون معه باعتباره أشد أعداء الامبراطورية البيزنطية ،وعقد معاهدة صداقة ، وحثه على غزو أراضي الدولة البيزنطية وقتال الامبراطور مانويل ، وكان فردريك بربروسا يقصد من وراء ذلك إبعاد الامبراطور مانويل عن التدخل فى المسائل الاوربية فى غرب أوربا وبصفة خاصة فى ايطاليا ،وأن يحوله الى الاهتمام بشئون آسيا الصغرى [٢٢٧].

والواقع أن الكراهية كانت متبادلة بين الجانبين الالمانى والبيزنطى . فالامبراطور فردريك كان يكن الكراهية لاباطرة القسطنطينية منذ الحملة الصليبية الثانية.

وفى ذلك الوقت أضحى قلج أرسلان الثاني قويا فى آسيا الصغرى بعد أن نجح في تحقيق بعض المكاسب الاقليمية .ولقن مانويل هزيمة ساحقة عند ميريوكفالون Myrioce Phalum [٢٢٨] فى آسيا الصغرى سنة ١١٧٦م. التى ما إن وصلت أنباء هزيمته أمام السلاجقة إلى الغرب الاوربى ، حتى أرسل الامبرطور الالمانى فردريك بربروسا إلى مانويل رسالة تقطر احتقاراًمخبراً إياه بأن الأباطرة الالمان الذين ورثوا سلطانهم من الاباطرة الرومان العظام ، يجب عليهم أن يحكموا ليس فقط الامبراطورية الرومانية بل وايضاً "المملكة اليونانية"[٢٢٩] وبذلك يكون فردريك قد أعلن نفسه وريثا للأباطرة الرومان وهو يحلم أن تكون الدولة الرومانية المقدسة التى يحكمها هى الامبراطورية الوحيدة فى العالم كله.

ومن الترتيبات التى اتخذها أيضاً فردريك بربروسا فيما بعد أن أرسل رسالة إلي الامبراطور البيزنطى اسحق انجليوس سنة (١١٨٥-١١٩٥م) للتفاوض معه حول مرور الجيش الالمان خلال الاراضى البيزنطية ، وقد أثار وصول الرسالة إلى القسطنطينية الرعب لدى الامبراطور اسحق ، فأرسل سفارة برئاسة يوحنا دوكاس رئيس القضاه وصلت إلي نور مبرج لتستوضح هدف هذه الحملة . إذ اعتقد أن حملة فردريك المزمع القيام بها إلي الاراضى المقدسة ما هى إلا حجة للقيام بحملة عدائية ضد الدولة البيزنطية .وبعد أن أوضح الالمان سلامة نيتهم وأن هدفهم الاراضى المقدسة تم عقد معاهدة بين الالمان والبيزنطيين لتنظيم مسألة عبور

---

(227) Chalandon (F) : op . cit ., pp . 598-599 . ; Vasiliev : op . cit ., vol II . pp . 425-426 .

(٢٢٨) انظر الفصل الثالث من الكتاب.

(229) Vasiliev : op . cit ., vol II . p . 430 . ; Hussey : Byzantium and the crusades in setton . , vol . 2 p . 141 .

هسي (ح . م) : العالم البيزنطي ، ترجمة وتعليق / د. رأفت عبد الحميد . : حسنين محمد ربيع : المرجع السابق ، ص ٢٣١ .

الجيش الالماني داخل الاراضى البيزنطية ، و تعهد فيها الجانب البيزنطى بتوفير المؤن وتقديم المرشدين وإمداد الجيش بالسفن لنقله إلى آسيا الصغرى، وتعهد الالمان من جانبهم بأنهم سوف يسلكون مسلكاً طيباً أثناء مرورهم بالاراضى البيزنطية(٢٣٠).

وعلى الرغم من عقد هذه الاتفاقية بين البيزنطيين والالمان إلا أنها لم تقض على الشك الذى اعترى البيزنطيين تجاه الالمان لقيام فردريك بالتفاوض مع الصرب والسلاجقة أعداء الامبراطور، لذا كان مرور الالمان فى الاراضى البيزنطية امراً فوق رغبتهم(٢٣١).

وكيفما كان الامر ، فإن البيزنطيين كانوا يعتقدون أن الامبراطور فردريك بربروسا قدم ليضع نهاية لحكمهم وأن الذى قاده إلى ذلك عداء طويل لكل شىء يونانى كما. أنتشرت تكهنات العرافين حيث كان العصر عصر النبواءت، أذ أشار العرافون أن الامبراطور الالمانى سوف يأتى عن طريق بوابه اكسلوخيرون Xylokerkon لكى يضع التاجين الرومانيين على رأسه (٢٣٢).

ولقد جرت الاتصالات والرسائل الدبلوماسية والسفارات المتتالية بين صلاح الدين والامبراطور إسحق انجليوس ،وعمل الاثنان على توثيق العلاقة بينهما ، فالسلطان صلاح الدين الايوبى كان يرغب من خلال علاقته بالدولة البيزنطية مساندته ومناصرته ضد أى فريق من الصليبيين يمر بأراضيهم، أما إسحق، فقد رغب فى توثيق علاقته بصلاح الدين ليضمن مناصرته ، حيث إن قدوم فردريك كان من شأنه تقوية هجمات سلاجقة الروم والذين تمكنوا بعد معركة ميريوكيفالون من طرد البيزنطيين من مناطق هامة بآسيا الصغرى (٢٣٣).

على أن صلاح الدين عندما تأكد من اقتراب الحملة الصليبية الثالثة ، عمل على توثيق علاقته بالامبراطور إسحق ولذلك أرسل مع السفارة البيزنطية الاخيرة التى زارته سفراء من جانبه ، ليتفاوضوا مع الامبراطور حول صيغة إتفاق للتصدى للهجوم الصليبى ، كما أرسل صلاح الدين مع السفارة هدية ثمينة ،حيث كانت

---

(230) **Michaud (M)** : op . cit ., vol II pp . 91-92 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 406 . **Hussey** : op . cit ., vol . 2 p . 147 .

(231) **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 406 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II . pp . 445-446 . ; **Painter** : op . cit ., p . 281 .

(232) **Jorga** : op . cit ., p . 166 .

(233) **Grousset** : op . cit .,vol . III . pp . 10-11 . ; **Brehier** : Les Crosades . , p . 122 . ; **Brand (C.M)** : The Byzantines and Saladin 1185-1192 opponents of third crusade in speculum XXXVII N. 2 (April 1962) pp . 171-172 . ; **Michaud (M)** : op . cit ., vol II p . 376 . ; **Previte** : The shorter Cambridge Medieval History ., vol . 1 . p . 530 . ; **Austinlanpool (M.A)** : op . cit ., p . 410 .

تشتمل على عشرين شحنة تحتوى على صناديق كبيرة من اللبان والبلسم وعقود الجواهر وهدايا أخرى من الروائح والتوابل [٢٣٤]. كما أرسل مع تلك السفارة منبراً وخطيباً وجمعاً من المؤذنين لإقامة الشعائر الدينية بمسجد القسطنطينية هذا المسجد الذى بنى فى عصر بني أميه[٢٣٥].

تحرك فردريك فى ١١ مايو ١١٨٩م بجيشه من ريجنسبورج Regensburg واصطحب معه ابنه فردريك دوق سوابيا وأساقفة من تارينتس Tarentaise وليج Liege، وودزبورج Wurzburg، وباسوا Passau و ريخسبورج وباسل Basle وميزن Meissen ودزنابروك Dznabruck وتول Toul وتسعة وعشرين كونت من مختلف بقاع ألمانيا وأنسبرت Ansbert مؤرخ هذه الحملة ، ورجال من كولون وعدد كبير من اتباعه على راس أضخم جيش صليبى قاده زعيم أوربى [٢٣٦].وقد سلك الطريق البرى إلى القسطنطينية ، وبلغ تعداد الجيش الالمانى حوالى مائه ألف مقاتل ، وامتاز هذا الجيش بقدرة الامبراطور على تنظيمه والسيطرة التامة عليه[٢٣٧]، " فكان من يجري منه جنايه ليس له جزاء إلا أن يذبح مثل الشاه " [٢٣٨].

واصل الجيش الالمانى سيره ودخل بلاد المجر فاستقبله بيلا الثالث ملك المجر بالترحيب والموده ،وهيأ له كل السبل لتيسير اجتيازه لبلاده ، وفى ٢٣ يونيه عبر فردريك نهر الدانوب عند بلغراد ، ونفذ إلى داخل الأراضى البيزنطية ، وهنا بدأت المتاعب والمنازعات تواجه الحملة [٢٣٩].

ولم تكد جيوش فردريك تصل حدود الإمبراطورية البيزنطية حتى بدأ موقف الامبراطور إسحق أنجليوس الثانى يتغير ،ولم تدخل المعاهدة السابقة التى وقعت بين فردريك بربروسا وإسحق فى نورمبرج فى خريف ١١٨٨ م السابق حيز

---

(234) **Brand** : op . cit ., p . 171 . ; **Grousset** : op . cit .,vol . III . p . 11 .

(٢٣٥) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ ٢ ، تحقيق د/ جمال الدين الشيال (الإسكندرية ١٩٥٧م) ، ص ٣٢٨ .

(236) **Mayer** : op . cit ., p . 140 . ; **Painter** : The third crusade in setton ., vol . 2 p . 49 . ; **Lang (D.M)** : Armenian cradle of civilization , p . 202 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 3 p . 11 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٣ .

(237)**Grousset** : op . cit ., p . 10 . ; **Brehier** : op . cit ., p . 121 .

(٢٣٨) ابن شداد : " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " تحقيق د. جمال الدين الشيال (القاهرة – ١٩٦٤م) ص ١٢٦ . ؛ أبو شامة : " الروضتين في أخبار الدولتين " (بيروت – بدون تاريخ) جـ ٢ ، ص ١٥٥ .

(239) **Runciman** : op . cit ., vol . 3 p . 11-12 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٣-٣٤ .

Tout (T.F) : op . cit ., p . 266 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II . p . 446 .

التنفيذ ، لإن الإمبراطور إسحق بدأ يرتاب في نوايا الجيش الالماني،وأخذ يثير مختلف العراقيل في طريق سيرهم[٢٤٠].

والواقع إن اسحق كان يخشى مرور جيش فردريك بأراضيه وعبوره إلى آسيا الصغرى ، فمن المحتمل أن يقيم فردريك مع سلاجقة الروم تحالفاً ضد الدولة البيزنطية وضد حليفه صلاح الدين ، غير أن ضخامة جيش فردريك لم تمكن إسحق من اعتراضه بطريقه مباشرة [٢٤١]. ولعدم قدرة إسحق الثاني العسكرية على الوقوف في وجه سلاجقة الروم اشترى مسالمتهم بعقد إتفاقية معهم تعهد بمقتضاها دفع مبلغ من المال سنوياً [٢٤٢].

كانت الاتصالات مستمرة بين سلاجقة الروم بآسيا الصغرى والامبراطور الالماني فردريك بربروسا ، وكانت هناك سفارة ألمانية قادمه من سلطنة سلاجقة الروم ومعها وفد رسمي سلجوقي برفقة القائد الالماني ، وبسبب التوتر القائم بين البيزنطيين والالمان صدرت الاوامر بالقبض على هذه السفارة الالمانية وتم احتجازها بالقسطنطينية عدة أسابيع ، وسلب أعضاؤها الهدايا المرسلة إلى الإمبراطور الألماني [٢٤٣]. مما دعى البعض إلى أن يرى أن ما حدث للسفارة من احتجاز ومصادرة للهدايا قد تم بناء على إلحاح من ممثلي صلاح الدين الذين كانوا في ذلك الوقت بالقسطنطينية [٢٤٤].

ولم يفت هذا في عضد الإمبراطور فردريك أو ينقص من حماسه وحماس جنوده ، فتابع زحفه داخل الأراضي البيزنطية حتى وصل إلى مدينة فيليوبوليس واستولى عليها ، ثم واصل زحفه قاصداً مدينة أدريانوبل ليستولي عليها تمهيداً لمهاجمة القسطنطينية ، كما كتب فردريك إلى هنرى الثالث بألمانيا يطلب منه تجهيز جيش وأسطول قويين لتأديب الإمبراطوار البيزنطي بعد أستئذان البابوية للقيام بحرب صليبية ضد البيزنطيين [٢٤٥].

---

(٢٤٠) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٢٧ .

(241) **Michaud (M) :** op . cit ., vol II p . 376 . ; **Grousset :** op . cit .,vol . III . p . 12 . ; **Brehier :** op . cit ., p . 122 .

(242) **Tout :** op . cit ., p . 342 .

(243) **Eracles :** L'estoire de Eraclos Empereur et la conquest de la Terre d'qutremer . recueit des Historiens des croisades historiens occidentaux II (Paris 1859) p . 131 . ; **Rohricht (Reinhold) :** Regestaregni Hierosolymitani ((MXCVII-MCCXCI) Oeniponti Libraria Academica Wagneriana (Oeniponti –1893) ., p . 183 . ; **Jobnson :** op . cit .,vol II p . 110 . ; **Brehier :** op . cit ., p . 122 . ; **Grousset :** op . cit ., T.3 . pp .11 -12 .

(244) **Brand :** op . cit ., p . 173 .

(245) **Eracles :** op . cit ., vol . II p . 131 . ; **Previte :** op . cit ., vol . 1 p . 530 . ; **Tout (T.F) :** op . cit ., p . 342 . ; **Vasiliev :** op . cit ., vol II . p . 447 . ; **Grousset :** op . eit ., vol . 2 p . 12 . ; **Runciman :** op . cit ., vol . 3 p . 11-12 .

وعندما علم إسحق الثانى بكل هذه التطورات أصيب بخيبة أمل ، وبدأ يعيد النظر فى سياسته مع الالمان ، وبعد إجراء عدة مشاورات بين الجانبين - الالمانى والبيزنطى - ثم الاتفاق على عقد معاهدة بينهما تعهد فيها الطرف البيزنطى بإمداد الجيش الالمانى بكل ما يحتاجه من مؤن وعتاد ، كما اتفق الجانبان على ان يمر الصليبيون دون أن يسببوا أى ضرر وأن لا يتعدوا على أية مدينة أو قرية لأن البيزنطيين سوف يوفرون لهم كل ما يحتاجونه ، كما تعهد إسحق بنقل أفراد الجيش الالمانى على سفن بيزنطية إلى الشاطىء الأسيوى ، وتم إطلاق سراح السفارة الالمانية والوفد السلجوقى المصاحب لها ، وعند عبور بربروسا الأراضى البيزنطية عند مدينة أدريانوبل وصل الوفد السلجوقى إلى الامبرطور فردريك فى ١٤ فبراير ١١٩٠م (٧ محرم ٥٨٦هـ) حاملاً تأكيد السلطان قلج أرسلان بالمساعدة فى مرور قوات الحملة الالمانية عبر أراضية فى آسيا الصغرى دون عقبات (٢٤٦).

كما وصلت سفارة أخرى من قبل السلاجقة من الامير قطب الدين بن قلج أرسلان وولى عهده إلى أدريا نوبل قدم نفس الوعود للإمبراطور الالمانى (٢٤٧).

أما عن الوضع فى آسيا الصغرى فنود أن نشير إلي أن الحملة الصليبية الأولى والثانية حينما قدمت إلى آسيا الصغرى وجدت القوة السياسية التركية الرئيسية فيها متمثلة فى سلطنة سلاجقة الروم ، وإلى جانب هذه القوة قوة أخرى تمثلت فى بنى دانشمند وكانت مستقلة عنها وكان لها شعبتان إحداهما فى سيواس والاخرى فى ملطية ، ولقد نجح السلطان قلج أرسلان فى ضم جزئى إمارة دانشمند إلى ممتلكات السلطنة السلجوقية ، حيث استولى على سيواس سنة ١١٧٤م (٥٦٩هـ) ثم استولى على ملطية فى سنة ١١٧٧ م ، وبسقوط إمارة بنى دانشمند التى عاشت ما

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٦ .

(246) **Eracles** : op . cit ., pp . 132-133 . ; **Choniates (Nicetas)** : Historia ., p 525 . ; **Rohricht** : op . cit ., No . 686 p . 183 . ; **Grousset** : Histoire des croisades ., vol . III . p . 14 . ; **Jobnson** : op . cit ., pp . 110-111 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II . pp . 445-447 . ; **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks ,. p . 244 . ; **Cahen** : Selgukides , Turcomans et allemands au temps de la troisime croisade Turcobyzantina IX (pp . 21 - 31) . , pp . 26-26 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 680 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 407 .

(247) **Eracles** : op . cit ., pp . 132-133 . ; **Rohricht** : op . cit ., No . 686 p . 183 . ; **Cahen** : Selgukides , Turcomans , p . 27

يقرب من قرن وربع يكون ميزان القوى في آسيا الصغرى قد تغير، وبالتالي فإن قوة سلطنة سلاجقة الروم قد ازدادت بشكل ملحوظ (٢٤٨).

وعلى أية حال، تحركت الحملة الالمانية بقيادة الإمبراطور فردريك من أدريانوبل إلى ميناء غاليبولي المطل على بحر مرمرة من جهة الجنوب، وكان في انتظار الالمان السفن والاساطيل البيزنطية المكلفة بنقل الجيش الالماني إلى الشاطيء الأسيوى الذى عبر في مارس سنة ١١٩٠م وانتقل بأكملة إلى الشاطى الأسيوى (٢٤٩).

على أن ما في الأرقام (٢٥٠) الكبيرة للسفن التي قامت بنقل الجيش الالمانى عبر البسفور والدردنيل ما يثير التساؤل لماذا يستخدم الجيش الالمانى الطريق البرى ولا يستخدم الطريق البحرى؟ خاصة أن الطريق البرى وما فيه من مشقه ومخاطر ليس بغريب على الإمبراطور فردريك الذى قاساه مع عمه كونراد في الحملة الصليبية الثانية. كما أن الصليبيين اكتشفوا منذ حملتهم الاولى خطورة ومشقة الطريق البرى عبر آسيا الصغرى، فبالإضافة إلى الظروف الطبيعية لهذا الطريق فإنه كان يقع تحت قوى معاديه للصليبيين والبيزنطيين على حد سواء متمثلة في قوة السلاجقة والتركمان.

الذى يهمنا أنه يسبب العلاقات الطيبة بين صلاح الدين وإسحق الثانى، قام الأخير بإرسال رسالة إلى صلاح الدين إثر عبور فردريك إلى آسيا الصغرى يبرر له

---

(٢٤٨) سبط بن الجوزى: " مرآة الزمان " (شيكاغو ١٩٠٧ م)، جـ٨، صـ١٨٤ - ٢٩٤ .؛ بن العديم: المصد السابق، جـ٢، صـ٣٣٧-٣٣٨ .؛ إبن واصل: المصدر السابق جـ١، صـ٢٣٤؛ الأقسراى: مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، صـ٣٢؛ إبن العبرى: تاريخ الزمان، صـ١٨٠-١٨١-١٨٤-١٩٠؛ الذهبى: " سير أعلام النبلاء " (الطبعة الحادية عشر - بيروت ١٩٩٦م) جـ٢١، صـ٤٢٨؛ إبن فضل الله العمرى: " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " أصدر بإشراف / فؤاد سزكين ٢٧ جزءاً (فرانكفورد - ١٩٨٨م) السفر ٢٧ ص١١٠-١٤٧-١٤٩.

Michel le Syrien : Extrait de la chronique ., pp . 366-373-379 . ; **Cahen:** pre-ottoman Turkey ., p . 103 .

علي بن صالح المحيمد: الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول ص ١٢٥-١٢٦ .

(249) **Jobnson** : op . cit .,vol II p . 110 . ; **Michaud (M)** : op . cit ., T. 2 p . 80 . ; **Grousset** : op . cit ., T.3 . pp . 12-13 . ; **Brehier** : op . cit ., p . 123 . ; **Milton (J) & Steinberg (R)** : The cross and the cresent Byzantium ., p . 86

مكسيموس مونروند: " تاريخ الحروب المقدسة في المشرق المدعوة حرب الصليب " مجـ٢، صـ١١٠

(٢٥٠) تشير المصادر إل أن السفن التي كانت في إنتظار الألمان بلغت خمسمائة سفينة وعشرين شونه ويشير البعض الآخر إلى أنه كان في إنتظاره ألف وخمسمائة سفينة وستة وعشرين مركب وذكر البعض الآخر أنه كانت خمسة عشرة ألف سفينة. أنظر: مكسيموس: المرجع السابق - مجـ٢، صـ١١٠ .؛ عادل عبد الحافظ: المرجع السابق - صـ١٥٢، حاشيه ٤،٣ .

فيها سبب السماح لفردريك بالعبور حتى يتخذ صلاح الدين من التدابير ما يكفل له الصمود في وجه فردريك، كما أخبره بالمتاعب التي حاقت بجيش الالمان (٢٥١).

ومهما يكن من أمر ، فإن الحملة التزمت في سيرها بالطريق الذى يقع بين الطريق الشرقى الذى سار فيه الصليبيون سنة ١٠٩٧ م والطريق الغربى الذى اتبعه لويس السابع سنة ١١٤٨م (٢٥٢) وبذلك يكون الامبراطور فردريك قد التزم الطريق الذى سبق أن سلكه الإسكندر المقدونى علىي وجه التقريب قبل خمسة عشر قرناً، فعبر نهر غرانيقوس واجتاز الانجيلوكوميس حتى بلغ الطريق البيزنطى الرئيسى الممتد من مليتوبوليس إلى باليكس الحالية فسلك الطريق من قلاموس إلى فيلادلفيا(٢٥٣).

وفي مدينة فيلادلفيا اشتبك الجيش الألماني مع سكان المدينة بسبب امتناعهم عن تقديم المساعدات للحملة ، وأقدم الألمان علي تخريب المدينة ، إلا أن الموقف أمكن السيطرة عليه من قبل حاكم المدينة وبعض النصحاء الذين تفاوضوا مع الإمبراطور فردريك ، وأوضحوا له أن المدينة من أقدم المدن المسيحية وأنها تزخر بمقدسات مسيحية كثيرة وأنها آخر المعاقل المسيحية ضد الأتراك ، فأمر فردريك قواته بالتوقف عن تخريب المدينة (٢٥٤) . ويبدو أن هذه المدينة التي تقع علي حدود البلاد التابعة للسيادة الإسلامية بآسيا الصغرى ، قد وقفت موقفاً معادياً من الحملة ، ورفضت تقديم المساعدات (٢٥٥) خشية أن يعرضها ذلك لإنتقام السلاجقة فيما بعد.

واصل الجيش الالمانى زحفه فى آسيا الصغرى ووصل إلى لاوديكيا وكانت مدينة يونانية مستقلة عن حكم التركمان ويسكنها شعب يونانى ، فرحب أهالى المدينة بالامبراطور فردريك والجيش الالمانى ، وقدموا له كل ما احتاجه من

---

(٢٥١) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٣٢-١٣٣ ؛ أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٥٩-١٦٠ . ؛ محمد ماهر حمادة : " وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولي للعالم الإسلامي " (٤٨٩-١٣٠٦ هـ / ١٠٩٦-١٤٠٤ م) دراسة ونصوص (الطبعة الثالثة -بيروت - ١٩٨٦ م) ، ص ٤٢-٤٣ .

(٢٥٢) باركر (ارنست) : الحروب الصليبية ، ص ١١٣ .

(253) Runciman : op . cit ., vol . 3 p . 14 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .

Michaud (M) : op . cit ., T. 2 p . 378 . ; Grousset : op . cit ., T.3 . p . 13.

مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، ص ١١٠ .

(254) Jobnson : op . cit ., p . 110 . ; Michaud : op . cit ., T . 2 p . 81 . ; Runciman :op . cit ., vol . 3 pp . 14-15 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .

(٢٥٥) مكسيموس مونروند : المرجع السابق ، مجـ ٢ ، ص ١١٠ .

المؤن والعتاد ، كما استعان قادة الحملة ببعض الادلاء اليونانيين في معرفة أفضل الطرق والمسالك بآسيا الصغرى (٢٥٦).

بعد ذلك تقدم الجيش الالماني إلى داخل آسيا الصغرى وسلك الطريق الذى سبق أن سلكه الإمبراطور مانويل الأول كومنين في طريقه إلى لقاء سلاجقة الروم في معركة ميريوكيفيالون سنة ١١٧٦م . وقد سلك الإمبراطور فردريك هذا الطريق لدواعي تتعلق بسلامه الحملة ، واجتاز بعد مناوشة مع الترك موضع ساحة المعركة التي مازالت عظام الضحايا ظاهرة فيها للعيان وكان الطريق شاقاً وعراً ،وأخذ الجوع والظمأ من الحملة بعد أن ساروا حول طرف جبل سلطان داغ ،وفقد الالمان عدداً كبيراً من رجالهم وخيولهم من جراء هجمات وسهام الترك ثم دخلت الحملة الالمانية أراضي السلطان السلجوقي قلج أرسلان الثاني (٢٥٧).

على أننا نريد هنا أن نقف عند موقف السلاجقة من حملة الإمبراطور فردريك في آسيا الصغرى ، فمن المعروف أنه قد جرى تعاون بين السلاجقة والالمان في معركة ميريوكيفيالون ، كما أن المراسلات بين الطرفين قبل عبور الحملة الالمانية الدردنيل إلى آسيا الصغرى كانت مستمرة وقائمة والتي بمقتضاها يقوم السلاجقة بتقديم كافة التيسيرات إلى الحملة الالمانية . والحقيقة أن المؤرخين المسلمين واللاتين اختلفوا فيما ذكروه في موقف قلج أرسلان من الالمان ، فيشير المؤرخون اللاتين أنه عندما وصلت أنباء الاتفاق الالماني البيزنطي إلى مسامع السلطان قلج أرسلان ، غضب وصمم على إعاقة مرور فردريك داخل أراضية فجمع جيشه وقام بتحصين الطرق والمناطق التي سوف يمر فيها لمنعه من المرور (٢٥٨) . وبذلك يكون السلطان قلج أرسلان قد نوى برغم ما بذله من وعود أن لا يسمح للصليبيين باجتياز بلاده في هدوء (٢٥٩).

أما عن موقف المؤرخين المسلمين من قلج أرسلان فقد أشاروا بوضوح إلى روابط الصداقة والتحالف التي جمعت بين السلطان قلج أرسلان والإمبراطور فردريك .وقد انتقد المؤرخ ابن شداد هذا الموقف المتخاذل من السلطان قلج أرسلان حيث ذكر أنه " عندما أرسل إلى صلاح الدين يعتذر عن عبور ملك الالمان

---

(٢٥٦) حامد زيان غانم : المرجع السابق ، ص ٤١ .

(257) **Eracles** : op . cit ., p . 133 . ; **Grousset** : op . cit ., T.3 . pp . 13-14 . ; **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 65 . ; **Johnson** : op . cit ., vol II p . 110 . ; **Barger (E)** : In the track of the crusaders . p . 176 . ; **Turan** : op . cit ., p . 244 .

(258) **Eracles** : op . cit ., p . 132 .

(259) **Runciman** : op . cit ., vol . 3 p . 14 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٨ .

من بلاده ، إنما يفيد بذلك أمام صلاح الدين بالشقاق لملك الالمان ، وهو في الباطن يظهر له الوفاق ، وأن سلطان السلاجقة سرعان ما أمد الامبراطور بالمرشدين والرهائن حتى يعبر أراضيه بسلام " (٢٦٠).

وكان قلج أرسلان قد سارع بإرسال رسالة إلى صلاح الدين يخبره فيها بوصول حملة فردريك بربروسا إلى آسيا الصغرى ووعده بصدهم وعدم تمكينهم من عبور أراضية ، فلما عبروا اعتذر بالعجز عنهم وافتراق أولاده واستبدادهم عليه(٢٦١) . على حين يذكر المؤرخ ابن الاثير أن أسباباً قوية دفعت السلطان قلج أرسلان على السماح لفردريك بربروسا بعبور أراضيه كحالة الضعف التي كانت تتعرض لها البلاد بسبب المشاكل الداخلية (٢٦٢)،بينما يرى سبط بين الجوزى أنهم "لما دخلوا بلاد قلج أرسلان لم يكن له بهم طاقة فاحتاج إلى مسالمتهم وكتب إلى السلطان يعتذر بالعجز عنهم " (٢٦٣).

والواضح أن قلج أرسلان كان في وضع لا يحسد عليه ، فقد تعهد للإمبراطور فردريك الاول بالسماح له ولجيشه بعبور أراضيه وهو يعلم أن هذا الأمر سوف يجلب عليه غضب المسلمين في كل مكان، في الوقت الذى يجد نفسه ضعيفا أمام التحالف السياسي الذى جرى بين خصميه صلاح الدين الأيوبي والإمبراطور البيزنطي.

هناك تطوراً آخر حدث في سلطنة سلاجقة الروم حيث قام السلطان قلج أرسلان وكان طاعناً في السن آنذاك بتقسيم ملكه علي اولاده في نهاية حياته، ولم يدرك أن هذا سوف يجرهم إلى النزاع فيما بينهم وإلى طمع اعدائهم فيهم بتفتيتهم، فقد اعطى قونية وأعمالها لابنه غياث الدين كيخسروا ، وأقسرا وسيواس لقطب الدين وتوقات لركن الدين سليمان وأنقرة لمحيي الدين ، وملطية لمعز الدين قيصر شاه، والأبلستين لمغيث الدين ، وقيصرية لنور الدين محمود ، نكسار وأماسيا لابن أخيه ثم ندم على ذلك وأراد انتزاع الاعمال من اولاده فخرجوا عليه (٢٦٤) ، ولم يلتفتوا إليه وحجر عليه ولده قطب الدين وانتزع منه السلطان (٢٦٥).

---

(٢٦٠) ابن شداد : النوادر السلطانية ، ص ١٢٣ . ؛ أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٥٤ .

(٢٦١) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٧٤ .

(٢٦٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٨٧ .

(٢٦٣) سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ص ٢٥٨ .

(٢٦٤) ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ١٩٢ . ؛ القلقشندى : "صبح الأعشي في صناعة الإنشا " (القاهرة-١٩١٣م) جـ ٥ ، ص ٣٥٩

Cahen : Selgukides , Turcomans ., pp . 24-25 .

(٢٦٥) ابن العبري : "تاريخ مختصر الدول " ،ص ٢٢٣ .

أما عن صلاح الدين فقد أخذ يتابع تقدم حملة الالمان فى قلق وأرسل "العيون والجواسيس إلى آسيا الصغرى للوقوف على أخبارهم "[٢٦٦].

على أية حال، تقدم الجيش الالمانى داخل أراضى قلج أرسلان وعند سهل فيلومليوم Philomelium واجه الجيش الالمانى الترك الذين حاولوا وقف تقدمهم، ولم يكن أمام الالمان إلا محاربتهم، واشتبك الفريقان وأصيب فى المعركة فردريك دوق سوابيا والحق الترك بالجيش الالمانى خسائر كثيرة، وعلى الرغم من ذلك فقد تمكن الجيش الالمانى من التغلب عليهم فى النهاية وقاموا بتدمير المدينة وإحراقها، كما نجح الالمان فى هزيمة السلاجقة مرة أخرى بالقرب من سينولاريوس Cinolarios[٢٦٧].

واصل الجيش الالمانى تقدمه متجهاً إلى قونية، وكان مع الامبراطور فردريك أدلاء اتراك صحبوه من لاودكيا إلى قونيه، وقد أسرهم أثناء حروبه مع الترك وجعلهم يتقدمون الجيش وهم مكبلون بالسلاسل [٢٦٨].

وأثناء تقدم الجيش الالمانى قاده الأدلاء الى قفار غير مسلوكه وأراضى عديمة الماء فأصاب الجيش التعب وعانى الظمأ، واضطر لأكل لحوم جيف الخيل التى ماتت والشرب من دمائها والبعض كانوا يمضغون بأسنانهم بعض الأخشاب الناشفة لعلهم يجدون فيها شيء من الطراوة[٢٦٩].

على أن أخطر ما واجه الجيش الالمان أثناء زحفه فى آسيا الصغرى "التركمان الأوج " الذين أشارت إليهم المصادر الإسلامية وهم القاطنون على التخوم السلجوقية – البيزنطية، حيث ألحقوا بالجيش الالمانى خسائر ضخمة وضايقوه ثلاثة وثلاثين يوماً وهو سائر، فى الفترة التى قطعها من الشاطىء الاسيوى الشرقى لأسيا الصغرى وحتى وصوله إلى قونيه [٢٧٠]. وكان التركمان قد نجحوا فى

---

[٢٦٦] أبو شامة : الروضتين، جـ٢، ص ١٥٠.

(267) Eracles : op. cit., p. 133. ; Choniates (Nicetas) : Historia., pp. 541-542. ; Cahen : Selgukides, Turcomans ., pp. 29-30.
مكسيموس مونروند : المرجع السابق، مجـ ٢، ص ١١١.

(268) Michaud (M) : op. cit., T. II pp. 381-382.

[٢٦٩] مكسيموس مونروند : المرجع السابق، مجـ ٢، ص ١١٢-١١٣.

[٢٧٠] ابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ ١٢، ص ٤٨. ؛ ابن شداد : " النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية " ص ١٢٤-١٢٥. ؛ أبو شامة : الروضتين، جـ٢، ص ١٥١-١٥٥. ؛ عماد الدين الأصفهاني : " الفتح القسي في الفتح القدسي " ص ٢٦٣. ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات، حققه وعلق عليه / د. حسن محمد الشماع، المجلد الرابع والخامس، (بغداد – ١٩٧٠ م)، مجلد ٤، جـ ١، ص ٢١٤-٢١٥، ابن العديم : المصدر السابق، جـ ٣، ص ١١٣-١١٤.
Grousset : op. cit., vol.3. p. 14. ; Turan : op. cit., p. 244. ; Cahen : op. cit., pp. 28-29.

عزل مدينة فيلادفيا ولاودكيا عن باقي الممتلكات البيزنطية في غرب آسيا الصغرى حيث لم يكترثوا بأي استقرار في المنطقة (٢٧١).

ويرى المؤرخ المحدث فريونز أن تركمان الأوج كانوا من اكبر العقبات وأعثرها التي واجهت الإمبراطور فردريك بربروسا في آسيا الصغرى أثناء زحفه على رأس حملته الصليبية ومن قبله أيضاً الامبراطور مانويل كومنين الذى واجههم في معركة ميريو كيفالون سنة ١١٧٦م خلال زحفه في آسيا الصغري ، ولقد شكا كل من مانويل وفردريك بارباروسا إلى السلطان قلج أرسلان بأن هؤلاء التركمان لا يحترمون الاتفاقات المعقودة مع سلطنة قونية وقد أجاب السلطان بانه غير قادر على السيطرة على هؤلاء البدو التركمان (٢٧٢).

ودخل في عداء الالمان أيضاً بعض أبناء السلطان قلج أرسلان وهم أمراء مدن أنقرة ، وقيصرية وفيلومليوم دون أن يكترثوا بوعود والدهم قلج أرسلان ،ربما بسبب بزوغ قوى أخرى هي قوة الابن الأكبر قطب الدين ، فقد كان الاخير يتصرف عند مقدم الحملة الالمانية " كسلطان " الدولة السلجوقية بعد ان أجبر والده على الاعتراف به كولي عهد منذ سنة ١١٨٩م (٥٨٥ هـ) (٢٧٣).

وأشارت المصادر الإسلامية إلى قطب الدين بن قلج أرسلان الذى أخذته حمية الإسلام ووقف موقفاً معادياً من الحملة الالمانية وسياسة ابيه المرضية للحملة الالمانية (٢٧٤) . والحقيقة أن ما حدث من مقاومة الصليبيين في آسيا الصغرى ربما يكون لصلاح الدين دور كبير فيه حيث كان يرغب في القضاء على الحملة الصليبية في آسيا الصغرى قبل وصولها إلى الشام (٢٧٥).

واصل الجيش الالماني تقدمه متجهاً إلى قونية ووصل إلى أسوارها في ١٧أو ١٨ مايو سنة ١١٩٠م وفوجىء الجيش الالماني بجيش السلاجقة يقوده الابن الأكبر قطب الدين بن قلج أرسلان مدعماً بمجموعات أخرى من تركمان الأمير رستم . ولم يكن أمام الإمبراطور فردريك إلا الاشتباك مع هذا الجيش ومهاجمة قونية فقسم جيشه إلى قسمين أحدهما قاده ابنه دوق سوابيا والآخر وضعه تحت قيادته ، والتقى الجيشان السلجوقي والالماني أمام مدينة قونيه . وقد تمكن

زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ١٠٨ . ، عفاف سيد صبرة : المرجع السابق ، ص ٣٩٤ .

(271) Cahen : op . cit ., pp . 28-29 .

(272) Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor . , pp . 128-262 , p . 267 . No . 737 .

(٢٧٣) محمد زكي نجيب : المرجع السابق ، ص ٣٧-٣٨ ، ٧٩ .

(٢٧٤) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ ٢ ، ص ٣١٨ . ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، حوادث سنة ٥٨٣ .

(275) Cahen : Selgukides , Turcomans et allemands ., pp . 28-29 .

الامبراطور فردريك من هزيمة قطب الدين الذى هرب إلى داخل المدينة ، وقامت القوات الالمانية بنهب المدينة والسيطرة عليها وأحرقت أسوارها ،وهلك كثير من السلاجقة وفر آخرون (٢٧٦) على الرغم من أن مدينة قونية كانت تتميز بالحصانة والقوة ويصعب أفتحامها (٢٧٧) وبذلك يكون الإمبرطور فردريك قد نجح فى الاستيلاء على قونيه وهى المدينة التى فشل فى الاستيلاء عليها أباطرة الامبراطورية البيزنطية العظام أمثال ألكسيوس الاول كومنين وحنا الثانى ومانويل وغيرهم ، كما سنرى ذلك عند تعرضنا للنشاط البيزنطى فى آسيا الصغرى .

وكان السلطان قلج أرسلان الذى كان قد لجأ إلى قلعة قونية ، قد حمل ابنه قطب الدين مسئولية ما حدث ، وفى محاولة منه لمعالجة الموقف عرض الصلح على الامبراطور فردريك ووعده بالخضوع لسيادته والمحافظة على الهدنة بين الطرفين وتقديم كل ما يحتاجه الجيش الالمانى ، فوافق الامبراطور فردريك على ذلك لأنه لم يكن راغباً فى البقاء فى قونيه (٢٧٨).

وهنا نلاحظ أن المؤرخين المسلمين قد أشاروا إلى أن الألمان بعثوا إلى قلج أرسلان بالهدايا وطلبوا منه الهدنة فهادنهم وقالوا له : " إنا لم نصل لأخذ بلادك، وانما خرجنا لأخذ ثأر البيت المقدس " (٢٧٩).

ومهما يكن من أمر فقد كان الطرفان فى حاجة إلى هذا الصلح فالإمبراطور فردريك بربروسا قبل هذا الصلح لأنه لا يريد الدخول فى حروب جانبية تثنيه عن هدفه. أما السلطان قلج أرسلان فقد تحرج موقفه بعد دخولهم قونية.

وكان أن أبرمت المعاهدة بين الطرفين فى مايو ١١٩٠م (ربيع الثانى ٥٨٦هـ) نصت على أن يمتنع الترك من مهاجمة الالمان وتفتح الاسواق التركية أمام

---

(276) Eracles : op . cit ., pp . 133-134 . ; Choniates (Nicetas) : Historia ., pp . 541-542 . ; Smpad : The Armenian chronicle of the constable S M Pad (1208-1276) Royal Historians , English trans. By Sirarpie Der Nersessian in Dumbarton Oaks Paper No . 13 , 1959 , p . 154 .

ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٤٨ . ؛ ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٥ . ؛ أبو شامة : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٥-١٥٦ . ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٦٠-٣٦٣. ؛ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢١٧-٢١٨ . ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٢ ، ص ٢١٠ . ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، مجـ ٤ ، جـ ١ ، ص ٢١٥ .

Cahen : op . cit ., pp . 29-30 . ; Pasdermadjan (H) : Histoire de l'Armenie ., p . 209 . ; Previte : op . cit ., p . 531 . ; Johnson : op . cit ., pp . 112-113 . ; Jorga : op . cit ., p . 166 .

(277) Jorga : op . cit ., p . 166 .

(278) Eracles : op . cit ., pp . 542-543 . ; Choniates (Nicetas) : Historia ., p . 30 . ; Johnson : op . cit ., p . 113 .

(٢٧٩) ابن الفرات : المصدر السابق ، مجـ ٤ ، جـ ١ ، ص ٢١٥ . ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣١٨-٣١٩ . ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٤٨-٤٩ .

الجيش الالمانى فى مقابل أن يقوم تعاون بين الطرفين ضد صلاح الدين الايوبى لتقسيم الممتلكات الايوبية (٢٨٠).

كما طلب الالمان من قطب الدين قلج أرسلان أن يأمر رعيته بالكف عنهم وأن يسلم إليهم جماعة من الاسرى الأتراك كرهائن لحماية الجيش الالمانى من اجل منع هجوم التركمان على الجيش الالمان أثناء زحفهم إلى بلاد الأرمن في قيليقية . وانتهز قطب الدين هذه الفرصة للتخلص من بعض المناوئين له في الحكم والذين كان يكرههم فسلم إليهم ٢٥ أميراً ليكونوا في صحبتهم (٢٨١).

وعلى أية حال ، لم يمكث فردريك طويلاً فى داخل أسوار مدينة قونية ولكنه أجاز لجيشه أن يخلد إلى الراحة فترة من الزمن فى حدائق ميرام الواقعة بالأرباض الجنوبية للمدينة (٢٨٢) . ثم تحرك الجيش الالمانى من قونية فى ٢٦ مايو ١١٩٠م فى اتجاه مملكة أرمينيا الصغرى (قيليقية) وبالرغم من الاتفاق المعقود بين الجانبين السلجوقي والالمانى ، وبالرغم من التسهيلات التى قدمها قلج أرسلان للإمبراطور فردريك ، فقد تعرض الجيش الالمانى لهجمات عديدة من قبل الاجناس التركية التى كانت تبغى السلب والنهب الامر الذى أغضب فردريك بربروسا فقبض على الادلاء والرهائن الذين سيرهم قلج أرسلان وابنه قطب الدين معه ، وقيدهم بعد ان أخذ ما معهم ووضعهم فى الأسر ، فهدد بإعدامهم فمنهم من فدى نفسه ، وخرج نظير فديه ضخمة ، ومنهم من مات فى الأسر (٢٨٣).

ومما يجدر ذكره أن السلطان قلج أرسلان وابنه قطب الدين أرسلا إلى السلطان صلاح الدين الأيوبى بعد رحيل الإمبراطور فردريك بربروسا من قونية متجهاً إلى قيليقية برسالة يعتذران له فيها عن عدم قدرتهما على منع فردريك من عبور بلادهما وإنهما أجبرا على ذلك لعجزهما عن صده (٢٨٤) ويدل هذا على حرص

(280) **Eracles** : op . cit ., T.II . p . 134 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 543 . ; **Grousset** : op . cit ., vol .3 . p . 41 . ; **Cahen** : op . cit ., p . 30 .

(٢٨١) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٤٩ . ؛ أبو شامة : الروضتين ، ص ١٥٦ . ؛ ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٥ . ؛ ابن الفرات : المصدر السابق ، مجـ ٤ ، ص ٢١٥ .
Cahen : op . cit ., p . 30 . ; **Gabriele** : Arab historians of the crusade . , p . 210 .

(282) **Runciman** : op . cit ., vol . 3 p . 15 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٨-٣٩ .

(٢٨٣) ابن واصل : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٣١٨-٣١٩ . ؛ أبو شامة : الروضتين ، ص ١٥٦ . ؛ ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٣٤٩ . ؛ النويري : " نهاية الأرب في فنون الأدب " جـ ٨ ، ص ٣٢٤ .

(٢٨٤) سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٤٠٣ . ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٩٨ . ؛ ابن واصل : المصدر السابق ،مجـ ٤ ، جـ٢ ، ص ٣١٩ .
Gabriele : op . cit ., p . 211 .

قلج أرسلان على التبرىء من تهمة معاضدته للالمان ضد المسلمين . وربما هذا يتفق مع ما ذكر عن قلج أرسلان من أنه كان " ذا سياسة حسنة وهيبة عظيمة " (٢٨٥).

على أية حال ،وصل الجيش الالماني إلى لارندا على حدود قيليقية في ٣٠ مايو سنة ١١٩٠م (٢٨٦) وبمجرد وصوله إلى حدود قيليقية بادر حاكمها ليو الثاني الأرمني (١١٥٨-١٢١٩م) أمير أرمينيا الصغرى بالترحيب بالجيش الالماني وأمدهم بالمؤن والزاد والعتاد اللازم وهداهم الطريق (٢٨٧).

وبعد ذلك قاد الامبراطور فردريك الجيش الالماني عبر دروب ومسالك جبال طوروس دون أن يصادف مقاومة نحو الساحل الجنوبي إلى سلوقية ، وهبط الجيش الالماني الضخم إلى سهل سلوقية في ١٠ مايو ١١٩٠م وتجهز لعبور نهر كاليكادنوس Calycadnus السالف ، كيما يدخل المدينة وسبق الجيش في المسير الامبراطور في حرسه ، فنزلوا إلى حافة النهر وما حدث عندئذ ليس معروفاً على وجه التأكد فقد توفي الإمبرطور فردريك الأول بربروسا غريقا في هذا النهر بقيليقية في العاشر من شهر يونية سنة ١١٩٠م (٢٨٨) . ولقد كان هذا النهر عريضاً ومياهه تتميز

---

(٢٨٥) ابن العبري : " تاريخ مختصر الدول " ، ص ٢٢٣ .

(286) Jobnson : op . cit ., p . 113 . ; Runciman : op . cit ., vol . 3 p . 15 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٩ .

(٢٨٧) ابن الفرات : المصدر السابق ، مج ٤ ، جـ ١ ، ص ٢١٦ . ؛ ابن خلدون : " العبر وديوان المبتدأ والخبر " جـ ٥ ، ص ٣٧٤ . ؛ الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٩٠ . ؛ عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ١٤٣ . ؛ سعيد عاشور : " سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغري " ص . ١٤٤ . ؛ إستارجيان : تأريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢٢٠ . ؛ فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الأرمني منذ البداية حتي اليوم ، ص ١٥٧ .
Lang : op . cit ., p . 202 . ; Gabrieli : op . cit ., p . 210 .

(288) Runciman : op . cit ., vol . 3 p . 15 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٣٩-٤٠ .
Previte : op . cit ., p . 531 . ; Kingsford (C.L) : op . cit ., p . 310 . ; Painter : The third crusade in setton ., p . 49 . ; Austinlanpool (M.A) : op . cit ., p . 412 . ; Boase and others : op . cit ., p . 18 . ; Jorga : op . cit ., p . 166 . ; Morgan : op . cit ., p . 181 . ; Lang : op . cit ., p . 202 . ; Gabrieli : op . cit ., p . 210 . ; Pasdermadjan (H) : op . cit ., p . 210 . ; Maalouf : op . cit ., p . 207 . ; Rice (T.T) : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 66 .
بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص ٤٠٤ . ؛ علية عبد السميع الجنزوري : الثغور البرية الإسلامية علي حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطي ، (القاهرة - ١٩٧٩ م) ، ص ٥٣-٥٤ . ؛ حسين محمد عطية : " إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ،(١١٧١-١٢٦٨م / ٥٦٧-٥٦ هـ) (الإسكندرية - ١٩٨٩م) . ص ٢٢٣ ، حاشية ٢١٢ . ؛ فولوفانغ : القلاع أيام الحروب الصليبية ، ص ٢٤-١٠٧ . ؛ فؤاد حسن حافظ : المرجع السابق ، ص ١٥٧ . ، إستارجيان : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

بجريانها السريع [٢٨٩] . ولقد أشار سبط بن الجوزي أن الملك فردريك بعد أن وافته المنية " سلقوه في خل وحملوا عظامه ليدفنوها في القدس" [٢٩٠].

واختلفت أراء المؤرخين في تعليل أسباب وفاة فردريك بربروسا المفاجئة ، ففسر البعض أنه أثناء عبور الجيش الالماني النهر في منتصف النهر فقد الامبراطور فردريك قدرته وقوته بسبب المجهود الشاق الذى بذله فسقط وسط الماء ولم يلحقه حرسه الخاص فمات [٢٩١] . ويري البعض الآخر أن قدم فرسه زلقت أثناء عبوره النهر فقذف به إلى الماء بسبب ثقل أسلحته [٢٩٢] . ويشير البعض الآخر أن فردريك دخل النهر يريد الاغتسال فغرق [٢٩٣] وتشير بعض المصادر العربية إلى أن فردريك بربروسا أراد إنعاش نفسه بالاستحمام في مياه نهر السالف فاستحم في ماء ذلك النهر ، فأصابته برودة الماء بمرض مات على أثره بعد أيام قلائل [٢٩٤] . كما تشير بعض المصادر الاخرى أنه عندما عبر القوات الالمانية النهر ألتطم الموج بهم فطلب الملك موضعاً يعبر منه وحده . فدخل في مخاضة قوية فاختطفه تيار الماء واصطدم بشجرة شجت رأسه ، فاستخرجوه وهو في آخر رمق وهلك [٢٩٥].

ومهما تعددت أسباب موت فردريك بربروسا فإن هذا لا يغير من حقيقة موته في هذا النهر ، والشيء الثابت هو أن فردريك توفي دون تحقيق هدفه الذى خرج من اجله وهو المشاركة في استعادة بيت المقدس من المسلمين .

وكانت وفاة الامبراطور فردريك هي بداية النهاية لهذه الحملة،فحملته قد عانت الكثير أثناء سيرها الشاق عبر آسيا الصغرى فالعديد من الجنود الالمان لقوا حتفهم وجانباً كبيراً من العتاد قد تبدد وكان الالمان ممن تنهار روحهم المعنوية إذا اختفى قائدهم لتعلقهم الشديد بعبادة القائد فقرر بعض الأمراء أن يعودوا بأبنائهم إلي أوربا ، واستقل أمراء آخرون من سيلوقية أو طرسوس إلى مدينة صور [٢٩٦].

---

(289) Boase and others : op . cit ., p . 18 .

[٢٩٠] سبط بن الجوزي : المصدر السابق ، جـ ٨ ، ص ٢٥٨ .

(291) Eracles : op . cit ., T.II . p . 137 .
(292) Choniates (Nicetas) : Historia ., p . 545 .

[٢٩٣] ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٤٩ . ؛ ابن خلدون : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٧٤ .
Gabrieli : op . cit ., p . 210 .

[٢٩٤] ابن شداد : المصدر السابق ، ص ١٢٥ . ؛ أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٥٥ . ؛ سبط بن الجوزي : " مرآة الزمان " جـ ٨ ، ص ٢٥٨ .

[٢٩٥] عماد الدين الأصفهاني : المصدر السابق ، ٣٩١ . ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣١٩ .

(296) Runciman : op . cit ., vol . 3 p . 16 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٤١ .

ويرى المؤرخ المحدث كاهن إنه لم يكن لقلج أرسلان ولا لابنه قطب الدين دور في الحادثة التى حلت بالامبراطور فردريك في يونيه ١١٩٠م بقيليقية ولا أي دور فيما قاساه الجيش الالماني في قيليقية[٢٩٧]. كما يرى البعض أن موت الإمبراطور فردريك بربروسا قد رفع عن البيزنطيين عبئا ثقيلاً[٢٩٨].

اختلف الالمان على من يخلف الامبراطور فردريك في قيادة الجيش، حيث مال بعضهم إلى تولية ابنه فردريك السوابى – والذى تم انتخابه بالفعل قائداً لهم –، بينما مال البعض الآخر إلى تولية أخ لفردريك السوابى أكبر منه وهو هنرى السادس، ولكن من الصعوبة بمكان تولية قيادة الحملة لأنه كان يرعى شئون الامبراطورية الرومانية المقدسة أثناء فترة غياب والده وأخوه في الشرق[٢٩٩].

ومهما يكن من أمر، فإن ليو الثاني الارمني ما إن أحس بضعف الجيش الالماني وما حل به من التفكك والضعف بعد موت فردريك حتى أثر ألا " يلقى بنفسه بينهم فإنه لا يعلم كيف يكون الأمر وهم إفرنج هو أرميني فاعتصم هو عنهم في بعض قلاعه المنيعة "[٣٠٠]. ومن ناحية أخرى أرسل إلى صلاح الدين رسالة يخبره بوفاة فردريك بربروسا شارحاً له حالة الجيش الالماني عقب وفاة إمبراطورهم وما أصابهم من ضعف[٣٠١].

وحقيقة الأمر أن ليو الثاني أمير أرمينية كان يأمل في أن يتوج ملكاً على أرمينية الصغرى حتى لا يبدو في مكانه أقل من مكانه الأمراء الصليبيين ببلاد الشام

Michaud (M) : op . cit ., vol II p . 384 . ; Mayer : op . cit ., pp . 138-139 . ; Grousset : op . cit ., T.3 . p . 17 . ; Boase and others : op . cit ., p . 18 .

حسين عطية : المرجع السابق، ص ٢٢٤.

(297) Cahen : op . cit ., p . 30 .

(298) Jorga : op . cit ., p . 166 .

(٢٩٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، جـ ١٢، ص ٤٩. ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، جـ ٨، ص ٢٥٨. ؛ ابن خلدون : المصدر السابق، جـ ٥، ص ٣٧٤. ؛ عماد الدين الأصفهاني : المصدر السابق، ٣٩١.

Painter : The third crusade in setton ., p . 49 . ; Michaud (M) : op . cit ., vol II p . 385 . ; Jobnson : op . cit ., pp . 114-115 . ; Gabriele : op . cit ., p . 210 .

(٣٠٠) ابن شداد : المرجع السابق، ص ١٢٤.

(٣٠١) نص رسالة الكاغيكوس إلي صلاح الدين. انظر : ابن شداد : المصدر السابق، ص ١٢٤. ؛ ابن واصل : المصدر السابق، جـ ٢، ص ٣٢٠. ؛ عماد الدين الأصفهاني : المصدر السابق، ص ٢٦٢-٢٦٣. ؛ ابن شداد : المصدر السابق، ص ١٥٥. ؛ ابن الفرات : المصدر السابق، مجـ ٤، ص ٢١٦-٢١٩. ؛ محمد ماهر حمادة : المرجع السابق، ص ١٨٣-١٨٦.

Rohricht : op . cit ., No . 694 . p . 185 .

ويبعد عنه أطماع البيزنطيين ، وعند وفاة فردريك أثر ذلك في ليو تأثيراً عميقاً وتحطمت آماله في الحال للوصول إلى التاج الملكي(٣٠٢).

وعند مسير بقايا الحملة إلى أنطاكية حل بها وباء شديد ذهب ضحيته كثير من رجالها ووصلت البقية الباقية إلى انطاكية في ٢١ يونية سنة ١١٩٠ م "وكأنهم قد نشبوا من القبور " (٣٠٣) ويتهكم المؤرخون المسلمون على جيش فردريك السوابي الزاحف على انطاكية بأنه كان " أكثرهم حملة عصي وركاب حمير ، غير عارفين بطريق ، ولا متحفظين في مسير الناس يلتقطونهم ويتخطفونهم" (٣٠٤).

ومهما يكن من أمر ، فإن الانتصارات التي حققها بربروسا والصراع الذي حدث لسلطنة سلاجقة الروم من خلفاء قلج أرسلان قد أمهلت اليونانيين وحمتهم من الغزوات التركية المستمرة لأنه لم يكن هناك ما يوقف هؤلاء وطموحاتهم (٣٠٥) ، حتى ان البعض يرى إنه للضربات المتتالية التي كالتها الفروسية الاوربية للاتراك السلاجقة خاصة وللمسلمين عامة تدين الدولة البيزنطية بطول سلامتها مدة ثلاثة قرون أخر (٣٠٦).

ونصل إلى القول إلي أنه نظراً لأن آسيا الصغرى كانت معبراً لثلاث حملات صليبية إلى بلاد الشام ، فقد بلغت سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى أهمية كبري في فكر السلطان صلاح الدين الايوبي ، لذا عزم علي ضمها إلى بلاده ، لأن من يمتلكها يستطيع أن يمنع أى قوات صليبية قادمه إلى بلاد الشام عبر أراضيها ، ولكن وفاة صلاح الدين حالت دون تنفيذ هذا المشروع (٣٠٧) . ولو امتد العمر بصلاح الدين وقيض له ضم سلطنة سلاجقة الروم وأصبح في مواجهة الدولة البيزنطية ربما تغيرت الخريطة السياسية لتلك المنطقة في العصور الوسطى.

---

(302) Boase and others : op . cit ., p . 18 .
عثمان الترك : المرجع السابق ، ص ١٤٤-١٤٥ . ؛ إستارجيان : المرجع السابق ، ص ٢٢٠ .

(٣٠٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٢ ، ص ٤٩ .
Gabriele : op . cit ., p . 210 . ; Painter : op . cit ., p . 49 .

(٣٠٤) عماد الدين الأصفهاني : المصدر السابق ، ص ٣٩٥ . ؛ أبو شامة : الروضتين ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ . ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٢٢-٣٢٣ .

(305) Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor . , p . 128 .

(٣٠٦) فشر (هـ . أ . ل) : تاريخ أوربا في العصور الوسطي ، (القاهرة – ١٩٦٦م) ، جـ ١ ، ص ١٨٤ .

(٣٠٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٩٥-٩٦ . ؛ ابن كثير : " البداية والنهاية " ، جـ ١٣ ، ص ٢ .

الفصل الثالث

النشاط البيزنطى فى آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر الميلادى

- النشاط البيزنطي فى آسيا الصغرى فى عهد الإمبراطور ألكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨ م).
- النشاط البيزنطي فى آسيا الصغرى فى عهد الإمبراطور حنا الثانى كومنين (١١١٨-١١٤٣م) .
- النشاط البيزنطى فى آسيا الصغرى فى عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنين (١١٤٣-١١٨٠م) .
- النشاط البيزنطى فى آسيا الصغرى بين سنتى (١١٨٠-١٢٠٣م) .

النشاط البيزنطي فى آسيا الصغري فى عهد الإمبراطور ألكسيوس الأول كومنين (١٠٨١-١١١٨م)

تولي ألكسيوس عرش الدولة البيزنطية سنة ١٠٨١م بعد خلع الإمبراطور نقفور بوتنياتس [1] وكانت آسيا الصغري قد بلغت أهمية كبري فى فكر الإمبراطور ألكسيوس كومنين الذي لم يكن حديث العهد بآسيا الصغري ، فقد تعامل معها فى مناسبات عديدة [2] قبيل إعتلائه عرش الإمبراطورية حيث شارك سنة ١٠٧٠م فى الحملة التي كان يقودها أخوه إسحاق ضد سلاجقة الروم بآسيا الصغري ونجا بصعوبة بالغة بعد أن كاد يقع فى أسرهم ، كما كان له دور كبير فى القضاء علي حركة التمرد التي قام بها روسل بالي‌ل سنة ١٠٧٤م ضد الإمبراطور ميخائيل السابع دوقاس (١٠٧١-١٠٧٨م) وكذلك فى حركة التمرد التي قام بها نقفور برينيوس سنة ١٠٧٨م فى آسيا الصغرى ، وتم القضاء عليها حيث وقع برينيوس أسيراً فى يد القائد ألكسيوس كومنين قبل أن يصير إمبراطوراً .

ولقد إعتلي الكسيوس العرش فى ظروف صعبة حاقت بالإمبراطورية حيث كانت منهكة داخليا وجردت من وسائل دفاعاتها ، بينما هوجمت بأعدائها من كل جانب [3] . وأصبح الوضع مهيئاً لضياع باقي أقاليمها فى آسيا الصغرى ، حيث تمكن السلاجقة من مد سيطرتهم حتى سواحل آسيا الصغرى ، وبسط الصرب [4] سيادتهم

---

(1) **Charles (M.B) & Philip (G) &Anthony (C)** : Alexios I Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 1 p . 63 . ; **Brand (C.M)** : Alexios I Komnenos ., vol . 1 p . 157 . ; **Brooke (Z.N)** : Hist. of Europ. From 911 to 1197 ., vol II p . 232 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 75 . ; **Cahen** : La premiere pentration ., p . 43 .

(٢) انظر الفصل الأول من الكتاب

(3) **Ostrogorsky** : History of the Byzantine State ., p 316 .

(٤) تقع دولة صربيا فى اقليم البلقان وتتكون من إمارتين هما زيتا Zeta وراسكيا Rascia وكان الإمبراطور باسيل الثاني قد نجح فى بسط السيادة البيزنطية علي شبه جزيرة البلقان بعد قضائه علي مملكة البلغار مع إحتفاظ الحكام المحليين بالاستقلال الذاتي غير أن الحكام المحليين بدأو فى استغلال فترة الضعف التي أصابت الإمبراطورية بعد باسيل الثاني للتخلص من السيادة البيزنطية وقام أمراء الصرب بمحاولة بسط سلطانهم علي إقليم دالماشيا البيزنطي ، غير أن انتشار الفوضي والضعف الذي ألم بدولة الصرب بعد وفاة زعيمهم قسطنطين بودين قد مزق من مملكتهم وفقدت الرابطة التي كانت توحد بين الإمارات الصربية ، واستغل الكسيوس هذا الوضع بتشجيع الحركات الإنفصالية لحطام الصرب واستغل العداء ووضع أحد أعوانه علي عرش زيتا وحركها ضد مملكة راسكيا للحد من طموحها حتي نجح فى بسط سلطانه علي تلك الجماعة .

انظر :

فى وسط الدانوب ، وبدأوا يتمردون على الإمبراطورية، كما تمكن البجناك (البشناق) من مهاجمة بلغاريا والاستقرار بالقرب من الدانوب . واستغل روبرت جويسكارد النورماندى دوق أبوليا عزل الإمبراطور ميخائيل السابع عن العرش وقام بغزو أبيروس ، وأستعد لغزو الإمبراطورية نفسها (٥) فى الوقت الذى وقعت معظم آسيا الصغرى فى أيدى الترك(٦) وكانت آسيا الصغرى تمثل جسد الإمبراطورية البيزنطية .

وعلى الرغم من أن آسيا الصغرى قد بدت وكأنها قد ضاعت إلى الأبد من أيدى البيزنطيين، إلا أن الإمبراطور الكسيوس لم يفقد الأمل فى استعادتها ، صحيح أن سيطرة السلاجقة على آسيا الصغرى كانت شبه تامة ، ولكن الإدارة البيزنطية كان لها وجود فى مقاطعات وأماكن مختلفة من آسيا الصغرى ، مثل هرقليا على البحر الأسود وفى أجزاء من بافلاجونيا وقبادوقيا ، وكوما ، وطرابيزون ، ومناطق أخرى، كما وجد الأرمن فى أقاليم طرسوس وطرسوس الداخلية الذين كانوا يدينون بالولاء للإمبراطورية البيزنطية . والحقيقة إنه إذا كان وضع الدولة البيزنطية ومكانتها فى آسيا الصغرى قد أضحي ميئوساً منه تماماً فى بداية عهد ألكسيوس ، فإن ظهوره كان نقطة تحول لبيزنطة فى شئون آسيا الصغرى (٧).

ولقد حاول الإمبراطور ألكسيوس بعد أعتلائه العرش القيام بعمل عسكرى لوقف خطر السلاجقة واستعادة ما فقدته الإمبراطورية البيزنطية فى آسيا الصغرى ، فنجح فى طرد السلاجقة من شواطيء بيثنيا والبسفور ونيقوميديا (٨) . ولكن يبدو أن الإمبراطورية البيزنطية كانت عاجزة فى تلك الفترة عن القيام بعمل عسكرى كبير يمكنها من استعادة كل أملاكها فى آسيا الصغرى . لذا فإن الإمبراطور ألكسيوس انتهز أية فرصة لإستعادة أملاك الإمبراطورية سواء بالقوة العسكرية أوبالطرق الدبلوماسية . ولذلك فإن الحقبة التى تقع بين اعتلاء الكسيوس كومنين لعرش بيزنطة سنة ١٠٨١ ووصول الحملة الصليبية الأولى سنة ١٠٩٧ كانت بيزنطة بين فيها

Anna comnena : The Alexiad ., p . 72 , 149 , 125 . ; **Ostrogorsky : op . cit ., p . 324**

(5) **Previte :** The shorter Cambridge Medieval History ., vol . 1 p . 538
(6) **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 316 .
(7) **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor ., p .114 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis ler comnene ., p . 72 . ; **Grousset (Rene)** : L'Empire du le vant ., p . 172 .

انظر : الفصل الأول من الكتاب.

(8) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 129-130 . ; **Abrweiler** : Byzance et la Mer ., p . 183 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 114 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 72 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 75 . ; **Cahen** : La premiere pentration ., p . 43 .

انظر : الفصل الأول من الكتاب.

بين النزاع الحربي المسلح ومعاهدات الصداقة مع "القوى المختلفة الكائنة في آسيا الصغرى " (٩).

ففي الوقت الذي كانت فيه الحملة الصليبية الأولى تقوم بنشاطها وتشق طريقها بنجاح في أقاليم آسيا الصغرى، وبعد أن تسلم الإمبراطور ألكسيوس كومنين نيقية في ٢٦ يونية ١٠٩٧ ، كان للإمبراطورية البيزنطية نشاط آخر ، حيث كانت سياسة الإمبراطور ترمي إلى استرداد الشطر الغربي من آسيا الصغرى ، لذا قام بتجهيز حملة ضخمة ، عهد بقيادتها إلى صهره وقائده القيصر حنا دوقاس ، وكلفه باستعادة مدن غرب آسيا الصغرى. وعلى الفور تحركت هذه الحملة نحو مدينة أزمير (سميرنا)، حيث كان لا يزال تزاخاس (تشقا-جكا) يحكمها ، وصحب القائد حنا دوقاس معه ابنه تزاخاس (زوجة السلطان قلج أرسلان) بناء على أوامر الإمبراطور، حيث لم يجر حتى وقتذاك تسليمها إلى زوجها ، لتكون دليلاً على سقوط نيقية في أيدي البيزنطيين(١٠).

وصلت الحملة البرية والبحرية إلى مدينة سميرنا وأحكم الحصار عليها من البر والبحر ، وأدرك الأهالي أنه ليس بمقدورهم الدفاع عن المدينة وبادر أميرها إلى التفاوض لتسليم إمارته دون إراقة الدماء ، ووافق القائد حنا دوقاس وتسلم المدينة وقام بتعيين حاكم جديد لها (١١).

ويشير البعض إلى أن القائد حنا دوقاس حينما دخل المدينة كان شديد السخط على الدمار الذي لحق بها ، حتى أنه قام بتعقب رجال تزاخاس إلى حصن لاباديون Lapadion (Ulubad) حيث قضى عليهم بوحشية ، وكان عدد القتلى كبيراً حتى أن الأحياء الناجين من الترك ارتدوا السواد حداداً على موتاهم . ولما انتفت الحاجة من بقاء زوجة قلج أرسلان في الأسر قام الإمبراطور ألكسيوس بإعادتها مع أطفالها إلى قلج أرسلان زوجها بدون طلب فديه لإطلاق سراحها (١٢).

ويبدو أن الأمير ابن تزاخاس لم يلق حتفه في هذه الواقعة حيث نجح في الانسحاب صوب الشرق عندما بادر بالإذعان وسلم إمارته . ولعله صحب أخته إلى بلاط السلطان قلج أرسلان (١٣) . واختفى نهائياً من صفحات التاريخ ، ولم نسمع عنه

---

(٩) انظر : الفصل الأول من الكتاب .

(10) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 345-346 .
(11) Anna comnena : The Alexiad ., p . 347 .
(12) Rice : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 53 .
(13) Runciman : A history of the crusades ., vol . 1 . p . 194 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ص ٢٩١ .

شيئا ، إلا أن ما يهمنا أن سميرنا التى سقطت فى أيدى البيزنطيين كانت حلقه فى سلسلة مدن وأقاليم استردتها الدولة البيزنطية فى آسيا الصغرى .

اتجه بعد ذلك القائد حنا دوقاس صوب مدينة إفسوس ، وكان الأمير تنجر بيرميش Tengribirmish أحد أعوان ابن تزاخاس قد استولى عليها وقام بحكمها ، وتمكن دوقاس من هزيمة السلاجقة والإستيلاء على المدينة [١٤].

وبعد ذلك تقدمت القوات البيزنطية بقيادة حنا دوقاس واندفعت إلى الحافة الغربية من شبه جزيرة أسيا الصغرى وتمكنت من طرد الترك من مدن سارديس Sardes وفيلادلفيا ، ولوديكيا ولامب Lamp وبوليبوتوس Polybotus[١٥].

ولم ينقض خريف سنة ١٠٩٧ حتى صار كل الإقليم فى قبضة حنادوقاس وتجهز للزحف على فريجيا حيث كان يهدف إلى إعادة توطيد السلطة البيزنطية على الطريق المؤدى من بوليبوتس وفيلو ميليئوم إلى الجنوب حتى أضاليا (انطاليا) ومنها يسير إمتداد الساحل صوب الشرق ، حيث تبذل القوة البحرية له الحماية ويتم الاتصال بأمراء الأرمن بجبال طوروس [١٦].

وبعد أن نجح الإمبراطور ألكسيوس من طرد السلاجقة من المناطق الساحلية لغرب آسيا الصغرى ، قام بإعادة تشييد المدن وإعادة إعمارها بالسكان ، ذلك أن السكان المحليين نتيجة للغزوات التركية هربوا من أماكنهم الأصلية إلى أماكن متفرقة ، فمنهم من احتمى بالجبال مثل ما حدث فى إقليم طوروس ومنهم من فر إلى المدن المجاورة مثل الرها وملطية وطرابيزون ، ومنهم من هرب إلى بعض جزر ساحل آسيا الصغرى وإلى القسطنطينية نفسها [١٧].

وكانت أولى الإجراءات والتدابير التى قام بها ألكسيوس هى قيامه ببناء عدة حصون عند بحيرة مرمرة كحصن جيبوتس Gibotus وسيدرا deraiS لحماية الأقاليم البيزنطية ، كما قام بمهمة شاقة تمثلت فى إعادة تشييد وإعمار المدن التى

---

(14) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 348 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 117 . ; ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 85 . ; **Cahen** : La premiere pentration ., p . 61 .

(15) **Vryonis** : op . cit ., p . 117 .

بوليبوتوس : تقع مدينة بوليبوتوس فى إقليم Paroreios Phrygia بآسيا الصغري . انظر :

Ramsay : op . cit ., pp 139-140 , 197 .

(16) **Runciman** : op . cit ., vol 1 p. 194 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ١ ص ٢٩١-٢٩٢ .

(17) **Attaliates** (**Michaelis**) : Historia ed . Becrer , in corpus scriptorum Historiae Byzantinae ., pp . 211-267 . p . 268 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 169 .

تحولت إلى خرائب مثل شامبلس Shambles وأدراميتيوم Adramytium [18]. وأنطاليا والعديد من المدن الساحلية التي تقع بين مدينة سميرنا وانطاليا على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى [19]. وهنا نلاحظ أن الصليبيين قد ساعدوا البيزنطيين في إعادة احتلال الأقاليم التركية في آسيا الصغرى قبل التقدم إلى بيت المقدس [20].

وفي منتصف أغسطس سنة ١١٠٠م (أوائل رمضان ٤٩٣هـ) حدث أن وقع بوهيموند أمير أنطاكية الصليبي أسيرا في يد أمير سيواس الدانشمندي ، وذلك حينما توجه لمساعدة جبريل حاكم ملطية الأرمني للدفاع عنها ضد الأمير غازي كمشتكين بن الدانشمند ، والتي كان يحاصرها بغية الاستيلاء عليها [21].

وقد سبقت الإشارة إلى المحاولة الأولي لفك أسر بوهيموند عن طريق الحملة اللمباردية التي وصلت إلى القسطنطينية سنة ١١٠١م . ولما علمت الحملة بما حل بالأمير بوهيموند عقدت العزم على التوجه إلى ممتلكات الأمير غازى الدانشمندى لفك أسره . ولم يكن الإمبراطور ألكسيوس موافقا علي قيام هذه الحملة ، ورفض فكرة تخليص بوهيموند من الأسر ، ونصح قادة الحملة بإتخاذ الطريق الساحلي للوصول إلى بلاد الشام ، ولكنهم أصروا على محاولة تخليص بوهيموند من الاسر . وانتهت الحملة بفشلها في مهمتها بعد أن انقضت عليهم القوات التركية وابادتهم في معركة مرسيفان Mersivan وذلك في أغسطس ١١٠١م (ذو القعدة ٤٩٤هـ) [22].

والواضح أن الإمبراطور ألكسيوس لم يكن راغبا في قيام الحملة بتخليص بوهيموند وذلك لأن الأخير كان يعتبر من ألد أعدائه ، فقد رفض بوهيموند قبل أن يقع في الأسر القيام بتسليم أنطاكية إلى الإمبراطور طبقا ليمين الولاء والإتفاق

---

(18) أدراميتيوم : تقع هذه المدينة علي شاطيء بحر أيجة الآسيوي بغرب آسيا الصغري . انظر :
Ramsay : op . cit ., p . 12, 26,166 .

(19) Vryonis : op . cit ., p . 217 .

(20) Milton (J) & Steinberg (R) : The cross and the cresent Byzantium ., p . 80 .

(21) Michel le Syrien : Extrait de la chronique de Michel le Syrien ., vol . III , p . 188 . ; Anonymous Syriaac Chronicle : The first and second crusades ., p . 74 .

ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٠ . ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، جـ ٢ ، ٢١٢ . ؛ علي بن صالح المحميد : الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الأناضول ، ص ١٧٧ . ؛ أسحق أرملة : الحروب الصليبية في الآثار السريانية (بيروت – ١٩٢٩) ، ص ٣٢-٣٣ . ؛ حسين محمد عطية : " إمارة أنطاكية الصليبية والمسلمون ، ص ١٣٧ .

Loewe : The Seljuqs in cam . Med . Hist ., vol IV p . 315 .

(22) Anna comnena : The Alexiad ., pp . 356-357 .

انظر : الفصل الثاني من الكتاب

المعقود بين البيزنطيين والصليبيين والذي يقضي بقيام الصليبيين بتسليم المدن التي ينجحون في استعادتها للإمبراطور البيزنطي [٢٣] . كما أن الإمبراطور ألكسيوس كان يخطط لعمل آخر حيث سعى للحصول على بوهيموند عن طريق مفاوضات مع الامير غازى الدانشمندى حيث عرض عليه فديه ضخمة مقدارها مائتين وستين ألف بيزنت مقابل تسليمه بوهيمند [٢٤].

وعلى الرغم من أن عرض الإمبراطور كان سخيا ، إلا أن تدخل السلطان قلج أرسلان قد حال دون إتمام هذا الأمر ، فقد طالب الأمير غازى الدانشمندى أن يكون له نصف هذه الفدية باعتباره سيداً على جميع الأتراك بآسيا الصغرى ، مما أدى إلى وقوع الخلاف والمنازعة بين الأميرين التركيين [٢٥].

ولقد أخلى الأمير الدانشمندى سبيل أسيره بوهيموند في سنة ١١٠٣م (٤٩٥ هـ) مقابل فديه قدرها مائه ألف بيزنت ، وبعد أن تفاوض مع الصليبيين ، عاد بوهيموند إلى أنطاكية [٢٦].

وعلى الرغم من أن الأمير الدانشمندى قد فوت على الإمبراطور البيزنطى فرصة القبض على غريمة بوهيموند إلا أن الإمبراطور أفاد من فض التحالف بين الأميرين التركيين بعد أن وحدهما قدوم الحملة الصليبية الأولى فليس من مصلحته توحد القوى التركية المختلفة في آسيا الصغرى .

ونتيجة لقيام الدانشمنديون بإطلاق سراح بوهيموند تحرك قلج أرسلان من قونية على رأس جيشه متوجها إلى أنطاكية . وعندما اقترب من مرعش التقى بالقوات الدانشمندية في شهر ذى القعدة ١١٠٣م (٤٩٦ هـ) ، ودارت معركة انتصرت فيها قوات السلطان قلج أرسلان على الدانشمنديون [٢٧]

(23) **Vasiliev :** History of Byzantine ., vol II pp . 409-410 . ; **Ostrogorsky :** op . cit ., p . 323 .

(24) **Albert d'Aix :** Historia Hierosolymitana ., p . 610 . ; **Grousset :** Histoire des croisades ., vol 1 p . 396 . ; **Lamb :** The crusades ., vol 1 p . 249 .

(25) **Runciman :** op . cit ., vol 2 p . 38 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٦٦ . ؛ علي بن صالح المحميد : المصدر السابق ، ص ١٩٠.

(26) **William of tyre :** A History of deeds done Beyond the sea ., vol .1 p. 451 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، ص ١٨٣-١٨٤ . ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٠ ص ٣٤٥

Brehier : The life and death of Byzantium ., v. 5 p . 219 . ; **Gabriele :** Arab historians of the crusade ., pp . 15-16

حسين محمد عطية : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(٢٧) ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ،ص ١٤٣ .

Grousset : Histoire des croisades ., vol 1 p . 398 .

والجدير بالذكر أن الإمبراطور البيزنطي سعى إلى تعميق هوة الخلاف بين الدانشمنديين وسلاجقة الروم حيث سارع بإقامة ما يشبه التحالف العسكري بينه وبين قلج أرسلان [٢٨] كما قام بتكليف القائد جريجوري تارونيتس Gregory Taronites الذي عينه حاكما لطرابيزون بمهاجمة الأراضي التي يسيطر عليها الدانشمنديون قرب ساحل البحر الأسود [٢٩].

وأثناء تقدم الأمير الدانشمندي على رأس قواته في طريقة إلى مدينة نيكسار شن البيزنطيون هجوما عليه وأوقعوا بالقوات الدانشمندية هزيمة ساحقة وأصيب الدانشمندي بإصابات بالغة في جسده[٣٠] وتشير إحدى الروايات إلى أنه نتيجة لما وقع بالدانشمنديين من هزيمة على يد البيزنطيين ، فقد هرب الأمير غازي الدانشمندي ليستنجد بالخليفه العباس المقتدر بالله [٣١].

واشتعل الخلاف بين المسلمين في آسيا الصغرى حيث صارت مدينة ملطية التي كانت تتحكم في طرق المواصلات إلى سلطنة سلاجقة الروم محورا للنزاع بين الدانشمنديون وسلاجقة الروم غير أن وفاة ملك غازي ابن الدانشمند (١١٠٥-١١٠٦م/٤٩٩-٥٠٠هـ) المفاجيء قد أرجأ الصراع بين الطرفين ، وأتاح الفرصة لقلج أرسلان للإستيلاء على قونية [٣٢]

لم يقتصر النشاط البيزنطي في آسيا الصغرى في عهد ألكسيوس على النشاط العسكري ، بل أثمر النشاط الدبلوماسي ثماره ويظهر ذلك حين قام بوهيموند بغزو الإمبراطورية البيزنطية من الغرب (١١٠٥-١١٠٧ م) فطلب الإمبراطور ألكسيوس المساعدة من السلطان قلج أرسلان الذي استجاب لحليفه على الفور وأمده بالإمدادات العسكرية التي مكنت الإمبراطور ألكسيوس من الانتصار على بوهيموند [٣٣].

---

(٢٨) عبد الغني محمود عبد العاطي : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨م) ص ٢١٦ .

(29) **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis Ier comnene ., p . 37 .

(٣٠) هزارفن : تنقيح التواريخ نام ، ص ١٠٠ .

(٣١) هزارفن : تنقيح التواريخ نام ، ص ١٠١ .

(٣٢) ابن العديم : " زبدة الحلب في تاريخ حلب " جـ ٢ ، ص ١٤٥ .؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٢٨ .؛ العظيمي : تاريخ العظيمي ، ص ٣٧٢-٣٧٤ .؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٠ ، ص ٣٠٠ .

Rice : op . cit ., p . 60 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 86 . ; Cahen : La premiere pentration ., p . 62 .

(٣٣) ابن الأثير : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٢٥ .؛ ابن القلانس : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 86 . ; Cahen : La premiere pentration ., p . 63 .

وفي سنة ١١٠٧م (٥٠٠ هـ) واجـه الإمبراطور ألكسيوس ثورة قام بها جريجوري تارونيتيس بإقليم طرابيزون بآسيا الصغرى ، حيث تحصن داخل قلعة كولوني Colonee واستنجد بالدانشمنديين في سيواس . وقد راسله الإمبراطور ليرده عن تلك الثورة واعدا إياه بالعفو ، إلا أنه لم يستمع لنداءات الإمبراطور ، بل أرسل إليه خطابا يهاجمه فيه هو وبعض أعوانه من الجيش والسناتو . وعندئذ قامت قوات الإمبراطور بمهاجمة القلعة وتم القبض عليه حيث أرسل إلى القسطنطينية (٣٤).

على أن هناك حدث خطير قد وقع في أسيا الصغرى أدى بالإمبراطورية البيزنطية إلى معاودة القيام بنشاطها لإستعادة الممتلكات البيزنطية ، وهذا الحدث هو مصرع السلطان قلج أرسلان الأول عند الخابور سنة ١١٠٧م (٥٠٠هـ) حيث ترك عرش السلطنة شاغرا دون أن يكون أي من أبنائه في العاصمة ليحل محله، فابنه ملكشاه أكبر أبنائه وولي عهده وقع في قبضة السلطان محمد سلطان السلاجقة العظام أما ولديه الآخرين عرب وركن الدين فقد وقع الأول في الأسر في فارس ، والثاني وقع في أسر الدانشمنديين .وبذلك أضحت سلطنة سلاجقة الروم بدون سلطان في الفترة من سنة ١١٠٧ إلى سنة ١١١٠ م (٣٥).

على أنه كان لوفاة قلج أرسلان أبعاد أخرى عند الترك في آسيا الصغرى حيث عاود السلاجقة من التركمان الرحل مهاجمة الحدود البيزنطية الأمر الذي حدا بالإمبراطور الكسيوس بتكليف القائد إيماثيوس فيلوكاليس Eumathius Philokàles على رأس قوة بيزنطية لوقف هذه الاعتداءات ، ونجح البيزنطيون في إيقاع هزيمة قاسية بالتركمان في مدينة لامب حيث قتل وأسر فيها عدد كبير من الترك (٣٦).

وفي ذلك الوقت لم يكن بآسيا الصغرى زعيم قوي إلا الأمير حسن أمير قبادوقيا أقوى الأمراء المسلمين ، وكرد فعل لما حل بالمسلمين من هزيمة ، قام الأمير سنة ١١١٠م بتجهيز جيش ضخم بلغ عدده أربعة وعشرين ألف مقاتل للثأر من البيزنطيين . وقام بمحاصرة مدينة فيلادلفيا ثم قام بتقسيم جيشه إلى ثلاث وحدات اتجهت المجموعة الأولى لمهاجمة سارديس و الثانية صوب مديني أزمير

---

(34) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 387 .

(٣٥) ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ١٥٨ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٢٩–١٣٠ .
العظيمي : المصدر السابق : ص ٣٨٠ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 87 . ; **Cahen (C.L)** : Kilidy Arslan II E.I vol v in Ency . of Islam .

(36) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 437 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis ler comnene ., pp . 254 -255 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 88 . ; **Turan (Osman)** : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " vol . p .239 .

ونيمفـايون Nymphaeon والثالثـة نحـو خليـارا Chliara وبرجـاموم Pergamum. وصاحب الأمير حسن المجموعة المتجهة لمهاجمة أزمير ، ولكن القائد البيزنطى إيما ثيوس نجـح فـى الإيقاع بجيش الأمير حسن بعـد أن انقسم إلى جماعات صغيرة ، فأنزل بها الهزائم الواحدة بعد الأخرى (٣٧). ولا شك أن مـا وقـع لجيش الأمير حسـن كان متوقعا إلى حد كبير ، فأبسط القواعد العسكرية لم يراعيها الأمير حسن حينما لجـأ إلى تقسيم جيشه .

على أن الأوضاع السياسية فى آسيا الصغرى بدأت تتغير بعد أن أطلق سـراح ملكشاه بن قلج أرسلان من أسر السلاجقة بفارس سنة ١١١٠م (٥٠٣هـ) ، وبعد أن عاد إلى مملكة أبيه واستقام لـه أمر المملكـة قام بالتخلص مـن الأمير حسـن دون سـبب معروف وحاز أملاكه (٣٨).

وبعد أن استتبت الأمور لملكشاه نهض لاسترداد الأملاك التى فقدهـا والـده قلج أرسلان زمن الحملة الصليبية الأولى . ففى الشهور الأولى من سـنة ١١١٢م شرع فى توجيه الغارات على الأملاك البيزنطية ، بأن زحـف علـى فى لادلفيـا ، ولم يوقف تقدمه إلا القائد جابراس ،وانتهى الأمر بعقد إتفاقيه سلام بين الطرفيـن (٣٩).

ويبدو أن ذلك الصلح كان صلحا مؤقتا فقد استؤنفت الحرب بين الطرفيـن فى العام التالى (سنة ١١١٣) وقام مجموعة من الأمـراء السـلاجقة وهـم كونتوجمين Kontogmen ومونوليكـوس Monolykos(مـانولوك) ومعـهم السـلطان ملكشـاه بالهجوم على نيقية –التى استعادتها بيزنطـة ١٠٩٧م بعـد الحملـة الصليبيـة الأولى – ولوباديون ونجح ملكشاه فى السيطرة علي بيرجاموم . كما تم علـي أيديهم تخريـب مدن بوامينيون Poemanenon وبـاريون Parion وأبيـدوس واسـتولوا علـى قزيقـوس Cyzicus كما عـادوا بالأسـلاب والغنـائم من مـدن ادرامينيـوم وخليارا (٤٠). هـذا فـى

---

(37) Anna comnena : The Alexiad ., pp .437-438 .; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 88 .

(٣٨) ابن القلانسى : المصدر السابق ، ص ١٥٨ .

Chalandon (F) : The Earlier comneni in cam . Med . Hist . vol . IV p . 343 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 88 .

(39) Runciman : op . cit ., vol . 2 . p . 138

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٢٢٤.

Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 88-89 . ; Chalandon (F) : Essai sur le reigne d'Alexis ., p . 265

(٤٠) خليارا : تقع فى وادي نهر كيكاوس الأدني Lower Kakos فى إقليم ليديا فى غرب آسيا الصغري. انظر :

Ramsay : op . cit ., p . 130 , 209 .

الوقت الذى كان فيه الإمبراطور ألكسيوس معسكرا فى مدينة دمالى س ، فتوجه منها إلى حصن كيفتوت لمراقبة الموقف حتى وصلته الأخبار بالأحداث الأخيرة(٤١).

والحقيقة أن الهجوم الذى شنه السلاجقة فى آسيا الصغرى يدفعنا إلى القول أنهم مازالوا قوة مؤثرة فى آسيا الصغرى بعد الحملة الصليبية الأولى . كما أوضحت هذه الهجمات أن الدولة البيزنطية كانت عاجزة ، ولم تكن تستطيع حماية الممتلكات التى استردتها مؤخرا من السلاجقة .

على أن الإمبراطور ألكسيوس حينما وصلته أخبار الحملات السلجوقية قام بتكليف إيثتايتوس كامتزيس Eustathius Kamytzes حاكم نيقية على رأس قوة بتعقب السلاجقة وتجنب الإشتباك معهم تجنبا للخسائر ، لكنه لحق بهم وشن هجوما عليهم عند مكان يعرف بأوراتا Aorata وكاد كامتزيس يحقق الإنتصار لولا أن القوات السلجوقية استعادت نظامها ، وعلمت أن حاكم نيقية هو الذى يحاربهم بعد أن كانوا يعتقدون أن الإمبراطور الكسيوس شخصيا هو الذى يقاتلهم فزاد حماسهم وتمكنوا من إلحاق الهزيمة بالجيش البيزنطي وأسر كامتزيس (٤٢).

استبد القلق بالإمبراطور البيزنطي لوقوع كامتزيس فى الأسر ولخشيته من وقوع نيقية فى أيديهم مرة أخرى ، قرر القيام بالتصدى لهم بنفسه ، وتقابل الجيشان بالقرب من نيقية نجح فيه البيزنطيون فى الانتصار على السلاجقة ، كما نجح كامتزيس فى الهرب أثناء القتال وعاد الإمبراطور ألكسيوس منتصرا إلى القسطنطينية بعد أن عين جورج ليبونيس George Lebounes حاكما لنيقية بدلا من كامتزيس الذى عاد إلى القسطنطينية (٤٣).

لم تنقطع غزوات السلاجقة عن تهديد الممتلكات البيزنطية فى آسيا الصغرى ، فقد قام ملكشاه فى سنة ١١١٥م باجتياح الأراض البيزنطية دون أن يلقى مقاومه ، ولم يمنع الإمبراطور من القيام بأى عمل لإيقاف السلاجقة سوى مرضه كما تذكر المؤرخة آنا كومنين (٤٤).

وفى عام ١١١٦ قرر الإمبراطور ألكسيوس العودة إلى آسيا الصغرى والتصدى للسلاجقة بعمل حاسم فتحرك على رأس جيش إلى منطقة ملاجنا Malagna. وواصل سيره فى آسيا الصغرى ، وتوجه الجيش تحت قيادته إلى كدريا

(41) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp .452-453 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 91 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., pp . 265-266 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp . 149-150 .

(42) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp .453-455 . ; **Zanoras** : Epitomae Historiarum ., vol . III p . 756 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 91

(43) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 455-456 . ; **Zanoras** : op . cit ., vol III p . 756 .

(44) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 471 . ; **Chalandon (F)** : The Earlier comneni in cam . Med . Hist . vol . IV p . 343 .

Kedrea ثـم أرســل الإمــبراطور فرقتــين إحداهمــا لمهاجمــة مدينــة بوليبوتــس Polybotos، والأخرى إلى عمورية ، لتمهيد الطريق إلى قونية . وحينما وصلت أنباء التحركات البيزنطية إلى ملكشاه لجأ إلى إشعال النار في السهول والمحاصيل . وهنا قرر الإمبراطور الكسيوس العدول عن فكرة السير إلى قونية خشية أن تلحق المجاعة بجيشه ، فضلا عن انتشار إشاعة قوية تفيد بتحرك القوات الدانشمندية من جهة الشمال لشن غارة على الاملاك البيزنطية ، وقرر الإمبراطور السير إلى مدينة فيلوميلون فاحتلها بسهولة دون مقاومة تذكر (٤٥) .

على أن الإمبراطور لم يسلم من هجمات السلاجقة ، ففي أثناء عودة الجيش إلى فيلوميلون ، قام السلاجقة بشن هجوم على الجيش البيزنطي ، ولم يتمكن هذا الجيش من رد السلاجقة إلا بعد جهد شاق ، وبعد أن تكبد خسائر عظيمة أعظمها فقد الإمبراطور ألكسيوس لابنه في هذا الهجوم وهوأندرونيقوس Andronicus كومنين الذى حزن عليه الإمبراطور حزنا شديدا (٤٦).

وفي أثناء انسحاب الجيوش البيزنطية كانت تراقبها الجيوش السلجوقية بقيادة ملكشاه الذى قرر مهاجمة الجيش البيزنطي رغم نصيحة قواده بعدم الإقدام على ذلك ، وأسفرت المعركة عن هزيمة الجيش السلجوقي (٤٧).

تجمعت قوات السلاجقة مرة أخرى بقيادة السلطان ملكشاه لخوض معركة أخرى مع البيزنطيين، لكن ملكشاه عدل عن ذلك وتوجه يصاحبه الأمير مونوليك يطلب الصلح من الإمبراطور ألكسيوس ، الذى استجاب لتلك المبادرة وألتقى السلطان ملكشاه مع ألكسيوس في السهل الواقع بين أوغستو بوليس Augoustopolis وأكرونيون Akronion بقرب آسيا الصغرى ، حيث تم توقيع المعاهدة بين الطرفين ومن شروطها ان يقوم ملكشاه بالتنازل عن كل الأراضي التى استولى عليها السلاجقة عقب موقعة ملاذكرد ، وأن يكف الترك عن شن الغارات على الرعايا البيزنطين ووعدهم الإمبراطور بتقديم المساعدات البيزنطية . وتوعد الإمبراطور السلاجقة بأبادة جنسهم إذا رفضوا هذه المعاهدة ، وقبل السلطان هذه

---

(45) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 479-482 . ; **Zanoras :** op . cit ., vol III p . 757 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 92 . ; **Brand (C.M)** : Byzantine Empire History (1025-1204) in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 495 .

(46) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 484-486 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., pp . 91-92 .

(47) **Anna comnena** : The Alexiad ., p . 487 .

الشروط وقال " نحن لم نأت إليك إلا طواعية ولم نكن لنأتي إلى جلالتكم لولا اختيارنا للسلام [٤٨].

والحقيقة أن قيام السلطان ملكشاه بعقد الصلح المفاجيء مع الإمبراطور البيزنطي ، أمر يثير الدهشه خاصة وإن البيزنطيين لم يحققوا انتصاراً حاسماً على السلاجقة ، وليس من المعقول أن يقبل مثل هذه الشروط خاصة وأنه لم يكن في وضع يضطره إلى طلب الصلح ، ويبدو أن السلطان السلجوقي كان يواجه مشاكل داخلية خاصة مع بني دانشمند الذين كانوا يقومون بمحاولات لاسترداد مدينة ملطية ، لذلك اضطر ملكشاه أن ينهي الحرب مؤقتاً مع البيزنطيين[٤٩] .

على أن توالي الأحداث أثبتت أن السلطان ملكشاه اضطر إلى عقد معاهدة سلام مؤقتاً ، لما كان من حدوث صراع بين أبناء قلج أرسلان على عرش السلطنة ، فقبل مغادرة السلطان ملكشاه أراضي الدولة البيزنطية وصل إلى السلطان ملكشاه أخبار تدبير مؤامرة ضده بقيادة الأمير بلداق والأمير غازى Gazes بن الامير حسن كاتيخ Katuch أمير قبادوقيا السابق الذى كان ملكشاه قد تخلص منه ، وبمساعدة الأمير غازى بن الدانشمند تم إطلاق سراح أخي ملكشاه الامير مسعود حيث أعلن العصيان، وحينما علم الإمبراطور ألكسيوس بهذه المؤامرة نصح السلطان بالانتظار حتى تتكشف أنباء هذه المؤامرة . ولكن السلطان صمم على الرحيل كما عرض عليه الإمبراطور أن تصاحبه قوة بيزنطية مسلحة من الفرسان للقضاء على هذه المؤامرة ، ولكن ملكشاه رفض أيضاً هذا العرض . ولقد نجحت المؤامرة حيث تمكن المتآمرون من القبض على ملكشاه (١١٠٧-١١١٦م / ٥٠٠-٥١٠هـ) في كمين أعد له وتم إعدامه قبل أن يجف مداد المعاهدة البيزنطية السلجوقية [٥٠] . وتولى أخوه ركن الدين مسعود الأول بن قلج أرسلان حكم سلطنة سلاجقة الروم في سنة ١١١٦م (٥١٠هـ) .

---

(48) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 487-488 . ; **Zanoras** : op . cit ., vol III p . 758 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 92 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 . p . 139 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٢٢٥.

(٤٩) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٣٢ .

(50) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 489-491 .

ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٣٢ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 92 .

زاكية محمد رشدي : الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية ، من مخطوطة ميخائيل السرياني – ترجمة غير منشورة (كلية الآداب – جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢ ص ٥٣-٥٤) .

Rice : op . cit ., pp . 60-61 . ; **Turan** : op . cit ., p . 239 .

والحقيقة أن أقدام الترك ظلت راسخة في آسيا الصغرى ، ومما يؤكد ذلك أن السلاجقة واصلوا غاراتهم حتى وصلوا نهر المياندر ، وسيطروا على بعض المدن بإقليم فريجيا مثل اللاذقية وسوزوبوليس ،كما قطعوا الطريق الموصل إلى أنطاليا (٥١).

وعلى كل ، فإن السيادة البيزنطية في آسيا الصغرى في نهاية عهد ألكسيوس ١١١٨م شملت إقليم طرابيزون ، وكل الأراضي الواقعة غرب خط يمر عبر سينوب وجانجرا ، وأنقرة ، وعمورية ، وفي لومليوم وكل خط الساحل الجنوبي حتى إمارة أنطاكية ، وأصبح من الواضح أنه بعد نصف قرن من القتال المستمر لم ينجح الترك في غزو كل الأناضول (آسيا الصغرى) وبالتالي فهم استولوا وأمنوا غالبية الجزء الأوسط من شبه جزيرة آسيا الصغرى والأقاليم الشرقية المؤدية إلى أقاليم أذربيجان والفرات ونجح الضغط البيزنطي في إبعاد الترك من كل الأقاليم الساحلية ومن الحافة الغربية الحساسة من شبة جزيرة آسيا الصغرى نفسها (٥٢).

ويرى البعض أن الإمبراطور ألكسيوس نجح بسياسته في اجتياز كل العقبات ، فقد حافظ علي مكانة الإمبراطورية ونجح في إطالة عمرها وأخر انحلالها وانهيارها إلى حين ، وأوقف تقدم أعدائها الذين كانوا يحيطون بها من كل جانب (٥٣) .

النشاط البيزنطي في عهد الإمبراطور حنا الثاني كومنين (١١١٨-١١٤٣ م)

اعتلى حنا كومنين العرش سنة ١١١٨م خلفاً لوالده ألكسيوس الذى أوصي بأن يتولى ابنه حنا العرش ، واستتبت له الأمور على الرغم من المحاولات الفاشلة التي قامت بها أخته أنا كومنين ووالدته الإمبراطورة إيرين لتحول بينه وبين اعتلائه عرش الإمبراطورية (٥٤).

(51) **Choniates (Nicetas)** : Historia in corpus scriptorum Historiae Byzantinae ., pp . 17-19 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 92 . **Brooke (Z.N)** : Hist. of Europe .p . 324 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 187 .

(52) **Vryonis** : op . cit ., p . 117 .

(53) **Vasiliev** : History of Byzantine ., vol II p 412 .

(54) **Robinson (F)** : A short Hist. of Mediaval peoples ., p . 620 . ; **Previte** : The shorter Cambridge Medieval History ., vol . 1 p . 538 . ; **Rice** : Byzantium ., p . 97 . ; **Hussey** : Byzantium and the crusades (1081 -1204) ., p . 130 . ; **Hanawalt (E.A)** : Anna komnena in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 1 (pp . 303-304) p . 303 . ; **Carles and others** : John II Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 (pp . 1046-1047) p . 1046 . ; **Rose (L.C)** : Nikephoros Bryennios in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 9 p . 133 . ; **Brand (C.M)** : John and Komnenos in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 7 p . 127 .

عبد الحفيظ محمد علي : المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط فيما بين القرنين ٣-٦ هـ / ٩-١٢ م (القاهرة -١٩٨٢) ، ص ٥٨-٦٢ .

وعندما اعتلى حنا كومنين العرش كان في آسيا الصغرى ثلاث قوى تركية إسلامية تمثلت في قوة قونية التي يحكمها مسعود سلطان سلاجقة الروم ، ويحكم الجزء الجنوبي الأوسط لآسيا الصغرى ،وقوة الأمير غازي الدانشمندي في سيواس الذي تمتد ممتلكاته من نهر الهاليس حتى الفرات ويطمع في السيطرة على موانى البحر الأسود ، وملطية وعلى رأسها طغرل أرسلان بن قلج أرسلان وكان يحكم تحت وصاية أمه وزوجها الثاني بلك الأرتقي [٥٥]هذا بالإضافة لمملكة قيليقية الأرمينية التي كانت تدين بالولاء لبيزنطة.

ولقد حاول حنا كومنين جاهداً استثمار نجاحات والده الإمبراطور ألكسيوس . لذا فإن معظم حروبه كانت في الأناضول [٥٦] وكانت أول عملية يقوم بها الترك في آسيا الصغرى ضد السيادة البيزنطية في عهد حنا هو قيام الأمير غازي الدانشمندي أمير سيواس وطغرل أرسلان سلطان ملطية والأمير الأرتقي بلك بن بهرام سنة ١١١٩م (٥١٣هـ) بهزيمة وأسر حاكم طرابيزون قسطنطين جابراس Constantine Gabras ولم يطلقا سراحه إلا بعد أن افتدى نفسه بثلاثين ألف دينار[٥٧].

وعلى الرغم من أن السلطات البيزنطية لم يكن لها دور في فك أسر دوق طرابيزون إلا أن هذا الحدث دفع الإمبراطور حنا كومنين إلى تجهيز حملة عسكرية سنة ١١١٩ ضد الترك في آسيا الصغرى حيث اتجه بحملته إلى أن وصل إلى أنهار فريجيا ليكوس (Curuksu Gay) Lykos ونهر كابروس Kapros ثم عسكر بالقرب من مدينة فيلادلفيا ، ثم خطط لاستعادة مدينة لاوديكيا التي وقعت في أيدي الترك . ثم أرسل كتيبة من جيشه لاكتشاف المكان بقيادة أحد المقربين إليه وهو حنا اكسوخوس John Axouchos وتبعه الإمبراطور بباقي جيشه ، وبعد معركة جادة مع القوات التركية استطاع الإمبراطور حنا الاستيلاء على المدينة واستعادتها من الأمير السلجوقي ألب قارا وبعد أن أعادها إلى السيادة البيزنطية أمد المدينة بالإمدادات

---

(55) Brehier : Vie et Mort de Byzance ., p . 264 .
(56) Carles and others : John II Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 1046 .
(57) Michel le Syrien : Extrait de la chronique de Michel le Syrien ., vol . III , p . 205 .
ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٣٧ . ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٣٨٧ .

العسكرية ونظم شئونها وأحاطها بالأسوار [٥٨] كما قام ببناء حصن لوباد يوم في وادى الريندا كوس Rhyndacus وأركيراوس Archyraous بعيداً إلى الجنوب [٥٩].

لم يمكث الإمبراطور حنا كومنين طويلاً في القسطنطينية ،فقد زحف على رأس جيش ضخم سنة ١١٢٠م إلى آسيا الصغرى وتوجه هذه المرة إلى مدينة سوزو بوليس (uluborlu) Sozopolis وهي من المدن الحصينة في آسيا الصغرى ولا يمكن إسقاطها والاستيلاء عليها بسهولة ، الأمر الذى دفع الإمبراطور حنا إلى اللجوء إلى الحيلة حيث كلف الإمبراطور القائد باكتياريوس Paktiarios على رأس كتيبة من الجيش بالتحرش بالجيش السلجوقي عند أبواب المدينة دون الدخول في معركة حاسمة معهم ، ثم تقوم الكتيبة بالفرار متظاهرة بالهزيمة ، لتغرى السلاجقة على تتبعهم . وكان الجيش البيزنطي مختفياً في الأماكن المجاورة للمدينة ونفذ باكتياريوس الخطة . حيث خرج السلاجقة في أثر هذه الكتيبة المنهزمة تاركين المدينة بلا حماية ، ثم خرج الجيش البيزنطي فجأة واستولى على المدينة بعدأن قتل وأسر أعداداً كبيرة من السلاجقة ، وكذلك استولى الإمبراطور حنا على قلعة هيارا كوكورفت Hierakokoryphite والعديد من الحصون والقلاع المتاخمة لأنطالية [٦٠].

ومن جهة أخرى فقد قام حنا كومين بإنشاء عدد من المستعمرات لتوطين الصرب حول مدينة نيقوميديا للعمل كفلاحين وجنود ، وكان الغرض من ذلك عسكرياً بقصد الدفاع واقتصاديا للحصول على مزيد من الضرائب[٦١].

انشغل حنا كومين فترة عن توجيه أنظاره إلى آسيا الصغرى ، وذلك لقيامه بعدة عمليات حربية ضد بعض الشعوب الأوربية التي لم تحترم المعاهدات، وأخذت تشن الغارات على الإمبراطورية البيزنطية وكان أخطرها قبائل البشناق التى قضى عليهم حنا كومنين قضاءاً مبرماً سنة ١١٢٢م [٦٢].كما أن الأوضاع السياسية في آسيا

---

(58) **Kinnamos** : Deeds of John and Manuel comnenus ., pp 14-15 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 17 . ; **previte** : op . cit ., p . 538 . ; **Chalandon (F)** : The later comneni in C.M.H ., vol . IV p . 353 .

(59) **Vryonis** : op . cit ., p . 218 .

(60) **Kinnamos** : op . cit ., pp . 15-16 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 18 . ; **Chalandon (F)** : The later comneni in C.M.H ., vol . IV p . 354 ; **Turan** : op . cit ., p . 239 .

(61) **Vryonis** : op . cit ., p . 218 .

(62) **Kinnamos** : op . cit ., p . 17 . ; **Carles and others** : John II Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 1046 . ; **Omeljan pritsak** : Pecheneges in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 3 p . 1613 . ; **Macartney (C.A)** : The pechenegs in the slavonic and east European review ., vol . iii , p . 351 .

الصغرى لم تكن مستقرة بين القوى التركية المختلفة ، فى بدو أن الصراعات والفتن التي وقعت بينهم وما نشب بين سلاجقة الروم من منازعات أسرية أقعدتهم عن توجيه أنظارهم ناحية الدولة البيزنطية وممتلكاتها في آسيا الصغرى .

وحدث أن اتفق الملك غازى الدانشمندى صاحب سيواس مع صهره السلطان مسعود صاحب قونية ، وقاما بهجوم على مدينة ملطية فى سنة ١١٢٤م وشددا عليها الحصار ، وتعرض سكانها لمجاعة قاسية حتى كان الأهالي يبلون الجلود اللينة وأغلفة الكتب والأحذية ويسلقونها ويأكلونها " وكان "عرب" صاحبها غائباً ، واستمر الحصار حتى سقطت ملطية فى أيدي الدانشمنديين بعد أن ظلت ثمانية عشر عاماً فى أيدى سلاجقة الروم [٦٣].

والجدير بالذكر أن سقوط ملطية في يد بني دانشمند والمساندة التى قدمها مسعود بن قلج أرسلان لبنى دانشمند ، كانت سبباً لنشوب الخلاف بينه وبين أخيه عرب بن قلج أرسلان الذى أطلق سلطان السلاجقة بفارس سراحه فى سنة ١١٢٥م (٥١٩هـ) إذ جهز جيشاً ضخماً ، وقام بمهاجمة قونية وتمكن من إسقاطها بسهولة وهرب السلطان مسعود المخلوع إلى القسطنطينية يطلب العون من الإمبراطور حنا كومنين الذى استقبله استقبالاً طيباً [٦٤] . وكان هذا من السياسة التى انتهجها الإمبراطور حنا لإذكاء نار الخلاف والانشقاق بين أفراد أسرة السلاجقة .

وبعد أن استقبل حنا السلطان المخلوع بكل مظاهر التشريف قدم له الذهب والمال وجيشاً كبيراً وتوجه به مسعود قاصداً الأمير غازى الدانشمندى واتفقا على مهاجمة قونية لاستعادة عرشه ثانيه. وبالفعل قام الاثنان بمهاجمة جيش عرب وبعد قتال مرير تمكن مسعود من استرداد عرشه فى قونيه بمساعدة صهره الدانشمندى ،وهرب عرب إلى الأمير الأرميني ثورس الأول حاكم قيليقية (١١٠٠- ١١٢٩م)[٦٥].

نجيب عاصم ومحمد عارف : عثمانلي تاريخي ، ص ٧٦ .

[٦٣] ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٤٠ .

Michel le Syrien : op . cit ., p . 219 . ; **Anonymous Syriaac Chronicle** : The first and second crusades ., pp 89-90 . ; **Chalandon (F)** : The later comneni ., p . 357 .

[٦٤] ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٤١ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 93-94 . ; **Rice** : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 61 . ; **Chalandon (F)** : The later comneni ., p . 357 .

(65) Michel le Syrien : op . cit ., p . 220 .

ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٤١ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 94 . ; **Turan** : op . cit ., p . 240 .

زبيدة عطا : الترك فى العصور الوسطي ، بيزنطة وسلاجقة الروم والعثمانيون ، ص ٨٨ .

نجح الإمبراطور حنا بسياسته هذه في زرع الخلافات بين القوى السلجوقية المختلفة ، حيث طلب عرب من ليو الأرميني مده بالقوات ، وسار عرب بقوات من السلاجقة والأرمن سنة ١١٢٧ ودخل في صراع مع غازى الدانشمندى حيث لقي الهزيمة . ثم حاول عرب أن يجمع جيشاً مرة أخرى ، غير أن الأمير غازى الدانشمندى أنزل به هزيمة ساحقة ، دفعت عرب إلى اللجوء إلى الإمبراطور البيزنطي حنا كومنين يطلب منه العون والنجدة ضد أخيه مسعود وحليفة الدانشمندى [٦٦] . وبقي الأمير عرب بن قلج أرسلان في القسطنطينية عدة سنوات حتى توفي هناك [٦٧].

والحقيقة أن لجوء السلاجقة إلى البيزنطيين لمساعدتهم ضد السلاطين والأمراء التركمان بلا شك أنه يعيد ذكرى لجوء البيزنطيين أيضاً إلى السلاجقة ضد الأباطرة والحكام . وهذا الأمر إن دل على شئ فإنما يدل على سياسة معينة انتهجتها القوى المتصارعة في آسيا الصغرى ضد بعضهم البعض.

ولم تكن المشكلات التي تواجهها بيزنطة في آسيا الصغرى في الجانب التركي فحسب ، بل أفاد قنسطنطين جابراس -حاكم طرابيزون والموالى لبيزنطة - من عزلته بأن أعلن نفسه مستقلا عن طرابيزون [٦٨].

كما واجه الإمبراطور حنا كومنين مؤامرة من قبل أخيه إسحاق الذى فر من البلاط البيزنطى سنة ١١٣٠م هو وابنه حنا إلى آسيا الصغرى وتوجه إلى أرمينية الصغرى (قيليقية) ، فأستقبله حاكمها ليون وزف إسحاق إبنته إلى ليون وأعطاه المصيصة وآطنه (أدنه) بدلاً من جهازها وأقام إسحاق زمناً ولكن الوفاق بينهما لم يدم طويلاً ، فأضطر إسحاق وابنه إلى الهروب إلى السلطان السلجوقي مسعود في قونيه [٦٩]. كما لجأ أيضاً هو وابنه إلى أمراء بني دانشمند وإلى قنسطنطين جابراس أيضاً حاكم طرابيزون وكان يقصد إسحاق من وراء ذلك جمع القوى المختلفة في آسيا الصغرى حوله ضد أخيه حنا كومنين [٧٠].

---

(٦٦) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٤١ .

Michel le Syrien : op . cit ., p . 224 .

(67) Rice : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 60 .

(68) Runciman : op . cit ., vol 1 p. 210 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ٢ ، ص ٣٣٦ .

(٦٩) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٤٤ .

Chalandon (F) : The later comneni ., p . 357 .

(70) Michel le Syrien : op . cit .,vol III p . 230 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 42-43 . ; Melikoff : Danishmendids in E.I ., vol II p . 110 . ; Mokrimin (H.Y) : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 (Istanbul 1977) ; Chalandon (F) : The later comneni ., p . 357 .

وفي الوقت الذى أضعفت فيه المنازعات والخلافات سلطنة سلاجقة الروم خاصة علي عهد الإمبراطور البيزنطي حنا زادت قوة بني دانشمند وأصبحت تمثل خطرا كبيرا علي ممتلكات الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى ، حيث ازداد نشاطهم واتسعت أملاكهم ، ففي آسيا الشرقية إستولوا علي مدينة ملطية والبستان وفي آسيا الشمالية قيصرية الجديدة وأماسيا وقسطموني وكومانا نجرا ، والمون Almon، والزون Alzon، وبالزون Balzon، وفي وسط آسيا الصغرى استولوا علي أنقرة / وأخذ الأمير غازى يغزو بانتظام الأراضي البيزنطية ، وقد نهب وخرب مدن جاتاتيا Gatatia وكولونيا Colonia وهرقلة وجميع مدن الشاطئ الشمالي للبحر الأسود [٧١].

كما كان الدانشمنديون يتحركون بحرية في آسيا الصغرى ، حيث قام الأمير غازى الدانشمندى بمجرد علمه بوفاة ثوروس الأمير الأرميني قام بغزو أرمينية الصغرى . كما نجح في هزيمة بوهيموند أمير أنطاكيا ، كما دان الأمير ليو أمير أرمينية له بالسيادة وقام بغزو ونهب أراضي الرها [٧٢].

بدأ الإمبراطور حنا كومنين يوجه أنظاره مرة أخرى إلى آسيا الصغرى ويمم ناظريه إلى إقليم بافلاجونيا حيث مدينة قسطموني مسقط رأس أسرته آل كومنين التي سقطت في أيدي الترك . وأصبحت قاعدة هامة بالنسبة لهم ينطلقون فيها لغزو أراضي الإمبراطورية البيزنطية،لذا فقد جهز حملة لاستعادة هذه المدينة التي كانت تابعة للأمير جومشتكين غازى الدانشمندى ، فعبر بيثنيا وتمكن من الاستيلاء عليها سنة ١١٣٢م /٥٣٧هـ [٧٣] كما تمكن من الاستيلاء على بعض القلاع المجاورة [٧٤].

عاد الإمبراطور حنا بعد استعادة قسطموني ودخل القسطنطينية دخول الأبطال المظفرين . وتم الاحتفال بعودة المدينة ، حيث جهزت عربة من الفضة مرصعة بالذهب والأحجار الكريمة لتسير بين الجماهير . غير أن الإمبراطور رفض أن يركب هذه العربة واكتفى بوضع صورة (لأم الرب) السيدة العذراء والصليب المقدس ، وقد فعل ذلك لكي لا يصيبه الغرور [٧٥] .

---

(٧١) عبد الحفيظ محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

Mokrimin (H.Y) : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 (Istanbul 1977) p .

(72) **Melikoff** : Danishmendids in E.I ., vol II p . 110 .

(73) **Kinnamos** : op . cit ., p . 20 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 95 . ; **Brehier** : The life and death of Byzantium ., v. 5 p . 224 . ; **Melikoff** : Danishmendids in E.I ., vol II p . 110 . ; **Carles and others** : John II Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 . p . 1046 .

(74) **Michel le Syrien** : op . cit ., vol III p . 233 .

ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٤٥ .

(75) **Kinnamos** : op . cit ., p . 20 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 26 .

وبينما كان الإمبراطور حنا كومنين يحتفل مع شعبه بالنصر الذى حققه فى قسطمونى ، نجح الأمير جومشتكين غازى بن الدانشمند الذى كان فى ذلك الوقت يحكم قبادوقيا فى استعادة المدينة بعد أن حاصرها وقتل الحامية البيزنطية المرابطة بها ، وقد أثر ذلك فى روح الإمبراطور تأثيرا بالغا حينما بلغ مسامعه ما حدث . ولم يستطع الإمبراطور حنا كومنين التوجه للقيام بعمل ضد الدانشمنديين لمرض زوجته إيرين (٧٦).

وفى سنة ١١٣٤م (٥٢٩هـ) جهز الإمبراطور حنا كومنين حملة أخرى لاستعادة المدينة وتوجه بها إلى آسيا الصغرى ، وقام بحصارها فى ذلك الوقت ، ولا شك أن ذلك كان فى صالح البيزنطيين ، وتوفى الأمير غازى الدانشمندى وتولى مكانه ابنه الأمير محمد ولا شك أن ذلك كان فى صالح البيزنطيون ، وكانت فرصة سانحة للإمبراطور حنا لضرب القوى الإسلامية فى آسيا الصغرى حيث أجرى مفاوضات مع السلطان السلجوقي فى قونيه (مسعود بن قلج أرسلان)، ونجح فى إقناعه بالتحالف معه ضد الدانشمنديين ، وأرسل سلطان قونية بمقتضى هذا التحالف قوة عسكرية اشتركت مع البيزنطيين فى حصار المدينة(٧٧).

والحق أن الإمبراطور حنا كان ذكيا فى هذا الموقف حيث نجح فى القضاء على التحالف القائم بين سلاجقة الروم والدانشمنديين ، لكن ما يدعو إلى الدهشة هو موافقة سلطان قونية على هذا التحالف ، الأمر الذى يدفعنا إلى القول بأن السلطان السلجوقى كان راغبا فى استعادة نفوذ السلاجقة فى آسيا الصغرى ، ويبدو أيضا أن السلطان السلجوقي قد فضل التعاون مع حنا كومنين لخشيته من قيامه بالهجوم عليه بعد أن يفرغ من مهاجمة الدانشمنديين .

ولم يعترف الدانشمنديون بسيادة سلاجقة الروم بل اعترفوا بسيادة السلاجقة فى بغداد . ففى سنة ١١٣٥م (٥٢٥هـ) أرسل الخليفة العباس المسترشد بالله (١١١٨–١١٣٥م / ٥١٢–٥٢٩هـ) سفارة وتشريف من الخلافة لمنح لقب ملك للأمير غازى ، وعندما وصلت السفارة وجدت الأمير قد وافته المنية ، وفى العام نفسه ، خلعوا على ابنه وولى عهده الامير محمد وأعلنوه ملكا (٧٨) وهذا التفويض من الخلافه العباسية بالتأكيد عمل على توطيد سلطة بنى دانشمند فى آسيا الصغرى .

---

(76) Kinnamos : op . cit ., p . 20 .

ابن القلانسي : ذيل تاريخ دمشق ، ص ٢٣٦ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 95 .

(77) Kinnamos : op . cit ., pp . 20-21 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 26-27.

(٧٨) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٤٧ .

Michel le Syrien : op . cit ., vol III p . 237 .

ومن هذا المنطلق فإن تنافس الدانشمنديين وسلاجقة الروم على زعامة الترك المسلمين داخل آسيا الصغرى ، جعل الفريقين فى بعض الأحيان يستغلان المواقف الحرجة التي يقع فيها الطرفان .

واصلت القوات البيزنطية والسلجوقية محاصرة المدينة معا ، لكن ما حدث أن أرسل الأمير محمد الدانشمندى إلى السلطان مسعود محاولا إحباط مخطط حنا كومنين ووضح له ضرورة التعاون بين القوى الاسلامية ضد عدو مشترك ، واستجاب السلطان مسعود حيث وضعا حدا لخلافاتهما ، وأمر قواته بالانسحاب فورا من أمام أسوار قسطمونى ، وبالفعل انسحبت القوات ليلا تاركه القوات البيزنطية وحدها [٧٩].

دفع انسحاب القوة السلجوقية الإمبراطور حنا إلى التفكير بدوره في الانسحاب خشية اجتماع هذه القوى ضده . غير أن بعض الرهبان البيزنطيين التابعيين لأديرة هذه البلاد حثوه على مهاجمة المدينة . وقد استجاب الإمبراطور لرأيهم وقام بمهاجمة أسوار المدينة ، التى أبدى سكانها مقاومة شديدة واستعصت عليه . وعندئذ انسحب وتراجع البيزانطيون إلى منطقة ريندا كيوس Rhyndacus حيث قضى الإمبراطور فصل الشتاء هناك مع جيشه . ولقد تعرض البيزنطيون للمصاعب أثناء ذلك بسبب عدم وصول المؤن إليهم . وبالرغم من الظروف التى مر بها البيزنطيون استطاع الإمبراطور إعادة تنظيم قواته وتوجه مرة أخرى إلى قسطمونى حيث تمكن من الاستيلاء عليها سنة ١١٣٥م(٥٣٠هـ)[٨٠]

تحرك الجيش البيزنطي بعد ذلك إلى مدينة جانجرا التى كانت خاضعة للدانشمنديين وقام بحصارها . وتردد السكان الترك فى البداية فى تسليم المدينة للإمبراطور لأنهم علموا بأن قوات تركية جاءت لنجدتهم وتمركزت حول منطقة ريندا كيوس القريبة من جانجرا ، وأستمر الجيش البيزنطي فى حصار المدينة . وبعد أن تأخرت النجدة العسكرية ، وفقد سكان جانجرا الأمل فى وصول أى دعم عسكري قبلوا بعقد اتفاق مع الإمبراطور وسقطت المدينة في يد البيزنطيين[٨١].

وبذلك يكون الإمبراطور حنا قد أعاد للإمبراطورية بعض الأراضي فى آسيا الصغرى والتى فقدتها منذ زمن بعيد . وبهذه الحملات العسكرية التى كان يقوم بها على الترك فى آسيا الصغرى يكون قد مهد الطريق فى آسيا الصغرى ليقوم بحملاته

(79) **Kinnamos** : op . cit ., p . 21 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 96 .
(80) **Kinnamos** : op . cit ., p . 21 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 27-28 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 336 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 119 . ; **Melikoff** : Danishmendids in E.I ., vol II p . 110 . ; **Mokrimin (H.Y)** : Danishmendliler in Islam Encyclopedia cilt 3 . p .
(81) **Kinnamos** : op . cit ., p . 21 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 119 . ; **Brehier** : op . cit ., p. 225 . ; **Melikoff** : Danishmendids in E.I ., vol II p . 110 . ; **Carles and others** : John II Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 . p . 1046 .

إلى أرمينية وبلاد الشام دون أن تتعرض خطوط مواصلاته لهجمات مفاجئه من قبل الترك.

لذلك فقد أعد حنا كومنين جيشا ضخما سنة ١١٣٦م وتوجه به إلى قيليقية ثم إلى بلاد الشام لإرغام الأرمن ونورمان أنطاكية على الاعتراف بالسيادة البيزنطية . وفي طريقه لم يهاجم الترك ،وأتخذ طريقه إلى الجنوب حتى وصل إلى قيليقية حيث حققت حملته الغرض من قيامها بنجاح (٨٢).

وعلى الرغم من الجهود التي بذلها الإمبراطور حنا كومنين في آسيا الصغرى لتمهيد وتأمين الطريق إلى قيليقية وبلاد الشام ، فقد قام الترك في آسيا الصغرى بمضايقة خطوط مواصلات حملته ، وحدث وئام بين الدانشمنديين وسلاجقة الروم كان من نتيجته التعاون ضد البيزنطيين ، كما انتهزوا فرصة غياب الإمبراطور حنا كومنين وهاجموا الأراضي البيزنطية في آسيا الصغرى ،وقام الأمير الدانشمندي محمد الثاني بمهاجمة المنطقة الساحلية الواقعة على البحر الأسود ، وبعد استيلائه عليها أسر أعدادا كبيرة من السكان ، وقام ببيعهم في أسواق الرقيق ، وواصل الأمير الدانشمندي توسعه حتى بلغ المناطق المجاورة لنهر سانجاريوس Sangarius ، كما تمكن الترك من مهاجمة مدينة أدنه (٨٣).

وبعد عودة الإمبراطور حنا كومين من بلاد الشام قام بتجهيز حمله للقيام ببعض العمليات العسكرية ضد الترك في آسيا الصغرى ، وفي سنة ١١٣٩م قام بحمله على السلاجقة وهاجم أملاك بني دانشمند في اقليم بفلاجونيا غير أنه انسحب فجأة

---

(82) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 29-30 . ; **Michel le Syrien** : op . cit ., T 3 p . 245 . ; **William of tyre** : op . cit ., vol II p. 84 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ١٣٤ .

Anonymous Syriaac Chronicle : op . cit ., p . 276 .

ابن القلانسي : المصدر السابق ، ص ٢٥٨-٢٦٠ . ؛ العظيمي : المصدر السابق ، ص ٤١٣-٤١٦ . ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان ، جـ ٨ ، ق ٨ ، ص ١٦١ .

Lilie (R.J) : Byzatium and the crusader States 1096-1204 . translated by J.C . Morris and Jean . E . Ridings (Oxford – 1993) ., p . 109 . ; **Pasdermadjan** : Histoire De L'Armenie Depuis les origines Jus qu'au traite de lausanne , p . 204 . ; Hussey : Byzantium and the crusades in setton ., vol . 2 p . 133 . ; **Boase and others** : The cilician Kingdom of Armenia p . 11 . ; **Carles and others** : John II Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 1046 . ; **Brand (C.M)** : John and Komnenos in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 7 p . 127 .

(83) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 44 . ; **Michel le Syrien** : op . cit ., p . 248 . ; **Anonymous** : op . cit ., pp . 276-277 .

ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٥٤ .

Chalandon (F) : The later comneni . p . 360 .

إسحاق أرملة : الحروب الصليبية في الآثار السريانية ، ص ٩١ .

إلى لوباد يوم لحدوث خلل داخل صفوف جيشه ، إذ أبدى قطاع كبير من الجيش عدم رغبتهم بالاستمرار لشعورهم بالضعف والإرهاق بسبب الحملات المتتابعة التى خاضوها ، وقد بذل الإمبراطور معهم محاولات كثيرة لإقناعهم بالاستمرار في القتال ولكن محاولاته باءت بالفشل كما عاد في ذلك الوقت إسحاق وابنه حنا اللذان سبقا أن تآمرا على الإمبراطور وفرا إلى آسيا الصغرى ، وأعلنا خضوعهما للإمبراطور الذي عفا عنهم (٨٤).

قرر الإمبراطور حنا كومنين أن يخضع قنسطنطين جابراس دوق طرابيزون الذى أعلن تمرده وتعاون مع أمراء بني دانشمند ضد البيزنطيين ، وتحرك الإمبراطور بجيشه صوب طرابيزون فلم يسع قنسطنطين إلا الإذعان والخضوع (٨٥).

وبعد أن أخضع الإمبراطور حنا دوق طرابيزون زحف بقواته عبر الطريق الساحلي على البحر الأسود متوجها إلى الأماكن الواقعة تحت سيطرة بني دانشمند ،وقد تعرض الجيش البيزنطي لهجمات خاطفة من الترك أثناء زحفه حتى استطاع الوصول إلى مدينة نيو قيصرية (نيكسار) التى كانت عاصمة الدانشمند وقام الجيش البيزنطي بفرض حصار عنيف على المدينة ، ودارت معارك عنيفة أمام أسوار نيكسار بين الدانشمنديين والبيزنطيين ، وفي أثناء هذا الحصار قام مانويل الأول ابن الإمبراطور حنا وهو أصغر أبنائه بالتسلل على رأس مجموعة من البيزنطيين داخل صفوف الأعداء دون علم والده ، وأحدث ارتباكا شديدا في الجيش الدانشمندي ، وكاد أن يقع في الأسر . وكانت هذه الحادثة من ضمن الأسباب التى جعلت الإمبراطور حنا يختاره خلفا له حيث قام بذلك رغم حداثة سنة ، فلم يتعد آنذاك الثمانية عشر بعد ، وأطلق عليه مخلص الرومان Savior of Romans (٨٦).

ولقد استمر حصار البيزنطيين لنيكسار ستة أشهر ، مما أدى إلى ضجر البيزنطيين، وثاروا على المسيحيين في البلاد التى كانت خاضعة لهم والتى يقيمون عليها ، حتى أن من ذكر اسم الإمبراطور بالصدفة كان السيف من نصيبه وتصادر ممتلكاته وأطفاله مما أدى إلى هلاك العديد في ملطية وأماكن أخرى(٨٧).

---

(84) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 42-45 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 219 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ .

(85) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 46 . ; Turan : op . cit ., p . 240 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 219 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٣٥١ .

(86) Kinnamos : op . cit ., pp . 25-26 . ; Turan : op . cit ., p . 240 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 360 .

(87) Michel le Syrien : op . cit ., vol III p . 249 .
ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٥٥ .
Vryonis : op . cit ., p . 119 .

وإبان حصار البيزنطيين لنيكسار حدثت مفاجأة بعد أن أوشكت المدينة على الوقوع في أيدي البيزنطيين ، فقد حدث خلاف بين الإمبراطور حنا كومنين وحنا ابن إسحاق كومنين أخو الإمبراطور ، وتمثل هذا الخلاف حينما رأى الإمبراطور حنا أثناء القتال محاربا إيطاليا بدون فرس فطلب من ابن أخيه حنا إسحاق أن يعطيه فرسه ، ولكنه رفض فأخذ منه الإمبراطور الفرس بالقوة ،وعندئذ هرب حنا إسحاق إلى المعسكر التركي فاستقبلوه بحفاوة لأنهم كانوا يعرفونه من قبل منذ أن كان لاجئا عندهم برفقة والده إسحاق ، واعتنق الإسلام وتزوج من ابنة مسعود ، وكشف لهم عن نقاط الضعف في الجيش البيزنطي ، وقد أثر هذا الموقف تأثيرا كبيرا في الجانب البيزنطي حيث قام الدانشمنديون بالضغط على مؤخرة الجيش البيزنطي وألحقوا بها خسائر جسمية ، وأرغموا الإمبراطور حنا على سحب قواته إلى الموانى البحرية والعودة إلى القسطنطينية وذلك في ديسمبر سنه ١١٤٠م(٨٨).

والحقيقة أن موقف حنا ابن اسحاق ابن اخى الإمبراطور لم يكن وحده هو العامل الرئيسي فى انسحاب الإمبراطور ، ولكن المستعرض للأحداث التى أوردتها المصادر البيزنطية يجد بالإضافة إلى موقف حنا هو ضجر الجيش البيزنطي لطول فترة الحصار . كما أن أفراد الجيش البيزنطي قبيل مسير هذه الحملة قد أعلنوا أمام الإمبراطور إرهاقهم من كثرة العمليات العسكرية التى شاركوا فيها ، فضلا على أن صمود الدانشمنديين فى مدينة نيو قيصرية كان العامل الأكبر فى انسحاب الجيش البيزنطي .

ورغم فشل الحملة البيزنطية على نيكسار الدانشمندية ،فإن الإمبراطور حنا كومنين استطاع أن يعيد حدود الإمبراطورية حتى نهر قزل أيرملق (هإلى‌س) وأعاد أيضا كل ثغر بافلاجونيا القديم . وبذلك فإن المهمة التى سعت الحملة الصليبية اللومباردية إلى إنجازها سنة ١١٠١م (٤٩٥هـ) وفشلت فى ذلك ، قد تمت بنجاح على يد الإمبراطور حنا كومنين - أى بعد حوالى أربعين سنة تقريبا - وهكذا استطاع أن يسترد للإمبراطورية البيزنطية كل شاطئ البحر الأسود من البفسور حتى نهر تخوروك Tchoroka إلى دوقية طرابيزون شرقا (٨٩).

(89) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 47-49 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 95-96 . ; Chalandon (F) : op . cit ., p . 360 . ; Turan : op . cit ., p . 240 . ; Brand (C.M) : John II Komnenos in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 7 p . 127 .

(٨٩) عبد الحفيظ محمد علي : المرجع السابق ، ص ١٦٠ . ؛ أسد رستم : الروم فى سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جـ ٢ ، ص ١٤٢ . ؛ انظر : الفصل الثاني من الكتاب

وفي سنة ١١٤٢م توجه الإمبراطور حنا على رأس جيشه إلى آسيا الصغرى من أجل تدعيم السلطة البيزنطية في بعض المناطق ، وتحرك قاصدا مدينة سوزو بوليس بعد أن علم بمحاصرة الترك لهذه المدينة ، ولكن عند وصوله وجد أن السلاجقة قد غادروها عند سماعهم بوصول البيزنطيين ، ثم توجه بعد ذلك إلى مدينة أنطاليا بعد أن اجتاز فريجيا حيث كان يرغب في إعادة ترتيب المدن المجاورة ، وكان ما أولاه اهتماما هو جزر بحيرة بوسجوسا (Pousgouse (Beysehir golu وهي بحيرة واسعة مليئة بالجزر التي بنيت عليها منذ القدم بعض القلاع ، وكانت الغالبية العظمى من سكان هذه الجزر من المسيحيين الذين اعترفوا بسلطان سلاجقة الروم وأقاموا تعايشا سلميا معهم ،وكانت لهم صلات تجارية مع السلاجقة. وكان من السهل على سكان هذه الجزر أن يذهبوا إلى قونية ويعودوا في نفس اليوم ، الأمر الذى دفع الإمبراطور حنا إلى التصميم على محاصرة هذه الجزر التي تحولت بولائها عن الإمبراطورية البيزنطية إلى سلاجقة الروم (٩٠).

وبلغ من ولاء سكان بحيرة بوسجوسا لسلاجقة الروم أنهم اعتبروا البيزنطيين ألد أعدائهم حتى ان بعض هؤلاء السكان كانوا يلعنون الإمبراطور حنا كومنين كعدو لهم رافضين سيادته عليهم (٩١).

لذا كان على الإمبراطور حنا كومنين التعامل مع هذه المشكلة بأن وضع سكان هذه الجزر بين خيارين إما أن يسلموه هذه الجزر لأنها من أملاك الروم القديمة ويدينوا له بالولاء أو يرحلوا إلى قونية وينضموا إلى السلاجقة نهائيا . وكان رد سكان البحيرة الرفض ، الأمر الذى دفع حنا كومنين إلى اللجوء إلى القوة بعد أن استنفذ الوسائل الدبلوماسية ، حيث ضيق الحصار على هذه الجزر ، ورغم المصاعب الجغرافية الطبيعية التي واجهت الجيش البيزنطي استطاع أخيرا الاستيلاء على هذه الجزر وعادت للسلطة البيزنطية (٩٢).

والحقيقة أن موقف سكان الجزر ضد الدولة البيزنطية إن دل على شئ فإنما يدل على مدى تأثير السلاجقة على هؤلاء السكان ، ومدى تأثر هؤلاء السكان أيضا بالسلاجقة ، وهو رد فعل طبيعي أيضا لفقد بيزنطة حب وولاء هؤلاء السكان وتفضيلهم الحكم السلجوقي على البيزنطي .

(90) Kinnamos : op . cit ., p . 26 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 50 . ; Vryonis : op . cit ., pp . 120-222 , p . 235
(91) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 50 .
(92) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 50-51 . ; Kinnamos : op . cit ., p . 26 . ; Vryonis : op . cit ., pp . 120-215 . ; Turan (Osman) : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans , stvdia Islamica (Paris 1953) ., T.I p . 76 .

وفي سنة ١١٤٢م حدث أن مات محمد الدانشمندي ، وبموته قسم الإرث بين أبنائه وأخواته بعد أن نشبت الفتن الداخلية بين الأمراء الدانشمنديين ، وانقسمت الأمارة الدانشمندية إلى قوى متحاربة باغي بسان في سيواس وذي النون بن محمد في قيصرية ، وعين الدولة بن غازي في ملطية ، وقد أزاح رحيل هذا الأمير عبئا كبيرا من الضغط على البيزنطيين من قوة الترك في آسيا الصغرى ، كما أن وفاة الأمير محمد أدت إلى قلب موازين القوي في هذه المنطقة لصالح سلاجقة قونية (٩٣).

وبموت محمد الثاني يكون القدر قد حقق للإمبراطور حنا كومنين انتصارا كبيرا لم تحققه حملاته الكثيرة على آسيا الصغرى ، لأن موت محمد الدانشمندي قد أدى إلى انحلال قوة حكم الدانشمنديين وهي قوة كثيرا ما أرقت بيزنطة في آسيا الصغرى . كما سنحت له الفرصة للقيام بحملة ثانية على بلاد الشام .

وفي ربيع سنة ١١٤٢م قام الإمبراطور حنا كومنين للمرة الثانية بجمع قواته وكتائبه ووجه حملته وجيوشه نحو بلاد الشام ، فأبحر حنا عبر البسفور فاجتاز بلاد آسيا الصغرى حتى وصل إلى أضاليا ، وبينما كان ينتظر في هذا المكان سقط ابنه ووريثه في الحكم ألكسيوس مريضا ومات فتولي ولداه الثاني والثالث اندرونيقوس وإسحاق مرافقة الجثمان بناء على أوامر الإمبراطور في عودته إلى القسطنطينية ، غير أن أندرونيقوس مات أيضا في الطريق ، وحزن الإمبراطور حزنا شديدا (٩٤).

وبرغم حزن الإمبراطور حنا ، فقد اندفع وتابع رحلته قاصدا قيليقية ليسترد الحصون التي سبق أن انتزعها الدانشمنديون ، وسار الجيش متثاقلا فاجتاز قيليقية وسلسلة جبال الأمانوس العليا المعروفة بإسم جياورداغ (٩٥).

ثم وصل الإمبراطور إلى بلاد الشام حيث كان له نشاط سياسي هناك في الرها و أنطاكيا ثم عاد إلى قيليقية ، وكان الإمبراطور حنا شديد الولع بالصيد ، ففي جبال طوروس خرج لممارسة هوايته وتصادف أثناء مطاردته للدببة ، أن أصابه سهم أحدث به جرحا ، فلم يهتم بالجرح . غير أن الجرح تسمم وحاول رفقاؤه علاجه

---

(93) Vryonis : op . cit ., pp . 119-120 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 96-97 . ; Mokrimin (H.Y) : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3

زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي . (القاهرة-١٩٥٢) ، جـ ٢ ، ص ٢٢١-٢٢٢ .

(94) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 23-24 . ; William of tyre : op . cit ., vol II p. 150 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ١٩٩-٢٠٠ .

(95) Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 222 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٣٥٦ .

Previte : op . cit ., p . 538 .

بكافة الوسائل ، لكن الجرح أفضى إلى موته ، على أن الإمبراطور قبل وفاته حينما شعر بقرب رحيله استدعى إليه ذويه وكبار رجال الإمبراطورية ، وقرر ان يكون وريثه وخليفته في الحكم مانويل أصغر أبنائه سنا وألمعهم ،ومات حنا في ٨ أبريل سنة ١١٤٣م(٥٣٧هـ) (٩٦). وهكذا مات الإمبراطور حنا بعد أن حاول أن يتفوق على خط أسلافه في محاولاتهم إعادتهم مجد الإمبراطورية واستعادة سيادة الدولة البيزنطية على آسيا الصغرى .

وعلى الرغم مما قام به الإمبراطور حنا كومنين في آسيا الصغرى،فقد لامه بعض المؤرخين المحدثين ، لأنه لم يركز على آسيا الصغرى للقضاء على الأتراك السلاجقة ،واكتفى بالشريط الساحلي حتى بدت خطته العسكرية خاطئة . ذلك لأنه عندما استرد قيليقية وبسيديا Psidia والبحر الأسود صارت ممتلكاته شريطا ساحليا ضيقا تحيط به من جهاته الثلاث دولة الأتراك السلاجقة . وكان الواجب بعد ذلك أن يوجه اهتمامه لإعادة فتح آسيا .ولكنه فضل الهجوم على بلاد الشام (٩٧).

وعلى كل حال فإن الإمبراطور حنا كومنين لو كان قادرا على القضاء على قوة الأتراك السلاجقة لما تردد في القيام بذلك ، لكن الأمر كان فوق طاقته وقدرته .

نشاط بيزنطة في آسيا الصغرى في عهد الإمبراطور مانويل الأول كومنين (١١٤٣-١١٨٠م)

منذ معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١ لم يعتل عرش الإمبراطورية البيزنطية إمبراطورا إلا وكانت آسيا الصغرى هي هدفه الأول في سياسة الإمبراطورية الخارجية ، ولم يكن خافيا على الإمبراطور الجديد مانويل كومنين الذى اعتلى العرش سنة ١١٤٣ خلفا لوالده تحركات السلاجقة وتوغلهم في آسيا الصغرى ، خاصة وأنه لم يكن حديث العهد بها ، فبالأمس القريب كان مع والده حنا كومنين وهو

---

(96) **William of tyre :** op . cit ., vol II p. 155 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٢٠٥-٢٠٨ .
Kinnamos : op . cit ., pp . 30-31 . ; **Choniates (Nicetas) :** op . cit ., pp . 53-61 . ; **Cahen :** pre-ottoman Turkey ., pp . 96-97 . ; **Hussay :** op . cit ., p . 134 . ; **Boase and others :** op . cit ., p . 12 . ; **Vasiliev :** op . cit ., vol II p. 416 . ; **Carles and others :** John II Komnenos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 1046. ; **Brand (C.M) :** John II Komnenos in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 7 p . 127 .
(97) **Oman (C.W) :** The Byzantine Empire . (London 1962) pp 269-270 .
أومان : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢٠٩ .

يحاول وضع حد لتوسع الأتراك السلاجقة ، وتدعيم سلطة الإمبراطورية على أملاكها المقتطعة في آسيا الصغرى .

وفي آسيا الصغرى أدى ضعف الإمارة الدانشمندية إلى ارتفاع شأن سلاجقة الروم لتصبح القوة الرئيسية في آسيا الصغرى ،حيث قام السلطان مسعود ببسط سلطانه على سائر الأقاليم وشن الغارات على الأملاك الدانشمندية ، وبدأ بالإغارة على مدينتي سيواس وملطية . وحاول أمراء بني دانشمند معا صد أخطار السلاجقة ولكنهم أيقنوا أنهم غير قادرين على صد قوات السلطان مسعود ، لذا سعوا إلى التحالف مع بيزنطة للدفاع عن أنفسهم .وقد رحب الإمبراطور مانويل بالعرض الدانشمندي ، وعقدت معاهدة بين الطرفين سنة١١٤٣ أضحىعلى أثرها الدانشمنديون من اتباع البيزنطيين [98].وبهذا التحالف يكون الإمبراطور مانويل قد تفرغ لقوة سلاجقة الروم وحدها .

وكان أول أحتكاك بين البيزنطيين والسلاجقة بعد اعتلاء مانويل للعرش حينما قام السلطان السلجوقي مسعود بالإغارة والتوغل حتى وصل إلى مدينة ملاجنة الواقعة على الطريق الممتد شرق نيقية .وعلى ذلك فقد عبر مانويل سنة ١١٤٥م (٥٣٩هـ) مضيق البسفور إلى آسيا الصغرى في محاولة لطرد السلاجقة ،ومكث عند تخوم بيشنيا لمنع السلاجقة من مهاجمتها . ثم قام مانويل بإعادة بناء عدة حصون كان أسلافه في الماضي قد بنوها لصد هجمات الأعداء ولقد نجح مانويل في طرد السلاجقة من إقليم ملاجنة كما امن حدود إقليم بيثينيا من غارات سلاجقة الروم [99].

لم يبق الإمبراطور مانويل طويلا في آسيا الصغرى . ولكنه عاد فجأة إلى القسطنطينية ، وذلك لاعتلال صحته ولما بلغه من تدهور الحالة الصحية لأخته ماريا[100] . وقد ترتب على هذا الانسحاب المفاجئ أن تشجع السلاجقة وقاموا بالهجوم على الأرض البيزنطية في آسيا الصغرى واستولوا على المدينة الأيسورية براكانا Prakna ، وتقدموا بإغاراتهم حتى مدينة بيزكاس Pithekas، وأصبحوا في وضع يهددون فيه الطرق التي تصل بيزنطة ببلاد الشام [101].

---

(98) Kinnamos : op . cit ., p . 37 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 p . 264 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٢٦ .
Vasiliev : op . cit ., vol II p . 417 .

(99) Kinnamos : op . cit ., p . 37 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 71 . ; Vryonis : op . cit ., pp . 120-217 .

(100) Kinnamos : op . cit ., p . 37 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 71 .

(101) Kinnamos : op . cit ., p . 37 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 71 .

وحينما علم الإمبراطور مانويل غضب وقرر أن الوقت قد حان للإقدام على قتال مسعود والزحف على قونية . وتشير الرواية إلى أنه أراد أن يثبت لزوجته الألمانية ما اشتهرت به الفروسية البيزنطية من أمجاد وروائع (١٠٢).

وفي ذلك الوقت كان السلاجقة يتحركون بحرية وسيطروا على أراضي ثغر ثراكيسيان Thrakesian غرب وسط آسيا الصغرى دون أن يعترضهم أحد .وكان الإمبراطور قد أرسل ثيودور ويكنى كونتو ستيفانوس Kontostephanos قبل أن يتم حشد الجيش البيزنطي وقام على رأس كتيبة باجتياح هذه الأقاليم حتى الساحل المعروف كيلبانون Kelbianon (The cayster valley) ، وعاد محملا بالغنائم (١٠٣).

وفي صيف سنة ١١٤٦م قرر الإمبراطور مانويل مهاجمة قونية ، وأرسل إلى السلطان مسعود سلطان السلاجقة رسالة تهديد وتحدى ، أوضح فيها دواعي قيام مانويل بإعلان الحرب عليه لقيامه بالاستيلاء علي مدينة براكانا ومهاجمة الأراضي البيزنطية ومحاربة خلفاء بيزنطة الدانشمنديين،وطالبه بإيقاف عملياته العسكرية على الفور أو الحرب (١٠٤). وقبل السلطان مسعود التحدى وتحددت منطقة فيلوميلوم (آقشهر الحديثة) ميدانا للمعركة المقبلة حيث عسكر هناك سلاجقة الروم (١٠٥).

تقدم الإمبراطور مانويل بجيشه سنة ١١٤٦ (٥٤١هـ) واتخذ طريقة إلى فيلوميلوم . وكان السلطان السلجوقي قد أرسل قوة مسلحة لإعاقة تقدم البيزنطيين عند قدومهم ، وبالقرب من أكرونوس Akrounos (Modern Afyonkarahisar) اشتبك السلاجقة مع البيزنطيين فلحقت بهم هزيمة ساحقة وعادوا إلى السلطان مدحورين . وكان الإمبراطور مانويل يراقب التطورات من على تل كالوجرايا Kalograia، وقد أثر ذلك تأثيرا بالغا في السلطان مسعود الذى تراجع وانسحب إلى عاصمته قونية (١٠٦).

أرسل الإمبراطور مانويل رسالة أخرى إلى مسعود يصفه فيها بالجبن لتراجعه إلى العاصمة ، وذكره بتحديه عند فيلوميلوم كما سبق وطلب السلطان مسعود . ثم تقدم الإمبراطور مانويل بقواته إلى مدينة فيلوميلوم وهجم عليها كالعاصفة وأحرق كل ما فيها وأطلق سراح الأسرى البيزنطيين الذين كانوا بأيدي الترك (١٠٧).

---

(102) **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 265 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٢٦ .

(103) **Kinnamos** : op . cit ., p . 39 .
(104) **Kinnamos** : op . cit ., p . 39 .
(105) **Kinnamos** : op . cit ., pp . 39-40 .
(106) **Kinnamos** : op . cit ., p . 40 .
(107) **Kinnamos** : op . cit ., p . 40 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 120 .

وفي الوقت نفسه قام السلطان مسعود بدراسة موقفه الحربي وخشي أن تحاصر قواته داخل أسوار قونية من قبل البيزنطيين ، لذا فقد قام بترك حامية داخلية كبيرة للدفاع عن العاصمة ، وقسم باقي القوات إلى مجموعتين ، أمر إحداهما أن تتحصن خلف المدينة في مكان محكم وعر لحمايتها ، بينما كانت المجموعة الأخرى تحت قيادته هو شخصيا في الجهة إلىمنى من المدينة محتمية بذلك وراء الجبال التي كانت تفصل حصن كابالا Kaballaعن مدينة قونية (١٠٨).

وعند اقتراب الجيش البيزنطي من مدينة قونية اشتبك الفريقان وانزلت القوات السلجوقية خسائر جسيمة بالقوات البيزنطية . ولم يجد مانويل بدا من الخروج من هذا المأزق إلا باللجوء إلى الحيلة حيث أمر أحد جنوده ويدعى بمبيتزيوتس Bempitziotes – وكان أحد القادمين من أدريانوبل– بخلع خوذته والتلويح بها في ساحة المعركة معلنا وقوع السلطان مسعود أسيرا في أيدي البيزنطيين، ونجحت حيلة الإمبراطور ، الأمر الذي أدى إلى انهيار الروح المعنوية للسلاجقة في الوقت الذى ارتفعت فيه الروح المعنوية للبيزنطيين فانسحب السلاجقة من ميدان المعركة إلى داخل أسوار قونية . ولكن القوات البيزنطية لم تتمكن من النيل من العاصمة قونية ، وقرر الإمبراطور الانسحاب ، وذلك لأنه تلقى معلومات تفيد تحرك دول الغرب للقيام بحملة صليبية وسوف تعبر أراضيه فضلا عن وصول النجدة الدانشمندية التي التحقت بقوات السلطان(١٠٩).

وقبل أن ينسحب الإمبراطور مانويل بجيشه أرسل إلى السلطان مسعود رسالة تهديد ووعيد مرة أخرى يعلن فيها التحدى واستعداده للحرب مرة أخرى ، وحدد الربيع القادم ١١٤٧م (٥٤١هـ) موعدا للقاء ، ووصف مانويل السلطان مسعود

---

(١٠٨) محمد زكي نجيب : علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عهد أسرة كومنين ، ص ١٤٠ . ؛ محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣–١١٨٠م ، ص ١١٨–١١٩ .

(109) **Kinnamos** : op . cit ., pp . 43-44 . ; **Clive FW . Foss** : Ikonion in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 985 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 120 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 365 . ; **Turan (Osman)** : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " vol . p . 244 . ; **Rose (L.C)** : Ikonion in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 6 p . 418 . ; **Brand (C.M)** : Byzantine Empire History in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 495 .

لما ترددت الشائعات بأن السلطان مسعود لقي مصرعه بادر الإمبراطور مانويل بإرسال رسالة إلى السلطانة يخبرها أن الخبر ليس صحيحا ، وقام الجنود البيزنطيون بانتهاك مقابر المسلمين خارج أسوار قونية ، وحاول الإمبراطور عبثا أن يحمل عساكره على احترام مقابر المسلمين . انظر :
Kinnamos : op . cit ., pp . 43-44 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 p . 265 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ، ص ٤٢٧ .

في خطابه بأنه يتخفى كالظل وطالبه بعدم الفرار في الموعد القادم (١١٠). ويبدو أن الإمبراطور مانويل لجأ إلى ذلك لكون انسحابه كان انسحابا مهينا ، وهو عمل دبلوماسي الغرض منه الحفاظ على هيبته وهيبة الإمبراطورية .

وفي أثناء انسحاب الجيش البيزنطي عبر خطوط المواصلات الطويلة عبر آسيا الصغرى ، تعرض الجيش البيزنطي لغارات كثيرة من قبل السلاجقة ودارت معارك شرسة بين الطرفين تكبد فيها الجيش البيزنطي خسائر جسيمة(١١١).

وعندما وصلت القوات البيزنطية إلى وداى نهر المياندر داخل الحدود البيزنطية فوجئ الجيش البيزنطي ببعض القبائل التركمانية الرحل التى انتشرت بأعداد كبيرة ، وتوغل هؤلاء التركمان داخل الأملاك البيزنطية للسلب والنهب فقام الإمبراطور بمطاردتهم ، ثم اتخذ طريقة إلى بيزنطة . ولكنه حينما وصل إلى بيثينيا قام بتوطين الجنود البيزنطيين الذين حررهم من أسر السلاجقة في مدينة فيلومليوم ، وحصل أيضا على بعض الملكيات في هذه المنطقة عن طريق المقايضة مع أحد الأديرة المقدسة ، وشيد عليه حصن أطلق عليه بليا pylia (١١٢) وذلك لحماية تلك المنطقة من هجمات التركمان الرحل .

وأثناء عودة الإمبراطور مانويل بقواته إلى القسطنطينية تلقى عرضا بالصلح من السلطان مسعود ، وقبل مانويل هذا العرض السلجوقي . وكان لأخبار قدوم الحملة الصليبية الثانية أثرها الواضح في موافقته، وعقدت بين الطرفين معاهدة سلام جرى بمقتضاه عودة بعض الأماكن إلى السيادة البيزنطية وذلك في ربيع سنة ١١٤٧م وبسبب هذه المعاهدة جرى اتهام مانويل بخيانة العالم المسيحي (١١٣).

ولعل ما دفع السلطان مسعود لطلب الصلح هو خوفه من قيام تحالف بيزنطي صليبي كما حدث في الحملة الصليبية الأولى ، وجاءت الحملة الصليبية الثانية ومرت بآسيا الصغرى ، وتمثل النشاط البيزنطي في تقديم النصائح والأدلاء والعون للصليبيين أثناء عبورهم آسيا الصغرى ، حتى لا تتعرض القوات الصليبية لهجمات السلاجقة ، ولكن بسبب المعاهدة التى قام بها مانويل مع الأتراك السلاجقة

(110) Kinnamos : op . cit ., p . 44 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 72 .
(111) Kinnamos : op . cit ., pp . 45-52 .
(112) Kinnamos : op . cit ., pp . 55-56 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 72 . ; Vryonis : op . cit ., p . 121 .
(113) Kinnamos : op . cit ., p . 58 . ; Vryonis : op . cit ., p . 121 . ; Vasiliev : op . cit ., vol II p . 417 .
محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ١٢٣ .

جرى اتهامـه بخيانـة العالم المسيحي . وألقـوا باللائمة علـى بيزنطـة لما تعرضت لـه الحملة الصليبية في آسيا الصغرى (١١٤).

ومهما يكن من أمر ، فإن الخلافة العباسية قد سعدت بانتصارات المسلمين في آسيا الصغرى وأرسلت إلى سلطنة السلاجقة رمـوز السيادة مثـل روب الشرف والراية وبعض الهدايا الأخرى (١١٥).

توقف النشاط البيزنطي فـي آسيا الصغرى بعد عقد المعاهدة السابقة بين السلطان مسعود ومانويل ، غير أن ما حدث في جنـوب آسيا الصغرى قد جـدد هذا النشاط ، وعادت بيزنطة لتقوم بدورها إذ قام الأمير الأرمني ثـوروس (١١٤٤-١١٦٨) في عام ١١٥١م (٥٤٦هـ) بالثورة والتمرد وشن هجـوم علـى القـوات البيزنطية ، ثم استولى على مدن طرسوس والمصيحة ومـدن عين زربـة وأدنـه وسيس ، وكان على الإمبراطور مانويل القيام بعمل حاسـم ضد الأمير للحفاظ علـى هيبـة الإمبراطورية، فجهز جيشا أسند قيادته إلى ابـن عمه أندرونيق كومنين لتأديب الأمير الأرميني واسترداد الأراضي التي استولى عليها.ولكـن لم يحـالف النصر تلـك الجيـوش،إذ تمكن ثوروس من صدها وإلحاق الهزيمة بها (١١٦).

لم يستطع أندرونيق إعادة قيليقيـة إلى دائـرة النفـوذ البيـزنطي ، وفشـل فـي تنفيـذ هذه المهمة المكلـف بها من الإمبراطور مانويل ، وعندئـذ فكر مانويل في استغلال التحالف القائم بينه وبين السلاجقة ، وبالفعل قام بتحريـض السلطان مسعود لمهاجمة ثوروس . فحشد السلطان مسعود جيشه وتقدم به عبر بلاده سنة ١١٥٣ م فـي طريقة إلى قيليقية يصاحبه الأمير ياغي بسان الدانشمندي وقاما بالهجوم علي قيليقية. غير أن هـذه القوات فشلت في النفاذ إلى قيليقية لمناعة تحصينها وعادت تجر أذيـال الخيبة (١١٧).

---

(١١٤) انظر : الفصل الثاني من الكتاب.

(115) Turan : op . cit ., p . 242 .

(116) Kinnamos : op . cit ., pp . 96-98 . ; William of tyre : op . cit ., II p. 267 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٤٢٩ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٦٨ .

Macler : Armenia in cam. Med. Hist. , vol . IV p . 170 .

إستارجيان : تأريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢١١-٢١٢ . ؛ عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمنية ، ص ١٣٨ . ؛ محمود سعيد عمران: المرجع السابق ، ص ١٩٠-١٩٣ .

(117) Michel le Syrien : op . cit ., p . 345 .

(١١٨) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٦٨ .

Vryonis : op . cit ., p . 121 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 99 . ; Macler : op . cit ., p . 170 .

إستارجيان :. المرجع السابق ، ص ٢١٣ ؛ عثمان الترك : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

غير أن مانويل عاود الاتصال مرة أخرى بالسلطان السلجوقي وحرضه على الانتقام من الأمير ثوروس . وفي سنة ١١٥٤م زحف السلطان مسعود على رأس جيش كبير واتخذ طريقة إلى الأرمن بقيليقية يصاحبه القائد يعقوب أرسلان وعندما وصل الجيش السلجوقي إلى قيليقية وقفت الطبيعة إلى جانب الأرمن وبسبب قسوة المناخ وانتشار الوباء فيهم وفي خيلهم تركوا أثقالهم وتراجعوا وانحدر ثوروس والأرمن من الجبال التي كانوا يحتمون بها ، وانقضوا على فلول السلاجقة ، وانهزمت البقية الباقية ولم تستطع أيضا هذه الحملة السيطرة على قيليقية[١١٨] ، وبفشل تلك الحملة يكون النفوذ البيزنطي قد ولى عن قيليقية والأمر يحتاج إلى أن تقوم بيزنطة بإعادة نشاطها الحربي لإعادة هذه المنطقة إلى حظيرة الإمبراطورية .

والحقيقة أن سلاطين قونية الأقوياء ظلوا يهددون قيليقية باستمرار حتى منتصف القرن الثالث عشر تقريبا ، الا أنه غالبا ما كانوا يحجمون عن غزو الأراضي الأرمينية لسببين رئيسين أولهما اهتمامهم الرئيسي الذى كان منصبا على بيزنطة ، وثانيهما مرتفعات طوروس التي كانت صعبة الاجتياز تحرسها تحصينات قوية[١١٩].

وعلى الرغم من فشل الحملتين السلجوقيتين على قيليقية والتى كان للإمبراطور مانويل نشاط دبلوماسي كبير في قيامها إلا أن بيزنطة قد كسبت ولا شك من وراء ذلك ، فالسياسة التى قام بها مانويل كانت تهدف فى المقام الأول إلى صراع القوتين معا حتى وإن كانت بيزنطة حليفا لإحداهما فسوف يعود ذلك على الإمبراطورية بأفضل النتائج منها أنهما سوف ينشغلان معا عن الدخول في صراع مع بيزنطة . كما أن صراعهما سوف يؤدى إلى ضعفهما،وكل ذلك كان فى مصلحة الإمبراطورية.

وفي سنة ١١٥٥م (٥٥١هـ)توفى السلطان مسعود ليخلفه ابنه قلج أرسلان الثاني (١١٥٥-١١٩٢م /٥٥٠-٥٨٨هـ) بعد نزاع على العرش السلجوقي مع أخيه شاهنشاه وتدخل الدانشمنديون فى هذا الصراع[١٢٠]

واقتصر النشاط البيزنطي فى آسيا الصغرى فى تلك الفترة على محاولة غرس بذور الخلاف بين القوى التركية فى آسيا الصغرى ، حيث حدث نزاع بين قلج

---

[١١٩] قولقفاتع : القلاع أيام الحروب الصليبية ، ص ٣٢ .

[١٢٠] ابن القلانس : المرجع السابق ، ص ٣٣٢ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٦٩ .

Sevim (A) & Yucel (Y) : Turkye Tarihi (Ankara-1989) ., p . 60 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 121 . ; **Cahen** : pre -ottoman Turkey ., p .100 . ; **Cahen (C.L)** : Kilidy Arslan II E.I vol v p . 1986 .

أرسلان سلطان السلاجقة والأمير باغي بسان الدانشمندى ، وعمل مانويل على تحريض الطرفين على بعضهما البعض سرا حتى احتدمت المعارك بين الطرفين (١٢١).

وعندما اقترب أجل الهدنة المعقودة بين السلاجقة والإمبراطورية البيزنطية، قام السلطان قلج أرسلان بالسيطرة على مدينتي بونورا Pounoura وسبيلا Sibyla وهي مدن كانت تحت السيطرة البيزنطية ، وتمكن الأمير ثوروس الأرميني من السيطرة على الكثير من هذه المدن في قيليقية ، كما قام الأمير الدانشمندى من جانبه ياغى بسان والذى كان يحكم قبادوقيا بالسيطرة والهجوم على مدينتى بافرا Bafra ويونه Unye الواقعتين على ساحل البحر الأسود ، لكن الإمبراطور مانويل أعد حملة عسكرية أسند قيادتها لألكسيوس جيفاردوسAlexius Giphardos الذي تمكن من استعادة تلك المدن (١٢٢).

ولما كان الإمبراطور مانويل يريد أن ينقل نشاطه إلى جنوب آسيا الصغرى في إقليم قيليقية، فقد سارع ثوروس وعقد معاهدة السلام سنة ١١٥٨ مع السلطان قلج ارسلان (١٢٣). وفي خريف سنة ١١٥٨ خرج الإمبراطور مانويل من القسطنطينية على رأس جيش كثيف متوجها به إلى قيليقية ، وعندما وصل فريجيا الصغرى هاجم التركمان الرحل وهزمهم ثم تقدم إلى قيليقية مستخدما الكتمان والسرية لحملته ، ولكي يلجأ مانويل إلى عنصر المفاجأة أشاع أن القوات البيزنطية متقدمة في آسيا الصغرى لمحاربة الأتراك ولم يصرح بوجهته كي يأخذ الارمن على غرة (١٢٤).

ولم يعلم ثوروس بتحركات البيزنطيين ، غير أن حاجا من الحجاج اللاتين إلى فلسطين الذين كانوا عائدين في طريقهم إلى القسطنطينية وقد مروا على قيليقية واستضافهم ثوروس وأكرمهم ، لم يسر في طريقه وانطلق عائدا إلى بلاط ثوروس وأخطره بمشاهدته القوات البيزنطية . وعلى الفور جمع ثوروس كل أمواله وأهل بيته واثنين من أخلص أصدقائه هما توماس وكوركيس Korkes وبادر بالهروب من مكان إلى آخر (١٢٥).

---

(121) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 153-154 .
(122) Kinnamos : op . cit ., pp . 134-135 . ; Vryonis : op . cit ., p . 121 .
(123) Vryonis : op . cit ., p . 121 .
(124) Kinnamos : op . cit ., p . 137 . ; William of tyre : op . cit ., II p. 267 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٣ ، ص ٤٢٩ .
Chalandon (F) : op . cit ., p . 374 . ; Brand (C.M) : Byzantine Empire History in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 495 .
إستارجيان : تأريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢١٣ .
(125) Kinnamos : op . cit ., pp . 137-138 . ; Macler : op . cit ., p . 170 . ; Runciman : op . cit ., vol 2 p. 351 .

ودخل مانويل سهل قيليقية ، ولم يهتم بهرب ثوروس حيث جعل هدفه الأول إحكام السيطرة على هذا الأقليم وبدون قتال قام بالسيطرة على عدة قلاع حصينة في منطقة لاموس Lamos ثم سيطر بعد ذلك على كيستراموس Tili (Toprakkale)Kistramos والمدينة الشهيرة أنازاربوس Anazarbos وكل ما حولها كما عهد مانويل إلى قائده وابن أخيه ثيوروربا تاتزس Theodor Batatzes بالهجوم على مدينة طرسوس Tarsus التى سقطت بدون قتال أيضا . ثم ما لبثت القوات البيزنطية أن انتشرت في قيليقية ، واستولت على كل مدنها الهامة (١٢٦).

عفا الإمبراطور مانويل عن ثوروس بعد أن توسط له الملك بلدوين (١١٤٤-١١٦٣م) ملك بيت المقدس وتلقى منه الطاعة والولاء (١٢٧) . وبدون النظر إلى عفو الإمبراطور فيمكننا القول أن النشاط البيزنطي في جنوب آسيا الصغرى نجح في إعادة قيليقية إلى دائرة النفوذ البيزنطي بعد ستة عشرة عاما من تولى مانويل لعرش بيزنطة .

عاد الإمبراطور مانويل من قيليقية وقد عجل بالعودة حينما بلغته أنباء تدبير مؤامرة ضده في القسطنطينية . وقد اتخذت القوات البيزنطية الأراضي السلجوقية اختصارا لطول الطريق وقاد جيشه من بامفيليا عبر Lykaonia وعندما اقترب من لارند هجم عليه السلاجقة على الرغم من معاهدة السلام المعقودة بين الطرفين السابقة سنة ١١٥٨م. وتوقف السلاجقة عن القتال بعد أن تأكدوا أن الجيش لم يأت لمهاجمتهم وقدموا لهم التسهيلات الممكنة ، وتقدم الجيش البيزنطي ، وحينما وصل إلى منطقة كوتاهية تعرض الجيش البيزنطي لهجوم عنيف من قبل هذه القبائل التى على ما يبدو أنها لا تدين بالتبعية للسلطان بدرجة كبيرة . ولم يدخل مانويل في صراع مع السلاجقة واستمر الجيش في مسيرته إلى القسطنطينية في صيف سنه ١١٥٩م، حيث احتفل بالنصر الذى حققه (١٢٨) . ولم تشر المصادر التي بين أيدينا عن

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ٢ ص ٥٦٧ .

(126) **Kinnamos** : op . cit ., p . 138 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 134-135 . ; **Chalandon (F)** : op . cit .,vol II pp . 441-443 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 121 . **Runciman** : op . cit ., vol 2 pp. 351-352 .

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ٢ ص ٥٦٧-٥٦٨ . ؛ إستارجيان :. المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

Macler : op . cit ., p . 171 .

(127) **William of tyre** : op . cit ., II p. 271 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ٣ ، ص ٤٣٢-٤٣٣ . ؛ إستارجيان :. المرجع السابق ، ص ٢١٣ .

(128) **Kinnamos** : op . cit ., p . 145 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 121 . ; **Chalandon (F)** : The later comneni ., p . 377 . ; **Brand (C.M)** : Byzantine Empire History in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 495 .

المؤامرة ويبدو أنها لم تكن من الأهمية التي تستحق أن تأخذ مساحة في كتب المؤرخين .

وفي شتاء عام ١١٥٩م عاد مانويل إلى آسيا الصغرى لقتال السلاجقة الذين اعترضوه أثناء عودته وعبر مضيق الهلسبونت Hellespontine ووصل إلى دوراليوم عبر نهريها باثيز Pathys وثمبريس Thybris(or Tembris ; Porsuk Gay) ، وقام بالهجوم على التركمان الرحل وطرد أعدادا كبيرة منهم مع حيواناتهم وعاد إلى القسطنطينية (١٢٩)

يذكر المؤرخ كيناموس أنه أثناء تحرك مانويل بجيشه في آسيا الصغرى سنة ١١٦٠م وعند وصوله إلى مدينة بيلاى Pylai وصل وفد من قبل السلطان قلج أرسلان يعرضون الصلح . غير أنه أعادهم وحملهم رسالة تهديد بأنهم إذا لم يتصرفوا طبقا لمشيئته فإن البيزنطيين سوف يقتحمون كل أراضيهم بشكل أسوأ من آنذاك (١٣٠) ولم يفصح المؤرخ كيناموس عن المزيد بشأن تلك السفارة ، ويبدو أن السلطان كان في وضع لا يسمح بالدخول في حرب مع الإمبراطور . كما أن مانويل على ما يبدو رغب في تحقيق السيادة على السلاجقة ولم تعجبه الشروط المعروضة عليه من قبل السفارة .

وفي سنة ١١٦٠-١١٦١م تحرك الإمبراطور مانويل على رأس جيشه من فيلادفيا إلى منطقة سارا باتا ميلونوس Sarapata Mylonos التي كانت من الأقاليم التي تقع تحت سيادة الأمير سليمان . وقام مانويل بعملية نهب وتخريب للمنطقة ، لكن حملته لم تكن ناجحة إذ ما لبس أن عاد الترك بعد انسحابه ودمروا مدينة فيليتا Phileta واقتحموا لاوديكيا في فريجيا الصغرى ، كما أعملوا السيف في كثير من السكان البيزنطيين وأسروا الكثيرين ، وحينما علم الإمبراطور بذلك ود لو قام بحمله على الفور على قونية نفسها (١٣١) .

وإزاء هذا الموقف بدأ الإمبراطور مانويل في تعبئة القوات البيزنطية لتوجيه ضربة حاسمة إلى السلاجقة والتركمان الرحل الذين لم تكن قطاعات كبيرة منها تدين بالولاء للسلطان السلجوقي والذى كان أيضا مانويل يعتبر السلطان مسئولا عنهم وعن أفعالهم تجاه البيزنطيين لذلك عمل على جمع قوات من كل ناحية حيث أرسل القائد البيزنطي حنا كونتو ستيفانوس John Konyostephanos سنة

(129) Kinnamos : op . cit ., p . 146 . ; Vryonis : op . cit ., pp . 121-122 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 101 .
(130) Kinnamos : op . cit ., p . 148 .
(131) Kinnamos : op . cit ., pp . 149-151 . ; Vryonis : Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., p . 46 . ; Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor ., p . 122 .

١١٦٠م إلى بلدوين ملك مملكة بيت المقدس (١١٤٤-١١٦٣م) وإلى الأمير رينودى شاتيون (١٣٢) وإلى كافة الزعماء الأرمن يطالبهم بالمدد العسكري كالتزام يجب الوفاء به للإمبراطور . ولم يكتف مانويل بذلك بل لجأ إلى ضرب القوى التركية فى آسيا الصغرى بعضها ببعض وذلك بتحريض ياغي بمهاجمة السلطان ، وتحالف أيضا مع شاهنشاه أخى السلطان السلجوقى الذى كان فى ذلك الوقت أميرا على مدن جنجرا وجالاتيا وأنقره(١٣٣) وبذلك يكون الإمبراطور مانويل قد ضيق الخناق على السلطان قلج أرسلان .

وعند عودة حنا كومنتو ستفانوس من الشام وقيليقية تصاحبه القوات العسكرية التى جمعها نجح فى إنزال الهزيمة بجيش تركي بلغ تعداده إثنين وعشرين ألف تقريبا ، وقد عاد إلى الإمبراطور " بشارات النصر " (١٣٤)

لم يكن أمام قلج أرسلان الثاني سوى عرض الصلح علي الإمبراطور مانويل وتم عقد معاهدة بينهما سنة ١١٦١ م (٥٥١هـ) كانت معظم بنودها لصالح البيزنطيين، حيث تعهد بإعادة المدن والأراضي التى تم الاستيلاء عليها أخيرا وعليه أيضا مساندة الإمبراطورية فى حروبها ضد أعدائها ويزودها بالدعم المادي والعسكري ، وأن يحترم حدود الإمبراطورية ويسيطر على الترك من أجل تنفيذ هذه الشروط (١٣٥).

ونظرا لنشاط بيزنطة السياسي فى آسيا الصغرى المتمثل فى قيامها بمساندة الدسائس والمكائد لأعداء قلج أرسلان الذى عانى من الهزيمة على يد باغي بسان سنة ١١٦٠م بعد أن أجبر على التخلي عن مدينة البستان Albistan ، وتوقيعه المعاهدة سنة ١١٦١ م مع البيزنطيين لكل هذه الأسباب قرر السلطان سنة ١١٦٢م القيام برحلة إلى القسطنطينية لوضع حد لمكائد بيزنطة السياسية(١٣٦).

---

(١٣٢) ريجنالد شاتيون : صاحب حصن الكرك ، وعرفته المصادر العربية باسم أرناط ، وقد أتي إلى الشرق سنة ١١٤٨م ضمن حملة لويس السابع ملك فرنسا حيث اشترك فى الهجوم الصليبي على دمشق ، ولما لم يكن له إقطاع فى الغرب الأوربي فقد بقي فى الأرض المقدسة ليجرب حظه ، عرف بسياسته الرعناء وكان مثلا سيئا للفرنجة الوافدين على الشرق ، وقد تزوج من ستيفاني Stephanie وريثة إمارة الكرك الواقعة إلى الجنوب الشرقي من البحر الميت وبهذا الزواج صار سيدا على حصن الكرك حيث أخذ يهدد طريق القوافل المتجهة إلى مصر والحجاز . انظر :

محمود الحويري : بناء الجبهة الإسلامية المتحدة ، ص ١٧٩، ١٨٦، ١٩٦ .

(133) **Kinnamos** : op . cit ., pp . 151-152 . ; **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism ., p . 122 . ; **Cahen** : pre -ottoman Turkey ., p . 101 .

(134) **Kinnamos** : op . cit ., p . 152 .

(135) **Kinnamos** : op . cit ., pp . 152-153 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 101 . ; **Bosworth (C.E)** : Saldjuks of rum in Dictionary of the Middle Ages. vol II p. 157 .

(136) **Vryonis** : op . cit ., p . 122 .

ولقد قام السلطان السلجوقي بزيارة إلى القسطنطينية تظاهر بأن هدفه من هذه الزيارة هو التوقيع على المعاهدة التى تم الاتفاق عليها قبل ذلك ، ولقد استقبل السلطان فى القسطنطينية بكل مظاهر العظمة والأبهة والتى حرص الإمبراطور مانويل على إظهارها ليعطى انطباعا عن قوة الإمبراطورية ومدى غناها ، وقد كلفت هذه الزيارة الدولة البيزنطية أموالا طائلة لما بذله الإمبراطور من هدايا للسلطان والزعماء الأتراك المصاحبين له (١٣٧).

ولقد تحدث كثير من المؤرخين عن هذه الزيارة الشهيرة وما جرى فيها ، لكن ما يهمنا هنا ما يخص الوضع فى آسيا الصغرى والنتائج السياسية لهذه الزيارة حيث تم التوقيع على معاهدة الصداقة بين الطرفين والتى تضمنت بأن يقوم السلطان السلجوقي بإعادة المدن الكبرى التى استولى عليها السلاجقة أخيرا ، ولا يقوم السلطان بعقد أية معاهدات أو تحالفات مع الدول الأخرى إلا بعد الرجوع إلى الإمبراطور ، وأن يقاتل كحليف للإمبراطورية عند تعرض الإمبراطورية لأي اعتداء خارجي ، وأن يقوم بتقديم الاحتياجات العسكرية لمساندة الإمبراطور فى حروبه فى الشرق أو الغرب ، وأن يتعهد بمنع التركمان الرحل من القيام باعتداءاتها المتواصلة على الإمبراطورية ، وقد وافق السلطان السلجوقي على هذه المعاهدة وأقسم على تنفيذ هذه الشروط ووافق أيضا الزعماء السلاجقة الذين رافقوا السلطان على هذه المعاهدة (١٣٨) . ومما يدل على ولاء قلج أرسلان وإخلاصه للإمبراطور فى هذه الزيارة أن جعل رجال البلاط يعتقدون أن قونية أصبحت فى عهده محمية من محميات الروم (١٣٩).

والحقيقة أن الطرفين (البيزنطى والسلجوقى) كانا فى حاجة إلى تلك المعاهدة ، ففى الوقت الذى أعطت هذه المعاهدة الوقت للإمبراطور مانويل لكى يتفرغ للشئون الأوربية الغربية ، فإن نفس تلك المعاهدة قد أعطت للسلطان قلج أرسلان حرية التحرك فى آسيا الصغرى ضد منافسيه الآخرين ، والحقيقة أن هذه الزيارة التى قام بها قلج أرسلان كانت زيارة ذكية وكانت فى صالحه أكثر مما كانت

---

(137) **Kinnamos** : op . cit ., pp . 156-157 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 154-157 . ; **Michel le Syrien** : op . cit ., p . 355 .

ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٧٥ .

Vasiliev : op . cit ., vol II p . 427-428 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 101 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 390 . ; **Rice** : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 62 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 377 . ; **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 243 . ; **Brand (C.M)** : Byzantine Empire History in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 495

(138) **Kinnamos** : op . cit ., p . 158 .

(١٣٩) أسد رستم : المرجع السابق ، جـ٣ ، ص ١٥٧ .

في صالح الإمبراطور مانويل ففي هذه الزيارة ، ولا شك أنه وقف على مواطن الضعف والقوة في الإمبراطورية ، وعلى أسرار كثيرة من أسرار القصر الإمبراطوري . كما أن زيارته هذه قد أحبطت أي تحالف بيزنطي دانشمندي أو على الأقل أوقف تشجيع الإمبراطور لآل دانشمند على قتال السلاجقة ، أما نتائج هذه الزيارة على الإمبراطور مانويل والإمبراطورية البيزنطية فإن الأحداث السياسية التي سوف نعرضها بين السلاجقة والبيزنطيين توضح بأن كل ما أنفق من أموال في هذه الزيارة لا يتناسب إطلاقا مع النتائج التي عادت على الإمبراطورية من تلك الزيارة .

كان أول تطبيق فعلي لهذه المعاهدة بعد عودة السلطان قلج أرسلان إلى عاصمته قونية حيث قدمت سفارة من رؤساء القبائل السلجوقية في آسيا الصغرى (ياغي أرسلان الدانشمندي وشاهنشاه شقيق قلج أرسلان) إلى الإمبراطور مانويل تطلب منه التوسط لعقد الصلح مع السلطان قلج أرسلان ، ورحب الإمبراطور بهم ترحيب الأصدقاء لكنه لم يجبهم إلى طلبهم ، وأوضح لهم أن هذا الأمر يعود للسلطان واختياره وأرسلهم إليه (١٤٠).وهذا ما يؤكد أن الإمبراطور مانويل كان يريد أن يطمئن على هدوء الأوضاع في آسيا الصغرى ليتفرغ إلى الجانب الأوربي أو على الأقل لكي يستعد الاستعداد الكافي للقضاء على سلاجقة الروم .

غير أن هذه المعاهدة كان لها الدور الأكبر في أن يقوم قلج أرسلان بتصفية حساباته مع منافسيه بآسيا الصغرى . كما لعب القدر دوره مع قلج أرسلان حينما توفي ياغي باسان وما أعقب ذلك من قيام الصراع على الحكم بين بني دانشمند على السلطة ، حتى انتهى الأمر بتولي ذي النون حاكم سيواس ، كل هذه الأمور أدت ببني دانشمند إلى الضعف والاضمحلال التدريجي . الأمر الذي سهل من مهمة قلج أرسلان فقام بالاستيلاء على ممتلكات ذي النون سنة ١١٦٨م وممتلكات ناصر الدين محمد ذي القرنين حاكم ملطية (١١٦٠-١١٧١م/٥٥٦-٥٦٧هـ) ، وفي العام التالي جاء دور أخيه شاهنشاه حيث نفاه خارج حدود السلطنة . وبذلك يكون السلطان قلج أرسلان قد نجح في فتح البستان Albistan وداريند Darende وجدوك Geduk وإقليم نهر توما Tohma ثم استولى على قيصرية وتزامانديس Tzamandus وأنقرة وجانجرا وغيرها من مناطق آسيا الصغرى (١٤١).

(140) Kinnamos : op . cit ., pp . 158 .
(141) Vryonis : op . cit ., p . 122 . ; Cahen (C.L) : Kilidj Arslan II E.I vol v p . 1986 . ; Ostrogorsky : op . cit ., p . 390 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 101 .

وكان علـى هؤلاء الأمراء اللجـوء إلى قـوى خارجيـة لمساندتهم ضد قلج أرسلان ، ولما كان الإمبراطور مانويل مشغولا فـي أوربـا [١٤٢] فـي ذلـك الوقـت ، فضلا عن معاهدة الصداقة القائمة بينه وبين قلج أرسلان ، فقد لجأ ذو النون وشاهنشاه إلى نور الدين محمود الذى لم يكن راضيا عن توسعات قلج ارسلان فراسـله فـي البدايـة لكنه لم يستجب ، فسار على رأس جيش إلى ممتلكات السلاجقة وتمكن من الاستيلاء على مرعش وكيسون وسيواس وغيرها ، ولم يكـن أمام قلج أرسلان إلا مفاوضة نـور الدين لخوفه على باقي ممتلكاته . ووافق نور الدين وتم توقيع الصلح بينهما وقـد تم الاتفاق أيضا بين نور الدين وقلج أرسلان على القيام بعمل مشترك ضـد الإمبراطورية البيزنطيـة حتـى إن ابـن نـور الديـن قـال للسلطان " أنـت مجـاور الـروم ولا تغزوهـم وبلادك قطعـة كبيرة مـن بـلاد الإسـلام " ، وعـاد ذو النـون إلـى حكـم سيواس تحت حماية نور الدين محمود ، ولم ينجح نور الدين في إعادة شاهنشاه إلى أملاكه ، وقد ظل ذو النون في حماية نور الدين محمود حتى وفاته سنة ١١٧٤م (٥٦٩هـ) [١٤٣].

وقد أدى هذا التحالف الذى جرى بين نـور الديـن محمـود وقلـج أرسـلان إلى التوتر بين الجـانب السـلجوقي والبيزنطي . وكلمـا طلـب البـيزنطيون إيضاحـا أجاب السلطان قلج بالتلميح إلى الانتقادات الموجهة له مـن المسـلمين بسبب عـدم اشتراكه في الجهاد ضد الصليبيين [١٤٤].

وعندما علم السلطان قلج أرسلان بوفاة نور الدين محمود حليف ذى النون الدانشمندي ، وشاهنشاه سـنة ١١٧٤م (٥٦٩هـ) قام بالاسـتيلاء علـى كـل الممتلكـات الدانشمندية . وقضى السلطان قلج أرسلان على بني دانشمند بعـد أن فتـح إماراتهم بشعبتيها في سيواس وملطية . وبذلك تكون قد انتهت زعامة دانشمند التى استغرقت حوالي ١٢٢سنة . كما نجح في السيطرة علـى أمـاكن عديـدة فـي آسـيا الصغرى ممـا

(١٤٢) عن حروب مانويل وانشغاله عن آسيا الصغري . أنظر :
Kinnamos : op . cit ., pp . 161-215 .

(١٤٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١١ ، ص ٣٩١-٣٩٢ . ؛ ابن الأثير : التاريخ الباهر فـي الدولة الأتابكية بالموصل ، ص ١٦٠-١٦١ . ؛ ابن العديم : " زبدة الحلب في تاريخ حلب " جـ ٢ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ . ؛ ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ ١ تحقيق د/ جمال الدين الشيال (القاهرة ١٩٥٣ م) ، ص ٢٣٣-٢٣٤ .
Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 159-161 . ; Michel le Syrien : op . cit ., pp 373-374 .

(144) Runciman : op . cit ., vol 2 p. 394 .
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٦٣٨-٦٣٩ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 103 .

دفع ذو النون وشاهنشاه إلى اللجوء إلى الإمبراطور مانويل يستنجدا به ضد السلطان قلج أرسلان [١٤٥].

ومهما يكن من أمر فإن ذلك قد أدى إلى ازدياد ثروة السلاجقة وأدى هذا الوضع إلى نقلة حساسة في ميزان القوى في آسيا الصغرى [١٤٦].

وقد سبقت الإشارة إلى أن الإمبراطور فردريك بربروسا في عام ١١٥٢-١١٩٠م دخل في مفاوضات مباشرة مع السلطان السلجوقي وشجعه على غزو أراضي الدولة البيزنطية ، وكان فردريك يرمي من وراء ذلك أن يتحول الإمبراطور مانويل عن المسائل الأوربية إلى الانشغال بآسيا الصغرى[١٤٧]

وبذلك تكون كل المؤشرات تشير إلى أن السلطان قلج ارسلان قد ناصب العداء للبيزنطيين ، فالسلطان السلجوقي قلج ارسلان لم يقم بتنفيذ المعاهدة السابقة سنة ١١٦٢م ، ولم يرد المدن التي تعهد بردها طبقا للمعاهدة . كما أنه عقد معاهدة مع نور الدين محمود ضد الدولة البيزنطية ولم يوقف تنفيذ هذه المعاهدة سوى وفاة نور الدين محمود سنة ١١٧٤م . كما أن التركمان الرحل كثيرا ما هاجموا بيزنطة ولم يجدوا عند السلطان سوى الاعتذار . كذلك قام بعقد معاهدة مع الإمبراطور فردريك بربروسا الذي حثه على مهاجمة بيزنطة . كما نجح في القضاء على بني دانشمند وأصبح سيدا على آسيا الصغرى بلا منازع ويستطيع أن يقاتل البيزنطيين بأمان بعد أن تخلص من عدو طالما كان يهدد ظهره أثناء حروبه مع الإمبراطورية البيزنطية .

وبذلك تكون الفترة الممتدة من عام ١١٦٢م إلى ١١٧٤م فترة نشاط سلجوقي مكثف في آسيا الصغرى ضد البيزنطيين ، في حين أنه في تلك الفترة لم يكن للبيزنطيين أي نشاط فعلي في أسيا الصغرى ضد السلاجقة .

ولم تذكر المصادر الكثير عن الأحداث الخاصة بالحدود التركية البيزنطية في الفترة الممتدة من ١١٦٢ -١١٧٤م فيما عدا الإشارة عن ظهور بعض القبائل التركية من التركمان الرحل في منطقة فريجيا وبنتابوليس وذلك للبحث عن مراعي لمواشيهم . ولكن الإمبراطور مانويل نجح في طردهم من خارج تلك المنطقة ،

---

(١٤٥) ابن العبري : المصدر السابق ، ص ١٩٠ . ؛ ابن العديم : المصدر السابق : جـ ٢ ، ص ٣٣٧-٣٣٨ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 103 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 122 . ; **Mokrimin (H.Y)** : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 . ; **Melikoff** : Danishmendids in E.I ., vol II p . 1991 .

(146) **Vryonis** : op . cit ., p . 122 .

(١٤٧) حامد زيان غانم : الإمبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة ، ص ٢٨ .

وفي نفس الفترة أيضا قام التركمان الرحل بالهجوم على مدينة لوديكيا ، وأسروا الكثير من سكانها وغنموا العديد من قطعان الماشية (١٤٨).

لكن أهم ما قام به الإمبراطور مانويل في تلك الفترة السابقة (١١٦٢ – ١١٧٤م) هو تحصين مدن بيرجاموم وادراميتيوم Adramyttium وخليارا بغية الحفاظ عليها من الغزوات التركية وأيضا حماية القرى وسكانها الفلاحين من شر غزوات التركمان (١٤٩).

وعندما أنتهى الإمبراطور مانويل من مشروعاته الغربية في أوربا ، أدرك على الفور أن الوضع السياسي في آسيا الصغرى قد تغيركثيرا .ومن هنا قرر مانويل أن يبذل مجهودا مضاعفا لكبح جماح قلج ارسلان في آسيا الصغرى (١٥٠).

بدأ الإمبراطور مانويل بأن بعث إلى قلج أرسلان يطلب منه إعادة المدن طبقا للمعاهدة السابقة التي تم إبرامها سنة ١١٦٢م. فرد عليه السلطان يعلمه بالموافقة وطلب من الإمبراطور أن يرسل قوات بيزنطية ليسلمهم هذه المدن ، فأرسل الإمبراطور قائده ألكسيوس بيترو إلىفاس Alexius Petraliphas على رأس قوة بيزنطية بلغ عددها ستة آلاف جندي ، غير أن القائد البيزنطي عاد دون أن يحقق المهمة المكلف بها –ولم تفصح المصادر عن سبب ذلك – بل أن السلطان قلج أرسلان نجح في السيطرة على بعض المدن التي قاومته مثل مدينة أماسيا كما أنه لم يرد هذه المدن إلى الإمبراطور مانويل (١٥١).

والملاحظ هنا أن المصادر التاريخية لم تفصح عن مغزى موافقة السلطان قلج أرسلان ، هل هي مناورة سياسية لكونه غير مستعد للقتال ،أم أنه في حاجة إلى وقت لكي يستعد لجولة أخرى مع البيزنطيين.

بادر الإمبراطور مانويل بإرسال القائد ميخائيل جابراس ، وبعد أن جمع قوات من مدن طرابيزون وأوينايون Oinaion وبونتيك Pontic أمره الإمبراطور بالتوجه إلى مدينة أماسيا . وتوجه مباشرة إلى ميلاجيا Melageia وجمع أيضا قوة من بيثينيا وريندا كوس Rhyndakos ، كما توجه معه شاهنشاه – قائد سلجوقي موال للإمبراطور البيزنطي – الذى كان يتولى قيادة جانبا من القوات البيزنطية ،

---

(148) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 162-164 . ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., p . 46. ; **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor ., p . 122-123 . ; **Chalandon (F)** : op . cit .,p . 499 .

(149) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 194-195 . ; **Vryonis** : The Decline of Medieval ., p . 123 . ; **Vryonis** : Nomadization ., pp . 46-48 .

(150) **Vryonis** : The Decline of Medieval ., p . 123 .

(151) **Kinnamos** : op . cit ., pp . 218-219 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 226 . ; **Cahen** : une famille Byzantine au service des Seljuqides d'Asia Mineure . Turcobyzantina VIII p . 147 .; **Vryonis** : The Decline ., p . 123 . : **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 103 .

وقد اختارت طريق بافلاجونيا لكنها فوجئت بقوة من التركمان استطاعت هزيمة القوات البيزنطية ، وهرب شاهنشاه عائدا إلى الإمبراطور ، وقد نجح جابراس بالوصول بقواته إلى مدينة أماسيا . وعلى الرغم من ترحيب أهلها طالبين منه دخول المدينة إلا انه فضل العودة إلى الإمبراطور خشية حصار السلاجقة الذين كانوا يعسكرون بالقرب من المدينة (١٥٢). ولقد عاقب الإمبراطور مانويل القائد ميخائيل جابراس لفشله في الاستيلاء على مدينة أماسية بالسجن في أحد سجون القصر ، ثم عفا عنه بعد فترة وأعاده إلى مكانته (١٥٣) .

وفي أواخر سنة ١١٧٥م بدأ الإمبراطور مانويل يعمل على دعم تحصينات مناطق الحدود البيزنطية التركية في آسيا الصغرى وبدأ بمدينة دورإلي‌وم (اسكي شهر) ، وكان عليه أن يطرد التركمان الرحل من الأقاليم المحيطة بدورإلي‌وم وذلك لغزواتهم الدائمة وإتلافهم التربة البيزنطية حيث كانت دور اليوم في القرن العاشر والحادي عشر واحدة من أعظم المراكز الحضارية الناجحة في آسيا الصغرى . ولكن التركمان أبادوها حتى الأراضي لم تسلم منهم حيث تسببوا في هجرها وتصحرها . وبعد طرد التركمان بدأ في إعادة بناء المدينة وتحصينها، ولم تسلم القوات البيزنطية من هجمات التركمان الرحل أثناء قيامهم بأعمال التحصينات ، وبادرهم البيزنطيون بالقتال حيث قتلوا منهم الآلاف وأسروا منهم أيضا ، وبعد أن انتهى من دورإلي‌وم اتجه إلى الجنوب وأعاد بناء وتحصين قاعدة مدينة كوما – سوبلايون Choma-Soublaion للسيطرة على الطرق المواجهة لمدينة قونية (١٥٤).

وأثناء وجود الإمبراطور مانويل معسكرا حول دورإلي‌وم أوفد أحد قواده ويدعى توماس إلى قلج أرسلان ليبلغه مهددا بضرورة إعادة مدينة أماسيا ، ويذكره بعدم احترامه لاتفاقياته المعقودة بينهما غير أن طلب مانويل قوبل بالرفض من قبل السلطان (١٥٥).

والحقيقة أن مواقف السلطان السلبية مع مانويل ربما يكون مرجعها شعوره بقوة مركزه بعد أن نجح في هزيمة منافسيه الترك وتكوينه دولة متجانسة قوية حلت محل الإمارات المتنافسة التي طالما استخدمها البيزنطيون ضده ، وبذلك يكون قد سيطر على معظم آسيا الصغرى وأصبح سيدا عليها بلا منافس .

---

(152) Kinnamos : op . cit ., pp . 219-221 .
(153) Kinnamos : op . cit ., pp . 223 .
(154) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 227-229 . ; Kinnamos : op . cit ., pp . 220-221 . ; Michel le Syrien : op . cit ., vol III p .369 . ; Vryonis : op . cit ., p . 123 .
(155) Kinnamos : op . cit ., pp . 222 .

وإزاء ذلك الوضع بات الأمر واضحا أن الحرب ستنشب لا محالة بين البيزنطيين والسلاجقة وقد قرر مانويل وضع نهاية لقوة السلطنة بالاستيلاء على قونية نفسها والقبض على السلطان . ولهذا الغرض قام بتجنيد أعداد غفيرة من اللاتين والغز من أقاليم الدانوب ، كما قام باستدعاء قوات من الصرب والهنغاريين وحشد الجيش البيزنطي وأخذ ينظم نفسه في معسكره في دور إليوم(١٥٦).

ولم يكتف الإمبراطور بذلك بل أرسل إلى البابا ألكسندر الثالث(١١٠٥–١١٨١م) ينهى إليه أن الوقت أضحى ملائما للدعوة إلى حرب صليبية جديدة ، وكان يرمى من وراء ذلك مساعدة الغرب للإمبراطورية في حروبها مع السلاجقة (١٥٧).

ويبدو أن أنباء استعدادات مانويل قد وصلت إلى السطان وأثارت قلقه ، لذا قام السلطان بإرسال أحد كبار المستشارين في بلاطه المدعو جابراس للتفاوض مع الإمبراطور لعقد الصلح ، غيرأن طلب السلطان قوبل بالرفض من قبل مانويل الذى أخذ يكمل استعداده للحرب (١٥٨).

وفي سبتمبر سنة ١١٧٦م (٥٧١هـ) قام الإمبراطور مانويل بتقسيم قواته إلى قسمين ، وأمر قائده أندرونيقوس فاتاتزيس Andronicus Vatatzes ابن أخت الإمبراطور ومعه ذو النون الدانشمندي الذى التجأ إلى مانويل بعد أن احتل قلج أرسلان بلاده . وتحرك الجيش البيزنطي وضرب حصارا على مدينة نيكسار وكان الحصار شديدا على المدينة لضخامة الجيش البيزنطي . وقد عملت الحامية السلجوقية التى كانت تدافع عن هذه المدينة على الوقيعة بين القائد البيزنطي فاتاتزيس وبين الأمير ذى النون حيث كتبوا رسائل باللغة إليونانية على لسان أهل المدينة المسيحيين ، وألقوا بها بواسطة رماة السهام إلى المعسكر البيزنطي ، وقد كتبوا فيها أن الأمير ذا النون رجل مخادع كبير ، وأنه لم ينس بني جنسه من الأتراك وهو يراسل الأتراك السلاجقة سرا ، وسوف يغدر بالبيزنطيين .وزادوا على ذلك بأن أشاعوا خبرا كاذبا بموت الإمبراطور مانويل ، مما أدى إلى انتشار الذعر والخوف والتوتر في الجيش البيزنطي ، ورفع البيزنطيون الحصار وانسحبوا في حالة من الفوضى وتتبعهم سلاجقة الروم وأنزلوا بهم هزيمة ساحقة وقبضوا على القائد

(156) Kinnamos : op . cit ., pp . 224 . ; Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 230 . ; Vryonis : op . cit ., p . 123 .
(157) Runciman : op . cit ., vol . 2 . p . 138
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٦٦٤ . ؛ محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٣٣٦ .
(158) Kinnamos : op . cit ., pp . 224 , Notes to book , VII.9 p . 259 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 103 . ; Cahen : une famille Byzantine ., p . 147 .

البيزنطي فاتاتزيس فقتلوه، وهرب ذو النون الذى تم القبض عليه ليكون تحت تصرف الإمبراطور (١٥٩).

وارتاع مانويل لما حدث بالجيش البيزنطى ، وانطلق على راس جيشه نحو الجنوب متوجها إلى العاصمة السلجوقية قونية عبر طريق فريجيا ولوديكيا . ثم توقف عند مدينة خوناى Chonae لزيارة كنيسة القديس ميخائيل وبعد ذلك تحرك إلى حصن لامب وسليناى أباميا Celenae Apamia حيث أعالى نهر المايندر ، حينئذ تقدم إلى القواعد التى أعاد بناءها حديثا وهى كوما - سوبليون وفى النهاية وصل حصون ميريوكيفالون المهجورة ، وعلى الرغم من تقدم جيش الإمبراطور كان يسوده النظام إلى حد ما إلا أن البطء كان سمته ، وذلك لكثرة الأحمال والمؤن والأسلحة وآلات الحصار . ولم يسلم الجيش البيزنطى من هجمات التركمان الذين كانوا فى كثرتهم يشبهون الجراد ، كما وصفتهم المصادر التاريخية (١٦٠).

وأثناء تقدم الجيش هاجم التركمان الجيش البيزنطي بعد أن تحققوا أن الإمبراطور مانويل قد قدم لطردهم من ديارهم ، لذا فقد تجمعوا فى أسراب يصل أعدادها من خمسة إلى عشرة آلاف وهاجموا البيزنطيين وأنزلوا بهم خسائر جسيمة ، كما أن التركمان اخترقوا الجبال والأودية ووصلوا إلى المعسكر البيزنطي ونهبوا ما به وأحرقوا عجلاتهم وجعلوا يدحرجون من قمم الجبال أحجارا ضخمة سحقتهم هم وخيلهم (١٦١) .

ويروى المؤرخ البيزنطي خونياتس أن قلج أرسلان عندما بلغه ذلك أرسل فى طلب النجدات من أمراء الشرق الإسلامي وجند أعداد غفيرة من أقاليم أعالى بلاد ما بين النهرين (اقليم الجزيرة) ومن الأقاليم البعيدة فى الشرق (١٦٢) . والواقع أننا لم نجد ما يفيد بذلك فى المصادر الإسلامية .

---

(١٥٩) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٩٢-١٩٣ .

Kinnamos : op . cit ., pp . 224 . ; **Michel le Syrien** : op . cit ., p . 283 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 236 . **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 104 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 123 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 . pp . 412-413.

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٦٦٥ . ؛ زاكية محمد رشدي : المرجع السابق ، ص ١١٧-١١٨ .

(160) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 230-231 . ; **Michel le Syrien** : op . cit .,vol III p .371 . ; Vryonis : The Decline ., 123-124 . ; **Ostrogorsky** : op . cit ., p . 347 . ; **Lilie (R.T)** : Die Schalacht von Myriokephalon (1176) Auswirkungen auf das Byzantinische Reich im ausgehenden 12 Jahrhundert Revue des Etudes Byzantines Tome 35 pp . 259-263.

(161) Michel le Syrien : op . cit ., p . 371 . ; **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 231 .

ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٣٩ .

Lilie : op . cit ., p . 263 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 124 .

(162) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 232 .

وبينما كان الجيش البيزنطي في تقدمه قام السلطان قلج أرسلان بتخريب الأراضي وحرق القرى وسهول العشب الأخضر ، كما حطم أي شئ يمكن أن يستخدمه الجيش البيزنطي في تقدمه مثل الينابيع وصهاريج المياه ، وقد افسد عيون المياه بإلقاء أجساد الموتى فيها والكلاب والحمير ، حتى انه قبل المعركة الحاسمة انتشر مرض الدوسنتاريا في معظم الجيش البيزنطي (١٦٣).

ولم تدخل القوات السلجوقية في صراع مباشر مع القوات البيزنطية واكتفت بمناوشتها في بعض المواقع ، ثم تراجعت لاستدراج القوات البيزنطية وهو الأسلوب القتالي المعروف عن السلاجقة (١٦٤).

غير أن السلطان قلج أرسلان أرسل سفارة جديدة إلى الإمبراطور مانويل يعرض عليه السلام من أجل منع نشوب الحرب بينهما ، وقام الإمبراطور باستدعاء المجلس العسكري لمناقشة عرض السلطان ، وقد انقسم أعضاء هذا المجلس الى فريقين ، أحدهما يرفض الحرب وكان هذا الفريق من كبار القادة ومن أصحاب الخبرة في قتال السلاجقة والذين أدركوا حرج موقفهم العسكري لانتشار المرض في الجيش فضلا عن صعوبة القتال في الممرات الجبلية المستعصية القريبة من قونية ،أما الفريق الثاني فقد أيد الحرب وكان هذا الفريق من الشباب المغامرين والمتحمسين قليلى الخبرة . وقد استجاب الإمبراطور لرغبة الفريق الثاني واخبر المجلس العسكري مبعوثي السلطان بأن الإمبراطور سيقول كلمته في قونية (١٦٥) . ولم تفصح المصادر عما يرمي إليه السلطان السلجوقي من هذه السفارة ، وإن كان بكل تأكيد أعطى تفسيرا للبيزنطيين بان السلطان لم يكن في وضع إستراتيجي يسمح له بالدخول في حرب مع البيزنطيين . وربما كان يرمي من وراء هذه السفارة كسب الوقت أو معرفة حجم القوات البيزنطية ومدى استعدادها . أما عن رفض مانويل للسلام فيعود إلى تحمسه القتال خاصة بعد كل الاستعدادات التي جهزها .

بدأ السلطان قلج أرسلان في توزيع قواته في كمائن حول الجبال الضخمة المعروفة باسم سلطان داغ التي تقع بالقرب من قونية ، وأيضا حول ممر

المصدر الإسلامي الوحيد الذي تحدث عن معركة ميريوكيفالون هو المؤرخ ابن الأثير الذي وصفها بأنها " حرب استظهر فيها المسلمون " انظر : الكامل في التاريخ ، ج ١١ ، ص ٤١١ .

(163) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 231-232 . ; Michel le Syrien : op . cit .,vol III p .371 . ; Lilie : op . cit ., p . 263 . ; Vryonis : op . cit ., p . 124.

(164) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 232 .

(165) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 232-233 . ; Vryonis : op . cit ., p . 124 . ; Chalandon (F) : op . cit ., vol II p .508 . ; Runciman : op . cit ., vol. 2 . pp . 412-413.

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٦٦٥ .

تزبيرتسTzybritzeالذي يقع في نهايته حصن ميريوكيفالون كل ذلك أنتظارا لوصول البيزنطيين حيث لا سبيل للوصول إلى قونيةإلا بعبور هذا الممر(١٦٦).

بدأ الجيش البيزنطي بقيادة الإمبراطور مانويل يتحرك متوجها إلى قونية فوضع المقدمة تحت قيادة الأخوين حنا واندرونيق أبناء أنجليوس ، ومؤخرة الجيش تحت قيادة نيكوس كونتو ستفانوس . أما الجيش الرئيسي فكان تحت قيادة قسطنطين ماكرودوكاس Constantine Macroducas واندرونيق لامبارداس وبلدوين الأنطاكي أخو زوجة الإمبراطور مانويل وثيودورث مفروز موس Theodores Mavrozozomes ، وفي القلب كان الإمبراطور مانويل مع نخبة من حراسة (١٦٧).

وعلى أية حال شقت مقدمة الجيش البيزنطي طريقها داخل الدرب في ممر ترابيزاتزي الطويل والوعر لكي تخرج منه إلى السهل الواسع أمام مدينة قونية . وتراجع الترك أمامهم إلا من بعض المناوشات الخفيفة، إذ كانت خطة السلاجقة مبنية على استدراج الجيش البيزنطي بأكمله داخل الممر . ونجحت خطة السلاجقة فبعد أن عبرت مقدمة الجيش البيزنطي ودخل الممر اندفعت باقي قوات الجيش داخل الممر . وتزاحم الجيش البيزنطي الأساسي داخل الطريق الضيق وما يصاحبه من العربات والمعدات وآلات الحصار وكانت القوات السلجوقية ترصد تحركات الجيش البيزنطي بكل دقة حيث كانت موزعة على جانبي الممر في الأماكن المرتفعة على التلال والهضاب وفي اللحظة الحاسمة انقضت القوات السلجوقية على البيزنطيين من كل جانب وهاجموا أولا مقدمة الجيش لشل حركته ونجحوا في إيقاف مسيرته ، ثم انتقلوا بعد ذلك لمهاجمة الجيش الرئيسي وأنزلوا به ضربات قاسية ،وانتشر الذعر الشديد ، وفقد الجيش البيزنطي نظامه وحاول بلدوين الأنطاكي على رأس سرية من الخيالة ارتقاء التلال ومهاجمة السلاجقة ،غير أنه لقي مصرعه مع جميع رجاله ثم هاجم السلاجقة مؤخرة الجيش وحالت العربات والدواب المقتولة والجثث الملقاة دون هروب الجيش البيزنطي ، وبلغ من شدة التصاق الجند سويا أنه لم يكن بوسعهم أن يحركوا أيديهم إلا نادرا . فلم يكن بوسع الجيش البيزنطي التقدم للأمام ولا التقهقر إلى الخلف فذبحهم السلاجقة كالأغنام ، وظلوا يقاتلونهم وهم يلوحون أمامهم بجمجمة القائد البيزنطي أندرونيقوس فاتاتزيس . وكان الإمبراطور أول من استبد به الذعر فركن إلى الفرار خارج الدرب ، وحاول كل الجيش المتبقي عندئذ

(166) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 232 . ; **Lilie** : op . cit ., p . 262 . ; **Rice** : op . cit ., pp . 63-64 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 . pp . 412-413.

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٦٦٥ .

(167) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 233 .

أن يتبعه إلا أن السلاجقة لم يتركه فكان القتل في الدواب والرجال على حد سواء إلى أن حل الظلام على ميريوكيفالون[١٦٨].

نجح الإمبراطور في الهروب ألى أحد شعاب الوديان المتفرعة من الممر الجبلي ، وتجمعت معه بقايا القوات البيزنطية المنهزمة ولحق به أندرونيكوس كنتواستيفانوس قائد مؤخرة الجيش البيزنطي ، وظل البيزنطيون ينتظرون الموت . فلم تدع القوات السلجوقية القوات البيزنطية الجريحة تهنأ بالراحة فكانوا يطوفون بالتلال ويهبطون من المنحدرات .ويرددون نداءات وصرخات تشير إلى أنهم هالكون لا محالة ، حتى أن الإمبراطور مانويل الذى تخلت عنه الشجاعة قرر الهرب دون أن يعبأ بالجيش ، غير أنه وجد معارضة واستهجان شديدين من كبار القادة وكان على رأسهم اندرونيقوس كونتو ستيفانوس الذى حاول على قدر استطاعته إعادة تنظيم الأشلاء المنهزمة من الجيش البيزنطي[١٦٩]، وحتى الهرب كان يمثل صعوبة شديدة للجيش البيزنطي وذلك لصعوبة تضاريس آسيا الصغرى وما تمتلئ به من جبال ومرتفعات وأودية صعبة العبور[١٧٠].

وعلى الرغم من انتصار الجيش السلجوقي واستطاعته القضاء تماما على الجيش البيزنطي وأسر الإمبراطور مانويل إلا أنه تم عقد الصلح بين الطرفين ، وعن ظروف عقد هذا الصلح يشير المؤرخان ميخائيل السرياني وابن العبري إلى أن الإمبراطور مانويل أرسل إلى السلطان قلج أرسلان سفراءه طلبا للصلح ، على أن يقوم مانويل بتدمير تحصينات مدينتي دورإليوم وكوما – سوبليون المبنية حديثا ويقوم الجانب البيزنطي بتعويض السلاجقة عن خسائرهم في المعركة بالأموال والذهب ، على أن يسترد مانويل الصليب المقدس وكان قد وقع في يد السلاجقة ، ووافق السلطان على هذا العرض[١٧١].

---

(168) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 234-238 . ; **Michel le Syrien** : op . cit ., p .384 . ; **Sevim (A) & Yucel (Y)** : Turkye Tarihi ., p . 134 . ; **Wittek (Paul)** : " Deux chapitres de L'histoire des Turcs de Roum Byzantion T.XI ., p. 296 . ; **Sayar (I.M)** : The Empire of the Salcuqids of Asia Minor , pp . 27-28 . ; **Leftchenko (M.V)** : Byzance des origines ., p . 233 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 124 . ; **Lilie (R.J)** : Byzatium and the crusader ., p . 184 . ; **Rice** : op . cit ., p . 63 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II p . 428 . ; **Cahen** : une famille Byzantine au service des Seljuqides ., p . 147 . ; **Lilie (R.T)** : Die Schalacht von Myriokephalon ., pp . 260-261 .

(169) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 242-244 .

(170) **Hamilton (J.A)** : Byzantine Architecture and Decoration (London 1956) ., p . 100.

(171) **Michel le Syrien** : op . cit ., p .384 .

ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٩٣ .

Lilie : op . cit ., pp . 264-267-201. P . 202 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 104 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II pp . 260-261 .

زاكية رشدي : المرجع السابق ، ص ١١٨-١١٩ .

ويذكر المؤرخ البيزنطي نيقتاس خونياتس أنه أثناء قيام القواد البيزنطيين بتنظيم الجيش البيزنطي لمسألة الدفاع ، جاءت الأوامر من قلج ارسلان بالتوقف عن القتال و أرسل أحد مستشاريه ويدعي جابراس على رأس وفد سلجوقي يعرض الصلح على الإمبراطور مانويل بشرط أن يبادر بالانسحاب على الفور وأن يدمر استحكامات الحصنين الجديدين اللذين شيدهما ، وهما سوبلا يوم ودوريليوم ، وقبل مانويل راضيا وشاكرا (١٧٢).

وبغض النظر عن أي من الطرفين السلجوقي أو البيزنطي هو الذى طلب عقد الصلح من الآخر، فإن ما يهمنا هو السؤال الذى يطرأ في ذهن المستعرض لتاريخ هذه المرحلة ، لماذا قبل السلطان قلج أرسلان عقد الصلح وهو في قمة انتصاره ؟ فإن هذا الأمر يثير الدهشة وإن كان قبول مانويل لايثير التساؤول لكونه المهزوم.

بداية نود القول أن المؤرخ خونياتس ذكر في حوليته التاريخية أن مستشاري السلطان قلج ارسلان كانوا في حضرة الإمبراطور مانويل في وقت السلام ، وأنهم اقنعوا السلطان بعرض السلام (١٧٣) ، أي أنهم مأجورون من قبل مانويل وقد لعبوا دورا كبيرا في إقناع السلطان بأن يعرض هو شروط السلام بين الطرفين (١٧٤).

ويذكر المؤرخ خونياتس أنه بعد أن تم عقد الصلح بين الطرفين انسحب الجيش البيزنطي ، الذى لاحظ وجود أعداد كبيرة من جثث القتلى في الطريق ، كما لاحظ أن الجلد قد نزع من رؤوس القتلى وكثيرا من المذبوحين قد بترت أعضاؤهم التناسلية كنوع من التشويه . وقد فعل الأتراك هذا حتى يكون من الصعب التمييز بين جثث البيزنطيين وجثث السلاجقة المسلمين ، ومن ثم فإن الخسائر الثقيلة التى تكبدها الأتراك سوف تصبح غامضة (١٧٥)

والحقيقة أن الدوافع التى دفعت قلج ارسلان الى عقد هذا الصلح أو قبوله غير معروفة على وجه التحديد ، غير أن ما يعنينا أنه قد تم عقد الصلح بين الطرفين ، ويبدو أنه رغب في توقف الحرب عند هذه المرحلة بسبب خوفه من وصول إمدادات من الصليبيين والأرمن في جنوب آسيا الصغرى ضده ففضل السلطان قلج أرسلان الاكتفاء بهذا النصر عند هذه المرحلة خاصة وأن قبوله للسلام لن يغير من كونه منتصرا في تلك الجولة .

---

(172) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 245-246 . ; **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 243 . ; **Runciman** : op . cit ., vol . 2 . p . 413.
رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٦٦٦ .

(173) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 244-245 .
(174) **Vryonis** : op . cit ., p . 125 .
(3) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 247 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 125 .

أما موضوع عقد الصلح ومن بدأ يطلب الصلح من الآخر هل الإمبراطور مانويل أم السلطان قلج أرسلان واختلاف المؤرخين على ذلك ، فالباحث يميل إلى الآخذ برأي ميخائيل السرياني وابن العبرى الذين أشارا إلى أن الإمبراطور مانويل هو الذى بدأ بالطلب خاصة وان هذا الوضع مطابق للواقع أعنى واقع القوات البيزنطية التى كانت فى حالة سيئة للغاية لا تمكنها من مواصلة القتال على عكس القوات السلجوقية ، فضلا على أن هذا الرأى صدر عن المؤرخين السريان باعتبارهما طرفا محايدا عن الطرفين المتحاربين .

والجدير بالذكر أن السلطان قلج أرسلان بعد أن عقد الصلح مع البيزنطيين لقى معارضه شديدة من قبل التركمان الرحل ووجهوا إليه اللوم على قيامه بهذا العمل الذى اعتبروه فى حكم الخيانة . ومما يؤكد عدم رضائهم أن السلطان بعد أن عقد الصلح مع البيزنطيين أمدهم بالمؤونة ، ثم زودهم بثلاثة من بعض الأمراء السلاجقة لكى يرافقوا الإمبراطور وجيشه حتى حدود بلاده . وفى أثناء عودتهم هاجم التركمان الجيش البيزنطى المنسحب وأنزلوا بهم خسائر جسيمة للتعبير عن استيائهم ، وعندما احتج الإمبراطور مانويل على هذا السلوك وأن السلاجقة قد أخلوا بالمعاهدة ، أوضح له هؤلاء الأمراء الذين كانوا يرافقونه أنه ليس لهم سلطان على هؤلاء وليس فى مقدرتهم عمل شيء لأن هذه القبائل التركمانية مستقلة ولا يستطيع السلطان السيطرة عليهم . ولم يهنأ البيزنطيون بمعاهدة السلام فلقد فقد فقدوا فى الطريق حوالى عشرين ألفا من قواتهم أثناء عودتها (١٧٦).

أما ما ذكره الإمبراطور مانويل فى خطابه الذى أرسله إلى الملك هنرى الثاني ملك إنجلترا (١١٥٤-١١٨٩م) وذكر فيه أن السلطان قلج ارسلان أرسل إليه يتوسل فى عقد الصلح والتحالف معه ، فقد أراد بذلك التقليل من شأن معركة ميريوكيفالون ، وتجاهل نتائجها السيئة على الجانب البيزنطي على الرغم من اعترافه فى هذا الخطاب بأن هذه الحملة كانت فاشلة (١٧٧).

أما بالنسبة لرواية المؤرخ البيزنطي نيقتاس خونياتس التى ذكر فيها أن السلطان قلج ارسلان هو الذى بدأ بطلب الصلح من الإمبراطور مانويل وذلك قبل أن يطلب مانويل هذا الصلح المهين فلا نشك فى مصداقية ما ذكره خاصة فيما رواه عن معركة ميريوكيفالون فقد أمدنا بمعلومات غاية فى الدقة وتتميز بالموضوعية، حيث تحدث بإسهاب عن الخسائر الجسيمة التى وقعت فى الجانب البيزنطى. لكن

---

(176) Michel le Syrien : op . cit ., p .384 . ; Vryonis : op . cit ., p . 125 . ; Lilie (R.J) : op . cit ., p . 264 . ; Turan : op . cit ., p . 243 .
(177) Lilie (R.J) : op . cit ., p . 264 . ; Vasiliev : op . cit ., vol II p . 429 .
محمد زكي نجيب : المرجع السابق ، ص ٢٠٣ . ؛ محمود سعيد عمران : المرجع السابق ، ص ٣٤٨ .

ربما لكونه مؤرخا بيزنطيا لم يرغب في التقليل من شأن الإمبراطور مانويل حيث ذكر أن السلطان قلج أرسلان هو الذى طلب الصلح من مانويل ، وكان خونياتس أفضل كثيرا من زميله المؤرخ البيزنطى كناموس(١٧٨) ، الذى توقف بحديثه عن تاريخ مانويل عند معركة مير يوكيفالون لإعجابه وحبه الشديد للإمبراطور حيث لم يذكر شيئا مهما بشأن ميريوكيفالون .

أما عن وقع هذه الهزيمة على الإمبراطور فقد حزن حزنا عميقا . فلم تعاوده قط بعد ذلك أبدا بشاشته ولا مرحه الذى كان سمة بارزة فيه ولم يعد بعدئذ ضاحكا أو فرحا أمام شعبه وفقد الطمأنينة وما كان يتمتع به من راحة الفكر وهدوء النفس (١٧٩) ، بل امتد أثر تلك الهزيمة إلى خارج قصره حتى أن أحد الأشخاص - وهو ابن أخت الإمبراطور مانويل كومنين -من أجل حفظ ذكرى هزيمة البيزنطيين فى ميريوكيفالون قام بعمل رسومات زخرفية على جدران منزله الجديد تضم أعمال السلطان قلج أرسلان الثاني لكي تظل فى ذاكرة البيزنطيين (١٨٠).

كان انتصار السلاجقة المسلمين على البيزنطيين فى معركة ميريوكيفالون حاسما (١٨١) ، حتى أن مانويل أدرك أهمية الكارثة بعقد مقارنة بينها وبين معركة ملاذكرد التى حدثت قبل مائه سنة ،حتى أنه أطلق على نفسه "شريك الكوارث" مع رومانوس ديوجنيس الذى هزم فى معركة ملاذكرد سنة ١٠٧١م(١٨٢).

وكان من نتيجة هذه المعركة أن غنم الجانب السلجوقي غنائم هائلة حتى أن السلطان قلج ارسلان من وفرة هذه الغنائم أرسل منها إلى الخليفة العباس المستضيئ بأمر الله (١١٧٠-١١٧٩م /٥٦٦-٥٧٥هـ) وبعض الأمراء المسلمين المجاورين لمملكته ، كما خصص جزءا منها لإعادة تعمير حصون مدينة قونية (١٨٣).

---

(178) Kinnamos : op . cit ., p . 224 . ; Casmeron (A) : Historiography Byzantine in D.M.A , vol . 6 , p 246 .

(179) William of tyre : op . cit ., vol II pp . 414-415 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٤ ، ص ١٩٧-١٩٨ .

(180) Vasiliev : op . cit ., vol II p . 429 .

(181) Brand (C.M) : Byzantine Empire History (1025-1204) in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 495 . ; Slobodan (C) : Komnenoi in Dictionary of the Middle Ages . vol . 7 p . 284 . ; Elizabeth (A) & Alexander (K) : Turks in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 3 . p . 2129 . ; Rose (L.C) : Ikonion in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 6 p . 418 . ; Bosworth (C.E) : Saldjuks of rum in Dictionary of the Middle Ages. vol II p. 157 . ; Golden (P.B) : Saldjuks in Dictionary of the Middle Ages. vol II p. 154 .

(182) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 249-250 . ; Turan : op . cit ., p . 243 . ; Runciman : op . cit ., vol . 2 . p . 414.

رنسيمان : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٦٦٧ . ؛ زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

(183) Michel le Syrien : op . cit ., p .384 . ; Lilie (R.J) : op . cit ., p . 264 . ; Rice : op . cit ., p . 64 .

وقد احتفل الشعراء في بغداد بهذا النصر ، وأصبحت الاناضول أرض الترك حتى أنه في نهاية القرن الثاني عشر كانت المصادر الغربية تطلق عليها أرض الأتراك(١٨٤).

وجاء وليم الصوري الذي قضى حوالي ثمانية أشهر في القسطنطينية في سنة ١١٧٩ بعد ثلاث سنوات تقريبا من المعركة الشهيرة ليوضح لنا مدى فداحة خسائر البيزنطيين وانعكاسها على الإمبراطور مانويل، ويذكر أن الإمبراطور لقى نكبة فادحة في قونية ، وهزم أسوا هزيمة ومنى في هذه المعركة بخسارة فادحة في الرجال الذين كان من بينهم رهط من أقاربه . وعن أسباب هذه الكارثة يعلل وليم الصوري ذلك بتدهور القادة البيزنطيين الذين ساروا بالجيش دون أن يأخذوا الحيطة الكافية ، وسلكوا به دروبا خطيرة ضيقة كانت في يد العدو ، مؤثرين ذلك على طرق فسيحة في العراء كانت تصلح لزحف الجيش ونقل أمتعته الكثيرة وأثقاله المتنوعة التي يقال إنها كانت فوق الوصف(١٨٥).

إن دراسة الموقف الحربي للعدو واستشارة كبار القادة العسكريين من ذوى الخبرة ودراسة طبوغرافية وجغرافية المكان وتقدير الموقف العسكري من حيث الإعداد والعدة هي من ابسط القواعد العسكرية . لكنها كانت على ما يبدو من اصعب القواعد وأعثرها على الإمبراطور مانويل ، فما حدث في ميريوكيفالون كان متوقعا . فالإمبراطور مانويل لم يستمع إلى مشورة كبار قادته العسكريين المخضرمين ذوى الخبرة وضرب برأيهم عرض الحائط واستمع إلى مساعديه من الشباب المغامرين والمدهش أن الإمبراطور مانويل كان على معرفة كاملة بطبوغرافية المكان وذلك من خلال حملته السابقة الفاشلة على مدينة قونية سنة ١١٤٦م، ويعلم تماما أنه لكى يصل إلى قونية عليه المرور من ممر ضيق وطويل ووعر لا يصلح لمرور الجيش بمعداته الثقيلة المختلفة . فضلا على أن المتعارف عليه في مثل هذه الحالات أن يقوم القائد بتجهيز فرقة من الجيش تستكشف المكان .لكنه لم يفعل ذلك ! وبذلك يكون الإمبراطور مانويل قد عمل على تدمير القوة الحربية البيزنطية الضخمة التى كونها جده الإمبراطور ألكسيوس كومنين ووالده حنا الثاني ، الأمر الذى أدى إلى انكماش الدولة البيزنطية في آسيا الصغرى .

ويحلو لبعض المؤرخين المحدثين عقد مقارنة بين معركة ميريوكيفالون ومعركة ما نزكرت على أساس أن معركة ميريوكيفالون كانت الحدث الوحيد الهام

---

(184) **Turan** : op . cit ., p . 244 .

(185) William of tyre: op. Cit., Vol. II P415.

وليم الصوري: الحروب الصليبية، حـ٤، ص١٩٧.

في الغالب علي أرض آسيا الصغري منذ معركة مانزكرت سنة ١٠٧١م . فلقد كانت هزيمة ميريوكيفالون سنة ١١٧٦ تعني نهاية الخطط البيزنطية لاستعادة آسيا الصغرى مرة أخرى من أيدى سلاجقة الروم ،لما تكبدته من خسائر جسيمة في القوة العسكرية كماكان لها تأثير سيىء على الروح المعنوية ليس فقط على الإمبراطور مانويل كومنين ، ولكن أيضا على السكان اليونانيين البيزنطيين في أقاليم آسيا الصغرى التي لم تزل خاضعة للإمبراطورية البيزنطية وجاءت تلك المعركة دليلا واضحا على ازدياد قوة الترك في آسيا الصغرى، وفي هذه المعركة كان للتركمان والقبائل التركمانية دور كبير في الانتصار سنة فمن المفترض أن حضور أعداد من القبائل البدوية على الحدود قد خدم بشكل كبير السلاجقة حيث عملوا على امتصاص صدمة الهجوم البيزنطي والتى انهكت الجيوش المسيحية قبل احتكاكها مع قوات السلطان (١٨٦).

وقد شهدت الثلاث سنوات الباقية من عهد مانويل سنة (١١٧٧-١١٨٠م) ازدياد الغزوات التركية بكثافة على الأقاليم البيزنطية في آسيا الصغرى على طول الحدود من شمال بيثنيا إلى مناطق نهر المايندر، ولأن الإمبراطور مانويل رفض تدمير تحصينات مدينة دور اليوم وتحصينات مدينة كوما -- سوبليون طبقا لشروط الصلح المعقودة بين الطرفين عقب معركة ميريوكيفالون ، اضطر السلطان قلج ارسلان الى تجهيز جيش بلغ عدده أربعة وعشرين ألف من الفرسان جعلها تحت قيادة واحد من خيرة قواده وأمرهم بغزو الأراضي البيزنطية ، وظهر السلاجقة فجأة في وادى نهر المايندر ونهبوا ترالس Tralles وفريجيا وأنطاكيا ولوما Louma وبنتاكيير Pentacheir ومدن أخرى . وعندما وجد السلاجقة أن المقاومة ضعيفة وقليلة ، تحول الغزاة إلى الأقاليم الساحلية حيث قاموا بنهبها(١٨٧).

وكان الإمبراطور لا يزال يعاني من صدمة معركة ميريوكيفالون ، فضلا عن حالته الصحية المتدهورة ، التي جعلته لا يستطيع أن يقوم بنفسه بقيادة قواته لصد هؤلاء السلاجقة(١٨٨). لذا فقد عهد إلى حفيده يوحنا فاتاتزيس والقائد قسطنطين دوكاس بالتصدي للقوات السلجوقية وانتظرتهم القوات البيزنطية عند نهر المايندر في كمين عند منطقة هليون Hyelion وليموكيير Leimmocheir ونجحت تلك القوات في إنزال هزيمة ساحقة بالسلاجقة (١٨٩). ودارت معارك أخرى بين البيزنطيين

(186) Vryonis : op . cit ., pp . 125-126 . ; Turan : op . cit ., pp . 243-244 .
(187) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 250-252 . ; Vryonis : op . cit ., p . 126.
(188) William of tyre : op . cit ., vol II p . 415 .
وليم الصوري : الحروب الصليبية ،حـ٤، ص ١٩٨ .
(189) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 252-253 . ; Vryonis : op . cit ., p . 126.

والسلاجقة عند نهر المايندر استطاعت القوات السلجوقية إلحاق الهزيمة بالقوات البيزنطية وطاردوها حتى مدينة لوديكيا (١٩٠)

وقد شهدت السنوات الأخيرة من حياة مانويل أيضا إزدياد انتشار التركمان الرحل الأمر الذى جعل الإمبراطور مانويل يخرج بنفسه للمرة الأولي على رأس جيشه عندما قام بجهود غير ناجحة لطرد التركمان الرحل خارج أقاليم باناسيوم Panasium ولاكريون Lacerion وكراكس Charax (التى تقع بين لامب وجروس جالا Graos Gala) (١٩١).

أما المرة الثانية التي خرج فيها الإمبراطور كانت حينما قام بانقاذ مدينة كلودبوليس Cladiopolis من الحصار الشديد المضروب عليها من السلاجقة (١٩٢) وتعتبر هاتان المعركتان آخر المعارك العسكرية التى دارت بين السلاجقة والإمبراطورية البيزنطية فى عهد مانويل وآخر مناسبتين تولى فيها الإمبراطور قيادة القوات بنفسه .

نشاط بيزنطة فى آسيا الصغرى بين سنتى ١١٨٠م -١٢٠٣ م :

شهد ربع القرن الواقع بين وفاة مانويل ١١٨٠م (٥٧٦ هـ) وسقوط القسطنطينية فى أيدي اللاتين سنة ١٢٠٤م انحسارا للنشاط البيزنطي وتدهورا للسلطة البيزنطية فى أقاليم آسيا الصغرى وفى نفس الوقت ازداد نشاط القبائل التركمانية الذين اندفعوا وهددوا مناطق السيطرة البيزنطية المتبقية فى آسيا الصغرى (١٩٣).

فعندما علم السلطان قلج أرسلان بوفاة الإمبراطور مانويل قام بقيادة جيوشه إلى الأراضي البيزنطية ، التى قامت بالاستيلاء على مدينة سوزوبوليس Sozopolis ، فعاثوا وأخضعوا القرى والمدن المجاورة لها فى الشمال ، كما غزا كوتاهية، كما حاصرت الجيوش السلجوقية مدينة أنطاليا حصارا طويلا وشديدا ، ثم انسحبت عنها (١٩٤).

وبعد وفاة الإمبراطور مانويل ، تولى عرش الإمبراطورية ابنه القاصر ألكسيوس الثانى (١١٨٠-١١٨٣م) الذى كان طفلا صغيرا فى الثالثة عشرة من عمره تحت وصايه أمه ماريا الأنطاكية اللاتينية الأصل ، والتى أحاطت نفسها باللاتين مما

(190) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 254.
(191) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 254-257 . ; Vryonis : op . cit ., p . 126.
(192) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 257-259 . ; Vryonis : op . cit ., p . 126.
(193) Vryonis : op . cit ., p . 126 .
(194) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 340 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 105. ; Vryonis : op . cit ., p . 127 .

جلب عليها كراهية البيزنطيين . كما تركت عشيقها ألكسيوس كومنين بن أخي مانويل يقوم بتدبير أمور الدولة (١٩٥).

واستمر السلاجقة في القضاء على السلطة البيزنطية في آسيا الصغرى حيث نجح السلاجقة في إضعاف مكانة بيزنطة في الجنوب من آسيا الصغرى . كما لم يعد هناك أمل من إرسال الإمدادات الى القوات البيزنطية الموجودة في قيليقية . والعلاقات بين الأرمن والقسطنطينية زادت سوءا تحت ضغط روبين، والتي أسفرت في النهاية عن فقدان الإمبراطورية لقيليقية (١٩٦).

واضطربت الأمور في القسطنطينية سنة ١١٨٣م وثار سكان العاصمة فلجأوا إلى اندرو نيقوس كومنين ابن عم الإمبراطور السابق مانويل كومنين الذى كان مقيما في مدينة أونوى Oenoe الواقعة على البحر الأسود وعندما انطلق من هذه المدينة للمطالبة بالعرش متجها إلى القسطنطينية ، تم سحب القوات العسكرية البيزنطية الرابضة بإقليم بافلاجونيا ومدينة نيقية وثغر تراقسيسيان Thracesian من الحدود الفاصلة (بين الجانبين التركي والبيزنطي) واستخدمت في الحرب الأهلية التى دار رحاها في القسطنطينية . وكان مركز المقاومة الرئيسي ضد اندرونيقوس في مدينة في لادلفيا تحت قياده حنا كومنين فاتاتزيز وبعد أن تمت هزيمته كانت مدن آسيا الصغرى البيزنطية قد دخلت في حرب أهلية شرسة . وكان الدمار الذى حدث بسبب هذه الحرب لا يقل عن الدمار الذى سببته غزوات السلاجقة (١٩٧) ودخل أندرونيقوس العاصمة البيزنطية وتولى حكم الإمبراطورية البيزنطية (١١٨٣-١١٨٥م) بعد اضطرابات وحروب أهلية طويلة (١٩٨).

وعندما ارتقى اندرونيقوس عرش الإمبراطورية ارتكب كثيرا من ضروب القسوة حيث قام بأعمال عدائية ضد كبار الملاك والقادة العسكريين ، فأعدم الكثير منهم مما دفع العديد إلى الهروب إلى آسيا الصغرى حيث ساهموا في إشعال الثورة ضد الإمبراطور اندرونيقوس سنة ١١٨٤م. فإندلعت حركة العصيان والتمرد مرة

---

(195) **Vasiliev** : op . cit ., vol II p . 376 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 379 . ; **Diehl (Charles)** : Histoire de l'empire Byzantin ., p . 166 . ; **Brand (C.M)** : Byzantine Empire History in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 496 . ; **Slobodan (C)** : Komnenoi in Dictionary of the Middle Ages . vol . 7 p . 284 .

أومان : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ٢١١ .؛ سيد أحمد علي الناصري : الروم والمشرق العربي ، ص ٤٢٧ .

(196) **Lilie (R.J)** : Byzatium and the crusader ., p . 224 .

(197) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 340-342 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 127 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 382.

(198) **William of tyre** : op . cit ., vol II p. 467 .

وليم الصوري : الحروب الصليبية ، جـ ٢ ص ٢٨١-٢٨٢ .

Chalandon (F) : op . cit ., p . 382 . ; **Brand (C.M)** : Byzantine Empire History in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 496 .

أخرى في آسيا الصغرى سنة ١١٨٢م في مدن لوباديوم ونيقية وبروسه وطلب الثوار من سلاجقة الروم المساعدة ضد الإمبراطور وقد قام الإمبراطور بالثأر منهم وبعد أن نجح في هزيمتهم قام بالانتقام منهم بطريقة وحشية (١٩٩).

وبعد ذلك قامت أحداث دامية في القسطنطينية انتهت بقتل الإمبراطور اندرونيقوس الذى يمثل آخر أباطرة الأسرة الكومنينية سنة ١١٨٥م واعتلى عرش الإمبراطورية اسحق الثانى انجليوس (١١٨٥-١١٩٥م)(٢٠٠) بعد ان أعلنه شعب القسطنطينية إمبراطورا فى ١٢ سبتمبر ١١٨٥م(٢٠١) غير أن ازدياد أعمال الفوضى والشغب التى قام بها بعض المتمردين فى آسيا الصغرى فى أثناء عهد الإمبراطور اسحق انجليوس فى المناطق المتاخمة لحدود سلطنة سلاجقة الروم ، شجعت السلطان قلج ارسلان على التفكير في غزو حدود الدولة البيزنطية ، ففى سنة ١١٨٦ أرسل السلطان جيشا أسند قيادته إلى الأمير سام Same لغزو الأراضي البيزنطية ، وقد تمكنت القوات السلجوقية من غزو منطقة كلبيانوم Celbianum دون مقاومة تذكر لانشغالهم مع الإمبراطور اسحق ، كما تمكن السلاجقة من أسر أعداد كبيرة من السكان البيزنطيين وغنموا غنائم كثيرة (٢٠٢).

والحقيقة أن النشاط السلجوقي فى التقدم فى أراضي الإمبراطورية البيزنطية كان نشيطا ولم يقابله نشاطا بيزنطى ذو فاعلية يوقف هذا التقدم . ولقد أرسل السلطان السلجوقي قلج ارسلان خطابات مختلفة إلى أصدقائه فى المنطقة ، وكان من بينهم المؤرخ والبطريرك ميخائيل السريانى والذى كان يعيش فى دير برصوما بمدينة ملطية ، حيث ذكر له أنه استولى على اثنين وسبعين موقعا من البيزنطيين منذ بداية عهد اسحق انجليوس (٢٠٣). كما ذكر ابن جبير أن سلاجقة الروم بآسيا الصغرى فتحوا فى عام ١١٨٤م (٥٧٩هـ) من بلاد الروم نحو الخمسة وعشرين بلدا (٢٠٤).

(199) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 364-365 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 127 . ; **Brehier** : Vie et Mort de Byzance ., p . 347 . ; **Vasiliev** : op . cit ., vol II p . 441 . ; **Chalandon (F)** : op . cit ., p . 383 .

(200) **Vasiliev** : op . cit ., vol II p . 438. ; **Chalandon (F)** : op . cit ., pp . 383-384 . ; **previte** : op . cit ., p . 542 . ; **Slobodan (C)** : Komnenoi in Dictionary of the Middle Ages . vol . 7 p . 284 . ; **Brand (C.M)** : Byzantine Empire History in Dictionary of the Middle Ages ., vol . 2 p . 496 .

(201) **Carles (M.B) & Anthony (C)** : Isaac Angelos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 1012 .

(202) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 280-281 . **Vryonis** : op . cit ., p . 127 .

(203) **Michel le Syrien** : op . cit .,vol III pp . 394-395 . ; **Turan (Osman)** : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., pp . 77-78 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 129 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 106 .

(٢٠٤) ابن جبير : " رحلة ابن جبير " (بيروت-١٩٧٩م) . ص ٢٠٧ .

وفى سنة ١١٨٦ أو ١١٨٧م قرر السلطان قلج أرسلان تقسيم أقاليم مملكته بين أولاده محتفظا فقط لنفسه بالعاصمة قونية [٢٠٥] .وحينما فعل ذلك، نشبت المنازعات بين أبنائه [٢٠٦] .

وبعد ذلك بسنوات قليلة (١١٨٨-١١٨٩م) قام حاكم مدينة فيلادلفيا ثيودور مانجافاس Theodor Mangaphas بالثورة ضد الإمبراطور إسحق وأثار مدينة ليديا بآسيا الصغرى ضده وثبت مركزه . حتى أنه ضرب عمله فضية بإسمه وكانت تحمل صورته . ولقد قام الإمبراطور اسحق انجليوس بحملتين تمكن بهما من القضاء على هذه الثورة . ولكن ثيودور تمكن من الهروب إلى بلاط السلطان السلجوقى الذى رفض أن يقدم للثائر جيشا ربما لأن الأوضاع الداخلية لم تسمح بذلك ، وبدلا من ذلك أمده بفرق من التركمان المغامرين الذين يعشقون السلب والنهب ، وقد تمكن الثائر إليوناني من الهجوم على فيلادلفيا ولوديكيا وأقاليم كاريا Caria وخوناى وأشعل النار فى المحاصيل الزراعية وأجران الحنطة ، ثم عاد إلى قونية ، ولم يكن أمام الإمبراطور اسحق إلا استخدام الدبلوماسية حيث أرسل مبعوثين إلى السلطان السلجوقى كيخسرو الذى تولى السلطنة مرتين بعد وفاة والده سنة (١١٩٢-١١٩٦م) و (١٢٠٤-١٢١٠ م) وقدموا له الأموال والهدايا الكثيرة لتسليم المتمرد ، وبالفعل تم تسليم المتمرد للبيزنطيين شريطةعدم قتله أو تشويهه [٢٠٧].

وقد استغل الإمبراطور اسحق انجيلوس النزاع الذي قام بين أبناء قلج أرسلان وقام بنشاطه العسكري ضد السلاجقة الذين كانوا فى الشمال الغربى من آسيا الصغرى وتمكن من طردهم خارج هذه المنطقة ، ثم قام ببناء قلعة انجيلوكاسترم Angelocastrum، لصد القبائل التركمانية من الهجوم على هذه المنطقة ، وقد سجلت الوثائق الكنسية قيام الإمبراطور انجليوس بإعادة بناء بعض الأديرة والكنائس فى لاتريوس Mt.Latrus فى ثغر ميلاسا Mylasa وميلانوديوم Melanoudium والتى كان الترك هدموها من قبل [٢٠٨].

وفى عهد الإمبراطور اسحق انجليوس أيضا وبالتحديد فى سنة ١١٩٢م نشبت عدة ثورات فى بعض أقاليم آسيا الصغرى فى وادى نهر المايندر و بافلاجونيا وبيثينيا ، إذ قام أحد الثائرين إليونان البسيدوليكوس Pseeudoalexius(لقب أو كنية يونانية) بالثورة والتعاون مع سلطان قونية حيث دعمه السلطان بجيش يبلغ

(205) Bosworth (C.E) : Saldjuks of rum in Dictionary of the Middle Ages. vol II p. 157 .

(٢٠٦) الذهبي : " العبر فى خبر من غبر " (بيروت-١٩٨٥) ، جـ ٣ ، ص ٩٧-٩٨ .

(207) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 521-524 . ; Vryonis : op . cit ., p . 128 .
(208) Vryonis : op . cit ., p . 128 .

ثمانية آلاف من التركمان الرحل يقودهم أرسانس Arsanes (من سكان مدينة أرمالا Armala)حيث قامت بغزو أراضي المسيحيين على طول نهر المايندر ، ثم نهبوا أيضا مدينة خوناي، كما قاموا بتدمير إحدى الكنائس العظيمة المطعمة بالفسيفساء ومذبح الكنسية وحطموا ودمروا القرى المختلفة وأحرقوا المحاصيل الزراعية وقد انتهت الثورة بوفاة زعيمها على يد قس من مدينة بيزا (٢٠٩).

والحقيقة كان هناك العديد من الثورات التي قام بها المتمردون إليواليونان في مناطق النفوذ البيزنطي في آسيا الصغرى والتي ساندتها ودعمتها سلطنة قونية بغرض إضعاف السلطة البيزنطية . لكن المؤرخين في حولياتهم التاريخية قللوا من الإشارة إلى ذكرها فلم يتناولوها بشكل تفصيلي واكتفوا بذكرها في كلمات قليلة (٢١٠) .

وفي سنة ١١٩٥م حدث انقلاب في العرش البيزنطي أطاح بالإمبراطور إسحق أنجليوس، وتولى الحكم خلفا له أخوه ألكسيوس الثالث انجليوس (١١٩٥-١٢٠٣م) (٢١١) وفي بداية حكم هذا الإمبراطور قامت عدة ثورات قام بها المتمردون إليونان مما شجع أمير أنقره السلجوقي على الإغارة على بعض الحصون والقلاع التابعة للإمبراطورية البيزنطية ، مما دفع الإمبراطور ألكسيوس إلى لتحرك لإخماد هذه الثورة ، غير أنه لم يستطع القبض على الثائر إليوناني بعد ان اشتبك معه في حرب لمدة شهرين واكتفى بإحراق بعض الحصون التي صمدت في مساعدة الثائر كما استغل أمير انقرة اضطراب أحوال الإمبراطورية البيزنطية وقام بحصار مدينة داديبرا Dadybra لمدة أربعة شهور حتى استسلمت له سنة ١١٩٦م وهجرها السكان إليونانيون واستبدلوا بمستوطنين مسلمين (٢١٢).

استمر التوسع السلجوقي في آسيا الصغرى في مناطق النفوذ البيزنطي ، وحدث أن قام السلطان كيخسروا الاول (١١٩٢-١١٩٦م ، ١٢٠٤-١٢١٠م) بالاستيلاء على هدية من السلطان الأيوبي إلى الإمبراطور البيزنطي ألكسيوس انجليوس كانت منقولة عبر آسيا الصغرى .فقام ألكسيوس ردا على ذلك باعتقال ومصادرة أموال التجار الأتراك القادمين من قونية إلى القسطنطينية كما قام السلطان

---

(209) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 549-553 . ; Vryonis : op . cit ., p . 128-129-p. 190 . ; Wittek (Paul) : op . cit ., p . 297 .

(210) Vryonis : op . cit ., p . 129 .

(211) Vasiliev : op . cit ., vol II p . 439 . ; Jorga (N) : The Byzantine Empire ., p . 167 . ; Previte : op . cit ., p . 542 . ; Carles (M.B) & Anthony (C) : Isaac Angelos in the Oxford Dictionary of Byzantium ., vol . 2 p . 1012 .
عبد القادر أحمد إليوسف : الإمبراطورية البيزنطية (صيدا-بيروت١٩٦٦) ، ص ١٥١ .

(212) Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 608-610-624-626 . ; Vryonis : op . cit ., p . 129 .

كيخسروا بغزو وادى نهر المايندر ونهب عدد من المدن وأسر العديد من سكان مدن كاريا وتانتالوس Tantalus الذين بلغ عددهم خمسة آلاف .وأراد السلطان فتح مدينة انطاكيا فى اقليم فريجيا ، غير أن احتفال أحد نبلاء المدينة بزفاف ابنته وتعالى أصوات الطبول والدفوف والموسيقى جعلت السلطان يتراجع لظنه أنها أصوات موسيقى عسكرية لحامية المدينة (٢١٣).

وعندما علم الإمبراطور ألكسيوس انجليوس بذلك أرسل جيشا تحت قيادة اندرونيقوس دوقاس لمهاجمة الترك ، حيث نجح فى الإيقاع بتركمان الامير أرسانس Arsanes وقتل الكثير منهم . كما توجه الإمبراطور ألكسيوس على رأس جيش آخر إلى مدينة نيقية وبروسه لحمايتها من هجمات التركمان القاطنين فى منطقة باثز Baths (٢١٤).

وكانت سلطنة السلاجقة تعمل على مساعدة أية ثورة ضد البيزنطيين بغرض زعزعة النفوذ البيزنطي وهو ما حدث عندما قام متمرد بيزنطي يدعى ميخائيل وهو من موظفى جباه الضرائب فى منطقة ميلاسا Mylasa بالثورة على الإمبراطور ألكسيوس سنة ١٢٠١م ، وبعد أن أنزل به الإمبراطور ألكسيوس الهزيمة لجأ إلى السلطان السلجوقي ركن الدين قلج أرسلان (١١٩٥-١٢٠٤ م) -والذي كان يحكم جزء من أملاك والده فى آسيا الصغري -فأمده بجيش استطاع به نهب وادي نهر المايندر (٢١٥)

وقد أتيحت الفرصة للدولة البيزنطية للقيام بنشاط آخر غير النشاط العسكري فى آسيا الصغرى عندما تجدد الصراع عقب تقسيم قلج أرسلان لمملكته بين ورثته واحتدم النزاع بين ركن الدين سليمان شاه وأخيه السلطان كيخسروا الاول على عرش السلطنة والذى انتهى بانتصار ركن الدين وفرار أخيه كيخسروا إلى أرمينية ثم حلب إلى أن استقر به المقام فى العاصمة القسطنطينية، وطلب من الإمبراطور ألكسيوس مساعدته فى استعادة السلطة . وقضى السلطان المخلوع فى العاصمة البيزنطية ثلاث سنوات (١٢٠٢-١٢٠٤م) حيث عاش فى كنف الإمبراطور الذى شمله بعنايته حتى انه تزوج فتاة يونانية (٢١٦).

---

(213) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 653-657 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 129 . ; **Cahen** : Le commerce anatolien au debut du XIIIE siecle Turcobyzanyina XII ., p . 92 . ; **Turan** : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., p . 90 . ; **Turan (Osman)** : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " ., p . 245 .

(214) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 657-658 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 130 .

(215) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 700-701 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 130.

(٢١٦) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٣-٢٣٤ . ؛ ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦٠ . ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ . ؛ الأقسراي : " مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار "

ولم يحصل السلطان المخلوع على المساعدة من الإمبراطور ألكسيوس الثالث. ولم يقم البيزنطيون بأى نشاط عسكري أو دبلوماسي لاستعادة آسيا الصغرى، وكان القرن الثالث عشر يحمل صوتا لبعض العناصر القوية التى مازالت فى الإمبراطورية ، ولكن قبل أن يتمكنوا من السيطرة على مقاليد الإمبراطورية وتأكيد الأمور فيها سقطت القسطنطينية في يد الصليبيين سنة ١٢٠٤م والذين قاموا بالحملة الصليبية الرابعة (٢١٧). وبذلك يكون النشاط البيزنطي قد فشل فى استعادة آسيا الصغرى هذا النشاط الذي لم ينقطع طوال القرن الثاني عشر الميلادي .

والحقيقة أن العثمانيين وجدوا الطريق ممهدا بفضل ما قام به أمراء السلاجقة الروم وبنى دانشمند في آسيا الصغرى حتى أصبح الطريق ميسرا وممهدا لسقوط الدولة البيزنطية (٢١٨).

كما أن أباطرة الدولة البيزنطية على ما يبدو لم يستفيدوا من الكتاب القيم الذي ألفه المؤرخ والإمبراطور البيزنطى قنسطنطين السابع بورفيروجينيتوس Constantin VII Porphyrogentus عن إدارة الإمبراطورية البيزنطية De Administrando Imperio والذي هدف منه وضع خبراته وخبرات الآخرين فى شئون الحكم والسياسة لتكون هاديا للأباطرة من بعده ، ولم يأخذوا بنصيحته حينما ذكر وقت تإليفه أن المدن الثلاث وهى خلاط وأرزن وبيركرى ضمن ممتلكات الرومان وإن أى جيش فارسي فى عصره لا يستطيع مهاجمة البيزنطيين ، لأن هذه المدن تقع بين بلاد الرومان وأرمينيا وتصلح لتكون خط دفاع أمامي يعرقل الجيوش ويمنعها من التقدم (٢١٩) بل أن الأباطرة البيزنطيين ضموا أرمينية إلى حوزتهم وبذلك فقدوا خط دفاع ربما لو كان باقيا وقت وصول السلاجقة لتغير الأمر .

وبذلك لم يفلح النشاط البيزنطي طوال القرن الثاني عشر الميلادي من استعادة آسيا الصغرى إلى أحضان الدولة البيزنطية إلى الأبد .

ص ٣١ . ؛ ابن خلدون : تاريخ بن خلدون ، جـ٥ ، ص ١٩٢ . ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، (بيروت ١٩٩٢م) ص ٢٢٣ . ؛ زبيدة عطا : المرجع السابق ، ص ١١١ .

(217) Chalandon (F) : op . cit ., p . 384 .
(218) Wittek (Paul) : op . cit ., pp . 289-290 .
(219) Porphrogenitus (Constantine) : De Administrando imperio English trans By R.J.H Jenkins (Buddapest 1949) p . 156 . ; Porphrogenitus (C) : De Administrando vol II (commentary) by F.Dvornik and others . (London-1962) p . 167-170 .

الباب الثانى

"الأوضاع الحضارية فى آسيا الصغرى"

الفصل الأول: الحياة الدينية فى آسيا الصغرى.

الفصل الثاني: الحياة الاجتماعية فى آسيا الصغرى.

الفصل الثالث: النشاط الاقتصادى فى آسيا الصغرى.

الفصل الرابع: الحياة الفكرية فى آسيا الصغرى.

الفصل الخامس: العمارة والفنون فى آسيا الصغرى.

الفصل الأول

الحياة الدينية فى آسيا الصغرى

- الديانات الموجودة فى آسيا الصغرى.
- انتشار الإسلام فى آسيا الصغرى.
- انتشار ظاهرتى التصوف والفتوة فى آسيا الصغرى.

الديانات الموجودة في آسيا الصغرى :

عرفت آسيا الصغرى المسيحية منذ فترة مبكرة نتيجة لجهود القديس بولس التبشيرية [1]. والحقيقة أن المسيحية انتشرت بشكل كبير في آسيا الصغرى حيث كانت معاقلها الكبرى تنتشر على طول الأناضول متمثلة في المباني والأديرة المسيحية اليونانية (البيزنطية) بأشكال وتصميمات مختلفة حتى على أرض أرمينيا وطرابيزون ومعظم آسيا الصغرى تقريباً [2] .

غير أن المسيحيين واجهوا الرومان وعانوا من اضطهاداتهم الدينية إبان حكم الإمبراطورية الرومانية التي رأت في المسيحية ثورة اجتماعية تعمل على تقويض أركان المجتمع الروماني ونظمه وتقاليده ، وهناك وثيقة تاريخية تناولت اضطهاد المسيحيين وتصور ما لاقوه من أجل العقيدة ، وهي خطاب كتبه بليني الأصغر Pliny the younger حاكم بيثنيا في آسيا الصغرى إلى الإمبراطور تراجان(٩٨ - ١٠١٧ م) جاء فيه أنه أطلق سراح كل الذين قدموا القرابين وأحرقوا البخور أمام تمثال الإمبراطور ، أما أولئك الذين رفضوا وأصروا على مسيحيتهم فقد نفذ فيهم حكم الإعدام [3].

وقد بلغ الاضطهاد أقصاه في عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤-٣٠٥م) حيث لم يطق دقلديانوس أن يرى في المسيحيين جماعة منفصلة عن جسد الدولة ، لا تخضع له ، ولم يلبث أن أمر بحرمان معتنقيها من البقاء داخل جدران قصره أو في جيشه ، ووجه ضرباته أولاً إلى المسيحيين في الدوائر الحكومية والوظائف العامة والخدم في القصر الإمبراطوري . وأعقب ذلك أن أصدر مرسوماً في نيقوميديا في ٢٣ فبراير ٣٠٣م تضمن إجراءات مشددة بموجبها تم تدمير الكنائس المسيحية وأحرقت الكتب المقدسة ، وقبض على رجال الدين بمختلف طبقاتهم ، ولا يفرج عنهم إلا بعد أن يقدموا القرابين للإمبراطور ، وقبض على عدد كبير من المسيحيين وقعوا تحت طائلة التعذيب وجرى تنفيذ حكم الإعدام بصورة كبيرة حتى أطلق على هذا العصر " عصر الشهداء " [4].

---

(1) Hamilton (J.A) : Byzantine Architecture and Decoration . , p . 101 .

(2) Thierry (N) : L'art monumental Byzantine En Asia Mineure Du XI e Siecle Au XIV in Dumbarrton oaks papers No. 29 (1975) pp – 74 – 125.

(3) محمود محمد الحويري : رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية (الطبعة الثانية – ١٩٩٣)، ص ٥٩-٦٠.

(4) رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، الجزء الثاني (الطبعة الثانية – ١٩٨٢) ، ص ٤٦-٥٣.

وعلـى الرغـم مـن أن الديانـة المسـيحية أحـرزت أكـبر انتصـار باعـتراف الإمبراطور قنسطنطين بالمسيحية (٣٠٦-٣٣٧م) كأحد الأديان المعترف بـها فـي الإمبراطورية الرومانية في مرسوم ميلان الذي أصدره في سنة ٣١٣م . Edict of Milan . ولكن بسرعان ما نشأ الخلاف حـول طبيعة المسيح ، و تدخـل الأباطرة فـي هذا الخلاف بدايـة مـن الإمبراطور قنسطنطين . ومـن أجـل ذلـك عقدت المجامع الدينية التي نشأ عنها خلاف حاد بين الكنائس كما تعددت المذاهب الدينية وكثر تابعوها [٥].

ولم تكن المسألة العقيدية تشغل فكر رجال الدين و الساسة و الطبقة المثقفة فحسب ، بل شارك فيها بالوعي حيناً وباللاوعي أحايين الأباطرة ودوائر القصر ودور الحكومة والجيش وفرق المضمار ورجل الشارع . ويدل على ذلك ما كتبه شاهد عيان في النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي وهو اللاهوتي القبادوقي الشهير جريجوري أسقف نيسا Gregorius Nysaeus حيث يقول : "لقد امتلأ كل شيء بأولئك الذين يتحدثون بغوامض الكلم وازدحمت بهم الطرقات والأسواق والأزقة ، فإذا ما سألت عما يجب أن أدفعه ثمناً لشيء ، فلسفوا لي الإجابة حول المولود والمخلوق ، وإذا ما رغبت في الوقوف على ثمن الخبز ، أجابني البائع بأن الأب أعظم من الابن، وإذا ما بحثت عما إذا كان حمامي قد أعد جاءتني الإجابة تقول أن الابن خلق من العدم "[٦].

والحقيقة أن المجتمع البيزنطي عموماً كان مجتمعاً عقائدياً بطبيعة تكوينه ، ولهذا فلقد كان للعقيدة آثارها البالغة في كافة المجالات ، وكانت بيزنطة أيضاً تجسيداً واقعياً لحقيقة ما أطلق على العصور الوسطى من أنها عصر الإيمان حيث تغلغلت المسائل العقيدية في الشئون السياسية والأحوال الاقتصادية والنواحي الاجتماعية ، وقد عبر عن ذلك المؤرخ المحدث نورمان بينز بالقول : " كانت الهوايات والنزعات دينية ، وكانت الأمور من سياسية واجتماعية تلبس ثوباً دينياً . لقد كان البيزنطي يعيش في عالم تملأه وتسيطر عليه القوى الخفية . وكانت عطلاته أعياداً دينية ، وألعابه في الملعب تستهل بالتراتيل ، وعقوده التجارية تتسم بعلامة الصليب ، أو تحتوى على ابتهال للثالوث المقدس . وإذا أراد أن يستخير الله في شيء لم يفعل ذلك إلا عن طريق النساك أو طريق الرؤى التي يتمثل فيها القديسون الأموات ، وكان يتخذ من التمائم المقدسة تعاويذ له . ويرى في الغبار المحتوى

---

[٥] محمود محمد الحويري : رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية، ص ٣٨-٤٥ ، ٧٨-٨٠ .

[٦] رأفت عبد الحميد : الدولة والكنيسة ، جـ ٢ ص ٦ .

على قطرة عرق انحدرت من جسم قديس من الذين ماتوا على الأعمدة أنجع دواء عنده .... وكل حادثه مروعة في الطبيعة فهي إما نذير أو بشير ليثنيه أو يحفزه .... وكان ميله إلى اللاهوت يظهر في كبار الأمور وصغارها ، لقد ثار الجيش مرة يطلب إلى الإمبراطور قنسطنطين الرابع (٦٦٨- ٦٨٠م) أن يشرك في الحكم أخويه هرقل وتبيريوس Tibiruis ، ولما سألهم الإمبراطور لم يريدون ذلك أجابوه قائلين : " لأننا نؤمن بالثالوث فلنتوج أباطرة ثلاثة " [٧] .

وكانت آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومنطقة الجزر وأجزاء من البلقان تعتبر القلب النابض للإمبراطورية البيزنطية في عصرها الوسيط ، ومن هنا لم يخل إقليم واحد من الرهبان [٨] .

واستمر الخلاف بين المسيحيين حول طبيعة المسيح هل هي إلهيه أم بشرية أم أن للمسيح طبيعتين لاهوتية – ناسوتية ، واحتدم الخلاف بين كنائس القسطنطينية وأنطاكية والإسكندرية وأرمينية ، وعقدت المجامع الدينية في خلقدونيه ونيقيه والقسطنطينية وأفسوس [٩].

وفي هذا الصدد يقول أيضا هيلارى أحد الأساقفة اليونانيين الذين نفوا إلى فريجيا بآسيا الصغرى : " إنه من المؤسف والخطير على السواء أن هناك من العقائد بين الناس بقدر ما يعتنقون من آراء ومن المذاهب مالهم من اتجاهات وميول ، وأن هناك من دواعي الكفر بقدر ما ترتكب من أخطاء ، وذلك أننا نصنع العقائد على هوانا ونفسرها بالطريقة عينها ، فالمجامع المتعاقبة تنبذ الطبيعة الواحدة ثم تقبلها ، ثم تهون من شأنها ، وقد أصبح التشابه الجزئي والكلي بين الأب والابن موضع جدل ونقاش في هذه الأيام التعسة وفي كل سنة ، بل وفي كل شهر نصنع عقائد جديدة ، لنفسر بها غوامض خفية ، ونندم على ما فعلنا وندافع عن النادمين، ثم نصب اللعنة على أولئك الذين دافعنا عنهم . ندين بمذهب الآخرين في أنفسنا، أو ندين مذهبنا في الآخرين، ويمزق بعضنا بعضا، ومن ثم فقد كان مناسبا في هلاك الآخرين"[١٠].

---

[٧] بينز (نورمان) : الإمبراطورية البيزنطية ، ترجمة د . حسين مؤنس ،محمود يوسف زايد (القاهرة ١٩٥٧ م) ، ص ١٧-٢٣ .

[٨] هسي (ح.م) : العالم البيزنطي ، ص ٢٨٢ .

[٩] انظر : رأفت عبد الحميد: الدولة الكنسية ، ٣ أجزاء .

[١٠] جيبون (أدوارد) : اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها الجزء الأول نقله إلي العربية محمد علي أبو درة ، راجعه أحمد نجيب هاشم ، (القاهرة – ١٩٦٩) ، جـ ١ ص ٦١٨-٦١٩ .

والواقع أن الدولة البيزنطية كانت متعددة اللغات والجنسيات ، فإلى جانب العناصر اليونانية كان يوجد السلاف والألبانيون واللاتين واليهود والسريان والمسلمون والأرمينيون والجورجيون ، إلا أن المسيحيين الأرثوذكس كانوا يمثلون الغالبية العظمى . ثم إن آسيا الصغرى التي كانت تمثل قوة الدولة البيزنطية كانت متعددة اللغات والجنسيات ، وكان إقليم قبادوقيا متأثرا بالهلينية كما وجدت مستعمرات الأرمن واليهود فى غرب آسيا الصغرى (١١).

والحقيقة أن الكنيسة فى آسيا الصغرى كانت تتبع الكنيسة البيزنطية فى القسطنطينية ، باستثناء الكنيسة الأرمينية التى اتخذت موقفا منفردا فى موضوع طبيعة المسيح حيث أخذت بمبدأ الطبيعة الواحدة (الطبيعة الإلهية للمسيح) (١٢)، كما رفضت مقررات مجمع خلقدونيه سنة ٤٥١ م ، واتخذت موقفا عقائديا مستقلا ، الأمر الذي أدى إلى تفجر الخلافات والمشاكل فى العلاقات مع بيزنطة (١٣).

وعندما تم إلحاق الأراضي الأرمينية بالإمبراطورية البيزنطية في القرن العاشر الميلادي كانت عملية تشتيت السكان كبيرة ، وأعقب ذلك مشاكل دينية كبيرة بسبب إصرار البيزنطيين على فرض وجهة النظر الأرثوذكسية فى العقيدة المسيحية على الأرمن ، وفى مقابل ذلك رفض الأرمن وقاوموا بشدة ، ونشأ عن ذلك تجاوزات كثيرة من الطرفين (١٤).

وعندما انتقلت أرمينية مكرهة لحكم بيزنطة ، كانت تتوقع أن تعامل معاملة حسنة من قبل أسيادها الجدد لعلها تتناسى الماضي البغيض . والحقيقة أنه لم يدر فى خلد أرمينية أنها ستنتقل من سيئ إلى أسوأ ، فمنذ أن وطد البيزنطيون أقدامهم فى أرمينية أخذوا يعاملون الأرمن باحتقار ، وفرضوا عليهم ضرائب فادحة أثقلت كواهلهم . ثم أخذوا يتآمرون على حياة الأسر الأرمينية النبيلة ، فدبروا لها المقالب لقتل أفرادها بالحديد والسم والنار ، واعتقلوا خيرة الزعماء وفرضوا عليهم رقابة شديدة لمنع الاتصال بهم حتى لم يعد أحد من المواطنين واثقا من أن يعيش لغده . هذا فضلا عن احتقارهم للأرمن بداعي أن طقوس كنيستهم تختلف عن طقوس الكنيسة البيزنطية (١٥) وبعد استيلاء بيزنطة على الأقاليم الأرمينية قامت بإنشاء

---

(11) **Vryonis** : Byzantium : its internal history and relations with the Muslim world . , pp . 167-168 .

(١٢) انظر الفصل الأول من الكتاب، حاشية رقم

(13) **Der Nersessian (s)** : The Armenians , pp . 76-78 . ; **Lang (D.M)** : Armenian cradle of civilization , pp . 169-171 ; **Pasdermadjan** : Histoire De L'Armenie Depuis les origines Jus qu'au traite de lausanne , pp .76-78

(14) **Charanis (P)** : cultural diversity and the Breakdown of Byzantine power in Asia Minor – in Dumbarton oaks papers ., p . 19 .

(١٥) عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ١٢٦ .

الأسقفيات الأرثوذكسية ، حتى أنه عندما أتم البيزنطيون إحكام سيطرتهم على أرمينية كان عدد الأساقفة الأرثوذكس فيها واحدا وعشرين أسقفا (١٦).

والحقيقية إن ما قام به البيزنطيون ضد الأرمن من استخدام القوة في فرض المذهب الخلقدوني وهو مذهب الطبيعتين وفرض الضرائب والاضطهادات المتلاحقة ، قد سهل هذا كله من مهمة السلاجقة في فتح آسيا الصغرى .

لكن الخلاف الديني بين كنيسة القسطنطينية والكنيسة الأرمينية استمر بين الطرفين ، وعملت الحكومة البيزنطية على فرض سيطرتها على الإمارات الأرمينية بنشر المذهب الأرثوذكسي بين الأرمن والسريان ، ولقد تجدد الاضطهاد لهذه العناصر الدينية مرة أخرى سنة ١٠٢٩م، وسنة ١٠٣٠ م ، حيث قامت حكومة القسطنطينية باستقدام القسس السريان لحضور مجمع ديني في القسطنطينية ، وفشل اليونانيون (البيزنطيون) في إجبارهم على الاتحاد الديني ، وتم نفي البطريرك السرياني جاكوبيت Jacobite إلى مقدونيا . كما هرب البطريرك الجديد الذى خلفه حيث هرب من الإمبراطورية البيزنطية وأقام فيAmida بين المسلمين ليصبح حرا بعيدا عن السلطات البيزنطية ، ولقد تبع ذلك حركة اضطهادات واسعة للسريان خاصة في مدن انطاكية وملطية (١٧) .

وهكذا فإن جهود كنيسة القسطنطينية قد استهدفت فرض الاتحاد الديني على كل من الأرمن والسريان ، وفي سنة ١٠٤٠ م أصبح الموقف بين اليونانيين والسريان في مدينة ملطية شديد التوتر لدرجة أن لبطريرك القسطنطينية قولا صريحا في موضوعات الميراث ، فقد منع الزواج المختلط بين الأرثوذكس والمونوفيزيتيين وفي شهادة المونوفيزيتيين في المحاكم وكان ذلك كله نوع من التسلط من قبل البيزنطيين للحد من الحقوق الدينية للسريان (١٨).

وهنا نلاحظ أن محاولات فرض الوحدة الدينية على السريان والأرمن قد وصلت إلى ذروتها في عهد الإمبراطور قنسطنطين العاشر دوقاس (١٠٥٩ - ١٠٦٧م)، ففي سنة ١٠٦٣ أصدر قرارا يقضي بطرد هؤلاء الذين لم يوافقوا على المذهب أو الإيمان الخلقدوني واعتناق الأرثوذكسية من المدينة البيزنطية ملطية ، وبعد ذلك بأشهر قليلة أمر بإحراق الكتب والمؤلفات المقدسة الغامضة للأرمن والكنائس السريانية (١٩).

---

(16) **Diehl (C)** : Byzantium : greatness and decline ., p . 76 .
(17) **Vryonis** : op.cit ., pp . 169-170 ; **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., p . 92 .
(18) **Vryonis** : Byzantium : its internal history ., p . 170 .
(19) **Vryonis** : Byzantium : its internal history ., p . 170 .

وبلغ من شدة العداء الديني بين الأرمن والبيزنطيين أن المؤرخين المعاصرين من الأرمن مثل متى الرهاوي يظهرون ارتياحهم للكارثة التي حلت بالبيزنطيين في مانزكرت ، بل لقد بلغ الأمر إلى مديح ملكشاه والإطراء عليه لما حققه من راحة بال الأرمن (٢٠).

كما قامت حكومة القسطنطينية بحركة اعتقال كبيرة لرجال الدين الأرمن والسريان الذين لم يوافقوا على مجمع خلقدونية وأحرقوا الكثير من الكنائس والأديرة (٢١).

ولم يقف الأرمن مكتوفي الأيدي ، فقد قام الأمير جاجيك الثاني ملك آن السابق باضطهاد اليونانيين في قبادوقيا ، وقام بذبح الأسقف اليوناني في قيصرية ، ويذكر متي الرهاوي الذى سجل أن الأمير الأرميني قبض على المطران ووضعه في جوال محكم مع كلب شرس أسماه أرمن Armen – لكره الأرمن لليونانيين – حتى الموت (٢٢) . لكن رد بيزنطة على ذلك كان بقتله سنة ١٠٧٩م ، لارتكابه هذه الجريمة النكراء وهي اغتياله رئيس أساقفة قيصرية(٢٣).

ولقد تولدت روح العداء بين البيزنطيين والأرمن لإصرار البيزنطيين على فرض الاتحاد الديني ، ولقد ظهر هذا العداء واضحا في مدينة سيواس عندما هاجمها السلاجقة عام ١٠٥٩ م ، إذ تخلى الأمراء الأرمن وقواتهم عن الدفاع عن المدينة وتركوها لمصيرها (٢٤).

وبعد ذلك بعشر سنوات تقريبا عندما مر الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينيس بآسيا الصغرى للقيام بحملته على الشرق ، تقدم إليه السكان البيزنطيون في مدينة سيواس بالشكوى بأن الأرمن كانوا شديدي القسوة وعديمي الرحمة على اليونانيين أكثر من الأتراك أنفسهم ، ولذلك فقد أمر رومانوس قواته بمهاجمة مدينة سيواس التي يقطنها غالبية من السكان الأرمن للانتقام من الأرمن ، ثم أقسم أن يقضي على العقيدة الأرمنية تماما (٢٥).

---

(٢٠) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ص ٩٦ .

(21) **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., p . 92 .

– إستارجيان (لـ.ت) : تاريخ الأمة الأرمينية ،ص ٢١٠ .

(22) **Vryonis** : Byzantium., p . 171 .

(23) **Runciman** : A history of the crusades ., vol . 1 . p . 73 .

– رنسيمان : الحروب الصليبية . جـ ١ ص ١٢٣ .

(24) **Matthieu d'Edesse** : Extraits de la chronique de Matthieu d'Edesse ., pp . 111-117 . ; **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., p . 91 .

(25) **Matthieu d'Edesse** : op.cit ., pp . 166-167 . ; **Michel le Syrien** : Extrait de la chronique de Michel le Syrien . patriarch d. Antioche (1166-1199) editee et traduite en francais par J-B chabot ., p . 323 . ; **Vryonis** : op.cit., p. 93 . ; **Vryonis** : Byzantium., pp . 171 –172 .

وفي مدينة قيصرية اتخذ القس مرقص رئيس الأساقفة البيزنطي سياسة عدائية مع المهاجرين الأرمن بغية إجبارهم على اعتناق الأرثوذكسية، كما كان يعلن دائما وبشكل صريح احتقاره للعنصر الأرمني(٢٦).

وبالإضافة إلى ذلك التوتر بين اليونانيين والأرمن من ناحية ، وبين اليونانيين والسريان من ناحية أخرى كان هناك نزاع بين السريان والأرمن في إقليم ملطيه حيث قام الأرمن باقتحام الأديرة السريانية ، وهاجموا السكان السريان في مناطق الريف ، واستولوا على بعض الأماكن الدينية كما هاجموا الدير السرياني الشهير دير مار برصوما Mar Bar Sauma (٢٧).

ولا شك أن الصراعات الداخلية والتوتر الديني والعنصري الذي عاني منه السكان في مجتمع آسيا الصغرى كان عاملا غير مباشر لانتشار الإسلام ، وقد فتح الطريق أمام السلاجقة لفتح آسيا الصغرى .

والحقيقة أن الترك الوافدين على الأناضول قد التقوا بإخوان لهم من الغز والبجناك نصارى ، ومانويين وشامانيين كانوا في الأصل جنودا مرتزقة في الجيوش البيزنطية ، ثم رأت بيزنطة لأغراض دفاعية أن تنقلهم من مواطنهم في البلقان إلى الأناضول (٢٨) . وكانت الديانة الشامانية (٢٩) هي الديانة الوثنية للقبائل التركية عموما

أما عن عنصر البجناك (البشناق) الذى وجد في آسيا الصغرى فتشير بعض المراجع إلى أنهم اعتنقوا الإسلام واتخذوه دينا لهم في مرحلة من مراحل حياتهم(٣٠). كما اعتنق البجناك أيضا الديانة المسيحية بعد أن قامت الإمبراطورية البيزنطية بتعميدهم(٣١).

---

(26) Matthieu d'Edesse : op.cit.,pp.152-153 . – Morgan (J) : Histoire Du peuple Armenien ., p.153 .
(27) Michel le Syrien : op.cit., vol III pp.162-164 .

– ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٠٧ .

(٢٨) محمد فؤاد كوبريللي : المرجع السابق ، ص ١٢-٧٩ .

(٢٩) تظهر العقائد الشامانية في مراسم الجنائز والدفن عند الأتراك ، وهذه العقيدة حد فاصل بين ديانة الشعوب البدائية وديانة الشعوب المتحضرة ، وذلك أن الشامانية وما شابهما من ديانات البدائيين لا تقوم على أسس أخلاقية وليس معني إيمانهم باليوم الآخر أنهم يؤمنون بالحساب وبأنهم سيسألون عما يفعلون ، ولذلك فإن القاتل عندهم لا يخاف عقابا يوم القيامة بل يعتقد أن منزلته في ذلك اليوم تزداد ارتفاعا بازدياد عدد من قتلهم . لمزيد من التفاصيل انظر بارتولد (و) : تاريخ الترك في آسيا الوسطى (القاهرة – ١٩٥٨) ص ١٤-٢٧ .

(30) Buss (R) : pechenges in Lexicon universal Encyclopedia ., vol . 15 , p . 130 .
(31) Macartney (C.A) : The pechenegs in the slavonic and east European review ., vol . iii , p . 346 .

كما وجدت الديانات الوثنية المختلفة فى مجتمع آسيا الصغرى خاصة الديانات المنتشرة بين الأتراك كالزرادشتية والبوذية وعبادة الأرض والسماء والقمر وغيرها من هذه الديانات [٣٢].

وعموما فإن الترك قبل أن يتركوا موطنهم فى وسط آسيا كانت لهم تصورات وثنية حيث كانوا يعبدون رب السماء تنكرى sky-god (Tanri) وأرواح الأرض والماء[٣٣].

كما انتشرت فى آسيا الصغرى فرقة البيالصة paulicians وذلك منذ القرن الثالث الميلادي. ويعتقد اتباع هذا المذهب بأن العالم تسيطر عليه قوتان قوة للخير ويمثلها إله الخير خالق السموات والأرض والأرواح، وقوة للشر ويمثله إله الشر الذى يسيطر على العالم المادي ، وما يقع بين القوتين من نضال ونزاع هو الذى يقرر كل ما يحدث على سطح الأرض من أمور الحياة ، ومن أهم ما يميز عقيدتهم اعتبارهم المسيح بشرا ومن أهل الدنيا ولم يصدر من السماء ، واعتبروا أن أهم رسالة للمسيح تتجلى فى تعاليمه، وكانوا ينكرون الصليب والأيقونات (الصور) ومؤسس هذه الفرقة هو بولس ساموساتا Pauls Samosata[٣٤].

والحقيقة أن الخلفاء المسلمين ساندوا فى عام ٨٧٦ م الفرقة البوليصية الباقية فى آسيا الصغرى وذلك فى كفاحها ضد سيطرة القسطنطينية وأرسلوا قوات لتمثل قلاعا معينة فى جنوب آسيا الصغرى[٣٥].

وكان للبيالصة مناطق فى شمال ملطية وغربيها وأشهر مدنهم "تفريق" التى اتخذها البيالصة حاضرة لهم وأقام بها زعيمهم قريباص ، وكثيرا ما تعرض البيالصة للاضطهاد وهو السلوك.

الذي مارسته الدولة البيزنطية مع المذاهب المخالفة للأرثوذكسية . ومن هؤلاء الأباطرة الإمبراطورة تيودورا (٨٤٢-٨٥٦م) التي هددتهم بالإبادة إذا لم يرجعوا إلى الدين القويم ، وأعقبت ذلك بإرسال حملة ضخمة لتنفيذ رغبتها ، فجرت

---

(٣٢) انظر عن هذه الديانات :سعد زغلول ، الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم . مجلة كلية الآداب بالإسكندرية (مج رقم ١ - ١٩٥٦) ص ٧٧-٨٤ .

(33) **Hasluck (F.W)** : christianity and Islamic under the sultans . (Oxford - 1929) ., pp 133-134 .

(34) **Scott (C.A)** : Paulicians in Ency of Religion and Ethics ., vol . ix pp . 695 -698 (New York - 1917) ; **Garsoian (N.G)** : paulicians in the Oxford dictionary of Byzantium ., vol . 3 p . 1606 . ; **Garsoian (N.G)** : paulicians in dictionary of the middle ages ., vol . 9 p. 469 . ; **Wittek (Paul)** : " Deux chapitres de L'histoire des Turcs de Roum " Byzantion T-xi p .299.; **Cahen** : le probleme ethnique en Anatolie chiers d'histoire Mondiale ., p . 352 .

(٣٥) تالبوت رايس : "فارس وبيزنطة " ، ترجمة : محمد كفافي ، مقال منشور في كتاب تراث فارس (القاهرة – ١٩٥٩) ص ٧٨ .

المذابح وهلك عدد كبير من البيالصة قتلا أو حرقا ، ومن نجا منهم هرب إلى الحدود واستولت الدولة على ممتلكاتهم [٣٦].

ولقد استمر نشاط البيالصة حتى أن الصليبيين أثناء تقدمهم فى آسيا الصغرى فى الحملة الصليبية الأولى صادفوا إحدى القلاع الخاصة بهم والمقامة بواسطتهم [٣٧].

والحقيقة أن الجهات الشرقية من الدولة البيزنطية وبالتحديد آسيا الصغرى كانت تعتبر بحق مهد الإثارة الدينية ، ونظرا لمواقفهم الإيجابية مع المسلمين وعلاقتهم الطيبة بهم ولرغبة حكام اللاأيقونية فى مكافحة الأيقونات فى البلقان ، فقد لجأوا إلى تهجيرهم فى عهد الإمبراطور قنسطنطين الخامس (٧٤٠ -٧٧٥م) إلى منطقة البلقان ، وقد انتشرت فيما بعد القرن العاشر الميلادي تعاليمهم فى بلغاريا بواسطة أحد زعمائهم المدعو بوجوميل [٣٨] Bogomile بعد أن أدخل عليها بعض التعديلات وسميت الفرقة باسمه فى هذه الدولة والتى وجهت فعاليتها ضد الأرثوذكسية والطبقات الأرستقراطية ، كما انتشرت تعاليمها فى القسطنطينية وجهات اليونان وامتدت غربا إلى مختلف الأقطار الأوربية وكانت معظم آرائها مناهضة للأرثوذكسية [٣٩].

كما وجد اليهود في آسيا الصغرى حيث كانت لهم مستعمرات خاصة بهم، ولما كانت الدولة البيزنطية أكبر قوة روحية مسيحية فى شرق أوروبا وما والاها ، فقد كانت ترقب التغيرات الروحية فى الدول المجاورة ومنها دولة الخزر بعين مفتوحة ، ولذلك نجد الإمبراطور جستنيان الثاني (٦٨٥-٦٩٥م ، ٧٠٥-٧١١م) ٦٥٢م يعقد مجمع ترولان الديني لمعالجة قضية اليهود والذي تمخض عنه بيان يدعو إلى

---

(٣٦) السيد الباز العريني : الدولة البيزنطية (٣٢٣-١٠٨١م) ، ص ٣٠٠ .

(37) **Runciman** : The first crusade , Antioch to Ascalon in setton ., vol . 1 , p . 297 .

(٣٨) الفرقة البوجوميلية : ولدت تلك الفرقة مشاكل عدة للإمبراطور أليكسوس كومنين ، وذلك لإرائها المناهضة للأرثوذكسية وما رافق ذلك من معارك ، كما أنها ناصرت كافة الحركات المناوئة للإمبراطورية البيزنطية في أنحاء البلقان ، وأصبحت أشبه بحزب سياسي تولت الدفاع عن الحقوق القومية لشعوب البلقان ضد الإمبراطورية وكذلك عن حقوق الأغنياء والفقراء . وقد ساندت تلك الفرقة البشناق أثناء تهديدهم للقسطنطينية سنة ١٠٩٠م ، لهذا أمر ألكسيوس باضطهادهم وتشتيت زعمائهم ، أنظر :

عبد القادر أحمد اليوسف : الإمبراطورية البيزنطية ، ص ١٤٧-١٤٨ .

(39) **Powicke (J.F)** : Bogomils in ency , of religion and ethics . pp . 784-785 . ; **Ostrogorsky** : History of the Byzantine state ., p. 288 . ; **Vasiliev** : History of the Byzantine ., vol .II p. 383 .

- عبد القادر أحمد اليوسف : الأمبراطورية البيزنطية . ص ١٤٧ .

استئصال شافة الانحراف اليهودي [٤٠]. كما قام الإمبراطور ليو الأيسوري (٧١٧-٧٤٠م) بحملات اضطهاد واسعة جرى بمقتضاها إلزام اليهود على التحول للمسيحية وأدى ذلك إلى هروب الكثير منهم خارج بيزنطة [٤١] .

أما دولة الخزر هذه فكانت دولة قوية كائنة فيما بين القوقاز والفولجا ، والخزر من الشعوب التركية التي لعبت دورا هاما في العصور الوسطى مع البيزنطيين والمسلمين والعديد من الشعوب المعاصرة في ذلك الوقت ، وقد اعتنق الخزر اليهودية في القرن الثامن الميلادي عام ٧٤٠م ، متخذين بذلك دينا لا سند له من أية سلطة سياسية ، بل كان موضع اضطهاد من الجميع تقريبا . وبعد أن لحق التدمير بدولتهم وتجمعاتهم هاجر يهود الخزر إلى مناطق الانتعاش الاقتصادي في أوروبا الوسطى والشمالية وتفرقوا في عدة دول مختلفة منها آسيا الصغرى التي كانت أقرب بقعة إلى دولتهم من الناحية الجغرافية [٤٢].

ويرى بعض المؤرخين أنه بعد أن انهارت دولة الخزر السياسية فإنهم تركوا بصمات تأثيرهم الخزري اليهودي في أصقاع غير متوقعة وعلى مجموعة شعوب متنوعة ، وكان من بين هؤلاء السلاجقة الذين يمكن أن تعتبرهم المؤسسين الحقيقيين لتركيا الإسلامية وهم فرع من الغز كانوا قد ارتحلوا في أواخر القرن العاشر إلى المنطقة المجاورة لمدينة بخاري ثم انطلقوا بها فيما بعد إلى آسيا الصغرى البيزنطية ، حيث كانت أسرة السلاجقة العظام على اتصال وثيق بالخزر ، وقد تحدث عن هذه العلاقة ابن العبري الذي ذكر أن توتاق أبو سلجوق كان قائدا في جيش خاقان الخزر ، وبعد موته نشأ ابنه سلجوق مؤسس الأسرة في بلاط الخاقان ، ولكنه كان شابا طائشا رفع الكلفة بينه وبين الخاقان ، الأمر الذي أغضب الملكة الخاتون من سلوكه،ونتيجة لذلك اضطر سلجوق أن يرحل عن البلاط أو حظر عليه التواجد [٤٣] .

---

(40) **Dunlop (D.M)** : The hist. of the Jewish Khazars (princeton 1954) ., p. 177.

(41) **Rosenthal (H)** : Art. Chazar in the Jewish Ency. (New York and London) ., vol . iv p . 3 . ; Chambers Encyclopaedia (London and Edinburgh , 1923) art . chazars ., vol . 3 .

(٤٢) محمد عبد الشافي المغربي: مملكة الخزر وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في القرن السابع والثامن للميلاد. رسالة ماجستير تحت إشراف أ.د/محمود الحويري غير مطبوعة (١٩٩١) كلية الآداب بسوهاج - جامعة أسيوط .

(43) **Koestler (A)** : the thirteenth tribe the Khazar Empire and its heritage . (London . 1976) p . 133 . ; **Dunlop (D.M)** : op . cit ., pp . 258-259 . ; **Vryonis** : the Decline of medieval Hellenism ., p . 5 . ; **Rice (T.T)** : The Seljoukes in Asia Minor , p . 26 .

- ماركوبولو : " رحلات ماركوبولو " هوامش الفصل الثالث جـ ١ ، ص ١٨٦ ، رقم ١ .

وهكذا يبدو أنه كان هناك علاقة حميمة بين الخزر ومؤسس الأسرة السلجوقية تلتها قطيعة يحتمل أنها بسبب تحول السلاجقة إلى الدين الإسلامي (بينما ظلت باقي قبائل الغز وثنية مثل الكومان) ، ومع ذلك فقد انتشر التأثير اليهودي الخزرى فترة ما حتى بعد القطيعة ، فمن بين أبناء سلجوق الأربعة واحد سمى إسرائيل وهو اسم ينفرد به اليهود – كما سمي حفيد من أحفاده داود [٤٤].

ويعلق المؤرخ المحدث دنلوب على هذا فيقول : " إن اسم إسرائيل ليس اسما مسيحيا ، وفي ضوء ما قيل في هذا الشأن حتى الآن يمكننا أن نفترض أن مرد هذه الأسماء هو وجود تأثير ديني محدد بين أسر الزعامة الغزية التى كانت تابعة للخزر [٤٥] . كما كان لليهود مستعمرات في منطقة القوقاز القريبة من آسيا الصغرى [٤٦].

ومهما يكن من أمر فلقد كانت آسيا الصغرى الملجأ لليهود الفارين من تحت وطأة الحكم البيزنطي والاضطهاد الديني في عهود العديد من أباطرة بيزنطة . وسواء كان العنصر اليهودي قد قدم مع الترك الغازين لآسيا الصغرى أو قدموا من أماكن أخري فقد كان لهم مستعمرات في آسيا الصغرى ، فالمؤكد أن اليهود وجدوا في أماكن أخرى من آسيا الصغرى وعاشوا في مجتمع آسيا الصغرى بين المسلمين والمسيحيين والوثنيين أيضا.

وبالنسبة للمسيحية في آسيا الصغرى فكما قد استمر الخلاف بين الكنيسة الأرمينية والكنيسة البيزنطية . فقد استمر الخلاف أيضا بين الكنيسة البيزنطية وهى الكنيسة الشرقية الأرثوذكسية مع الكنيسة الغربية الكاثوليكية في روما [٤٧].

والحقيقة كان هناك تباين بين الكنيستين في الممارسات والطقوس، وفي التنظيمات الكنسية عموما ، ومن هنا فإن بحث مثل هذه الأمور من شأن علماء اللاهوت والمؤرخين الكنسيين فهم أجدر من يتناول هذا الموضوع الشائك . ويهمنا في هذا المقام أن هذا الاختلاف بين الكنيستين لم يكن اختلافا دينيا فقط بل كان اختلافا بين حضارتين حضارة الشرق بعاداته وتقاليده وبيئته وحضارة الغرب بعاداته وتقاليده الخاصة به.

وعلى الرغم من الخلاف الكنسي بين روما والقسطنطينية ، فإن الغزو السلجوقي لآسيا الصغرى دفع الإمبراطور البيزنطي ميخائيل السابع إلى فتح باب

(44) Koestler : op . cit ., p . 134 . – Dunlop : op . cit ., p .260 .
(45) Dunlop : op . cit ., pp . 260 - 261.
(46) Rosenthal (H) : Art. Caucasus in the Jewish Ency. (New York and London) ., vol . III. p . 28 .

(٤٧) عن الخلاف بين الكنيستين انظر :

– عادل زيتون : العلاقات السياسية والكنسية بين الشرق البيزنطي والغرب اللاتيني في العصور الوسطي ، ص ٣١٧-٣٩٥ .

المفاوضات مع البابا جريجوري (١٠٧٣-١٠٨٥م) الذي أعلن تحمسه لمساعدة بيزنطة ضد السلاجقة بعد أن حرك ميخائيل عواطف جريجوري بإعادة الوحدة بين الكنيستين الشرقية والغربية (٤٨) .

على أن الخلافات السياسية كانت تؤثر على العلاقات الدينية بين الكنيستين أو العكس ، فعندما اعتلى الإمبراطور الكسيوس كومنين عرش الإمبراطورية البيزنطية سنة ١٠٨١م. قام الباب جريجوري السابع بإصدار قرار يقضي بحرمانه من الكنيسة(٤٩).

كما أيد البابا جريجوري الغزو النورماني ضد بيزنطة ، وقد ترك هذا أثراً سيئاً على العلاقة بين الكنيسة الشرقية وما يتبعها في آسيا الصغرى والكنيسة الغربية في روما،وترك انطباعاً قاتماً في نفوس البيزنطيين علمانيين وكنسيين حتى أن المؤرخة البيزنطية آنا كومنين التي كتبت مدونتها التاريخية بعد نصف قرن تقريباً من هذه الأحداث ذكرت مسجلة انطباعها عن البابا جريجوري السابع وأفعاله عموماً قائلة " إنني أكره عقلية هذا البربري (أي البابا جريجوري). ولا أريد أن أدنس قلمي وأوراقي التي أكتب فيها بوصف الأعمال التي قام بها هذا البابا بشكل صريح ، فلقد أنتج الدهر أناساً من ذوي الأخلاقيات التي لا حياء عندها ولا خجل . وهل هذا صنيع رجل ادعى يوماً بأنه سوف يكون زعيم العالم كله"(٥٠).

استمر الخلاف الكنسي بين الشرق والغرب حتى اعتلاء البابا أوربان الثاني العرش البابوي سنة ١٠٨٨م . ولا شك أن الرغبة في مساعدة المسيحيين في الشرق بما فيهم مسيحي آسيا الصغرى كان إحدى الدوافع التي دفعت البابا أوربان الثاني لشن حرب صليبية (٥١).

وكان في اعتقاد البابا أن العالم الغربي المسيحي إذا تحرك لإنقاذ الشرق ، فإن ذلك بالتأكيد سوف يعمل على تخفيف حدة التوتر الديني بين القسطنطينية وروما ، وبالتالي سوف يتم الاعتراف بالبابا زعيماً للعالم المسيحي كله في الشرق والغرب بلا منافس (٥٢) . وهنا نرى البابا أوربان الثاني في مؤتمر كليرمونت يتحدث عن الرعب الذي يسكن مسيحي الشرق من جراء غزوات الترك عليهم في آسيا الصغرى وغيرها ، والتدمير والنهب الذي حل بأراضي اليونان والتدنيس الذي أصاب القبر المقدس " بأيدي أناس قذرة " ،ونصح البابا سامعيه أن يستردوا شجاعة وبسالة الفرنجة في الماضي ، وأن يتركوا ضغائنهم ومشاكلهم جانباً ويأخذوا طريقهم

(48) **Runciman** : The eastern Schism ., p . 59 .
(49) **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis ler comnene (1081-1118) ., pp . 62-63 .
(50) **Anna comnena** : The Alexiad ., pp . 33-34 .

(٥١) انظر : الفصل الثالث من الكتاب.

(52) **Runciman** : The Eastern schism ., p . 78 .

إلى القبر المقدس، كما رسم صورة ملتهبة متأججة للقدس "مركـز الأرض" التـي تفيض بالخيرات والتي يتدفق فيها اللبن والعسل . وفي النهاية حثهم على أن يأخذوا على عاتقهم هذه الرحلة وبين الجزاء السماوي لهم بتكفير ذنوب كل من يشترك في الحرب والمجد الدائم الـذي ينتظرهـم فـي الجنـة[٥٣]. وبـذلك خلـق البـابا أوربان انطباعاً عميـقاً لـدى الجمـوع الـتي هزهـا هـذا التـيار الجـارف من التأثر والانفعـال وأطلقـوا صرختـهم مـرة تلـو الأخـرى ، " ولتكـن مشـيئة الله (Devs le volt) (it is God's well) [٥٤].

ومهما يكن من أمر فإن الجيوش الصليبية حينما تحركت ووصلت إلى الأراضي البيزنطية وجد الصليبيون أنفسهم في أرض غريبـة عنهم ولم يألفوها لكونها أرض مسيحية أرثوذكسية ، كما أن لغة سكانها مختلفة وغامضة ، ومدن هـذه الأرض بدت لهم كبيرة ومرعبة ، كما أن كنائسها البيزنطية اختلفت في صورتها عن كنائسهم ، كما أنهم لم يروا رجال الدين البـيزنطيين كرجـال الديـن اللاتين الكـاثوليك الذيـن اعتـادوا رؤيتهم بـل شـاهدوا رجـال الديـن الأرثوذكـس بذقونهم السـوداء وكعكـات شعورهم وثيابهم السوداء ورأوا طقوسهم الدينية تختلـف عـن الطقـوس الدينيـة التـي اعتادوا ممارستها [٥٥] .

ومـن هنـا فإن الخـلاف الدينـي كـان واضحـاً ، وكـان الإمبـراطـور الكسـيوس كومنين يحسب له حساباً حتى أنه تعهد للأمراء الصليبيين بأنه سيسلمهم كل ما تبقيه من ذهب وفضة وخيول وأمتعة ، ووعد أنه سيؤسس بها ديراً لاتينياً وملجـأ للمعوذيـن من الفرنجة [٥٦] .

ولقد كان الصليبيـون أثنـاء اجتيـازهم آسيا الصغرى يصاحبون معهم رجـال الدين ، كما كان يضـم هـذا الجيـش حجاجاً وأساقفة ورجـال ديـن مسلحين ذهبـوا للقتال ، وكان ما يثير الدهشة أن بطرس الراهب رجل الدين يقـود جمـوع الصليبين للقتال[٥٧].

والحقيقـة أن جمـوع الجنـود الصليبيـة التـي عبرت آسيا الصغرى إلى بـلاد الشام لم يكـن الديـن وإنقـاذ مسيحـي الشرق هـو المقـام الأول فقـد صنـف أحـد المؤرخين رغبات هؤلاء الجنـود قـائلاً " : إذا بحثنـا عـن الأسباب نجد أحد الجنـود

---

(53) Brooke (Z.N) : History of Europe from 911 to 1198 ., vol . II p . 235 .
(54) Hulm (E.M) : The middle age ., p . 472 . ; Hitti (P.K) : History of Syria ., p.590 . ; Brooke (Z.N) : op . cit ., . 236 .
(55) Runciman : op . cit ., pp . 81-86 .
(٥٦) ريموندا جيل : " تاريخ الفرنجة غزاة بيت المقدس " . ص ٧٨ .
(٥٧) انظر : الفصل الثاني من الرسالة .

ذهب حباً في المغامرة والآخر للتسلية والمبارزة والثالث رغبة منه في رؤية العالم ، والرابع ليضفي شرفاً على نفسه من أجل زوجته ، والخامس ليخدم الإله والسادس لتحمل المعاناة من أجل خاطر الرب ، والسابع هرباً من الفقر الذى يعانيه في وطنه وتلهفاً على كسب ذهب وأرض جديدة والثامن ليقتل الوقت والتاسع لتحقيق طموحاته ، وفي النهاية كانت هذه هي الرغبة في المكسب الدنيوى (٥٨).

ومن يستعرض ماذا صنع الصليبيون في الحرب الصليبية الأولى بالمسيحيين في أسيا الصغرى يتأكد تماماً من انهم كانوا يساوون بين المسيحيين والمسلمين لأنهم كانوا يعتبرون المسيحيين الشرقيين هراطقة . فلم يؤثر العامل الديني في أسلوب الصليبيين مع المسيحيين حيث نهبوا القرى المسيحية في آسيا الصغرى وقاموا بالمذابح المختلفة دون رحمة (٥٩).

ولا شك أن الاحتكاك الذى نشب بين الجموع الصليبية والشعوب البيزنطية في القسطنطينية وآسيا الصغرى خلال اجتياز الصليبيين للإمبراطورية قد قوى من عوامل الخلاف لنمو العداء بين الشعبين اللاتيني والبيزنطي.

كما ساءت علاقة بيزنطة بالبابوية عقب هزيمة حملة سنة ١١٠١ م . في آسيا الصغرى . غير أن الدعاة للحرب الصليبية استطاعوا تقديم تفسير مقبول للهزائم التى حلت بالصليبيين والمسيحيين عموماً سنة ١١٠١م . واعتمد هذا التفسير على توضيح فكرة أساسية موجودة في كتاب العهد القديم The old testament وفي كتابات القديس أوغسطين St Augostine وخلفائه المسيحيين ،ويشير هذا التوضيح إلى أن الهزيمة في قضية مقدسة قد تكون عقاب الله للإنسان لارتكابه الآثام . فالهزائم ولا سيما تلك التى تحدث في عملية عسكرية مقدسة ، إنما هى عند الله وفقاً لأحكامه وقوانينه العادلة (٦٠).

واستمر الخلاف الديني في آسيا الصغرى في فكر أباطرة بيزنطة ولقد أشار المؤرخ الفرنسي المعاصر " أودوأوف دويل " بأن الإمبراطور حنا كومنين (١١١٨-١١٤٣ م) حينما قام بغزو قيليقية في جنوب أسيا الصغرى ودخل مدنها ومواقعها المختلفة قام بعزل أساقفة كنائسها الكاثوليك وعين بدلاً منها أساقفة أرثوذكس (٦١) .

---

(58) **Hulm** : op . cit ., pp . 474-475 .
(59) **Cate (J.L)** : The crusade of 1101 in setton : A hist. of the crusades ., vol . 1 , p . 356 . ; **Runciman** : A history of the crusades ., vol . 1 . p . 128 , vol . 2 , p. 23 .

- رنسيمان : الحروب الصليبية جـ ١ ص ١٩٩-٢٠٠ ، جـ ٢ ص ٤٤ .

(٦٠) سميث (جوناثان ريلي) : الحملة الصليبية الأولي ز ص١٤٦.

(61) **Odo of Deuil** : De profection ludovici vii in orientem ., p . 69 .

وهذا يوضح أن الفتح الذى قام به حنا كومين لم يكن فتحاً سياسياً ، بل كان فتحاً دينياً أرثوذكسياً.

وفي الحملة الصليبية الثانية كان رجال الدين المرافقون لها يضمرون الكراهية للقسطنطينية لخلافها الديني حتى أن الأسقف لا نجر Langer كان يحرض الملك لويس التاسع على احتلال القسطنطينية [62] ، بل إن لا نجر كان يعتبر الإمبراطور مانويل كومنين من الوثنيين [63].

وكانت هناك محاولات من قبل في عهد الإمبراطور البيزنطي مانويل كومنين لإقناع الأرمن بإتباع المذهب الأرثوذكس وتوحيد الكنيستين ، حيث كان كثيراً ما يقوم بتشكيل حلقات وندوات لمناقشة بعض النقاط المذهبية والفلسفية يشترك فيها بنفسه داخل القصر ويدعو إليها رجال الدين ، ومن ذلك استدعائه القسيسين الأرمن جريجوار بهلافوني Gregoire Bahlavouni ، ونرسيس سكنور هالي Nerses Schnorhali في عام ١١٦٥م ، وطلب منهم شرح العقيدة الأرمينية [64].

كما حاول الإمبراطور مانويل أيضاً العمل على إيجاد صيغة لتوحيد المذهب السرياني والأرثوذكسي ، وفي هذا الشأن كتب إلى المؤرخ والبطريرك ميخائيل السرياني [65].

واستمر الخلاف الديني بين القسطنطينية في آسيا الصغرى والكنيسة الغربية في روما، حتى أن البطريرك ميخائيل الثالث (١١٦٩-١١٧٧م) بطريرك كنيسة القسطنطينية كتب في إحدى خطاباته إلى بطريركية روما أثناء بحث موضوع الوحدة بين الكنيستين قائلاً : " ليكن المسلم سيدي الدنيوي أفضل من أن يكون اللاتيني سيدي الروحي .فإذا ما خضعت للأول فإنه سوف لا يجبرني على الدخول في عقيدته ، أما إذا خضعت للثاني فإنه سوف يباعد بيني وبين الله" [66].

وهكذا استمر الخلاف الكنسي بين المسيحيين وفشلت الكنيسة الرومانية في إخضاع الكنائس الشرقية لروما .واستمر الخلاف الكنسي في آسيا الصغرى أيضاً بين الأرمن والقسطنطينية . ويبدو أن هذه الخلافات الدينية كانت إحدى عوامل تحول قطاع كبير من المسيحيين في آسيا الصغرى إلى الإسلام.

---

(62) Odo of Deuil : op. cit. , p . 69 .
(63) Odo of Deuil : op. cit. , p . 79 .

(64) محمود سعيد عمران : المرجع السابق . ص ١٠٤ .

(65) Michel le Syrien : op . cit . , p . 366 .
(66) Runciman : The eastern Schism ., pp . 121-122 .

انتشار الإسلام في آسيا الصغرى :

كانت فتوح الاسكندر المقدونى قد وسعت من نطاق الحضارة الهلينستية حتى صار نهر السند حدها الشرقي ، ولكن قيام الدولة الأشكانية (٢٢٤-٢٥٠ق.م) وانتصارها على السلوقيين ضيق هذا النطاق ورد حده غرباً إلى الفرات ، ولم يبق فى حوزة الهلينستية من منطقة الشرق الأوسط إلا آسيا الصغرى وسوريا ومصر ثم جاء الإسلام ففتح هذه البلاد جميعاً إلا آسيا الصغرى ، وتراجعت الحضارة الهلينسنية قسراً إلى ما وراء جبال طوروس التى أصبحت - إلى كونها حداً طبيعياً - حداً دينياً وحضارياً بين الشرق والغرب وكان من الطبيعي وقد لاذت الهلينستية بمعقلها الحصين فى الأناضول أن تستبسل فى الدفاع وأن تشتد مقاومة الروم للعرب [٦٧].

ولكن ظهور السلاجقة فيما وراء النهر وانضواؤهم تحت راية الخلافة العباسية قلب ميزان القوى ، وخاصة فى القرن الحادي عشر الميلادي حين نجح السلاجقة في اقتحام منطقة آسيا الصغرى وانتصروا على الجيوش البيزنطية الانتصار الحاسم في موقعة ملا ذكرد [٦٨] سنة١٠٧١م(٤٦٤هـ) تلك المعركة التى وضعت آسيا الصغري تحت رحمة السلاجقة وقضت علي نفوذ البيزنطيين فى أغلب أجزائها ، وانفتح الباب أمام العشائر التركمانية وسرعان ما توغلت هذه العشائر غرباً حتى أشرفت على منطقة المضايق من ناحية وعلى بحر إيجة من ناحية أخري ، ثم صارت نواة توطنت حولها عشائر أخرى وافدة من الشرق .

كان الترك الوافدون على آسيا الصغرى ينتمون إلى عناصر تركية مختلفة ولكن الجمهرة الغالبة كانت من الأتراك الغز أو التركمان ، وصارت آسيا الصغرى مهجراً تقصده العناصر التركية من وسط آسيا ، وأيضاً من وسط أوربا حيث كانت هناك عناصر تركية تعمل كجنود مرتزقة فى الجيوش البيزنطية ثم رأت بيزنطة لأغراض دفاعية أن تنقلهم من مواطنهم في البلقان إلى آسيا الصغرى [٦٩] .

والمجتمع التركي نما على حدود الدولة البيزنطية وكانت هذه المنطقة تعرف بمنطقة الغازين (المحاربين من أجل الإيمان) وعاش الغزاة على حياة الأسلاب والغنائم . وكان السلاطين السلاجقة يرسلوهم فى حملات على المسيحيين حيث يهاجمون ويغزون فى سبيل الله [٧٠].

---

(٦٧) محمد فؤاد كوبريللي : المرجع السابق . ص ٩ .

(٦٨) انظر : الفصل الأول من الكتاب.

(٦٩) علي أكبر دهخدا : لغت نامة . مجـ ١٥ ص ٦٠٢ .

- Cahen (C.L) : Ghuzz Ency . of Islam . vol . II (1991) .

(70) Milton (J) & Steinberg (R) : The cross and the cresent p . 90 .

وينقسم التركمان الذين أقاموا في آسيا الصغرى إلى فئتين : التركمان الخلص الذين حرصوا على الإغارة على المسيحيين والذين كرهوا كل ما يتعلق بحكومة نظامية من أفكار . أما الفئة الثانية فهم التركمان الذين أقاموا في آسيا الصغرى وهم دولة نظامية شبيهة بدولة أبناء عمومتهم في إيران [٧١] ، وهي ما عرفت بدولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى.

والحقيقة فقد تعددت الآراء الخاصة حول تفسير معنى لفظ تركمان غير انه بانتشار الإسلام بين كافة العناصر التركية وخاصة منذ القرن الحادي عشر الميلادي (الخامس الهجرى) تغير مفهوم هذا اللفظ ، فصار يطلق على جميع الأتراك الذين أسلموا كلمة " ترك " أما تركمان فقد أطلق على أولئك المشتغلين بالرعي من ناحية والذين عاشوا عيشة بدوية من ناحية أخرى [٧٢].

أما عن انتشار الإسلام في آسيا الصغرى فالحقيقة أنه بعد أن توغل السلاجقة في آسيا الصغرى عقب ملاذكرد ، انتقلت هذه البلاد من الحضارة اليونانية والديانة والآداب المسيحية إلى العقيدة والحضارة الإسلامية وما تحمله من نظم وآداب ففي منتصف القرن الحادي عشر الميلادي كان عامة سكان آسيا الصغرى يدينون بالمسيحية ويتكلمون اليونانية ، ويتصفون بالاستقرار . وبعد معركة ملاذكرد توغلت القبائل السلجوقية في آسيا الصغرى، وكان أفراد هذه القبائل يدينون بالإسلام ويتكلمون التركية ويمارسون حرفة الرعي . وكان لابد من حدوث اندماج بين السكان الأصليين والمهاجرين [٧٣].

ولقد كان أحفاد سلجوق بوصفهم (سلاطين الإسلام) أشد دفاعا عن الإسلام ، ولم يكن أحفاد سلجوق ليقوموا بإعلاء كلمة الدين داخل حدود البلاد الإسلامية ، بل كان عليهم أن يهزموا الأعداء في الخارج وأن يوسعوا حدود ديار الإسلام ، وكان من الطبيعي أن يؤدوا هذا الواجب بصفة رسمية في غرب آسيا حيث كان النصر والفتح مرتبطين بالمنافع الاقتصادية ، ومن هذا القبيل حروبهم مع

---

[٧١] السيد الباز العريني : المغول . (بيروت – ١٩٨١) . ص ١٠٠ . ؛ زبيدة محمد عطا : الترك في العصور الوسطي ، ص ٥٤ . ؛ عفاف سيد صبرة : دراسات في تاريخ الحروب الصليبية . ص ٢٧٦.
- Holt (P.M) : The age of the Crusades . p . 168 .

[٧٢] محمود محمد الحويري : الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد . ص ٢٦-٢٧ .

[٧٣] حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٩١ .

المسيحيين في الأناضول [٧٤]. هذا وقد تحطمت القوة البيزنطية فى آسيا الصغرى ووصلت سيادة الإسلام فى الغالب إلى بحر مرمرة [٧٥].

والحقيقة أن السلاجقة ظهروا كمدافعين أقوياء عن الإسلام [٧٦]. حتى حلا لأحد المؤرخين المحدثين أن يقول : " لقد حمل السلاجقة راية الإسلام إلى آسيا الصغرى بينما لم يستطع العرب القيام بذلك " [٧٧].

كما لعبت غزوات التركمان الرحل دورا كبيرا فى تحويل آسيا الصغرى من أحضان الحضارة الأوربية إلى أحضان الإسلام ، وفى تفتيت الأسس والقواعد التي كان يقف عليها المجتمع البيزنطي فى آسيا الصغرى . وقد مر بنا كيف كانت غارات التركمان الرحل على الأراضي البيزنطية بالغة التأثير خاصة عند مصاحبتهم جيوش السلاطين ، كما حدث فى معركة ميريو كيفالون (١١٧٦م / ٥٧٢ هـ).

والواقع أن التركمان الرحل الذين دخلوا آسيا الصغرى كانوا متأججين ومتحمسين للجهاد فى سبيل الله وكانوا فى أوج نشاطهم البطولى حتى أطلق عليهم الغازون المحاربون من اجل الإيمان ، وعرفت المنطقة التى كانت على حدود بيزنطة بمنطقة الغزاة [٧٨].

ويذكر المؤرخ الروسي فلاديمير أن هدف التركماني الأول " أن يكون غازيا مجاهدا فى سبيل نصرة الإسلام " [٧٩] .وبذلك يكون للتركمان الرحل دور كبير فى فتح آسيا الصغرى إلى جانب الدور الأكبر لسلطنة سلاجقة الروم التي قامت بإعادة توحيد آسيا الصغرى .

ومن جهة أخرى ، فإن المؤرخ فريونز يعتبر أن اضمحلال الحضارة البيزنطية فى آسيا الصغرى يعود إلى ظاهرتين جليتين واضحتين هم البداوة وانتشار الإسلام " خاصة عند رصد الحركة الديناميكية للصدام بين التركمان الرحل والبيزنطيين المستعمرين فى آسيا الصغرى [٨٠].

ويلاحظ أن طبقة الغزاة أو " غازيان روم " أي غزاة الروم أو " آلبلر " أو "آلب ارنلر " كما تذكرها المصادر الأخرى ، هى عبارة عن تشكيل اجتماعي ظهر فى آسيا الصغرى فى أيام الفتوحات السلجوقية الأولى ، وإذا كان اللقب التركي " ألب " الذي استعمله الأتراك قبل إسلامهم بمعنى البطل أو بمعنى المحارب وأضفوه

---

[٧٤] بارتولد : تاريخ الترك في آسيا الوسطي ، ص ١٠٨-١٠٩.

(75) Barger (E) : In the track of the crusaders (London – without date) p. 175 .
(76) Atil (Esin) : Turkish Art ., p . 20 .
(77) Robinson (F) : Atlas of the Islamic world ., p . 25 .
(78) Milton (J) & Steinberg (R) : op . cit ., p . 90 .

[٧٩] عفاف سيد صبرة : المرجع السابق ص ٢٨٨ .

(80) Vryonis(s) : The Decline of Byzantine in Asia Minor ., p . 354

على القادة والأمراء ،وإذا كان هذا اللقب قد ظل مستعملا بعد إسلام الترك وأصبح لقبا من الألقاب الرسمية في الدول التركية ، فالملاحظ مع هذا - أن الترك قد بدءوا بعد إسلامهم يستعملون لقبا ديني الصيغة هو لقب "غازي" طورا بمفرده وطورا مقرونا باللقب الأول "ألب" . ويلاحظ أيضا أن لقب " غازي " الذي كان يطلق من باب التشريف على المجاهدين في سبيل الدين قد صار لقبا رسميا في أسرة الدانشمنديين بالأناضول . ثم صار بعد ذلك لقبا رسميا لكثير من حكام الحدود[٨١]. ولذلك فإننا نجد أسم دانشمند وقد أضيف إليه لقب غازي حيث يقال له ملك دانشمند غازي[٨٢].

وقد أدى الدانشمنديون خدمات كبرى في نشر الإسلام في الأناضول ، وكان أوائل حكامهم من أرباب القدوة والآثار الخيرية التي أقاموها ومازال كثير منها موجودا إلى الآن تعتبر شاهدا عليهم[٨٣].

والدانشمنديون كما مر بنا فرع من الأتراك شأنهم في ذلك شأن السلاجقة ، وتؤكد بعض المصادر الأصل التركي لهذه الأسرة ، ويرتبط نسبهم بالقائد العربي عبد الله البطال الشهير (سيد بطال) (بطال غازي) ، والذي قام بغزوات كثيرة ضد البيزنطيين في مناطق الحدود في آسيا الصغرى واستشهد في ٧٤٠م (١٢٢هـ) ، في وقعة " ربض أقرن " التي جرت بالقرب من مدينة أكروينس Akroenos [٨٤].

وكانت هناك أسطورة تقول إن البطل التركي سيدي غازي تزوج أميرة مسيحية يونانية ،ولعل منشأ تلك الأسطورة هو إعطاء الصفة الشرعية لما حدث من الغزو التركي لآسيا الصغرى [٨٥] واستقرارهم ونشرهم للإسلام .

وقد كانت هناك بلدة في آسيا الصغرى جنوب مدينة دوراليوم " بلدة سيدي غازي " على اسم هذا البطل الشهير بطل عهد بني أميه . وكان قبره قائما في

---

(٨١) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٣٨ .

(٨٢) هزارفن : تنقيح التواريخ نام ، ص ٩٩ .

(٨٣) أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ٣٢٧ .

(84) Ramsay (W.M) : The Historical geography of Asia Minor, p. 87. ; **Canard** (M) : Delhemma sayyid Battal et Omar al-Noman in Byzantion T.XII, pp. 183-188. ; **Kyriakidos (P)** : Le Roman Epique Turc de sayyid Battal . Byzantion ., T.II, pp. 563-570. ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p. 82.

عالي : فصول حل وعقد أصول خرج ونقد . تحت رقم (٢٥٣٧) ورقة ٣٥ (ب) .

(٨٥) حسنين محمد ربيع : المرجع السابق ، ص ١٩١-١٩٢ .

هذه البلدة [٨٦] كما أنه يوجد في مدينة قيصرية جامع يسمى جامع أبي محمد البطال [٨٧].

وعند تناولنا موضوع انتشار الإسلام في آسيا الصغرى من الناحية السيكولوجية نجد أن التفوق السياسي والثقافي للأتراك السلاجقة فضلا عن العدالة والحرية الدينية قد لعب دورا كبيرا في هذا الشأن في الوقت الذي أخذت الثقافة المسيحية في التأخر ،واهتزت المبادئ الدينية المسيحية إلي درجة أن طبقة رجال الدين المسيحي قاموا في بعض الأحيان بتشجيع اجتياح السلاجقة وتوغلهم في آسيا الصغرى [٨٨].

وعلى الرغم من أن السلاجقة الذين قاموا بغزو آسيا الصغرى كانوا متأثرين إلى حد كبير بعاداتهم ومعتقداتهم القبلية القديمة إلا أنهم بعد اعتناقهم للإسلام فإنهم أصبحوا من أشد المخلصين بهذا الدين السمح حتى أن السلطان طغرلبك كان يقول : " إذا شيدت منزلا ولم أشيد بالقرب منه مسجدا فإنني استحى من الله " . وكان مبدأ بناء المساجد الكبيرة بالقرب من قصور السلاجقة التي كانت ذات أحجام متواضعة قد ساد بشكل كبير ، وكان هؤلاء السلاجقة يعرفون أن آسيا الصغرى بلد ملئ ويحاط بالمسيحيين [٨٩]. وكان الوضع الجديد لأسيا الصغرى وانتشار الإسلام فيها في حاجة بالطبع إلى بناء المساجد ونشرها في ربوعها المختلفة.

ولقد شيد الأتراك السلاجقة عموما المساجد الجامعة في كثير من مدن آسيا الصغرى والتى انتشرت في كل أنحاء سلطنة سلاجقة الروم اعتبارا من بداية القرن الثالث عشر الميلادي (بداية القرن السابع الهجري) حيث أصبح لكل مدينة إسلامية في آسيا الصغرى مسجدها الجامع هذا بالإضافة إلى انتشار المساجد الخشبية الصغيرة التي امتلأت بها الأحياء الكثيرة في المدن والقرى[٩٠].

وكان أول ما يقوم به السلاطين السلاجقة في كل مدينة يفتحونها هو تعيين قضاه ومعلمين وأئمة وكتبه ومؤذنين ، ثم تشييد المساجد والمدارس والزوايا الإسلامية وذلك لطبع تلك المدن بالطابع الإسلامي ولنشر الثقافة الإسلامية

---

(86) Ramsay : op . cit ., pp . 233-236 , p . 322 - note t .

هزارفن : تنقيح التوريخ نام ، ص ٩٩ . ؛ لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ١٨٥–١٨٦ حاشية ٩.

(٨٧) الهروي : " كتاب الإشارات إلي معرفة الزيارات ، (دمشق –١٩٥٣م) ، ص . ٥٩ .

(88) Turan (Osman) : " L'Islamisation dans la Turquie du Moyen Age " stvdia Islamica T.X . (Paris- 1959) ., p.144.

(89) Turan (Osman) : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., p . 85 .

(90) Combe , J . Sauvaget et G.Wiet and others : Repertoire chronologique D'Epigraphic Arabe , pp . 12, 180-181 T.X pp . 163-165 . ; Turan (Osman) : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " ., p . 259 . ; Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., p. 221 ; Vryonis : Nomadization and I amisation ., p . 60

أوقطاي آصلان أبا : " فنون الترك وعمائرهم " (استنبول – ١٩٨٧) . ص ٦٢ – ٩٤ .

السلجوقية ، ولقد انتشرت هذه المؤسسات الإسلامية فى كل مكان من الأرض السلجوقية فى آسيا الصغرى مما كان له أثره البالغ فى إعادة بناء مجتمع آسيا الصغرى ، وهذه المؤسسات الإسلامية بنيت ودعمت بالأموال التي حصل عليها السلاجقة الفاتحون من المقهورين من سكان البلد الأصليين (٩١).

وقد لعب قلج أرسلان دورا هاما فى انتشار الإسلام في ربوع آسيا الصغري ، وانتشرت الثقافة الإسلامية فى ربوعها المختلفة ، ولقد اتخذ السلطان قلج أرسلان الثاني من مدينة أقصرا التي قام بتشييدها سنة ١١٧١م (٥٦٦هـ) قاعدة لغزواته ، وأقام بها المساجد والمدارس والقصور والخانات والأسواق ، كما جلب المحاربين والتجار والعلماء من أذربيجان ليقيموا بهذه المدينة ، كما شيد معسكرا حربيا للسلاجقة المسلمين ، ولم يسمح للبيزنطيين والأرمن والأشخاص الغير موثوق بهم بالاستقرار فى هذه المدينة ، وكانت كل مدينه وبلدة فى آسيا الصغرى معروفة بلقب يدل على ما تشتهر به ، وقد أطلق على مدينة أقصرا دار الظفر (أرض النصر) (٩٢).

ولاشك أن بداية بناء المساجد فى آسيا الصغرى قد بدأت مبكرة حيث صاحب الفتح السلجوقى فى مراحله الأولى ، فلقد قام السلطان ألب أرسلان بتشييد المساجد فى مدينتي آنى وقرص سنة ١٠٦٤م (٤٠٦ هـ) ، ولم يخالفه فى هذا الاتجاه ابنه وخليفته السلطان ملكشاه بل اقتدى به خلفاؤه فى هذه السياسة من بعده (٩٣).

على أن هناك قضية هامة تفرض نفسها ولا يمكن إغفالها على موضوع تترك آسيا الصغرى وانتشار الإسلام وهى قضية هدم وتحويل الكنائس إلى مساجد فى العصور الوسطى خاصة إذا بدر هذا من قوم يدينون بالإسلام ، هذا الدين الذي جاء بأفكاره السمحة ليرسخ مبادئ العدل والمساواة.

وهنا يذكر المؤرخ المحدث فريونز أن آسيا الصغرى نتيجة الغزوات التركية واستقرارهم أصبحت دار الحرب بين الإسلام والمسيحية . ولقد كان هناك توتر دينى وتنافر ومقاومة بين (أصحاب) الديانتين فى سوريا وأعالي الفرات كنتيجة أيضا للحروب الصليبية . وهناك ما يشير فى الحوليات التاريخية إلى أن الغزوات التركية لآسيا الصغرى قد تسببت فى خسائر فادحة للأماكن الروحانية والكنسية من قبل معركة ملاذكرد ، فالغزوات التركية نتج عنها سلب ونهب الكنائس الشهيرة مثل كنيسة القديس باسيل فى قيصرية وكنيسة كبير الأساقفة ميخائيل فى خوناي Chonae (٩٤).

(91) Turan (Osman) : les souverains Seldjoukides ., p . 85 . - Vryonis : Nomadization and Islamisation ., p . 60 .
(92) Turan (O) : op . cit ., p . 86 . - Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., p. 221 - Vryonis :Nomadization and Islamisation ., p . 60.
(٩٣) الحسيني : زبدة التاريخ " أخبار الأمراء والملوك السلجوقية . ص ٣٨-٤٠ . ؛ ابن شداد : "الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة " جـ ١ ق ٢ ص ٧٩ .
- Combe (J.S) et (G.W) and others : op . cit ., T-VII , pp . 189-193.
(94) Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., pp. 194-195 .

والحقيقة أن كنيسة خوناي قد غزيت لأكثر من مرة في النصف الآخر من القرن الثاني عشر الميلادي عندما قامت القوات التركية التي اصطحبها الثائر ثيودور منجافاس Pseudoulexius Theodore Mangaphas حيث قاموا بتحطيم الموزايك الخاص بالكنيسة [٩٥].

كما أشار البعض إلى أن التركمان كانوا يقتلون كل من يقابلهم ويغيرون على الكنائس وينهبونها وكانوا يدخلون الكنائس في أثناء الصلوات ويجلسون على الموائد المقدسة ويهينون الكهنة ويخربون الكنائس وقد يحولون بعضها إلى مساجد[٩٦].

كما أن الغزوات التركية وشدتها في آسيا الصغرى جعلت اليونانيين (البيزنطيين) مضطرين إلى أن يحيطوا كنيسة القديس حنا في إفسوس بالأسوار لكي يحموها من الأتراك [٩٧].

ومن نتائج غزوات التركمان أيضا أن دمرت كنائس القديس فوقاس St.Phocas في سينوب وكنيسة القديس نيقول St. Nicholas في ميرا Myra وكانت كلتاهما مركزا للحجاج ،ونهب أيضا أديرة لاتروس Mr.Latrus و ستروبيلوس Strobilos و ميلانوديوم Melanoudium في الساحل الغربي من آسيا الصغرى واقتيد الرهبان خارجها أثناء هجمات التركمان المبكرة . ولذلك فإن الأماكن الديرية في هذه المنطقة قد هجرت حتى تم للبيزنطيين إعادتها تحت سيطرتهم [٩٨].

كما لم ينجو الدير الشهير دير بارمرصوما الذى يقع بالقرب من مدينة ملطية من الترك ، وتعرض لغزواتهم في اكثر من مناسبة ففي منتصف القرن الثاني عشر ، بعض مباني الدير أحرقت من قبل الترك الذين اقتادوا الدواب التي يملكها الدير وإن كان هؤلاء الترك قد اضطروا إلى إعادة هذه الدواب بعد أن لجأ الدير إلى بعض أمراء الترك [٩٩]. ولقد كان هناك اعتقاد في المصائب التي تحل بالذين يغتصبون الكنائس[١٠٠].

وهناك الكثير من الكنائس التي تحولت إلى مساجد مع الغزو التركي لآسيا الصغرى[١٠١]. عندما قام السلطان سليمان بن قلطمش بفتح مدينة انطاكية سنة ١٠٨٤م (٤٧٧هـ) ، قام بتحويل كنيسة القديس بطرس كاسيانوس Cassianus إلى

(95) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 523- 524 , 552-553 .
(96) **Michel le Syrien** : op . cit ., p . 182 .
(97) **Odo of Deuil** : op . cit ., p . 107 .
(98) **Vryonis** : op . cit ., p . 195 .
(99) **Michel le Syrien** : op . cit .,vol . III , pp . 290-291 .
(100) **Hasluck (F.W)** : christianity and Islamic under the sultans . vol . 1 pp . 21-22.
(101) **Vryonis** : op . cit ., p . 197 n . 357 .

مسجد (١٠٢). كما تحولت الكنيسة الرئيسية في مدينة آني Ani إلي مسجد إلي أن قام الجورجيانيون بغزو المدينة سنة ١١٢٤م-١١٢٥م ، وتحولت مرة أخرى إلى مقدس مسيحي (١٠٣).

وعندما أخذ سلاطين السلاجقة مدينة سينوب سنة ١٢١٤ م حولوا كنائسها إلى مساجد ونصبوا القضاة والخطباء والمنابر والمؤذنين (١٠٤). ولكن حين نجح اليونانيون في طرابيزون من استرجاع المدينة أعادوا هذه الكنائس إلى وضعها الأول ولكن نجح السلاجقة في غزو المدينة مره أخرى وتحولت الكنائس إلى مساجد (١٠٥).

وكان الترك يقومون عند غزوهم للمدن بالسيطرة على الكنائس ويأخذونها لاستعمالهم الخاص أو لأغراض أخرى ، والمسيحيون كثيرا ما اضطروا مرارا إلى إخلاء المدينة التي تم غزوها حديثا مثل حالة مدينة داديبرا Dadybra والتي سيطر فيها المسلمون على كنائسها (١٠٦).

وتشير الأحداث إلى أنه مع فقد كل شرقي وجنوبي آسيا الصغرى تقريبا بعد سنة ١٠٧١ ، قد أثر بشكل خطير على البناء الكنسي في مراكز حضارية واسعة. ففي الريف عاشت الطوائف المسيحية والأديرة والمباني الكنيسية واستمرت لبعض الوقت ،ولم يقو من شأن المجموعات المسيحية سوى عدة عوامل هي : وجود وإقامة دولة أرمينيا الصغرى في قيليقية سنة ١٠٧١م، ووصول الصليبيين عبر قبادوقيا والأناضول في سنوات (١٠٩٧ - ١٠٩٨م) و (١١٤٧ - ١١٤٨م) و (١١٩٦ - ١١٩٩م) ، وإعادة بيزنطة ، وضع يدها على الخط الساحلي الجنوبي شاملة أرمينية الصغرى في الفترة من سنة ١١٣٧م إلى ١١٧٦ م (١٠٧).

والحقيقة أن هدم وتحويل الكنائس إلى مساجد موضوع بعيد تماما عن الإسلام ، فالرسالة المحمدية حين بدأت لم تكن موجهة للعرب وحدهم لأن الله أرسل محمدا شاهدا ومبشرا ونذيرا ليهدى الناس كافة عامة إلى دين الحق كما جاء

(102) Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 77 . ; Cahen : La premiere pentration Turque en Asia Mineure ., P. 45. ; Sevim (Ali) : Selcuklu - Ermeni iliskileri ., p . 23 .
(103) Matthieu d'Edesse : op . cit ., p . 313 .
(١٠٤) ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، ص١٣٤.
(105) Vryonis : op . cit ., pp . 197 - 198 .
(106) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p. 626 .
(107) Krautheimer (Richard) : Early christian and Byzantine Architecture (U.S.A 1965) p . 280 .

في قوله تعالى : " وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون " (١٠٨).

ولقد قامت الدعوة إلى الدين الإسلامي الحنيف على إطلاق الحريات الكاملة للناس وعدم إجبارهم على الدخول فيه مما أدى ذلك إلى احتواء المسلمين لأعداد كبيرة من غير المسلمين من رعايا الروم والفرس من مختلف فئات النصارى واليهود وحتى المجوس الذين شكلوا جزءا كبيرا من هذا المجتمع تحت حكم الدولة الإسلامية ، وهذا هو منهج شريعة الإسلام منذ فتوحاتهم الإسلامية الأولى ، وكما عبر عنها القرآن الكريم : "لا إكراه في الدين، قد تبين الرشد من الغي" (١٠٩).

وممن اعتنق الإسلام السلاجقة المسلمون الذين فتحوا آسيا الصغرى ، وكما ذكرنا آنفا أن هؤلاء الأتراك السلاجقة ينقسمون إلى فئتين التركمان الخلص الذين حرصوا على الإغارة على المسيحيين في آسيا الصغرى ،ولكنهم كانوا ينكرون كل فكرة ترمي إلى إقامة حكومة نظامية ، أما الفئة الثانية فكانت السلاجقة الذين سعوا إلى أن يقيموا في آسيا الصغرى حكومة نظامية وهي التي عرفت بسلطنة سلاجقة الروم .

وتشير بعض الأبحاث الحديثة إلى أن كثيرا من هذه العشائر التركية على الرغم من كونها عشائر مسلمة فإنها لم تكن متمسكة بالإسلام ، بل كانت أكثر اتباعا لتقاليدها المتوارثة التي يغطيها طلاء إسلامي سطحي ، وهم في الحقيقة امتداد للشامانية التركية تعلوها مسوح إسلامية . فضلا على أنهم كانوا حديثي العهد بالإسلام ومعرفتهم به كانت شبه سطحية (١١٠).

وقد مر بنا أن سلطنة سلاجقة الروم لم يكن لهم عليهم سلطان ،وكانوا طوال القرن الثاني عشر وحتى بعد قيام سلطنة سلاجقة الروم ، كانوا يغيرون لحسابهم الخاص على الأراضي البيزنطية ويعودون منها بالغنائم ، وكانوا يحققون العائد المادي ، بل إن هذه العشائر كانت تسبب للدولة السلجوقية كثيرا من المشكلات السياسية وتجرهم إلى حروب مع بيزنطة في بعض الأحيان.

---

(١٠٨) سورة سبأ ، آية ٢٨ .

(١٠٩) سورة البقرة ، آية ٢٥٦ .

(110) Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 952 . ; Sayer (I.M) : The Empire of the Salcuqids of Asia Minor ., p . 278 .; Turan (Osman) : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " ., pp . 356-251 .

– محمد فؤاد كوبريللي : المرجع السابق ، ص ٨٧-١٥٥-١٥٦ .

وعندما تولى السلاجقة المسلمون ، أعني السلطنة النظامية لم يحدث أن أمر أو قام أحد السلاطين من سلاجقة الروم وأمر بهدم كنيسة أو تحويلها إلى مسجد سوى السلطان سليمان بن قطلمش الذى حول كنيسة القديس بطرس إلى مسجد جامع ، وصلى المسلمون فيه يوم الجمعة الخامس عشر من شعبان سنة ٤٧٧هـ / ١٧ ديسمبر ١٠٨٤م ، وأذن فيه في ذلك اليوم مائه وعشرة من المؤذنين وخلق كثير من أهل الشام " (١١١)، فقد عرف عن سلطنة سلاجقة الروم - كما سيأتي - أنهم ضد التدخل في شئونهم الدينية للسكان المحليين ، لكن على ما يبدو أن الظروف قد اضطرتهم أحيانا إلى استخدام بعض الكنائس كجامع مؤقت.

ويذكر فريونز أنه لا يوجد نص مرتب ومنظم يرصد ظاهرة تحطيم الكنائس. ولكن الواضح أنه حدث نوع من تحطيم بعض الكنائس ونهبها. والملحمة الأسطورية دانشمند نامه Danishnend Nama جاءت بالاستهلال الآتي على لسان البطل الإسلامي دانشمند " أنا ملك الدانشمند غازي ومحطم الكنائس والمدن " (١١٢).

ويبدو أن بعض الأتراك المسلمين ارتبط في أذهانهم خطأ أن تحطيم الكنائس نوع من أنواع الجهاد ، وأن كان هذا نادرا ما يحدث خاصة وأن المصادر البيزنطية وغير البيزنطية التي أوردت موضوع تحطيم الكنائس ونهبها هي نفسها التي أشادت بالحكام المسلمين في آسيا الصغرى وبعدلهم "كما سيأتي بعد قليل".

وإذا كانت الكنائس قد تعرضت في بعض الأحيان للهدم أو التخريب أو التحويل إلى مساجد ، فهذا الأمر مرتبط بحالات فردية سرعان ما كانت تتلاش آثارها في فترة لاحقة أو كان انعكاسا لظروف سياسية معينة.

والواقع إن تدمير الكنائس ونهبها لم يكن قد صاحب الغزوات التركية فقط فلقد تعرضت الكنائس المخالفة لبيزنطة إلى النهب والتدمير والتخريب والإحراق من قبل بيزنطة خاصة المنشآت الدينية الأرمينية والسريانية لفرض الاتحاد الديني ، وكان من نتيجة هذه الاضطهادات هجر بطارقة السريان مدينة ملطية في الأقاليم

---

(١١١) ابن العديم : زبدة الحلب من تاريخ حلب ، جـ ٢ ، ص ٨٧ .

-**Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 77. ; **Sevim (Ali)** : op . cit ., p . 23 . ; **Rice** : The Seljoukes in Asia Minor , p . 31

(112) **Vryonis** : op . cit ., pp . 195 .

نستشف من حضور وإشتراك رجال الدين اليونانيين في ربوع آسيا الصغري والذين يقعون تحت مظلة السلطة السلجوقية كممثلين لبلدانهم في المجامع الدينية التي عقدت في القسطنطينية ،ما يؤكد حرية رجال الدين واستقلال كنائسهم وأديرتهم تحت السلطة السلجوقية . فقد حضر عدد من مطارنة آسيا الصغرى ، كما يشير بذلك المرسوم البطريركي عن مدن ملطية وأفسوس وهرقلة وغيرها من مدن آسيا الصغرى . انظر :

Grumel (V) : Les Regestes des Actes du patriarcat de constantinople . vol . 1 Fasc . III , les Regestes de 1043 A 1206 . No . 1179 . pp . 181-182 .

البيزنطية، ووجدوا الملجأ في الأراضي المسلمة خاصة في مدينة آمد (١١٣)، بل إن المسيحيين في آسيا الصغرى كانوا كثيرا ما يميلون إلى الأتراك السلاجقة وعندما بلغ أمراء الرها ذلك أثاروا حقدهم . وفي سنة ١١٤٨م سار جوسلين أمير الرها إلى نواحي ملطية ونهب دير ماربر صوما وهو من أعظم أديار السريان اليعاقبة حيث أخرج الأواني والأطباق والمراوح والصلبان والأناجيل ومن بينهما صليب ثمين واستحوذ عليها. ثم جمع الأواني والأمتعة وضم إليها أمتعة أديار مارا بجاى وسرجسين وماديق وحرصفنا التي نقلت إلى الدير وحملت على أثنى عشر بغلا من بغال الدير ،وشتت رهبان الدير وأحل محلهم جنودا من الأرمن (١١٤).

وينبغي ألا ننسي أن كثيرا من مسيحي آسيا الصغرى رحبوا بمقدم الأتراك السلاجقة باعتبارهم مخلصين لهم من الحكومة البيزنطية البغيضة ، لا بسبب نظام الضرائب المجحف وحده ولكن بسبب روح الاضطهاد التي ظهرت بها الكنيسة الإغريقية (١١٥).

وقد بدأ عدل الإسلام في موقف السلطان ألب أرسلان مع الإمبراطور رومانوس ديوجينيس سنة ١٠٧١ م حين عامله بكرم وأطلق سراحه علي الرغم مما ذكره المؤرخون الشرقيون أن قيصر الروم كان قد أخذ منه الحماس والاعتداد بالنفس مأخذهما حتى عزم علي أن يغرس الصليب بنفسه في قصر الخلافة بمدينة الإسلام المقدسة ويحرق المصاحف بلا تراجع حتى يبلغ سمرقند(١١٦).

ولقد اتسمت سياسة السلاجقة المسلمين مع المسيحيين في آسيا الصغرى بالعدل والتسامح والحرية الدينية والتي كفلت للمسيحيين الاحتفاظ بدينهم حيث لم يكن هناك تعصب ديني (١١٧). وقد جذبت هذه الروح التي تميز بها السلاجقة روح الود والتسامح الديني قطاع كبير من مسيحي آسيا الصغرى إلى الإسلام (١١٨).

ولقد دفع سوء الحكم البيزنطي السكان الأصليين في آسيا الصغرى إلى التعاطف مع الأتراك السلاجقة وتشجيعهم على غزوهم لآسيا الصغرى مثل الأرمن

---

(113) Vryonis : op . cit ., pp . 199 .

(١١٤) أسحق أرملة : الحروب الصليبية في الآثار السريانية . ص ١٣١-١٣٣ . ؛ أسد رستم : كنيسة مدينة الله أنطاكية العظمي ، ج ٢ ٢٩٤-٢٩٥ (لبنان - ١٩٨٨م) .

(١١٥) أرنولد : (ت.و) : الدعوة إلي الإسلام (القاهرة - ١٩٥٧م) ، ص ٨٧ .
Vyonis : op . cit ., p . 216 .

(١١٦) فامبري (أرمينوس) : تاريخ بخاري (القاهرة - ١٩٨٧ م) ، ص ١٣٦ .
Vyonis : op . cit ., p . 211 .

(117) Thierry (N) : The Rock Churches in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia (London 1971) p . 131 . ; Sayer : op . cit ., p . 278 . ; Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 952 .

(118) Cahen : le probleme ethnique en Anatolie ., pp . 361 -362 .

الذين كانوا يعيشون في قيلقية وعانوا من الاضطهاد الديني من قبل بيزنطة ، واعتقلت السلطات البيزنطية الزعماء الأرمن الدينيين مما نتج عنه ضيق الأرمن واستيائهم وغضبهم ، فضلا عن سياسة الضرائب التي كان البيزنطيون يفرضونها خاصة في عهد الإمبراطور البيزنطي قسطنطين مونوما خوس (١٠٤٢-١٠٥٥م)(١١٩).

والحقيقة أن التسامح كان سمة سلطنة سلاجقة الروم حيث يذكر ابن العبري أن السلطان سليمان بين قطلمش بعد أن فتح انطاكية سنة ١٠٧٤م (٤٧٧هـ) " نادى بالأمان في المدينة وحرم على الأتراك الضرب بالسيف ودخول أي بيت من بيوت المسيحيين ومصاهرة بناتهم على الإطلاق ، وفرض عليهم أن يبيعوا كل ما غنموه من الأنطاكيين في أنطاكية عينا وبثمن بخس ، وهكذا طيب قلوب الأهالي وولى الحاكم حراسة القلعة ، فاستراح الأنطاكيون وتمتعوا بالطمأنينة أكثر من أيام فيلروس (فيلاريتوس) النصراني بالاسم (١٢٠).

وكثيرا ما تحدثت وشهدت المصادر التاريخية عن شهامة السلاطين الترك تجاه المسيحيين . فلم يكن المؤرخون المسلمون وحدهم الذين تحدثوا عن المعاملة الطيبة التي لقيها رومانوس ديوجينيس من ألب أرسلان ، بل تناولتها المصادر المسيحية ، كما أن ميخائيل السرياني ومتى الرهاوى قد مدحا الحكام المسلمين الذين عملوا لمصلحة المسيحيين ، فسليمان بن قطلمش – كما مر بنا – عامل أهل أنطاكيا بعطف ، والسلطان ملكشاه منح إعفاء للكنيسة الأرمنية من الضرائب وأطلق حريتها ، والأمير إسماعيل حاكم أرمينيا قام بجهود كبيرة ليدمل النهب والخراب الذي حل بأرمينيا وأعطى الحرية للمسيحيين ، وعرب شريف الدولة مدح من قبل المؤرخين المسيحيين لحمايته المسيحيين الذين كانوا تحت سيادته. وملك دانشمند اهتم بالمسيحيين في ملطية ، وكلا من ملك دانشمند غازي وقلج أرسلان أبدى حزنه على بعض المسيحيين الذين لقوا حتفهم أو شعروا بقلة الحماية(١٢١).

---

(119) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 65 . ; **Cahen** : le probleme ethnique en Anatolie ., pp . 31-32 . ; **Wittek (Paul)** : " Deux chapitres de L'histoire des Turcs de Roum ., p. 292 .

(١٢٠) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١١٨ . ؛ ابن الشحنة : الدر المنتخب في تاريخ مملكة حلب . ص ٢١٢-٢١٣ .

Sevium (Ali) : op . cit ., p . 24 . ; **Turan** :" les souverains Seldjoukides et leurs Sujets non Musulmans" ., p . 75. ; **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., p. 211 .; **Cahen** : La premier pentration ., p . 45 .

(121) **Matthieu d'Edesse** ; op.cit ., pp . 188-190-196-201-204-207-256 . ; **Michel le Syrien** : op.cit., vol III pp. 194 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp . 210-213 .

وبلغ من حسن معاملة السلاجقة الطيبة لرعاياهم المسيحيين أن متى الرهاوى ذكر فى حوليته "لقد كان السلطان ملكشاة أبا لكل الناس ، ويعامل الناس بالرحمة والعدل والإحسان، ولقد تسببت وفاته فى حزن عميق لدى الجميع" [١٢٢].

كما أن الأمير أحمد الدانشمندى كان يعامل الأرمن المسيحيين معاملة طيبة حتى أن متى الرهاوى اعتقد أن أصل الأمير الدانشمندى يعود إلى الأرمن، وذكره بعبارات تتسم بالود حيث قال : "لقد كان الأمير دانشمند رحيما كريما مع المسيحيين ، ولقد حزنوا حزنا شديدا على وفاته لأنهم كانوا يحبونه ويقدرونه" [١٢٣]. وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على سعة صدر السلاجقة مع سكان البلاد المفتوحة .

ولقد كان المسيحيون فى آسيا الصغرى يجلون ويحترمون السلطان قلج أرسلان الثاني لأنه كان رحيما وودودا مع المسيحيين ، ولذلك حزنوا حزنا شديدا أيضا لوفاته ١١٠٧م لشعورهم أنهم فقدوا حاميهم [١٢٤]. وعندما زار الرحالة المسلم ابن بطوطة آسيا الصغرى فى القرن الثالث عشر الميلادي ذكر فيما يخص سلطنة سلاجقة الروم " أن بها كثير من النصارى تحت ذمة المسلمين من التركمان " [١٢٥]. وهذا ما يؤكد أنه لم يحدث تحول جماعي لاعتناق الإسلام بالإكراه، ولو حدث ذلك لتناوله المؤرخون المسيحيون قبل المسلمين ، كما أنه لا يوجد دليل على اضطهاد السلاجقة الأتراك لسكان آسيا الصغرى الأصليين لتجبرهم على اعتناق الإسلام ، بل أن السلاجقة رأت من مصلحتها كدولة نظامية أن لا يتحول كل سكان آسيا الصغرى إلى الإسلام عن طريق الإجبار من الناحية الاقتصادية .

ومع أن دولة سلاجقة الروم كانت تحافظ على مبادئ الشريعة الإسلامية، إلا أنها لم تكن دولة ثيوقراطية (دينية) ، وكانت تجعل مصلحتها عمليا لا نظريا فوق كل اعتبار . ولذلك كان السلاجقة بعيدين عن التعصب الدينى [١٢٦].

ومما يؤكد موقف السلاجقة المسلمين من الديانة المسيحية عموما دون النظر إلى مذاهبها ما ذكره المؤرخ السرياني ميخائيل إذ يقول : " لم يكن لدى الترك الذين يحتلون أوطانا يعيش بها (المسيحيون) أى معرفة بالطقوس الدينية لهذه الديانة (الثالوث المقدس C'est –a-dir de la trinite) . ولذلك فإنهم كانوا

(122) Matthieu d'Edesse : op.cit ., pp .178-203 , p . 204 .
(123) Matthieu d'Edesse : op.cit ., p .256 .
(124) Matthieu d'Edesse : op.cit ., p . 231 . ; Turan :" les souverains Seldjoukides et leurs ., p . 75 .

(١٢٥) ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٨٨ .

(١٢٦) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٠١ .

يعتبرون الديانة المسيحية ضلالة عقل ، ولم يكن من عاداتهم السؤال والاستفسار عن طريق ممارسة (أركان هذه العقيدة) أو اضطهاد شخص ما لجهره بالعقيدة الدينية (كما كان يفعل اليونانيون). ذلك الشعب الذى وصف بالشرور والإلحاد (١٢٧). على أن أهم ما فى عبارة ميخائيل السرياني هو مقارنته بين حياة شعبه عندما كانوا رعايا للبيزنطيين وأصبحوا رعايا للسلاجقة المسلمين.

وهنا نكرر أن سلاجقة الروم أظهروا كثيرا من التسامح فى آسيا الصغرى تجاه الأديان الأخرى عموما وتسامحوا مع المسيحيين على الأخص. وكان المسيحيون الذين يعيشون فى آسيا الصغرى تحت حكم السلاجقة يحتفظون بحرية إدارة كنائسهم وأديرتهم التي بقيت تحت سيادتهم. كما أن رجال الدين المسيحي اليونانيين لم يجدوا صعوبة فى التمسك بروابطهم وعلاقاتهم مع بطاركة القسطنطينية(١٢٨).

أما عن الجزية التي فرضها السلاجقة على رعاياهم المسيحيين فقد عرفت فى الدولة الإسلامية وطبقت منذ عهد النبوة ، وكانت هذه الجزية قد وضعت على أهل الذمة مقابل بقائهم فى الدولة الإسلامية بقاء حماية المسلمين لهم استنادا على ما نص عليه القرآن الكريم فى قوله تعالى : " قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون " (١٢٩). وعلى هذا فإن أهل الكتاب سواء كانوا يهودا أو نصارى ، الذين بقوا على ديانتهم ، وإن كانوا معترفين بأن الله سبحانه وتعالى واحد ، فقد كفروا بكتاب الله تعالى القرآن الكريم ورسوله الكريم صلى الله عليه وسلم ولذلك لم يبق لهم إيمان لأن تصديق الرسل إيمان بالمرسل ، ولذلك تجرى عليهم الجزية ليقروا بها فى دار الإسلام بالكف عنهم وحمايتهم (١٣٠).

والجدير بالذكر أنه بعد قيام سلطنة السلاجقة الروم فى آسيا الصغرى ، فقد جرت على السكان الوطنيين من مسيحيين ويهود وأيضا مجوس أو من غير المسلمين فقد جرت عليهم دفع الجزية (١٣١). وهذه الجزية التي فرضت على أهل الذمة (غير المسلمين عموما) ظلت تمثل أحد مصادر الدخل الهامة بالنسبة للسلطنة خلال القرن الثالث عشر الميلادي (١٣٢).

(127) Michel le Syrien : op.cit., vol III p . 222 . ; Turan : op . cit ., p . 69 .
(128) Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 953 .

(١٢٩) سورة التوبة : آية ٢٩ .

(١٣٠) الماوردي : الأحكام السلطانية (القاهرة – ١٢٩٨ هـ) ، ص ١٤٣ .

(131) Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 953 .
(132) Turan : " L'Islamisation dans la Turquie du Moyen Age , p . 139 .

وتشير إحدى وثائق الوقف إلى أن جلال الدين كاراتاى وهو أمير سلجوقى من أصل يوناني أقام خانا فاخرا على بعد خمسة وعشرين ميلا من مدينة قيصرية ومدرسة فى قونيه ودارا فى أنطاليا . والمال الذى استخدم فى إقامة وإدارة هذه المنشآت كان من قريتين مسيحيتين وهما قرية لنكادون Linkandon وساراهور Sarahor والذي كان يستلزم على سكانها دفع ٢٠٪ من إنتاجهم إلى الوقف . كما أن هناك وقفا كان فى صورة مدارس فى قونية أقامها شمس الدين التون ، وكان هناك ما يصرف على معتنقي الإسلام الجدد وتعليم القرآن والصلاة واحتفالات الختان (الطهارة) والطعام والملابس من دخل الجزية من إحدى القرى المسيحية (١٣٣).

على أن الجزية التي كانت مفروضة على غير المسلمين إن دلت على شيء فإنما تدل على أنه لم يحدث تحول جماعي إلى اعتناق الدين الإسلامي . كما أنه لا يوجد دليل يؤكد أن السلاجقة المسلمين اتبعوا سياسة تجبر الأهالي ، خاصة وأن هذا الأمر مستبعد لأن تحول المسيحيين إلى الإسلام دفعة واحدة يعتبر فيه ضرر إلى مصلحة السلطنة اقتصاديا ، وقد ذكرنا أن هذه الدولة كانت دولة ثيوقراطية فى المرتبة الأولى.

أما عن الذين اعتنقوا الإسلام فى آسيا الصغرى ، بداية نود القول إن الإسلام احترم المسيحية احتراما بالغا وكرم نبيها عليه السلام تكريما لم يحظ به غيره من الأنبياء والمرسلين السابقين ، فنادى القرآن الكريم بالسلام عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حيا . ولكن المسيحيين المعاصرين لم يفهموا طبيعة الديانة الجديدة التي بشر بها سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، وكل ما أدركوه هو أن أتباع محمد خرجوا من شبه الجزيرة العربية ليبتلعوا بلدا بعد آخر من البلدان التي كانت المسيحية قد سبقت إليها وانتشرت فيها ، وبعبارة أخرى فإن الكنيسة ورجالها لم يروا فى الإسلام والمسلمين إلا خطرا جائما هددهم وهدد كيانهم فراحت الكنيسة تدعى أن الإسلام إنما أنتشر بحد السيف وأن الغزوات الإسلامية إنما استهدفت إجبار الناس على اعتناق الديانة الجديدة ، وهكذا خلطت الكنيسة ورجالها بين انتشار الديانة الإسلامية وانتشار نفوذ العرب السياسي وتجاهلت حقيقة كبرى اعترف بها جمهرة المستشرقين اليوم ، وهى أن نفوذ العرب السياسي هو الذي انتشر بحد السيف ، أما الديانة الإسلامية نفسها فلها من سلامة المنطق وقوة الحجة ما جعل غالبية أهالي البلاد المفتوحة يدخلون فى دين الله أفواجا(١٣٤).

(133) Vryonis : Nomadization and Islamisation ., p . 61 .

(١٣٤) سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ، جـ ١ ، ص ٤١ .

والحقيقة أن سياسة السلاجقة المسلمين في آسيا الصغرى أيضا لها دور كبير في دخول أعداد كبيرة من سكان المنطقة في الإسلام ، ففي الوقت الذي زاد فيه عدد سكان المسلمين كان يقابله نقص في عدد السكان المسيحيين. ورغم وجود نقص في مادة المصادر المعاصرة عن موضوع معتنقي الإسلام وعددهم ،إلا أن هناك بعض الإشارات في القرنين الحادي عشر والثاني عشر إلى أن أعداد الداخلين في الإسلام كانت كبيرة وذات اعتبار . وحول كيفية انتشار الإسلام بين سكان آسيا الصغرى دار رأيان بصدد هذا الأمر الأول أنهم اعتنقوا الإسلام عن اقتناع تام بكامل إرادتهم ، والرأي الآخر أنهم اعتنقوا الإسلام مجبرين للتخلص من الجزية(١٣٥).

وكما هو معروف أن الإسلام انتشر بصورة كبيرة بين نصارى آسيا الصغرى في العصر السلجوقي بدليل أن بعض رجالات الدولة السلجوقية كانوا حديثي عهد بالإسلام، وكان من بينهم من ينتمي إلى الأرستقراطية البيزنطية العليا كأسرة كومنين، ولم يكن من النادر أن نرى – عدا هؤلاء – بعض العلماء أو الصناع أو حتى كبار الصوفية قد تحولوا هم أنفسهم أو تحول آباؤهم من المسيحية إلى الإسلام . ولا شك في أن المخالطة الطويلة وما كان للمسلمين من مركز خاص في إدارة الدولة ، ورغبة غير المسلمين في التخلص من بعض التكاليف . ولا شك في أن هذه العوامل السيكولوجية والاقتصادية قد ساعدت كلها على حركة الدخول في الإسلام(١٣٦).

ففي إمارة قيليقية بجبال طوروس في جنوب آسيا الصغرى نجد هناك كثيرا من الأرمن يفضلون حكم السلاجقة ويعتنقون الإسلام مثل أسرة بجو ساج Bogusag الأرمنية التي اعتنق كل أفرادها الإسلام سنة ١٠٧٢ م . كما اعتنق أيضا سنة ١٠٩٢ م الأمير فيلاريتوس براخميوس الذى نجح في إقامة دولة مستقلة في الربع الأخير من القرن الحادي عشر في قيليقية لفترة من الزمن(١٣٧).

---

(135) **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., pp . 176-177 .

(١٣٦) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٣٣.

(137) **Attaliates (Michaelis)** : Historia ., p. 301 . ; **Sevim (Ali)** : op . cit ., p , 18 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp . 93-109 -230 ; **Cahen** : La premier pentration ., pp . 31-32 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., pp . 74-75 .

كان فيلاريتوس كما تذكر الحوليات التاريخية معروف بالتذبذب السياسي بين كل من البيزنطيين والمسلمين ، كما عرف عنه تأرجحه العقيدي بين المونوفيزيتية والأرثوذكسية مما أكسبه كراهية الجميع ، كما يذكر ميخائيل السرياني أن الترك بعد استيلائهم علي املاكه في قيليقية توجه إلي بغداد للمطالبة بهذه الأملاك وأعلن تخليه عن ديانته واعتناقه للإسلام . غير أنه لم يجد استجابة ، فعاد مرة أخري وندم علي ما فعل واعتزل في أحد الأديرة . انظر :

Michel le Syrien : op.cit., p . 325 . - Grousset (Rene) : L'Empire du le vant ., p . 177 .

وأيضا حدثت تحولات للإسلام أثناء حوادث الحروب الصليبية في آسيا الصغرى – بدون النظر عن تأثير المعارك على هذا التحول – ففي الحرب الصليبية الأولى مثلا اعتنق الإسلام بعض الصليبيين من الألمان واللومبارديين بزعامة الفارس المشهور رينو Rainaud بعد أن انشقوا عن باقي رفقائهم من الطائفة الرئيسية – أثناء حصار السلطان قلج أرسلان السلجوقي لهم في إحدى القلاع – حيث تظاهر رينو هو وخاصة أتباعه بالقيام بهجوم على محاصريهم في الخارج فتركوا رفقاءهم التاعسين وانتقلوا إلى الأتراك (١٣٨).

وفي أثناء الحملة الصليبية الثانية سنة (١١٤٧–١١٤٩م) بينما كان الصليبيون يحاولون شق طريقهم إلى بيت المقدس برا عن طريق آسيا الصغرى ، حدث أن تعرضوا لخسائر فادحة بعد الهزائم التي عانوا منها على أيدي الترك ، وحين بلغوا مدينة انطاليا الساحلية ، تمكن جميع الذين استطاعوا أن يرضوا التجار الإغريق (البيزنطيين) بقبول المطالب التى فرضوها عليهم من الإبحار إلى أنطاكية ، بينما ظل بالمدينة طائفة من الجنود الصليبين والمرضى والجرحى وعامة الحجاج تحت رحمة حلفائهم الإغريق الذين قبضوا منهم مبلغ خمسمائة مارك من الملك لويس على أن يمدوا الحجاج بقوة من الحرس وأن يعتنوا بالمرضى حتى يصبحوا من القوة بحيث يمكن إرسالهم ليلحقوا بسائر زملائهم . ولكنهم تعرضوا لخيانة البيزنطيين واعتداءاتهم . ولقد أنقذ الأتراك السلاجقة هؤلاء الجنود الصليبيين والجرحى والمرضى بعد أن استدر منظر شقائهم قلوب المسلمين ، فواسوا المرضى وأغاثوا الفقير والجائع الذي أشرف على الهلاك ، وبذلوا لهم العطاء في كرم وسخاء ، بل لقد اشترى بعضهم النقود الفرنسية التي ابتزها البيزنطيون من الحجاج بالقوة أو الخداع، ووزعوها بسخاء بين المعوزين منهم ، فكان البون شاسعا بين المعاملة الرحيمة التي لقيها الحجاج من الترك وبين ما عانوه من قسوة إخوانهم المسيحيين من الإغريق الذين فرضوا عليهم السخرة وضربوهم وابتزوا منهم ما ترك لهم من متاع قليل، حتى إن كثيرا منهم دخلوا في دين منقذيهم بمحض إرادتهم، يقول "لقد جفوا إخوانهم في الدين الذين كانوا قساة عليهم ووجدوا الأمان بين (الكفار) الذين كانوا رحماء بهم ، ولقد بلغنا أن ما يربو على ثلاثة آلاف قد انضموا بعد أن تقهقروا إلى صفوف الأتراك . آه ، إنها لرحمة أقسى من الغدر! لقد منحوهم الخبز ولكن سلبوهم عقيدتهم ، ولو أنهم من المؤكد أنهم لم يكرهوا أحدا من بينهم على نبذ دينه ، وإنما اكتفوا بما قدموا لهم من خدمات " (١٣٩).

---

(١٣٨) أرنولد (ت.و) : الدعوة إلى الإسلام . ص ٨٠–٨١ .

(139) Odo of Deuil : op . cit ., pp . 139-141 . ; Turan : op . cit ., pp . 139 - 140 .

وعلى الرغم من أن هذا التحول إلي الإسلام قد حدث في ظروف خاصة ، إلا أنه إشارة واضحة إلى إرهاصات انتشار الإسلام في آسيا الصغرى. كما حدث أن اعتنق الإسلام فريق من الأرستقراطية البيزنطية مثل حنا كومنين بن اسحاق كومنين أخو الإمبراطور حنا كومنين حيث لجأ سنة ١١٣٩ - ١١٤٠م إلى السلطة السلجوقية في آسيا الصغرى وتخلى عن عمه حنا كومنين إثر خلاف وقع معه أثناء حصاره لمدينة نيكسار الدانشمندية. واستقر نهائيا في سلطنة سلاجقة الروم بعد أن اعتنق الإسلام تحت اسم الأمير كومنين (١٤٠).

كما اعتنق الإسلام بعض الأفراد من عائلة جافراس Gavras (جابراس Gabras)، وهذه العائلة لها دور كبير في تاريخ الحقبة الخاصة بموضوع الدراسة فقد لعبت هذه الأسرة دورا كبيرا في الدفاع عن مدينة طرابيزون البيزنطية ضد الغزوات السلجوقية في الربع الأخير من القرن الحادي عشر وحينما أصبحت هذه الأسرة شبه مستقلة في القرن الثاني عشر في عهد الكسيوس كومنين نظر إليهم نظرة الشك خاصة أن عددا من أفراد هذه الأسرة قد لجأ وبرز في خدمة سلطنة سلاجقة الروم . وكان هدف هذه الأسرة الحفاظ على ممتلكاتها في آسيا الصغرى والتي كانت تقع تحت سيطرة السلطنة ، ويذكر المؤرخ كناموس أنه أثناء إحدى الحملات المبكرة للإمبراطور مانويل كومنين على قونية سنة ١١٤٦م .كان أحد أفراد هذه العائلة ويدعى جابراس يشغل وضعا بارزا في جيش السلطان حتى وصل إلى رتبة أمير وهو يعود بأصله إلى الرومان Rhomaioi وقتل أثناء الاشتباكات بين الطرفين ولقد احتفظت أسرة جافراس بمكانتها البارزة وتفوقها حتى نهاية عهد السلطان قلج أرسلان الثاني حيث قام أحد أفراد هذه العائلة، بترتيب شروط السلام بين السلطان قلج أرسلان ومانويل كومنين بعد معركة ميريوكيفالون سنة ١١٧٦م (١٤١).

- أرنولد (ت.و) : الدعوة إلي الإسلام . ص ٨١ .

(140) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 48-49 .; **Michel le Syrien** : op cit ., vol III p . 247 .; **Izeddin (Mehmed)** :" Notes sur les mariage princiers en orient au moyen Age " Journal Asiatique T . cel VII (Paris 1969) p . 142 .; **Vryonis** : op. cit ., pp . 230-231 . ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 62 . ; **Cahen** : une famille Byzantine au service des Seljuqides d'AsiaMineure. Turcobyzantina VIII p . 146 .; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 94 .; **Wittek (P)** : Encore l'Epitaphe d'un comnene A Konia in Byzantion . T . XII (1937) p . 209 .

(141) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 245 . - **Zanoras (Ioannis)** : Epitomae Historiarum . ed T.Buttner Wobst in (C.S.H.B 1839) vol III p. 739 . ; **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., p . 231 .; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 63 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 97. ; **Cahen** : une famille Byzantine ., pp . 147-149 .

من أفراد هذه العائلة ثيودور جابراس Theodor Gabras الذي لعب دور كبير في القتال مع الداتشمنديون . وقد أخذ كأسير في أقليم Paipert Erzerum بعد أن وقع أسيرا في يد أمير تركي

ولقد ظل جافراس هذا في خدمة السلطان قلج أرسلان حتى سنة ١١٨٩، وجافراس هذا - إلى حد كبير - هو نفسه الحاجب السلطاني اختيار الدين بن جافراس، حاجب السلطان قلج أرسلان الثاني المسلم ، ولقد قتل حسن بن جافراس على يد التركمان الذين فتكوا به وبمن معه نتيجة الفتنة التى أدت إلى قيام الحرب الأهلية بين السلطان قلج أرسلان وأحد أبنائه (١٤٢).

كما اعتنق الإسلام عدد كبير من الأرمن وبعض حكامهم وأيضا عدد كبير من الجورجانيون(١٤٣). والجدير بالذكر أنه كثيرا ما كان يحدث من سقوط عدد كبير من الأسرى في أيدي الترك وكثيرا أيضا من الأطفال المسيحيين فيربون ويعيشون تحت كنف الأتراك ويعتنقون الإسلام (١٤٤).

ومما يذكر أن الإسلام انتشر في آسيا الصغرى بشكل كبير خاصة في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ بن كيقباذ بن كيخسروا بن قلج أرسلان (١٢١٩-١٢٣٧م)، وقد امتدحه المؤرخ ابن بيبى كثيرا قائلا : "لم تظلل أعلام الإسلام من ابتداء الطلوع حتى انتهاء الوقوع على ملك يماثل السلطان علاء الدين كيقباذ"(١٤٥).

والواقع أن الكنيسة الأرثوذكسية حرصت على أن تظل متيقظة داخل الإمبراطورية وأن لا تضيع أية فرصة تسنح لها لتحقيق غاياتها بالمناظرات العامة أو الدعاية الواسعة أو الحرب ضد المشركين وإن كان هذا لا يحول دون اللجوء إلى الوسائل الدبلوماسية (١٤٦).

لكن الثابت أن موقف الكنيسة الأرثوذكسية التي فقدت سلطانها على الجماهير منذ القرن الثاني عشر قد خلق حالة وجدانية تبرر - مع المصالح

يدعي علي Ali وحاول أن يجعله يتحول إلي الإسلام ، لكنه لم ينجح ، وحينما مات أعتبر أول شهيد في الفترة التركية وكان من الذين ظهروا في Greek Hagiolatry انظر :

- Vryonis : Nomadization and Islamisation ., p . 63 .

(١٤٢) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢١٤ - ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، مقدمة الترجمة ،ص ٦٠ .

- Vryonis : op . cit ., p . 63 . ; Vryonis : The decline of Medieval Hellenism ., pp . 231-232 . ; Cahen : une famille Byzantine ., p . 147 .

(143) Vryonis : The decline of Medieval Hellenism ., p . 178 Not . 264-230

عثمان الترك : المرجع السابق ، ص ١٢٩ .

(144) Vryonis : op . cit ., p . 182 .

(١٤٥) ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم . ص ١٦١ .

(١٤٦) هسي : العالم البيزنطي . ص ٢٦٨ .

الاقتصادية – الدخول في الإسلام حتى أن عددا كبيرا من طوائف الهراطقة (من وجهة نظر الكنيسة) قد تحولت إلى الإسلام وهو أثر لا يحتاج إلى بيان [١٤٧].

والحقيقة أن الدخول في الإسلام في آسيا الصغرى ازداد بشكل كبير حتى أصبح شيئا مألوفا، ولم يقف على الحالات الفردية خاصة في نهاية القرن الثاني عشر، وهناك وثيقة الوقف التي حررها الأمير السلجوقي آلتون آبا في قونيه سنة ١٢٠٢ م حيث خصص دخل هذا الوقف – الناتج عن بعض مؤسسات شيدت على عهد السلطان قلج أرسلان الثاني – للذين يعتنقون الإسلام حديثا من المسيحيين واليهود أو المجوس من الذين يعيشون في آسيا الصغرى لتعليم القرآن والصلاة ولاحتفالات ومصاريف الختان وكساء الفقراء والمحتاجين . هذه الوثيقة توضح إلى حد كبير مدى انتشار الإسلام وكثرة الداخلين فيه في آسيا الصغرى [١٤٨].

على أن آثار تحول السكان في آسيا الصغرى إلى الإسلام قد ظهر بوضوح مع زيادة وكبر حجم المجتمع التركي المسلم أيضا إذا ما قورن بالمجتمع المسيحي، ففي القرن الحادي عشر الميلادي كانت آسيا الصغرى تشمل المسيحيين بمختلف طوائفهم(يونان، أرمن، وسريان، جورجيون) ، والكنيسة اليونانية كانت تملك في آسيا الصغرى سبعا وأربعين مركزا Metopolitanate وأكثر من أربعمائة أسقفية Bishoprics بينما في القرن الرابع عشر الميلادي كان المتبقي منها سبعين مركزا فقط وثلاثة أسقفيات . وقد سجلت الضرائب العثمانية في القرن السادس عشر ملاحظة تقول أنه حوالي ٩٢,٤٪ من الضرائب التي كانت تجمع من السكان في آسيا الصغرى كانوا مسلمين ، وفقط ٧,٥٪ كانوا مسيحيين [١٤٩]. وهذا يوضح مدى التغير الذى حدث عبر الزمن .

انتشار ظاهرتي التصوف والفتوة في آسيا الصغرى :

لم تكن آسيا الصغرى إلا منطقة من العالم في العصور الوسطى التقت على أرضها حضارات عديدة ومختلفة ، ففي العصور الوسطى التقت على أرضها حضارات مختلفة وجها لوجه، البيزنطية والأرمينية والسريانية واللاتينية وأخيرا الحضارة الإسلامية. ولقد كانت آسيا الصغرى تتمتع بمناخ روحي وديني تختلف عن باقي بلاد العالم في ذلك الوقت. لذلك وجد التصوف في آسيا الصغرى وبالتحديد في أرض سلطنة سلاجقة الروم أرضا خصبة حيث انتشر بشكل كبير .

---

(١٤٧) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٣٦ .

(148) **Turan** : " L'Islamisation dans la Turquie ., p . 140 . ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 61 .

(149) **Vryonis(s)** : The Decline of Byzantine in Asia Minor ., in Dumbarton oaks papers . No . 29 ., p . 356 .

والتصوف عموما هو طريقة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل ، لتزكو النفس وتسمو الروح، أما علم التصوف فهو مجموعة المبادئ التي يعتقدها المتصوفة والآداب التي يتأدبون بها في مجتمعاتهم وخلواتهم[١٥٠]. وإن كان الباحثون وعلى رأسهم الصوفية تناولوا الحديث عن أصل الكلمة وتعريف التصوف في أقاويل كثيرة ،والناظر في تعريفات التصوف والمتأمل فيها يمكن أن يصنفها إلى مجموعات، مجموعة منها تدور حول النفس ، ومجموعة تدور حول المعرفة ، ومجموعة تدور حول الزهد، في الدنيا وربما الزهد في الآخرة، وقد جعلوا النفس محورا لاعتقادهم أنها أهم شئ في الإنسان وأنها مصدر الشرفيه بعد الشيطان أو قبله[١٥١].

وكانت تعاليم الإمام أبي حامد الغزالي قد انتشرت في العالم الإسلامي بأسره ، وقد كان لدفاعه عن التصوف ومناصرته له أثر كبير في جذب الناس إلى حوزته لما كان يتمتع به الإمام الغزالي من مكانه عالية بين المسلمين [١٥٢]. وقد كان لذلك أثر كبير في انتشار الطرق الصوفية الكبرى التي مازالت موجودة حتى الآن.

وكانت دولة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى قد احتفظت في سياستها الدينية بتقاليد السلاجقة الكبار ،فما استمسكت بالمذهب السني والتزمت جانب العباسيين، وبقيت المدن الخاضعة لنفوذ دولتهم بيئات سنية خالصة ،وأعان على تقوية هذا النظام بوجه عام المدارس ، والطرق الصوفية التي بدأت تتكاثر خاصة في القرن الثالث عشر الميلادي [١٥٣].

وكانت آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر الميلادي قد وصلت إلى درجة عالية من التحضر ، فلم تعرف هذه المنطقة التعصب الديني . ولما قام المغول بغزو العالم الإسلامي وبخاصة التركستان وفارس قدم إلى آسيا الصغرى إلى السلطنة

---

[١٥٠] المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية - (القاهرة ١٩٧٢) جـ ١ ، ص ٥٤٩ .

[١٥١] عبد الفتاح أحمد الفاوي : التصوف الوجه والوجه الآخر . (الطبعة الثانية - ١٩٩٥) ص ٢٤ ، وعن أصل كلمة التصوف وتعريفة : أنظر ص٢٤ - ٥٣ .

[١٥٢] الإمام أبو حامد الغزالي : ولد بطوس سنة ٤٥٠ هـ . وتوفي سنة ٥٠٥ هـ وقد درس الغزالي في طوس وجرجان وينسابور وسافر كمعلم إلىالعديد من البلدان ومن تصانيفه الهامة التي تركها في مقدمتها إحياء علوم الدين ، ومقاصد الفلاسفة ، والوسيط وغيرها منتصانيف أنظر :-

- الصفدي : " كتاب الوافي بالوفيات " جـ١ ، ص٢٧٤-٢٧٧ .

; Robinson : Atlas of the Islamic world . , p.34 .

[١٥٣] محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق . ص ١٥٢ .

العلماء والشعراء والصوفية هربا من المغول، قدموامن بخارى وخراسان وفارس حيث أسهموا في تطوير الحياة الروحية الدينية[154].

وحين قدم رجال الصوفية على سلطنة سلاجقة الروم وجدوا أبواب قصورهم مفتوحة لهم حيث كان السلاجقة يعطفون على المتصوفة ، واكتظت بهم مدنهم الكبرى خاصة في القرن الثالث عشر الميلادى (القرن السابع الهجري) . وكانوا يقومون بإرشاد السلاطين وكبار الأعيان في قصورهم . وقد ساعدت الاضطرابات السياسية والنفسية على زيادة تأثير المتصوفين الروحي في الطبقات الشعبية كذلك[155]. ومن هؤلاء الدراويش والمتصوفين الذين قدموا إلى آسيا الصغرى من جميع البلاد الإسلامية تقريبا واستقروا في مدن السلاجقة المختلفة وأسسوا زوايا كثيرة أتباع الشيخ الشهير أحمد يسوى [156]، وفي هذا العهد انتشر أتباع الطريقة اليسوية وشرعوا في القيام بنشر طرقهم.

ويأتي في مقدمة كبار مشاهير الصوفية الذين هاجروا إلى آسيا الصغرى وإلى بلاط سلاطين قونيه الشيخ شهاب الدين أبو الفتوح السهروردى الذى ولد بمدينة سهرورد في سنة ١١٣١م (شهر رجب ٥٣٩هـ)، وكان فقيها شافعي المذهب شيخا صالحا ورعا كثير الاجتهاد ، وتخرج عليه خلق كثير من الصوفية في المجاهدة والخلوة " ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله". وسافر في صغره في طلب العلم من مراغة بإقليم أذربيجان على يد الشيخ مجد الدين الجيلي. كما سافر السهروردى كفيلسوف وصوفي ومعلم إلى نواحي متعددة حتى كانت حياته حياة تجوال وترحال، حيث تنقل بين بلاد الشام وأصفهان وحلب حتى جاء إلى سلطنة سلاجقة

(154) Ambarcioglu (M) : op. cit ., p.178 ; Hasluk : (F.W) : christianity and Islam under the sultans, p.167 ; Bosworth (C,E) : Saldjukids in E.I vol III p. 952 . ; Turan : Anatolia in the period of the seljuks ., p. 257 .

(١٥٥) حمزة طاهر : "التصوف الشعبى في الأدب التركى " مجلة كلية الآداب بالقاهرة مجـ ١٢ – جـ٢ (ديسمبر –١٩٥٠م) ص ١١٣.

(١٥٦) الشيخ أحمد يسوى : ولد ببلدة يس في التركستان في تاريخ غير معروف على وجه التحديد وتوفي بها سنة ١١٦٧م / ٥٦٢هـ وتلقى العلوم الدينية والتصوف في بخارى التى كانت أكبر مركز دينى فيما وراء النهر في ذلك العهد ، ثم عاد إلى بلدته يس وأنشأ طريقته المعروفة بالطريقة اليسوية ، وكان للشيخ أحمد اليسوى أكبر أثر في نشر الإسلام والتصوف في آسيا الوسطى وسهولها وقد امتد نفوذ طريقته اليسوية إلى أتراك الصين شرقا وإلى خوارزم وحوض نهر الفولجا وآذربيجان وآسيا الصغرى غربا . بل امتدت طريقته إلى مناطق شرق أوربا حتى البلغار . أنظر ؛ حمزة طاهر : المرجع السابق . مجـ ١٢ جـ٢ ، ص١١١-١٤٦ ؛ بارتولد (ف) : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ترجمة حمزة طاهر ،(الطبعة الخامسة – القاهرة) ص ١٣٤ ، جـ١ ؛ دائرة المعارف الإسلامية : أحمد يوسي ، جـ٢ ، ص٣٩٨-٣٩٩ .

الروم بآسيا الصغرى "وكان له مجلس وعظ، وعلى وعظه قبول كثير وله نفس مبارك"[١٥٧].

ويمدنا المؤرخ ابن بيبي بكلمات حانية عند ذكره لوصول شيخ الشيوخ شهاب الدين السهروردى إلى بلاط السلطنة واستقبال السلطان السلجوقى علاء الدين كيقباذ له حيث يذكر لما عرض خبر طلوع الدولة وظهور بدائع السعادة للسلطان علاء الدين كيقباذ على حضرة الخلافة وبلاط الإمام الناصر لدين الله أرسل بمنشور السلطنة ونيابة .... [١٥٨]. بل أنه في اليوم التالي لوصول الشيخ السهروردى دعا السلطان الشيخ إلى سراي السلطنة " لكي يلبس السلطان خلعة الخلافة ويضع على رأسه العمامة التي كورت في بغداد "...... [١٥٩].

ومن مشاهير الصوفية أيضا والذين اتجهوا إلى آسيا الصغرى واستقبلتهم سلطنة قونية بترحيب بالغ الصوفي الكبير " محي الدين بن عربي " وهو أندلسي المنشأ والأصل حيث ولد بمدينة "مرسيه" ٥٦٠هـ. ويعد ابن عربي من أكبر فلاسفة التصوف في العصور الوسطي حيث جعل من التصوف نظاما دينيا وفلسفيا في آن واحد. ولقد تجول ابن عربي في بلدان المشرق الإسلامي فيما بين سنتي ١٢٠١م – ١٢٢٤م (٥٩٨هـ و٦٢٠هـ) كما تجول كثيرا في أسفاره بين مدن آسيا الصغرى وفي سلطنة سلاجقة الروم استقبله السلطان بحفاوة بالغة " ركب له يوما صاحب الروم فقال : هذا تذعر له الأسود فسئل عن ذلك فقال: خدمت بمكة بعض الصلحاء فقال يوما: " الله يذل لك أعز خلقة ، أو كما قال. وقيل إن صاحب الروم أمر له بدار تساوى مائه ألف درهم [١٦٠].

---

(١٥٧) ابن خلكان : " وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان " ، تحقيق د/ إحسان عباس (بيروت – ١٩٦٨) مجـ٣ ، ص٤٤٦ ترجمة رقم ٤٩٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ٢١ ، ص٢٠٧-٢١١ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والإعلام ، الطبعة ٦١ ، ص٥٥ ؛ الصفدى : كتاب الوافي بالوفيات ، جـ٢ ص٣١٨-٣١٩ ؛ محمد مصطفى حلمي : حكيم الأشراق وحياته الروحية، مجلة كلية الآداب – جامعة القاهرة مجـ١٢ جـ٢ ص ٥٩-٩٢ (١٩٥٠م) ؛ قاسم غني : " تاريخ التصوف في الإسلام " ترجمة : صادق نشأت (القاهرة ١٩٧٢) ص٧٠١ .

(١٥٨) ابن بيبى : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ١٦٣

(١٥٩) ابن بيبى : سلطنة سلاجقة الروم ، ص١٦٤

(١٦٠) الكتبي : " فوات الوفيات " تحقيق د/ إحسان عباس (بيروت – ١٩٧٣) مجـ٢ ، ص٤٣٦ ، ترجمة رقم ٤٨٤ ؛ الصفدى : المصدر السابق ، جـ٤ ص١٧٣ ؛ الذهبي : سير إعلام النبلاء ، جـ٢٣ ، ص٤٨ ؛ المنذرى : " التكملة لوفيات الثقلة " حقق وعلق عليه /دكتور بشار عواد معروف مجـ٣ ، ص٥٥٥ (بيروت – ١٩٨٨) ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام – الطبقة ٦٤ ، ص٣٥٢-٣٥٣ ؛ أبو العلا

ومن مؤلفات ابن عربي الصوفية والتي انتشرت تعاليمها في آسيا الصغرى "التجليات" و"مفاتيح الغيب" ، "العبادة والخلوة "، " مناصحة النفس " ، "ترجمان النجوم ومطالع أهله الأسرار والعلوم " و" مشكاة الانوار فيما روى عن الله من الاخبار " وغيرها من المؤلفات الكثيرة [161]. وأثناء تنقل ابن عربي بين مدن آسيا الصغرى زار صاحبه وأشهر تلاميذه " صدر الدين القونوى " ت ١٢٧٤ (٦٧٣هـ) شيخ الأعاربة بقونية صاحب المؤلفات العديدة في التصوف مثل " النفحات "،" تحفة الشكور " ، " التجليات " و " تفسير سورة الفاتحة " ، الذى يمكن عده شارحا لآراء الشيخ محي الدين بن عربي بالفارسية [162]. وقد استأنف بن عربي رحلاته عبر المدن السلجوقية بآسيا الصغرى تمر بمدينة ملطية وسيواس وقونية وتبعة تلميذه عفيف الدين سليمان التلمساني (ت ١٢٩١م /٦٩٠هـ) الذي استقر في سلطنة سلاجقة الروم لفترة كبيرة [163].

وفي هذا العهد أيضا انتشر أتباع الطريقة اليسوية ونجم الدين الكبرى القادمين عن طريق خوارزم ،وأتباع قطب الدين حيدر القادمين من خراسان وشرعوا في القيام بنشر طرقهم في ربوع آسيا الصغرى ، فبالإضافة إلى الشيخ ابن عربي وصدر الدين القونوى في قونيه كان في مدينة توقات فخر الدين العراقي يقوم بالإرشاد في الخانقاه التي أنشأها " معين الدين بروانه" وفي قيصرية وسيواس " نجم الدين دايه " ومؤيد الدين جندى وسعد الدين الفرغاني وغيرهم ، وقد اكتسبوا شهرة واسعة وأتباعا كثيرين حول المدن التي عاشوا فيها[164].

ومن رجال الصوفية الذين هاجروا إلى آسيا الصغرى الشيخ " محمد بن حسين خطيبي " والمعروف باسم " بهاء الدين ولد " سلطان العلماء " وهو من أصل فارسي من مدينة بلخ ، وقد اضطر إلى ترك وطنه بلخ لنزاع قام بينه وبين خوارزم شاه علاء الدين محمد ، ومتأثرا بأفكار فخر الدين الرازى المتوفى ١٢٠٩-١٢١٠ م (

عفيفي : من أين استقى محي الدين بن عربي فلسفتة التصوفية ،مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، مجـ١ ،جـ١ ، ص٣-٤٥ (١٩٣٣) ؛

Robinson (F) : Atlas of the Islamic world . , p.31 ؛ Bosworth (C.E) Saldjukids in E.I , vol 111 P.952 .

(١٦١) الصفدى : المصدر السابق ، جـ٤ ، ص١٧٥-١٧٦ ؛ الكتبى : المصدر السابق ، مجـ٣ ، ص٤٣٧-٤٣٨

(١٦٢) الصفدى : المصدر السابق ، جـ٢ ، ص٣٠٠ ؛

Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I , vol 111 P.952 .

(163) Bosworth (C.E) : op. cit. , P.952

(١٦٤) حمزة طاهر : المرجع السابق ، ص ١١٣ .

٦٠٦هـ) ، والذى كان خوارزم شاه يشمله برعايته . ووصل إلى مدينة ملطية ١٢١٧م (٦٤١هـ) – ثم انتقل إلى سيواس ثم إلى مدينة أقشهر بالقرب من أرزنجان حيث قضى أربع سنوات ، ثم شخص إلى لارنده حيث ظل بها سبع سنوات . وفي سنة ١٢٢٨م (٦٢٦هـ) نزحت أسرة بهاء الدين مستجيبة لرجاء الأمير السلجوقي علاء الدين كيقباذ إلى قونية للإقامة في العاصمة واعظا ومعلما حتى وفاته فيما بين ١٢٣٠-١٢٣٤م (٦٢٨-٦٣١هـ) [١٦٥].

وبعد وفاة سلطان العلماء " بهاء الدين ولد " ترك ابنه جلال الدين الرومي وعمره حوالي ٢٤ سنة ، وقد غدا جلال الدين الرومى من أعظم وأشهر الشعراء المتصوفة من الفرس في ذلك الوقت . ولاشك أن ظلال أبيه عليه كان لها فضل كبير في تكوينه العلمي والصوفي فضلا على ما تلقاه من رحلاته العلمية المختلفة سواء في صحبة والده أو منفردا فضلا عما تلقاه من شيوخ الصوفية في آسيا الصغرى مثل الشيخ برهان الذي قدم لزيارة شيخه القديم سلطان العلماء فوجد أن المنية أدركته فأصبح جلال الدين مريدا لسيد برهان الدين حتى وفاته. ولقد التحق به صديقه شمس الدين التبريزى ، ومن مؤلفاته القيمة التى ذاع صيتها في آسيا الصغرى " المثنوى " الذى يعتبر من أهم مصادر دراسة التصوف الإسلامي ومؤلفات أخرى عديدة [١٦٦].

ويعتبر جلال الدين الرومي المؤسس للطريقة المولوية التي عرفت في أول الأمر بالجلالية نسبة إليه . وكان جلال الدين قد جمع حوله المريدين من أعلى طبقات الأرستقراطية إلى أدنى الطبقات الشعبية وكان تلاميذه ينتمون إلى أديان مختلفة من النصارى واليهود ، ومريدوه وتلاميذه أسسوا الزوايا في كل مكان . وذاع صيته حيث شرع في الوعظ والتدريس والإفتاء حتى ذاع صيته في كل مكان [١٦٧]. ومع انتشار الصوفية والدراويش أصبحت آسيا الصغرى الموطن الأول للمتصوفين في العصور الوسطى .

---

(١٦٥) دائرة المعارف الإسلامية ، مادة جلال الدين الرومى ، جـ١٢ ، ص١٩٢-١٩٤ ؛
Bosworth (C.E) : op. cit. ,vol .111 , P.952

(166) Bosworth (C.E) : op. cit. ,vol 111 , P.952 ; Hasluck (F.W) : op. cit. , vol 111 , p.952 ; Robinson : op. cit. , pp. 31-33 ; Turan : Anatolia . , p. 256 ; Turan : (Osman) : L' Islamisation dans La Turquie . , p. 141 ; Wittek : op. cit. , p.289
؛ دائرة المعارف الإسلامية / مادة جلال الدين الرومي ، جـ١٢ ، ص١٩٢-١٩٤

(167) Mawlawiyya in Ency. of Islam ; Turan : Anatolia , p.256 ; Hasluck (F.W) : op, cit. , p.167 . ; Bosworth (C.E) : op. cit. , P.952 .
؛ محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص١٥٣

ومن هنا فإن جلال الدين الرومي يعتبر بحق أعظم شعراء الصوفية بلا جدال . وقد ألجأته الضرورة إلى مخاطبة العوام بلسانهم ليفقهوا عنه ما يقول ، وهو في تعبيره بالتركية يذهب بمذهب الصوفية الذين لا يفرقون بين الأديان والأجناس ولا الألسنة في عشقهم الإلهي وشوقهم العارم إلى المعرفة . وفي ذلك يقول (سواء أكان الأخ بغيضا أم خليلا ، فسوف يهديك في الطريق طويلا .الذئاب حيالك يا حملي الأسود فتمسك بالراعي تمسك القوى ، يا حملي الأسود ألق سمعك إلي . وسواء أن تكون من الروم أو الترك أو الفرس تناول لغة من لا لسان لهم بالدرس [١٦٨]. وهذه الأبيات توضح بما لا يدع مجالا للشك مدى قدرة جلال الدين الرومي على اجتذاب غير المسلمين إليه.

ولا شك أن المتصوفة من أمثال جلال الدين الرومي قد لعبوا دورا كبيرا في الود والوفاق بين فئات المجتمع الدينية المختلفة وكانوا بحق العامل المشترك بين مختلف الديانات والفرق الدينية ليس لكونهم من أصحاب الحلول الوسطى وإنما لكونهم من أصحاب مبدأ البعد عن المجادلات والخلافات والمشاحنات ، وكان "جلال الدين الرومي " يدعو أتباع الديانات المختلفة أن يتوحدوا على كلمة الله . وحول الأفكار التي تدعو إلى أمور الخير والإنسانية ، وقد سئل مولانا جلال الدين في أحد المناسبات عن السعادة التي يجدها أهل الأديان الأخرى (أهل الذمة) في أفكاره وتعاليمه ، وكيف يستطيعون فهمها في حين أن بعض المسلمين كان يجد صعوبة في فهم هذه الأفكار فأجاب بأن أهل الذمة هم أيضا يؤمنون بالله وأن هدفهم هو نفس هدف المسلمين ، ولكن الطريق الموصل إلى هذا الهدف يختلف . وعلى هذا الأساس فهم يفهمون المعنى المقصود من كلماته . ولقد كان لجلال الدين الرومي مريدون ممن ينتمون إلى الأديان الأخرى . كما كان هو بدوره يقوم بإقامة علاقات صداقة مع رجال الدين من الأديان الأخرى .وكان يزور الكنائس والأديرة . كما كان يأتي إليه القساوسة لزيارته والتناقش معه ليس فقط من ربوع آسيا الصغرى فحسب ولكن من أسطنبول (القسطنطينية) أيضا. وبذلك يكون جلال الدين الرومي ممن كانوا يجلون ويحترمون أهل الأديان الأخرى[١٦٩].

وظل جلال الدين الرومي في آسيا الصغرى حتى وفاته سنة ١٢٨٥م /٦٧٢هـ . وتحول قبره إلى مزار لقرون عديدة اشتهر فيها حيث، يلتقي حوله الناس بما كان يعطيه من طاقة وقوة روحية [١٧٠]. والحقيقة أن زيادة القبور والمزارات

---

(١٦٨) حسين مجيب المصري : العرب والفرس والترك ، (القاهرة – ١٩٦٩) ، ص٤١٩

(169) Turan : " Les Islamisation dans la Turquie ., pp . 141-142 . ; Wittek : op . cit ., p . 280 .

(170) Bosworth (C.E) : op. cit. ,vol III , P.952.

الدينية كانت معروفة من قبل في آسيا الصغرى ، فحينما زار الرحالة العربي السهروردي آسيا الصغرى ، ومر على أقاليمها المختلفة في النصف الثاني من القرن الثاني عشر لاحظ وجود مزار ديني على الحدود البيزنطية التركية (بالقرب من آفيون - قراحصار Afyon -- Karahisar) خاص بقبر الشهيد المسلم "أبو محمد البطال"[١٧١]. بل إن أحد المؤرخين أشار إلى أن "سيد بطال" كان صاحب كرامات[١٧٢].

ومن المتصوفة الذين زاروا آسيا الصغرى أيضا السيد " نجم الدين رازى الداية المتوفى سنة ١٢٥٦م (٦٥٤هـ) وهو من كبار المتصوفة الفرس ، وهو مريد سابق للصوفي الكبير السيد " نديم الدين كوبرا " -وهو اللقب أو الكنية التي أوجدت نظام الكبراوية Kubrawiyya ، والذي انتشر في ربوع الأناضول - ولقد كان كتابه " مرصاد العباد " من الكتب المحببة والشهيرة في الأناضول وقد ترجم أخيرا إلى التركية [١٧٣].

ومع انتشار التصوف والصوفية في آسيا الصغرى تعرضت الطريقة الصوفية لفتنة خطيرة وتعد من أخطر الفتن السياسية والاجتماعية والدينية . ففي سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠م ظهر بأماسيا رجل تركماني ادعى النبوة وسمى نفسه بابا اسحق (بابا رسول الله) وحمل أتباعه على أن يقولوا(لا إله إلا الله البابا رسول الله) ، وقد تبعه جمهور غفير من التركمان استغواهم بما كان يظهره لهم من الحيل وكان له تلميذ اسمه اسحق ، لعب دورا كبيرا في الدعوة إليه ، وزاد عددهم فحاربوا كل من خالفهم ولم يقل كما يقولون لا إله إلا الله البابا رسول الله ، فقتلوا خلقا كبيرا من المسلمين واستمرت هذه الفتنة سنتين . وقد شكلت هذه الفتنة خطورة شديدة على سلطنة سلاجقة الروم لم تستطع أن تقضي على الفتنة إلا بعد صدام شديد معهم [١٧٤].

---

(171) Vryonis : Nomadization and Islamisation ., p.49

يقع قبر الشهيد الإسلامي عبد الله البطال الذى أستشهد في موقعة ربص أقرن سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م في مدينة تعرف بإسم ، بلدة سيدى غازى Nakoleia قديما وهي جنوب مدينة دور اليوم على بعد ١١٣ كم من جيل التركمان - انظر

Ramasay : op. cit., pp. 87-233-236-322..

لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية . ص١٨٥-١٨٦ .

(١٧٢) عالي : فصول حل وعقد أصول خرج ونقد ، ٣٥ .

(173) Bosworth (C.E) : op. cit. ,vol III , P.952.

(١٧٤) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٨٠ . ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥١ .

Turan : Anatolia ., p . 248 . ; **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 953 .

كما انتشرت في آسيا الصغرى الطريقة البكتاشية التي أسسها " السيد محمد بن إبراهيم أنا " الشهير بالحاج بكتاش وهو ولي تركي كان من أتباع الشيخ أحمد اليسوي . وقدم إلي آسيا الصغري من خراسان في بداية القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي).وانشأ الخانقاه المعروفة بـ " بيرأوى " بالقرب من قيرشهر ، وشرع في دعوته إلي البكتاشية . وهي طريقة خليطة من "القلندرية والميسوية والحيدرية " أى أن بها آثارا وبقايا لمذاهب مختلفة من الشامانية وهي امتداد للطريقة البائية والباطنية . وقد اتخذت البكتاشية تكاياها المعزولة بعيدا عن العمران ، وانتشرت في آسيا الصغرى بين الطبقات الشعبية التي كانت تجد تسلية روحية في الأشعار الصوفية السهلة المفهومة (١٧٥).

والملاحظ أن الطرق الصوفية زادت وانتشرت بشكل واسع فى آسيا الصغرى كالطريقة الرفاعية والخلوتية والأحمدية والكاذرونية والقلندرية والحيدرية وغيرها(١٧٦) وهى خارج نطاق دراستنا .

والمهم فى هذا الموضوع هو مدى تأثر الصوفية ورجال التصوف بالمسيحيين واليهود الوطنيين فى آسيا الصغرى من خلال التفاعل الاجتماعي . فلا شك أن التصوف الذي نشأ نشأة إسلامية فى البداية كانت حالته كحال غيره من العلوم ، لم يسلم مع الزمن من تأثيرات فلسفية ودينية غير إسلامية ، فكل الحركات عموما لم تكن أبدا خالصة من المؤثرات الأجنبية وبالتالي فإن التصوف لم يكن أيضا خالصا من عناصر غريبة عنه ، فإن كثيرين من المتصوفة كانوا غير عرب يحملون معهم إلي الإسلام اعتقادات وأفكار وتخيلات غريبة وخلي أكثرها فيما بعد من التصوف الإسلامي .

علي أن الأبحاث الحديثة تثبت بم لا يدع مجالا للشك أن التصوف الإسلامي قد تأثر بالمسيحية ، وذلك أن كثيرين من صوفية المسلمين كانوا مسيحيين أو يرجعون إلي أصول مسيحية ، لأن القرآن نفسه تحدث عن المسيحية وذكر رهبانها وأثني عليهم في قوله تعالي : " لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين أمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون ، وإذا سمعوا ما أنزل إلي الرسول تري أعينهم

---

(١٧٥) حمزة طاهر : المرجع السابق ، ص ١١٤-١١٦ .

Cosan (E) : Haci Bektas and the Bektasi order in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 190 . ; Hasluck : op . cit ., pp . 159-166 .

(١٧٦) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٠٧، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٩ .

تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين " [١٧٧]، الأمر الذي جعل صوفية المسلمين لا يرون حرجا في الأخذ من المسيحية وتبني لبعض تعاليم رهبانها وخاصة فيما يتعلق بالزهد والرهبانية ، غير أن بعض صوفية المسلمين بالغوا في الزهد والرهبنة وتشبهوا في ذلك برهبان النصارى الذين سمعوا امتداح الله لهم في القرآن بأنهم لا يستكبرون وأن أعينهم تفيض من الدمع والذين كان أبو بكر رضي الله عنه يحترمهم وينهي عن اضطهادهم [١٧٨].

كما أخذ بعض صوفية المسلمين صورا وتعبيرات ومصطلحات ومبادئ وأفكار عن الصوفي الفيلسوف ابن العربي الذي كان له حضور كبير في آسيا الصغرى وأخذ بفكرة التثليث حيث يقول : في فصوص الحكم أعلم وفقك الله أن الأمر كله (يعني الحق) مبني في نفسه علي الفردية ، ولها التثليث فهي من الثلاثة فصاعدا ، فالثلاثة أول الأفراد وعن الحضرة الإلهية وجد العالم فقال تعالي : " إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " [١٧٩] . وهذه ذات إرادة وقول ، فلولا هذه الذات وإرادتها وهي نسبة التوجه بالتخصص لتكوين أمرهما ثم لولا قوله عند هذا التوجه " كن " لذلك الشيء ما كان ذلك الشيء ، ويزيد ابن عربي مذهبه هذا وضوحا فيقول :

تثلث محبوبي وقد كان واحدا كما صير الأقنام بالذات أقنما

ويتخذ من التثليث أساسا لكل إنتاج وكل إيجاد في عالمي الكائنات والمعاني علي السواء والإنتاج في العالم الطبيعي قائم علي ثلاثة : الأب والأم والابن والإنتاج في الاستدلال القياسي قائم علي ثلاثة حدود وثلاث قضايا وهكذا [١٨٠].

وهكذا فإن التصوف قد تأثر بالعناصر المسيحية وإن كان هذا التأثير لم يؤثر في نشأته، ولكنه أثر بلا شك في تطوره مما حدا ببعض الانحراف عن جادة الإسلام.

وقد ارتبط مع انتشار ظاهرة التصوف في آسيا الصغرى نظام الفتوة الذي انتشر في آسيا الصغرى أيضا ، والفتوة وجماعات الفتوة كانت عبارة عن نوع من الفروسية الإسلامية انتشرت في القرنين الثاني عشر والثالث عشر في معظم بلدان العالم الإسلامي، وكان لهذه التشكيلات التي لم يقتصر انتشارها علي المدن وحدها بل شمل القري ومناطق الحدود أيضا مثل ما للطرق الصوفية التي غطت العالم

---

[١٧٧] المائدة : آية ٨٢-٨٣ .

[١٧٨] عبد الفتاح الفاوي : المرجع السابق ، ص ٧١-٧٣ .

[١٧٩] النمل : آية ٤٠ .

[١٨٠] عبد الفتاح الفاوي : المرجع السابق ، ص ٧٤-٧٥ .

الإسلامي كله في القرن الثالث عشر من الدور الخاصة بالاجتماعات والزوايا ، وكان المنتسبون إليها ينتمون إلي طبقات اجتماعية مختلفة ، فمنهم رجالات الدولة وأغنياء التجار ومنهم المشايخ والعلماء وأرباب الحرف ومنهم الحرافيش ومن لا عمل لهم ، وإن كان جمهرة المنتسبين إليها في المدن الكبرى كانت من صغار السن من " صبيان " أرباب الحرف ، وكانت الصوفية قد استحسنت كلمة " الفتوة " وما تدل عليه من معاني النبل والسماحة فأدخلته في معجم كلماتها وعدته من فضائلها ، وقيل في تعريفها الكثير " أصل الفتوة أن يكون العبد ساعيا أبدا في أمر غيره " والفتوة أيضا " ألا ترى لنفسك فضلا علي غيرك " .. وسئل أحمد بن حنبل : ما الفتوة ؟ قال : " ترك ما تهوى لما تخشى " . وعلي الجملة فقد أدخل الصوفية " الفتوة " في مذهبهم وصبغوها بصبغتهم ، وجعلوها مقاما من مقاماتهم ، وملئت بها كتبهم ، ونقلوها من المعني الدنيوي إلي المعني الديني ، كالزهد والإيثار وضبط النفس وحملها علي الحق مهما استتبع ذلك من المكارة [١٨١]. فالصوفي ابن عربي كتب فصلا طويلا في كتابه " الفتوحات المكية " وعنوانه " معرفة مقام الفتوة وأسراره " [١٨٢] ، والفتوة الصوفية نمت علي مر العصور ، وخير المصادر التي بأيدينا تشرح حالها ومظاهرها رحلة ابن بطوطة الذي ولد في طنجة سنة ٧٠٣ هـ . وساح في مصر وفارس والصين والهند وبلاد أخري تنقل فيها لمسافة تصل حوالي إلي مائة وعشرين ألف كيلو متر ١٢٠,٠٠٠[١٨٣].

وقد أكثر ابن بطوطة من ذكر نظام الفتيان في سياحته في آسيا الصغرى ، وشرح هذا النظام في أول كلامه عليه ، فقد جاء في الرحلة تحت عنوان " ذكر الأخية [١٨٤] الفتيان " فقال : واحد الأخية " أخي " علي لفظ الأخ إذا أضافه

---

[١٨١] أحمد أمين : " الفتوة في الإسلام " ، مجلة كلية الآداب بالقاهرة ، مجـ ٦ ، جـ ١ ، ص ٨-٩ ، (١٩٤٢م) . ؛ محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٠٨-١٠٩.
Sayer : op . cit ., p . 274 . ; Wittek : op . cit ., p . 307 .
وللمزيد من التفاصيل :
محمد علاء الدين منصور : جماعات الفتوة في الأناضول في العصرين السلجوقي والعثماني في مصادرها الفارسية ، رسالة دكتوراة غير منشورة ، قسم اللغات الشرقية ، (القاهرة – ١٩٨١) .

[١٨٢] أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ٩ .

(183) Robinson : op . cit ., p . 37 .

[١٨٤] الأخية : هم جماعة اتخذت الفتوة مثلا أعلي لها والأخية أو الأخوة كانوا يتآخون في السلوك مع بعضهم البعض ومنهجهم تعليم الآخرين انتهاج السلوك والصفات الحمية وأخي من حيث هي مصطلح يخول لحامله لقب فتوة ، والأخية في العموم بالمعني الأخص هي الصيغة الخاصة التي اتخذتها هيئة الفتوة في الأناضول قبل عهد السلاجقة وبعده وجماعات الأخية قدمت إلي الأناضول من الخارج مع تدفق الدراويش والأشخاص المرتبطين بهم من الشرق (أي من

المتكلم إلي نفسه وهم بجميع البلاد التركمانية الرومية في كل بلد ومدينة وقرية ، ولا يوجد في الدنيا مثلهم أشد احتفالا بالغرباء من الناس ، وأسرع إلي إطعام الطعام وقضاء الحوائج والأخذ علي أيدي الظلمة وقتل الشرط ومن لحق بهم من أهل الشر، و " الأخي " عندهم رجل يجتمع أهل صناعته وغيرهم من الشبان الأعزاب والمتمردين ويقدمونه علي أنفسهم ... وتلك هي الفتوة أيضا ويبني زاوية ويجعل فيها الفرش والسرج وما يحتاج إليه من آلات ، ويخدم أصحابه بالنهار في طلب معايشهم ويأتون إليه بعد العصر بما يجتمع لهم ، فيشترون له الفواكه والطعام إلي غير ذلك مما ينفق في الزاوية ، فإن ورد في ذلك اليوم مسافر علي البلدة أنزلوه عندهم ، وكان ذلك في ضيافة لديهم ، ولا يزال عندهم حتي ينصرف ، وإن لم يرد وارد اجتمعوا هم علي طعامهم ، فأكلوا وغنوا ورقصوا وانصرفوا إلي صناعتهم بالغدو، وأتوا بعد العصر إلي مقدمهم بما اجتمع لهم ، ويسمون بالفتيان ، ويسمي مقدمهم ، كما ذكرنا " الأخي " ولم أر في الدنيا أجمل أفعالا منهم [185].

والجدير بالذكر أن ابن بطوطة ذكر الكثير في سياحته في آسيا الصغرى عن الأخية والفتيان ،كان يسأل حين ينزل البلد في آسيا الصغرى عنهم ، والفتيان كانوا يتنازعون علي ضيافته ، بل وصل بهم الأمر إلي أنهم كانوا يحتكمون في بعض الأحيان إلي القرعة ، وأنهم إذا أضافهم جماعة من الفتيان أدخلوهم الحمام فإذا خرجوا منه أحضروا لهم الطعام والفاكهة والحلوي ، بعد ذلك يقومون بقراءة القرآن الكريم ثم يأخذون في السماع والرقص ، وقد ذكر ذلك مرات عديدة علي صفحات رحلته [186].

ويؤخذ من هذا كله أنه في بلاد آسيا الصغرى وما حولها كان في كل بلد جماعة من الفتيان ، يعيشون عيشة اشتراكية من ناحية الحال ، فكل ما جمعه أحدهم من عمله أو صناعته دفعه لرئيسهم وهو " الأخي " وهو ينفق عليهم وهم يعيشون في زاوية عيشة دينية مرحة ، فيها ذكر وفيها تلاوة قرآن وفيها غناء وفيها رقص ، وأن هذا

خراسان وتركستان) ، ولقد كانت هناك حالات من الأخية والطرق الصوفية في آسيا الصغري كالمولوية والبكتاشية والخلوتية . انظر : دائرة المعاف الإسلامية : مادة / أخي ، جـ ٢ ، ص ٤٥٥-٤٦٠ .

كما شاع لقب بابا في آسيا الصغرى فقيل " آخي بابا " أو " بابا أخي " وهي كلمة تركية معناها آب ، وهي تطلق أيضا علي كبار السن ومعناها " حد " في اللغة التركية وهذا المصطلح إستخدم كنوع من الإحترام وشاع استخدامه في آسيا الصغري واستخدم لقبا بصفة خاصة في دوائر الدراويش . انظر :
Taechner (F) : Baba in Ency. Of Islam vol . 1 (1986) .

[185] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٩٠ .

[186] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٩١-١٩٢ .

إنما يكون لمن ليس لهم أسرة ، فهم عزاب أو نحوهم ، وليسوا يعيشون فقط لأنفسهم ، وإنما يعيشون كذلك للضيوف وللبائس الفقير ، وكانوا يلبسون كذلك لبسة خاصة شأن الصوفية ، فشيوخهم يلبسون لبسة ينسبونها شيخا عن شيخ حتي تصل إلي الإمام علي بن أبي طالب ، وكان من انتشارها أن كثر استعمالها وتحدث الناس بها وتجادل العلماء في شأنها[١٨٧].

وهكذا تحول مجتمع آسيا الصغرى إلي مجتمع مختلط ، حيث اختلط سكانه الأصليون من البيزنطيين والأرمن والسريان وغيرهم مع المجتمع السلجوقي التركي المسلم ، ولعب التصوف دورا كبيرا في هذا المجتمع.

---

[١٨٧] أحمد أمين : المرجع السابق ، ص ١٦ . ؛ محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص١٢٥.

الفصل الثانى

الحياة الاجتماعية فى آسيا الصغرى

- عناصر السكان فى آسيا الصغرى.
- دخول الأتراك السلاجقة آسيا الصغرى وتتركها.
- التفاعل الاجتماعى بين سكان آسيا الصغرى.

عناصر السكان في آسيا الصغرى :

حفلت آسيا الصغرى بعناصر سكانية كثيرة متباينة نادراً ما نجدها في بلد آخر وذلك بسبب موقعها الجغرافي المتميز وأهميتها الدينية ، فضلاً عن الظروف التاريخية التي مرت بها تلك البلاد.والواقع أن هجرة الشعوب إلي تلك المنطقة لم تتوقف عبر العصور القديمة وذلك لأسباب عديدة أهمها الحروب التي كانت تدفع بعض القبائل إلي الهجرة في شكل موجات بشرية فضلاً عن مزاولة النشاط التجاري .

وقد سبقت الإشارة إلي أن الدولة البيزنطية كانت متعددة اللغات والجنسيات ، فإلى جانب العناصر اليونانية كان يوجد السلاف والألبانيون واللاتين واليهود والسريان والمسلمون والأرمينيون والجورجيون إلا أن المسيحيين الأرثوذكس كانوا يمثلون الغالبية العظمى . ثم إن آسيا الصغرى التي كانت تمثل قوة الدولة البيزنطية كانت متعددة اللغات والجنسيات ، وكان إقليم قبادوقيا متأثرا بالهلينية، كما وجدت مستعمرات الأرمينيين واليهود فى غرب آسيا الصغرى(1).

ولم يكن العنصر الأرمني إلا أحد العناصر الكثيرة التي تذخر بها آسيا الصغرى ، وبطبيعة الحال فإن اليونانيين (البيزنطيين) هم السكان الأصليين لآسيا الصغرى قبل فتحها ، وبذلك يأتي البيزنطيون فى مقدمة العناصر السكانية نظرا لكونهم كانوا يشكلون السواد الأعظم لسكان آسيا الصغرى قبيل التوغل السلجوقى لها ، وكانت لغتهم اليونانية هى السائدة وعقيدتهم المسيحية فى ظل الكنيسة اليونانية(البيزنطية)(2). وقد تركز وجود العنصر الأرمني فى جنوب آسيا الصغرى حيث قدمت جموع من الأرمن منذ أواسط القرن الحادي عشر واستقرت تحت زعامة نبلائهم فى إقليم طوروس وقيليقية ورفض الخضوع لبيزنطة وعمل هذا الفريق على إقامة إمارات مستقلة لهم (3).

كما وجد العنصر السرياني بشكل كبير فى آسيا الصغرى خاصة فى مدينة ملطية إلى جانب العنصر الأرمني وكان أغلب شعب ملطية يدين بالمسيحية (4) .

وتبع ذلك قدوم عشرات الآلاف من الأرمينيين كمهاجرين والذين أدوا بهجراتهم إلى إفساد التركيبة العرقية والدينية لهذا الإقليم ، وبالطبع أدى إلى النزاع الحاد بين اليونانيين الأرثوذكس من
السكان عادة في هذه المنطقة (5).

---

(1) **Vryonis** : Byzantium : its internal history and relations with the Muslim world ., pp . 167-168 .

(2) **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor ., 42 – 45 ., p 108-163 .

(3) **Pasdermadjan (H)** : op.cit . , p 198 ; **Vryonis** : Byzantium : its internal history . , p . 172 .

(4) **Sevim (Ali)** : Selcuklu – Ermeni iliskileri . , p . 27 .

كما وجد العنصر السلافي حيث تشير المراجع إلي أن إقليم الأوبسكون Opsikion كان معظمه من السلاف المستقوين ، ولم يكونوا حتى القرن التاسع قد فقدوا شخصيتهم كسلاف . وعندما قدم هؤلاء السلاف إلى آسيا الصغرى كانوا ما يزالوا برابرة وثنيين ، وبعد فترة ليست طويلة اعتنق السلاف المسيحية [٦].

وقبل الغزو السلجوقي لآسيا الصغرى وجد العنصر العربي ، فالمعروف أن العرب المسلمين في صدر الإسلام استولوا على الجزء الشرقي من الأناضول لفترة زمنية ابتداء من نهر الفرات ، واستمرت الغزوات في عهد الأمويين والعباسيين لفتح الأناضول حتى ظهور السلاجقة وفتحهم للأناضول [٧].

دخول الأتراك السلاجقة آسيا الصغرى وتتركها :

كان للتركمان دور كبير إلى جانب دور سلطنة سلاجقة الروم في تفتيت بنيان المجتمع البيزنطي وإقامة المجتمع الإسلامي السلجوقي في آسيا الصغرى على أنقاضه . ولقد قدم التركمان إلى آسيا الصغرى وانتشروا بشكل كبير في الشمال والجنوب والغرب في معاقل أعلى الجبال وكان لانتشارهم الجغرافي دور حيوي في تاريخ الأحداث الخاصة بآسيا الصغرى منذ القرن الحادي عشر إلى الرابع عشر الميلادي [٨] .

ومن المعروف أن المجتمع التركماني بطبيعته كان مجتمعاً قبلياً ، وقد وصفتهم الحوليات اللاتينية بالبداوة والقبلية حيث كان يطلق عليهم الرعويين الأتراك، وقد كانوا يعيشون كل الوقت في خيام ، وكانوا كثيري التحرك من مرعى إلى آخر مع قطعانهم فلا يستقرون في مدن بل يعيشون في الحقول . وبلغ من كثرة هؤلاء التركمان وشدة بأسهم أن أطلق عليهم طوفان البرابرة [٩].

وكانت هذه العشائر التركمانية هي أنقى العناصر التي تمثل القومية التركية وأكثرها حيوية ، ولكنها لم تكن تعترف بأي نظام اجتماعي غير نظامها العشائري المغاير لمفهوم النظام في الدولة . وكانت هذه الكتل التي لا تنصاع لقانون تنظر لأهل القرى والمدن باستخفاف ، فإن آنست خللاً في جهاز الإدارة انقلبت إلى عناصر فوضوية مخربة فهاجمت القرى المكشوفة والمدن الضعيفة الدفاع وقوافل التجار ، وأعملت السلب والنهب وكان لحركاتهم هذه دوافع كثيرة منها جباة

---

(5) Vryonis : op . cit ., p . 169 .
(6) Charanis (peter) : The Salvic Element in Byzantine Asia Minor in the thirteenth century . Byzantion T.xviii (1948), pp ., 78-80 , p. 81 .
(٧) محمد فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ، الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٩٣م) ص ١٠-١١ .
(8) Vryonis · Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., p . 43 .
(9) Vryonis : op . cit ., pp . 49 - 50

الضرائب وسوء استعمالهم السلطة ومنها جشع رؤساء العشائر ومنافعهم الخاصة ومنها القحط وهلاك القطعان وغير ذلك من الأزمات الاقتصادية(١٠).

وكثيراً ما أتت أعمالهم معادية للسكان في المجتمع البيزنطي المستقر في آسيا الصغرى حيث كثيراً ما قاموا بأعمال السلب والنهب والحرق (١١)، حتى يمكن القول أن التركمان الرحل في آسيا الصغرى وهجراتهم قد أصابت المجتمع البيزنطي إصابة بالغة وكان لها تأثيرها الممزق على مختلف نواحيه ، وبذلك تكون العناصر التركمانية قد أسهمت كثيراً في تدهور المجتمع البيزنطي في آسيا الصغرى(١٢).

والملاحظ هنا عند محاولة البحث في شخصية المؤسسات التركمانية الظاهرة في آسيا الصغرى فإن أول ما يجب ملاحظته أنها كانت لا تتصف بالثبات ، فقواتهم الحربية ومؤسساتهم الاجتماعية والثقافية شكلت على أساس مشترك من التحرك المستمر ، وذلك لأن الحركة كانت تمثل مفتاح البقاء بالنسبة لهم ، وبفضل هذه الخاصية فإن التركمان الرحل يستطيعون الهرب تجنباً للعدو أو الانقضاض عليه وبذلك يحصلون على أسباب معيشتهم سواء بقيامهم بالزراعة الهامشية أو مزاولة الرعي أو من غنائم الغزوات ، وكثيراً ما كانت تحركاتهم ما بين الصيف والشتاء أو الاشتباك في حرب . وواكب ذلك تدفق حركة كبيرة من الهجرات التركمانية التي لا تشمل الرجال فقط ولكن أيضاً نساءهم وأطفالهم وقطعانهم والعربات والخيام (١٣). وكان ذلك كله له تأثير على المجتمع البيزنطي في آسيا الصغرى .

والحقيقة أن أعداد المجموعات التركمانية التي هاجرت إلى آسيا الصغرى من الصعب القول بشيء عن حجمها ، ولكنها على أية حال كانت أعداد كبيرة بلغت أحياناً مئات الآلاف ، وفي حالات قليلة كانت أعدادها صغيرة . وهي بلا شك تعكس الحقيقة التي تقول إنه عندما كانت القبائل التركمانية تنقسم إلى مجموعات أصغر كلما وجدوا مراعي أو استقروا بشكل دائم على الأرض .

وأحياناً نجد ذكراً لمجموعات قبلية كبيرة في قيلقية وشرق الأناضول وعلى الحافة الغربية لهضبة شبه الجزيرة بين مدينة دور اليوم والأراضي التي تقع وراء ساحل ميناء أنطاليا ، ففي هذه المقاطعة الأخيرة يبدو أن المجموعات القبلية قد توطدت بكثافة فعلاً واحتفظوا ببنيتهم القبلية في حالة نشطة (١٤).

---

(١٠) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق . ص ٨٦ .

(11) Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor ., pp 194-196 . ; Vryonis : Nomadization and Islamisation ., pp . 50-51 .

(12) Vryonis : The Decline of Medieval ., pp 194-258 , 266 .

(13) Vryonis : op . cit ., pp 260 - 261 .

(14) Vryonis : op . cit ., pp 161 – 162 .

وقد مر بنا في الجزء السياسي من هذه الدراسة كيف لعب هؤلاء التركمان دوراً أساسياً ورئيسيا في الكثير من الأحداث السياسية، ففي السنوات المبكرة من عهد الإمبراطور الكسيوس كومنين صدم بحقيقة فقدان السيطرة البيزنطية علي آسيا الصغرى ، وقد احتل التركمان غرب أسيا الصغرى بمجموعات بدوية تحت قيادة رؤسائهم ، ولقد ذكرت آنا كومنين بعض هؤلاء الأمراء التركمان المستقلين تزاخاس وأخاه يلفاك Yalvac الذين سيطروا علي سميرنا وكلازميناى Clazomenai وفوكيه Phocaea وساموس ومتلين Mitylene وخيوس والقائد تانجر برنيس Tangri permes وميراك Merak تملكوا إفسوس والمدن المجاورة ، كما حكم الخانس Elchanes أبولونياس Apollonias وقيزيقوس Cyzicus [١٥]

ولقد انتشر التركمان في آسيا الصغرى بشكل كبير ، حتى أن الإمبراطور الكسيوس لم ينجح في دفعهم من غرب آسيا الصغرى إلي وسطها إلا بمساعدة الحملة الصليبية الأولى ١٠٩٧ م سنة ١٠٩٨م [١٦] وعلى الرغم من ذلك فلم ينجح في زحزحتهم أكثر من ذلك بل عادوا الانتشار مرة أخرى.

وكذلك انتشر التركمان الرحل حتى وصلوا إلى حدود نهر المايندر الأعلى. وعندما وصلت الحملة الصليبية الثانية إلى حوض المايندر سنة ١١٤٧م عند مدينة لوديكيا ، كان السلاجقة ينتشرون بكثافة ، واستمر تقدم التركمان ناحية جنوب آسيا الصغرى في إقليم بامفيليا حيث كانت مدينة انطاليا محاصرة تماماً بواسطتهم ، كما هوجمت هناك بقايا الحملة الصليبية الثانية عندما حاولت عبور نهر ايريميدون Eurymedon ولقد تسبب التركمان بسبب انتشارهم في مناطق مختلفة من آسيا الصغرى في خسائر جسيمة للحملة [١٧].

كما مر بنا أيضاً كيف لعب التركمان دوراً كبيراً في معركة ميريوكيفالون حين تجمعوا في مجموعات وأنزلوا بالبيزنطيين هزيمة ، وتكبد الإمبراطور مانويل خسائر فادحة وحينما توقف الجيش البيزنطي نهب حوالي خمسين ألف تركماني معسكرة [١٨]. كما نجح التركمان في إنزال خسائر فادحة بقوات الحملة الصليبية

(15) **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 44 . ; **Vryonis(s)** : The Decline of Byzantine in Asia Minor Eleventh – fifteenth century in Dumbarton oaks papers . No . 29 (1975) ., p . 354 .

(١٦) انظر : الفصل الثاني من الكتاب.

(17) **Odo of Deuil** : op. cit. , pp . 109-113 . ; **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism., pp. 189-190 . ; **Vryonis** Nomadization and Islamisation ., p . 57

(18) **Choniates (Nicetas)** : Historia in corpus scriptorum Historiae Byzantinae ., p . 72 .; **Vryonis** : op . cit ., p . 46 .; **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., pp . 121 – 147 .

الثالثة التابعة للإمبراطور فردريك بربروسا سنة ١١٨٩ م [١٩]. وكل ذلك يدل علي رسوخ واستقرار أقدام التركمان في مناطق عديدة من آسيا الصغرى .

والواقع أن اليونانيين هم السكان الأصليون لآسيا الصغرى قبل فتحها ، وبطبيعة الحال فإنهم يأتون في مقدمة العناصر السكانية لكونهم كانوا يشكلون الغالبية العظمى من سكان آسيا الصغرى قبل التوغل السلجوقي فيها . وكانت لغتهم اليونانية هي السائدة وعقيدتهم هي المسيحية في ظل الكنيسة اليونانية (البيزنطية) [٢٠].

لكن العشائر التركية الكثيرة التي وفدت علي الأناضول كانت تحمل إلى مواطنها الجديدة أسماء كثير من القرى والجبال والأنهار الموجودة بالأماكن التي كانت تعيش فيها من قبل فبأمر سليمان الذى يعتبر مؤسس دولة سلاجقة الروم أسكنت القبائل التركية في أستبس وسط الأناضول ، بل كانت هناك إلى ذلك تحركات نحو المناطق الساحلية في الشمال الغربي والجنوب الشرقي . وكان الفتح التركي لا يعتبر غزوة خاطفة ولا حركة حربية ولكنه كان نوعاً من الإسكان التخطيطي، ويرجع ذلك إلى الهجرة التركية الكثيفة المستمرة التي بدأت من آسيا الوسطى ، وكانت الدولة السلجوقية تعمد في عملية التوطين هذه إلى أكبر العشائر وأقواها فتقسمها أقساماً كثيرة وتسكنها في أماكن ناء بعضها عن بعض دفعاً لخطر العصيان الذى يمكن أن يعلنه أي تكتل أثنوغرافي قوي بتدبير من رياسته الوراثية ، ولا شك في أن السلاجقة كانوا يرمون بتحطيم التساند القبلي إلى تمهيد الطريق أمام التكون القومي تحقيقاً لصالح الأسرة السلجوقية ، فقد كانت هذه الأسرة قد جربت في أيام فتوحاتها الأولي بالأناضول المشكلات التي يمكن أن تجلبها الكتل الاثنوغرافية الموحدة تحت قيادة رؤسائها [٢١].ولقد روى أبو الفدا أن خلقاً من التركمان قوامهم ألف بيت (خيمة) للتركمان وهم الذين يقال لهم الأوج كانوا يسكنون شمال غرب انطاليا[٢٢].

كما وضع الرحالة الأوروبي ماركوبولو " الروم " في المكانة التي تلي الترك من حيث أجناس السكان الموجودين في السلطنة سلاحقة الروم، وذكر أنهم "يسكنون في المدن والأماكن الحصينة ، ويكتسبون معاشهم من التجارة

---

[١٩] انظر : الفصل الثاني من الرسالة .

(20) Cahen : Selgukides , Turcomans et allemands au temps de la troisime croisade ., pp . 28-29 .

[٢١] محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق . ص ٧٧-٧٨ .

[٢٢] أبو الفدا : تقويم البلدان (باريس - ١٨٤٠ م) ص ٣٧٩ .

والصناعة"[٢٣]. وهذا ما يـؤكد تغير ميزان العناصر وتوزيعها فى آسيا الصغرى ويؤكد انتشار العنصر التركي بشكل كبير.

ولا شك أن آسيا الصغرى قد خسرت كثيراً مما امتلأ به القرن الثاني عشر من حروب لا تكاد تنقطع صليبية وتركية وبيزنطية، وتحطم كثير من المدن الهامة نتيجة الغزوات التركية مثل مدينة Chomaومدينة بنتـابولس ،عـانت مـن نفس المصير وهيرزبولس Hierzpolis وتريبوليس Tripolis ولم تنج غير مدينـة خونـاىChonae ولاوديكيا التى عاشت كمراكز خارجية حضارية لبيزنطة ،وعلى الرغم من ذلك فقد عزلت هذه المدن بسبب الهجرات الثقيلة للتركمان واستقرارها حولهم، ونتيجة لاستقرار هذه المجموعات الكبرى من التركمان المرحلى فى تلك المناطق من آسيا الصغرى، فقد اختفت أسماء الأماكن البيزنطية فى المناطق الواقعة بين مدينة أزاق (بشاق) Ushak فـى الشـمال مـن أسـيا الصغـرى ومدينـة أسـبرطة و أولوبرلو Uluburlu فى الجنوب الشرقي ومدينة خوناى فى الجنوب الغربى[٢٤].

والواقع أن غزو الترك لأقاليم آسيا الصغرى لم يأخذ وقتاً قصيراً بل حدث في وقت طويل على عدة مراحل استغرقت ما يقرب من مائه عام، وترتب على هذا الغزو توطين تدريجي لمجموعات التركمان البدوية وانسحاب السكان البيزنطية منها، ومع انسحاب الأخيرين واستقرار التركمان الغزاة الجدد، وتغيرت وحلت الأسماء التركية محل أسماء الأماكن البيزنطيـة. وقد ترتب على هذا الصدام المستمر بين البيزنطيين والترك في هذا الجزء من آسيا الصغرى تدمير المجتمع البيزنطي وتحول مساحات شاسعة إلى مناطق سكنها الترك من الرحل. وقد تكرر هذا الوضع فى أجزاء أخرى من الركن الشمالي الغربي من هضبة وسط آسيا الصغرى عند مدينة كوتاهيه ودور اليوم وفى سهول بامفيليا[٢٥].

ولم يكن البناء البدوي التركماني بالطبع قيد أو هجر فى غرب الأناضول، فقد لوحظت هذه الظاهرة علي طـول حافة الأناضول، حيث استقروا على طول الحدود البيزنطية فى الشمال حتى وصلوا إلى مدينة طرابيزون (وفـى القرن الثالث عشر الميلادي قبيلة شيبنى Chepni لعبت دوراً هاماً فى الجهاد مع الطرابيزونين اليونان)، كما كان لهم وجود وأنشطة كما تشير الوثائق بذلك فى منطقة طوروس فى القرن الثالث عشر. وهنـاك إشارات قوية إلى أن أعدادهم وسلوكهم المدمر قد زاد بشكل ملحوظ فى ذلك الوقت من القرن الثاني عشر فى جنوب شرق آسيا الصغرى

---

(٢٣) ماركوبولو: رحلات ماركوبولو، جـ ١، ص ٥٠.

(24) Ramsay (W.M) : The cities and Bishoprics of phrygia from earliest times to the Turkish conquest . (Oxford1895– 97) ., vol . II p . 373.

(25) Vryonis : op . cit ., p.. 192 .

كنتيجة لوصول مهاجرين تركمان جدد من الشرق الأوسط للصراع في ممتلكات السلاجقة العظام ، وقد تشابه شكل توطين هؤلاء التركمان وإغارتهم مع ما حدث من أقرانهم في غرب آسيا الصغرى[٢٦].

وهكذا انتشر التركمان في معظم الأناضول حتى أن أحد المؤلفين اللاتينيين الذين زاروا الأناضول في القرن الثالث عشر سجل أن اليونانيين (البيزنطيين) كانوا يخشون التركمان . ولذلك فهم لم يكونوا يجرؤون على الذهاب خارج مدنهم أو قلاعهم دون أن يأخذوا معهم ما يكبح جماحهم[٢٧].

وبذلك يكون قد لعب التركمان البدو وشخصية هؤلاء الغازين الجدد دورا كبيرا في مصير الحضارة البيزنطية في مساحات شاسعة وكثيرة من آسيا الصغرى بعد أن اشتركوا في حركة الجهاد ضد المسيحيين [٢٨]. وبذلك تكون الهللينيسية في وضع يرثى له في بقاع آسيا الصغرى لغزو الترك لأقاليم الأناضول[٢٩].

وهكذا نجح السلاجقة الأتراك في إضفاء الطابع التركي السلجوقي على أسيا الصغرى وعلى أي حال فإننا نستطيع إذا استثنينا مناطق غرب الأناضول والبلاد الساحلية أن تقرر أن آسيا الصغرى كانت قد اصطبغت بالطابع التركي وتتركت إلى حد كبير في أواخر القرن الثاني عشر بفضل هجرات من الترك أكثف من الهجرات التركية التي وفدت وكانت تقطن شمال سوريا والعراق والجزيرة وإيران وأذربيجان[٣٠].

والحقيقة أن إضفاء الطابع التركي السلجوقي إلى آسيا الصغرى لا يعود إلى حد كبير إلى الغلبة العسكرية للسلاجقة الأتراك بقدر ما يعود إلى أسباب ودواعي قوية لدى السكان البيزنطيين في آسيا الصغرى جعلتهم يتقبلون الغزو السلجوقي ويتفاعلون معه حضاريا ، فهناك الكثير من الشعوب التي احتلت عسكريا ، ولم تفقد هويتها ولم تتفاعل مع غزاتها حضاريا .

ويرى أحد المؤرخين المحدثين أن إضفاء الطابع التركي على آسيا الصغرى كان يمثل اللبنة الأولى في بناء مجتمع تركيا المعاصرة ، فقد كان هو الأساس الذي بدونه كان من المستحيل قيام الأتراك العثمانية بغزو البلقان وألبانيا والبوسنة وكرواتيا ، كما يعود الفضل إلى سلاجقة الروم بآسيا الصغرى الذين شيدوا وأقاموا القاعدة الصلبة التي انطلقت منها فتوحات الأتراك العثمانية[٣١].

---

(26) **Vryonis** : op . cit ., p . 193-194 .
(27) **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 55 .
(28) **Vryonis(s)** : The Decline of Byzantine in Asia Minor No . 29 p . 354.
(29) **Diehl (Charles)** : Byzantium : greatness and decline . , p . 121 .
(٣٠) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ٧٩-٨٠ .
(31) **Cahen** : le probleme ethnique en Anatolie ., pp . 361 -362 .

التفاعل الاجتماعي بين سكان آسيا الصغرى :

يرى البعض أن البيزنطيين أنفسهم شجعوا التقدم التركي داخل آسيا الصغرى أكثر مما كانوا يطمحون ، وأن البيزنطيين لم ينظروا إلى الترك بنفس العداوة والحساسية التي كانوا ينظرون بها إلى العرب من قبل لأن البيزنطيين عرفوهم منذ أمد طويل ، وحيث استأجروهم كجنود مرتزقة في جيوشهم وأدمجوهم بين سكانهم . ورغم أن هؤلاء الأتراك السلاجقة الذين استوطنوا آسيا الصغرى كانوا مسلمين ، فإن البيزنطيين لم يهتموا باعتناقهم الديانة الإسلامية ، فلم يكن الأتراك السلاجقة قد تأثروا بالإسلام والحضارة الإسلامية ، إذ لم تكن لهم مدارس أو مساجد كما أنهم لم يستخدموا اللغة العربية . وكان البيزنطيون يعتقدون أن السلاجقة سوف يذوبون ويندمجون داخل المجتمع البيزنطي ، كما اندمجت شعوب أخرى كثيرة قبلهم [32] . ولكن الأحداث أثبتت عكس ذلك تماماً ، فلم يذب الأتراك السلاجقة داخل المجتمع البيزنطي وآسيا الصغرى وما أقيم فيها من منشآت شاهدة على تقدمهم الحضاري .

وبمرور الوقت ، ومع فقد السكان البيزنطيين الأمل في فكرة خروج السلاجقة واستعادة البيزنطيين لهذه الأراضي في آسيا الصغرى فإن السكان اليونانيين بدأوا في أقلمة أنفسهم تحت سيادة السلاجقة المسلمين ولذلك نجد أن عدداً كبيراً من العائلات الأرستقراطية دخلوا في خدمة الأتراك السلاجقة خلال العصر السلجوقي في آسيا الصغرى [33].

وأيضاً أصبح بمرور الوقت مجتمع آسيا الصغرى مجتمعاً مختلطاً يضم تركاً ويونانيين وأرمن ينتمون إلى أديان مختلفة يهودية ومسيحية وإسلامية ووثنية أيضاً ، وتجدر الإشارة إلى أن اليونانيين الذين كانوا يعانون من الاضطهاد تحت حكم البيزنطيين وكانوا كثيراً ما يهجرون الأراضي الواقعة تحت السيادة البيزنطية في آسيا الصغرى ويطلبون اللجوء إلى السلطان السلجوقي كرعايا له (اللجوء السياسي بلغة العصر الحديث) ، وفي هذا الصدد يقول المؤرخ البيزنطي ميخائيل خونياتس " كثيراً ما كان يهاجر الوطنيون بأعداد غفيرة إلى البلاد الواقعة تحت حكم السلطان السلجوقي ، بعد أن بلغتهم الطريقة الإنسانية التي كان يعامل بها السلطان رعاياه ، حتى أن حسن المعاملة التي كان يلقاها هؤلاء المهجرون تجعلهم ينسون وطنهم الأصلي . وقد أدى ذلك إلى فراغ المدن البيزنطية من سكانها ولجوء الأهالي إلى (البرابرة) ليقيموا لديهم وواجب علينا ألا تأخذنا الدهشة عندما يقوم السكان الذين

(32) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 375 . ; **Franzius (Enno)** : History of the Byzantine Empire ., p . 303 .

(33) **Vryonis** : The decline of Medieval Hellenism ., pp . 129-130 .

يعانون من ظلم حكامهم الطغاة باللجوء إلى الهجرة من أوطانهم بمحض إرادتهم بعد أن كرهوا حكامهم"[٣٤].

وحتى ولو كان هناك تفريق في المعاملة أو المفاضلة قد جرت ضد المسيحيين واليهود في الأقطار الإسلامية ، فلم تجر بالمرة في أناضول السلاجقة المسلمين [٣٥]. هؤلاء السلاجقة نجحوا في النصف الأول من القرن الثاني عشر من إقامة إدارة ممتازة في المدن الواسعة مثل قونية وقيصرية وسيواس وأرزنجان والمواطنون عاشوا في تناسق تام ، وعلى الرغم من انتمائهم إلى طبقات اجتماعية مختلفة ومجموعات عرقية ولأديان مختلفة ومذاهب وطوائف مختلفة[٣٦].

ولم تخلو مدينة من مدن آسيا الصغرى من هذه الفئات حتى أنه يصعب تقدير عدد السكان الترك أو اليونانيين أو الأرمن ، فقد كان مجتمعاً مختلطاً [٣٧]. فمدينة مثل قونية كان يعيش وسط المجتمع المسلم الأرمن واليونانيين ، ويمارسون شعائرهم الدينية في دير القديس شاريتون St. Chariton ، كما وجد اليهود أيضاً ، ولقد كان هناك مستوى ود واحترام متبادل بين المسيحيين والمسلمين في صور كثيرة حتى أن كل فريق كان يبجل رجال الدين عند الفريق الآخر ، فكان المسلمون يحترمون ويجلون القديس جورج والقديس أمفليكيوس St. Amphilochius والقديس نيقولا، كما احترم المسيحيون رجال الدين المسلمين مثل خضر إلياس والحاج بكتاشي [٣٨]. وبلغ من احترام وتبجيل المسلمين للقديس جورج أن ظهر على بعض نقودهم التي صدرت عن الحكام المسلمين في آسيا الصغرى[٣٩].

ولقد أكد المؤرخون المحدثون أن الكنيسة عاشت بجانب المسجد في آسيا الصغرى كقبضة واحدة،وعاش المسلمون والمسيحيون على اختلاف طوائفهم عيشة تتسم بالمودة والمعاشرة الطيبة [٤٠].

والمعروف تاريخيًا أنه لم تقع أية عداوة دينية بين المسلمين والمسيحيين سوى أنه إبان الحروب الصليبية وفي عهد سلاجقة الروم اضطر السلاطين إلى تهجير ملوك المسيحيين إلى أماكن تكتلهم في المناطق الساحلية وخاصة بعد إساءاتهم إلى

(34) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 656-657 . ; **Turan** : les souverains Seldjoukides ., p . 90 .
(35) **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 256 .
(36) **Ambarcioglu (M)** : The Moslem communities in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 178 .
(37) **Rice** : the Seljoukes ., p . 111 .
(38) **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 953 . - **Thierry (N)** : The Rock Churches ., p . 131 .
(39) **Thierry (N)** : op . cit ., p . 131 .
(40) **Thierry (N)** : op . cit ., pp . 131-132 . ; **Turan** : les souverains Seldjoukides ., p . 71 .

المسلمين إبان تلك الحروب وبذلك زاد الروم اضمحلالاً في وسط الأناضول ، ثم ما لبثوا أن خلت منهم بعض المدن حيث صاروا في القرن الثالث عشر (عناصر تذكارية) في جنوب آسيا الصغرى . ولم يكن من الممكن والعناصر المسيحية على هذا الاضمحلال أن يكون لها دور حضاري يؤثر في التفكير الإسلامي بالأناضول . ولكن بعض العادات والتقاليد وأنماط المعيشة المنزلية انتقلت مع هذا من البيزنطيين إلى الفئات التركية [٤١].

ويكفي هنا أن نعطي صورة من مظاهر التعايش والود الذي كان بين المسلمين والمسيحيين في آسيا الصغرى عند الاطلاع على أحوال تلك البقعة وهي جزر بحيرة بوسجوس Poungousa Pasgousa (بي شهر الحالية) Beysheher[٤٢] والتي كان يقطنها جماعات كبيرة من المسيحيين اعترفوا لسيادة سلطنة سلاجقة الروم وكانوا يخالطون أتراك قونية ويتعاملون معهم بواسطة قواربهم وسفنهم وقاموا بدور كبير في تنشيط حركة التجارة بين قونيه وبعض المدن البيزنطية . وبلغ التفاعل الاجتماعي بين الطرفين أن سكان جزر بحيرة بوسجوس لم يكتفوا بتوطيد أواصر الصداقة مع الأتراك السلاجقة المسلمين فحسب بل أنهم اتخذوا معظم عاداتهم وطرق معيشتهم ، بل أنه بلغ بهم الأمر وبحكم الجوار حيث كانوا يجاورون الأتراك في منطقة الحدود المشتركة أن نظروا (بالرغم من كونهم مسيحيين) إلى الروم باعتبارهم أعداء. وعلى هذا فإن مرور الزمن على العادات والتقاليد فإنها تصبح أقوى من رابطة العرق والدين . حتى إن المؤرخ خونياتس يعلق قائلاً على موقف سكان جزيرة بوسجوس المسيحيين من الإمبراطور حنا البيزنطي العدائي له، "وهكذا راحوا بعد أن سلبوا الفطنة والعقلانية يحملون أفكاراً ما خطرت قط ببالهم وقاموا بأمور ما كان لهم أن يعودوا أنفسهم عليها لو كانوا من ذوى العقول السليمة[٤٣] وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على حسن الجوار وعمق الروابط وذروة التفاعل الاجتماعي الذى نشأ بين سلاجقة الروم ورعاياهم من السكان البيزنطيين الأصليين.

---

(٤١) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق . ص ١٥-١٦ .

(٤٢) بحيرة بوسجوس : يقع شاطئها الشرقي على بعد ستين ميل فقط من قونية ، وهي بحيرة واسعة شديدة الإتساع مليئة بالجزر الصغيرة ، يستخدم أهلها المياة كحماية لهم . انظر :
Ramsay (W.M) : The Historical geography of Asia Minor , pp . 359-388 , p . 389 .

(43) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 50 . ; Turan : op . cit ., p . 76 . ; Vryonis : op . cit ., p . 120 , pp . 215-216 .

كما يذكر المؤرخون أن الرعايا البيزنطيين فضلوا الحياة تحت لواء السلطان مسعود نظراً لما عرف عنه من النبالة العالية والعدل في الحكم ومارسوا حياتهم بشكل طبيعي إلى جوار المسلمين (٤٤).

وتلقى المظاهر الودية والصداقة التي أقامها السلطان قلج أرسلان الثاني (١١٥٥-١١٩٢م) مع المؤرخ والبطريرك السرياني الكبير ميخائيل السرياني رئيس دير برصوما صورة واضحة للتفاعل الاجتماعي بين السلاجقة الأتراك المسلمين والمسيحيين في آسيا الصغرى . فعندما حضر السلطان قلج أرسلان إلى مدينة ملطية ١١١م ، أرسل إلى ميخائيل السرياني رسالة يملؤها المودة وعصا الأسقفية وبعض النقود ، الأمر الذي دهش منه الجميع .... وحدث أيضاً عندما حضر السلطان قلج أرسلان مرة أخرى ثانية إلى مدينة ملطية السنة التالية ١١٨٢ ، فأرسل إلى البطريرك ميخائيل يستدعيه وكلف فصيلة من الفرسان السلاجقة على رأسها ثلاثة أمراء لتقوم بمصاحبته كمظهر من مظاهر التشريف وتقوم بدعوته باسم السلطان . وكان السلطان قلج أرسلان قد أمر بأن يظهر البطريرك في المجالس على سنة النصارى حاملاً الصليب والإنجيل . وكان البطريرك ميخائيل وأتباعه يرفعون الصلبان على أسنة الرماح واستكثروا من الشموع وكانوا يمرون أمام السلطان وهم يرتلون ويجهرون بترانيمهم الدينية وعندما كان البطريرك السرياني يدنو من السلطان قلج أرسلان كان لا يدعه يترجل عن مطيته ، بل كان يقترب منه السلطان ويعانقه ولا يتركه يقبل يديه . وكان اللقاء بين السلطان والبطريرك لقاء يملؤه المحبة ثم يسير الموكب السلطاني إلى الكنيسة حيث يقوم المسيحيون بالصلاة والدعاء للسلطان قلج لنصرته . وأصدر السلطان مرسومًا بإعفاء دير ماربرصوما من الضرائب وأهدى الدير له كفاً من الذهب الخالص ومطعمه بالجواهر واللآلئ تحمل صورة القديس بطرس . وقد قضى السلطان قلج أرسلان شهراً في ملطية وكان يداوم استقبال البطريرك طوال فترة إقامته وكان الحديث يدور حول المسيح والأنبياء والحواريين (٤٥).

واستمرت العلاقات الوديه والاجتماعية بين السلطان قلج أرسلان والبطريرك ميخائيل السرياني في صورة الرسائل المتبادلة بين الطرفين ، وتعتبر الرسالة التي أرسلها السلطان قلج أرسلان عقب الفتوحات والانتصارات التي حققها سنة ١١٨٥م - عقب الانتصار الكبير الذى حققه على البيزنطيين في معركة ميريوكيفالون على جانب كبير من الأهمية والتي جاء فيها : " من قلج أرسلان العظيم سلطان قبادوقيا

(44) Thierry (N) : The Rock Churches ., p . 131 .; Turan . op . cit ., p . 76.
(45) Michel le Syrien : op.cit., p ., vol . III pp . 394-395 . ; Turan : op . cit ., p . 76 - 77.
جان موريس فييه : " أحوال النصاري في خلافة بني العباس " (بيروت - ١٩٩٠) ، ص ٣٥٥ - ٣٥٦.

وسورية وأرمينية إلى ميخائيل البطريك محب مملكتنا ، الداعي لنا بالنجاح والمقيم في دير ماربرصوما والذى يبتهج لشرف ممكتنا فنعرفه أنه بصلواته وهب الله تعالى العظمة لمملكتنا [٤٦]. وواضح أن السلطان كان يعد صلاة البطريرك مستجابة فكان يحترمه ويجله . وإذا كان هذا التفاعل الاجتماعي الجلي الذي جرى بين سلطان سلاجقة الروم ورئيس دير بارصوما ، فكيف كان التفاعل الاجتماعي بين فئات المجتمع الدنيا .

والحقيقة أن التفاعل الاجتماعي والود المتبادل بين المسلمين والمسيحيين والتسامح الديني الذي أظهره السلاطين السلاجقة مع رعاياهم المسيحيين انعكس في المصادر المسيحية في صورة قصص شعبية يحيط بها الخيال . ويروى بعضها أن أولئك السلاطين كانوا يؤدون طقوس وشعائر الديانة المسيحية سراً، وقد دارت تلك الأساطير حول كيكاوس والسلطان قلج أرسلان ، فقد ذكرت بعض تلك الأساطير الشعبية أن والدة السلطان قلج أرسلان الثاني والتي كانت شقيقة الكونت صنجيل St. Gilles [٤٧] قد طلبت من ابنها قلج أرسلان الثاني وهي على فراش الموت تحتضر أن يلبي رغبتها بأن يعتنق المسيحية وأن يؤمن بالمسيح ، فأجابها السلطان قلج أرسلان بأنه تستحيل إعلان ذلك على المسلمين وضد رغبة المسلمين فردت عليه قائلة " يا بني عند موتي ، اصنع لي تابوتاً في شكل الهرم وضع فوقه صليباً ، فأجابها أنه ليس بإمكانه أن يفعل ذلك في وضح النهار فطلبت منه أن يفعل ذلك في ظلام الليل وبادر السلطان بتنفيذ رغبة والدته ، لكنه بفعله هذا جرح شعور المسلمين ، فأراد اثنان من المسلمين أن يقوما بنزع الصليب من موضعه ولكنهما وقعا صرعى متصلبين . وبعد ثلاثة أيام حضرت مجموعة من المسلمين لتخريب التابوت غير أن الصاعقة حلت عليهم أجمعين وقضت عليهم [٤٨].

---

(٤٦) زاكية محمد رشدي : الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية ، ص ١٢٥ .

Turan : op . cit ., pp . 77-78 .

جان موريس فييه : المرجع السابق ، ص ٣٥٦ .

(٤٧) الكونت صنجيل : هو ريموند الصنجيلي ، وقد نسب إلي مقاطعة Sant-Gilles بفرنسا وعرف عند المؤرخين العرب بالصنجيلي . وكان قد تولي قيادة الجموع الصليبية القادمة من أقليم بروفانس بفرنسا في الحملة الصليبية الأولي . وذكر ابن الأثير أن السلطان قلج أرسلان الأول تمكن من هزيمة ريموند الصنجيلي سنة ١١٠١م / ٤٩٥هـ ، وقتل وأسر الكثيرين من رجال الفرنج . غير أننا لم نجد ما يفيد عن مناسبة الزواج .

انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ جـ ١ ، ص ٣٤٣-٣٤٤ .

Rice : op . cit ., p . 92 .

(48) **Turan (Osman)** : les souverains Seldjoukides ., pp . 83-84 .

وهنا نلاحظ أن التسامح الديني وعلاقات المودة التي كانت تربط بين قلج أرسلان الثاني والبطريرك ميخائيل السرياني والمسيحيين بصفة عامة ، دفعت الملك العادل نور الدين محمود حاكم حلب إلى اتهام قلج أرسلان بالكفر والزندقة ، واشترط عليه لإحلال السلام بينهما - حينما توجه نور الدين إلى بلاده بعد أن استجاره ذو النون بن دانشمند صاحب ملطية وسيواس الذى أخذ قلج أرسلان بلاده - أن يجدد إسلامه وإيمانه ، وذلك فى رسالة أرسلها له سنة ١١٧٣م (٥٦٨هـ) جاء فيها : " إنني أريد منك أموراً وقواعد ، ومهما تركت منها فلا أترك ثلاثة أشياء : أحدهما أنك تجدد إسلامك على يد رسولي حتى يحل لى إقرارك على بلاد الإسلام ، فإنني لا اعتقدك مؤمناً - وكان قلج أرسلان يهتم باعتقاد مذهب الفلاسفة - والثاني إذا طلبت عسكرك إلى الغزاة تسيره ، فإنك قد ملكت طرفاً كبيراً من بلاد الإسلام وتركت الروم وجهادهم وهادنتهم ... ... "[٤٩].

لكن حينما وصل هذا الأمر إلى قلج أرسلان قال : " ما قصد نور الدين إلا الشناعة على بالزندقة" [٥٠]. والحقيقة أن سياسة التنافس السياسي التى نشأت بين الحاكمين المسلمين المعاصرين لبعضهما هى بلا شك التي دفعت الملك العادل نور الدين محمود إلى انتهاجه هذا الأسلوب مع قلج أرسلان السلجوقي، كما لا يمكن إغفال أمر هام فى هذه المسألة وهى أن شخصية قلج أرسلان لعبت دوراً كبيراً فى الاتهام الموجه إليه وذلك بسبب السلوك الذي كان ينتهجه فى المسائل الدينية ، ولذلك كان من الطبيعي أن يصف الأرمن السلطان قلج أرسلان بالنبل حتى أنهم اعتبروه ولى نعمتهم والحامي على الرغم من وجود الحكام المسيحيين [٥١].

وكان اليهود أيضاً يعيشون فى آسيا الصغرى بعد أن تحولت معظمها عن السيادة البيزنطية إلى السيادة الإسلامية وتمتعوا بالحرية الدينية فى ظل السلاجقة المسلمين ومارسوا حياتهم الاجتماعية بشكل طبيعي ، ولقد ذكر الرحالة اليهودي الأسباني الأصل بنيامين التطيلي في القرن الثاني عشر الميلادي فى رحلته قال : " إن علاقات الأتراك باليهود يسودها الصفاء والوئام"[٥٢].

وإذا نظرنا إلى مجتمع إحدى مدن آسيا الصغرى الكبرى مثل انطاليا نجد أنها كانت تشمل المسلمين والمسيحيين واليهود ، فقد ذكر أبن بطوطة ، أن كل فرقة

---

[٤٩] ابن الأثير : التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل ، ص ١٦٠ .

[٥٠] ابن الأثير : المصدر السابق ، ص ١٦١ .

(51) Turan : op . cit ., pp . 78-79 .

[٥٢] بنيامين : " رحلة بنيامين التطيلي " ، (بغداد - ١٩٤٥م) ص ١٦٠-١٦١ .

Turan : op . cit ., pp . 97 .

من سكانها منفردة بأنفسها عن الفرقة الأخرى ، فتجار النصارى ماكثون منها بالموضع المعروف بالميناء ، وعليهم سور تسد أبوابه عليهم ليلاً ، وعند صلاة الجمعة والروم الذين كانوا أهلها قديماً ساكنون بموضع آخر متفردين به ، وعليهم أيضاً سور ، واليهود في موضوع آخر وعليهم سور(٥٣).

على أنه لا يوجد مجتمع يخلو من الفساد ، إذ يبدو أن التفاعل الاجتماعي في آسيا الصغرى قد أدى إلى انتقال بعض الرذائل والعادات السيئة إلى المجتمع السلجوقي من المجتمع البيزنطي حتى تساءل الناس في آسيا الصغرى هل عاد السلاجقة إلى الوثنية والمجوسية . فقد ذكر ابن بطوطة في حديثه عن مدينة لاذق: " ووصلنا إلى مدينة لاذق وتسمى أيضاً " دون غزلة "وتفسيره بلد الخنازير ...... وأهل هذه المدينة لا يغيرون المنكر ، بل كذلك أهل هذا الإقليم كله ، وهم يشترون الجواري الروميات الحسان ويتركونها للفساد ، وكل واحدة عليها وظيفة لمالكها تؤديه إليه،وسمعت هنالك أن الجواري يدخلن الحمام مع الرجال فمن أراد الفساد فعل ذلك بالحمام من غير منكر عليه ، وذكر لي أن القاضي بها له جوار على هذه الصورة (٥٤).

وإذا كان الرحالة ابن بطوطة قد استنكر اختلاط الرجال مع النساء، فإن الغيورين على الدين الإسلامي استنكروه أيضاً ، ورأوا فيه بعداً عن تقاليد المسلمين وانحرافاً عن الشريعة الإسلامية .

ومن صور التفاعل الاجتماعي قيام التجار السلاجقة المسلمين بالمشاركة في احتفالات الأسواق المسيحية السنوية التي كانت تقام بمناسبة احتفال ديني مسيحي مثل مشاركتهم في السوق الموسمي الكبير بمناسبة الاحتفال بمولد القديس ميخائيل في مدينة خوناي ، كما يفعل اليونانيون في مختلف الأقاليم(٥٥).

والحق أن العلاقات الودية التي ربطت بين المسلمين والبيزنطيين في آسيا الصغرى ، خلقت حياة اجتماعية بين الفريقين ، هي في الواقع مزيج من الحياتين الشرقية التركية الإسلامية والعربية البيزنطية وربما الصليبية ، تداخلت إحداهما في الأخرى وأثرت كل واحدة منهما في الأخرى ،، فلا غرابة أن يأخذ أحدهما عن الآخر كثيراً من العادات والتقاليد.

أما عن المصاهرة فقد كانت أحد العوامل الرئيسية في الاختلاط والتفاعل الاجتماعي . ولم تكن الحروب التي جرت بآسيا الصغرى مجرد معارك دموية متصلة ، وإنما تخللتها علاقات إنسانية عديدة نبتت في أوقات السلم ، وأوقات السلم هذه

---

(٥٣) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(٥٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٩٢-١٩٣ . ؛ محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٦-١٧ .

(55) Choniates (Nicetas) : op . cit ., p . 50 . ; Vryonis : op . cit ., pp . 221-222 .

أعطت الفرصة للتدخل والاختلاط الاجتماعي في هذه البقعة الهامة من بقاع عالم العصور الوسطى .

والحقيقة أن ظاهرة التزاوج لم تشمل الطبقات العليا في الجانبين البيزنطي والسلجوقي فحسب بل شملت أيضا الطبقات الدنيا في مجتمع آسيا الصغرى وبشكل كبير . كما حدث زواج سياسي بين الكيانات السياسية المختلفة الكائنة في آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر الميلادي بل تعدى الأمر خارج آسيا الصغرى.

بداية نود القول أنه كان هناك ثمة مشاريع للزواج لم تنفذ بين البيزنطيين والسلاجقة والأتراك وكان الغرض من هذه المصاهرات العمل على تتويج علاقات التآلف والمودة مثل مشروع زواج ابن الإمبراطور البيزنطي رومانوس ديوجينس من ابنة السلطان السلجوقي ألب أرسلان ، وذلك عقب موقعة ملاذكرد كشرط من شروط السلام بينهما ، كما حدثت محاولة ثانية بين السلطان السلجوقي الأعظم ملكشاة والإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين سنة ١٠٩٢م حين أرسل إليه الأول سفارة يعرض عليه إقامة زواج تحالف بين أسرتيهما يتم فيها زواج ابن الأول بابنة الثاني . كما كان هناك مشروع زواج آخر بين الإمبراطور الكسيوس كومنين وأبى القاسم أمير نيقية (١٠٩٢-١٠٩٣م) وبين زاخاس أمير أزمير التركي ودالسينوس قائد الإمبراطور البيزنطي الكسيوس كومنين (٥٦).

والجدير بالذكر أنه بعد أن استقرت أقدام الترك ورسخت انتشرت ظاهرة الزواج بشكل واضح في كافة الطبقات على مختلف مستوياتها ففي الطبقات العليا خاصة بين الأرستقراطية البيزنطية المسيحية والطبقة الحاكمة من السلاجقة المسلمين ، فالأمير حناكومنين ابن أخ الإمبراطور حناكومنين تزوج من أبنة السلطان السلجوقي مسعود الأول بن قلج أرسلان بعد أن لجأ إلى السلطنة السلجوقية ١١٣٩ - ١١٤٠م إثر خلاف وقع بينه وبين عمه . ولقد اعتنق الإسلام واستقر بصفة نهائية على أرض السلطنة (٥٧). كما تزوج السلطان السلجوقي قلج أرسلان الثاني زوجة مسيحية وهي نفسها والدة ابنه السلطان غياث الدين الأول كيخسروا (٥٨).

(56) **Attaliates (Michaelis)** : Historia ., p. 166. ; **Bryennios (Nicephore)** : Les Quatre livres des histoires Ch.XIX p . 494 . ; **Anna Comnena** : The Alexiad ., pp . 208-207 ., p . 200 . ; **Zonoras (Ioannis)** : op . cit ., vol . III p . 703 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 80 . ; **Cahen** : La premiere pentration ., p . 51 . ; **Izeddin (Mehmed)** : op . cit ., pp . 141-142 . ; **Chalandon (F)** : Essai sur le reigne d'Alexis ler comnene ., p . 135 .

(57) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 4-49 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 94 . ; **Cahen** : une famille Byzantine ., p . 146 . ; **Izeddin (Mehmed)** : op . cit ., p . 142 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp . 227-228 . ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 62 . ; **Wittek** : op . cit ., T.XII p . 20 .

(58) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 690 . ; **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism ., p . 227 . ; **Izeddin (Mehmed)** : op . cit ., p . 142 . ; **Turan** : op . cit ., p. 80 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 114 .

كما تزوج غياث الدين كيخسروا الأول (١١٩٢-١١٩٥م،١٢٠٤-١٢١١م) نفسه من أميرة بيزنطية هي أبنة الأمير البيزنطي مانويل مفروزوم Manuel Mavrozomes، بعد أن لجأ كيخسروا إلى القسطنطينية في عهد الإمبراطور ألكسيوس الثالث انجليوس (١١٩٥-١٢٠٣م) [٥٩]. كما تزوج علاء الدين كيقباذ (١٢١٩ - ١٢٣٧ م) شقيقة الحاكم المسيحي لإحدي الأقاليم البيزنطية بآسيا الصغري Alaiya – (Kir Farid Kala Noros) وضمها إلي حريمه[٦٠].

وكان العنصر المسيحي داخل العائلة السلجوقية بآسيا الصغرى كبيراً ، فاثنان من أبناء غياث الدين كيخسروا كانت أمهاتهم مسيحيات ، فوالدة السلطان عز الدين كيكاوس (١٢١٠-١٢٢٠ م) كانت يونانية واسمها (بردولية) وكان أخواله الروم كثيراً ما يتدخلون في السلطنة [٦١]. كما أن والدة علاء الدين كيقباذ كانت جورجيانية[٦٢]. وبالإضافة إلي زيجات السلطان قلج أرسلان الثاني وغياث الدين الأول كيخسروا وعلاء الدين كيقباذ وغياث الدين كيخسروا الذين اتخذوا زوجات يونانيات فإن أمراء التركمان في شمال الأناضول اتخذوا أميرات طرابيزونيات كزوجات [٦٣].

ولكن أهم ما يطرأ في الذهن هو التساؤل في معرفة سبب هذه الظاهرة الاجتماعية ، فما الذي يدفع الأسرة المسيحية لتزويج بناتها لسلاطين وأمراء السلاجقة المسلمين!؟ يبدو أن الامتيازات التي كانت تحصل عليها الزوجات المسيحيات والتي لم تكن تحصل عليها أقرانهن من المسلمات كان الحافز الأول في هذه الظاهرة ومن أهم هذه الامتيازات حقهم في الاحتفاظ بعقيدتهن الأولي وممارسة شعائرهم بكل حرية . وقد حافظ هذا الامتياز على استقلالهن الروحي واحترام الغير لهن[٦٤].

أما بالنسبة للتزاوج الذي حدث في آسيا الصغرى بين الطبقات الدنيا فقد كان أكثر انتشاراً مما تصوره المصادر المعاصرة، فقد حدث على نطاق واسع مصاحباً لاجتياح السلاجقة المبكر لآسيا الصغرى، وهذا التزاوج الذي حدث بين السلاجقة

---

(٥٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٢٠٠-٢٠١ . ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٧ ، ص ٩٩ . ؛ ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، جـ ٥ ، ص ١٩٣١٩٤ . ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، جـ ٣ ، ص ٨٥ . ؛ ابن الفرات : تاريخ ابن الفرات ، مجـ ٥ ، جـ ١ ، ص ٢٩ .

Izeddin (Mehmed) : op . cit ., p . 142 . ; **Turan** : op . cit ., p. 80 . ; **Vryonis** : op . cit ., p . 227 . ; **Cahen** : une famille Byzantine ., p . 146 .

(60) Vryonis : op . cit ., p . 227 .

(٦١) ابن بيبي : المصدر السابق ، ص ٣٠٢ .

Vryonis : op . cit ., p . 227 .

(62) Vryonis : op . cit ., p . 227 . ; **Izeddin (Mehmed)** : op . cit ., p . 142 .

(63) Vryonis : op . cit ., p . 466 .

(64) Rice : op . cit ., p . 92 .

المسلمين والمسيحيات من السكان الوطنيين قد خلق جيلاً جديداً من نتاج اختلاط الجنسين يشار إليه في المصادر البيزنطية من بداية القرن الثاني عشر بالهجين Mixovarvarai أي الأتراك اليونانيين (البيزنطيين) وقد ظهروا وانتشروا في الجيوش التركية السلجوقية المختلفة [٦٥]. ومن أمثلة هؤلاء الهجناء بعض الجنود الذين كانوا ضمن قوات الأمير السلجوقي تزاخاس الذين توسلوا والتمسوا من القائد البيزنطي أن ينقذهم من محاصريهم اليونانيين(البيزنطية) في جزيرة خيوس Chios ١٠٩٠م وقد تحدثوا إليه باليونانية [٦٦].

وعندما قام الإمبراطور الكسيوس كومنين بحملته العسكرية على الترك عند إقليم بوليبوتس سنة ١١١٦م ، كان هناك عدد من الجنود الذين ينتمون إلى عنصر الهجين والذي يتحدث اليونانية ضمن جيش الأمير التركي السلجوقي مونوليقوس Monolycus [٦٧].

ومن هؤلاء الهجين أيضاً Tsiaous (Chaursh ?) التركي الذي كان أبوه تركياً مسلماً وأمه مسيحية جورجيانية ، وقد تعاون مع الإمبراطور الكسيوس كومنين عندما أفشي سر متعلق بمدينة سينوب [٦٨].

والمشاهد أن التزاوج بين الأتراك السلاجقة المسلمين والمسيحيات كانت ظاهرة قد انتشرت بشكل كبير في آسيا الصغرى منذ بداية القرن الثاني عشر الميلادي حتى أن المؤرخ اليوناني نيقفور جريجوارس Nicephorus Gregoras عندما عبر إقليم بيثينيا في طريقه إلى نيقية في منتصف القرن ١٤م لاحظ أنه بعد غزو نيقية بجيل واحد أن السكان يتكونون من سكان يونانيين وسكان الهجين (أتراك - يونان) والأتراك [٦٩].وهذا يؤكد أن التفاعل الاجتماعي وصل إلى أعلى درجاته بحدوث هذا الاندماج من السكان الأصليين والأتراك المسلمين .

---

(65) **Anna Comnena** : The Alexiad ., p . 445 not . 12 . ; **Ambarcioglu (M)** : The Moslem communities in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 178 . ; **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 953 . ; **Cahen** : une famille Byzantine ., p . 146 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp .176,228 . ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 59 .

كان يشار لهؤلاء الهجناء في المصادر بلفظ Ikdish ، Akhis وهي الذرية الناتجة من النسب المختلط وكانوا ينتشرون في جميع مدن الأناضول . انظر :

; **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 959 .

(66) **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism ., p . 176 not 247 .

(67) **Anna Comnena** : The Alexiad ., pp . 484-485 . ; **Vryonis** : op . cit ., p .176 .

(68) **Vryonis** : op . cit ., p .176 .

(69) **Vryonis** : op . cit ., p .228 .

يذكر المؤرخ المحدث فريونز أن ظاهرة التزاوج هذه انتشرت بشكل كبير في كل من آسيا الصغرى والبلقان ، حتي أن المؤلف الإسلامي أبو الفدا صدم عندما علم أن النساء المسلمات كانوا يتزوجون رجال مسيحيين في مدينة ملطية في فترة مبكرة من القرن الرابع عشر .

Vryonis : op . cit ., p . 228 not . 510 .

ولقد كان المسيحيون الأرثوذكس من أهل جورجيا يزوجون بناتهم للسلاجقة المسلمين مما أوجد جيلاً جديداً مهجناً ،ولقد استنكر ذلك المؤرخ الكنسي بلسامون (٧٠).إذ أشار إلى هذا الجيل المهجن الذي نشأ في آسيا الصغرى في وثيقة هامة من وثائق القانون الكنسي رقم ٨٤ الصادر من مجمع ترولو Turllo الكنسي (٧١).

والجدير بالذكر أن هذه الظاهرة الناتجة من التفاعل الاجتماعي أدت إلى ظهور جيل جديد مهجن ومختلط الدماء بين البيزنطيين السكان الوطنيين والأتراك السلاجقة المسلمون كما أدت إلى نوع من الازدواجية أو نوع من التشتت في الولاء والتعاطف السياسي عند المواليد الجدد . ولكن على المدى البعيد أيضاً أدى ظهورهم إلى زيادة أعداد السكان السلاجقة المسلمين على حساب السكان المسيحيين . وذلك لتسيد المجتمع السلجوقي المسلم على المجتمع الجديد من الناحية السياسية والعسكرية (٧٢).ولا شك أن مرجع ذلك إلى أن نسب الأبناء والبنات الجدد يرجع إلى الآباء السلاجقة المسلمين الذين تزوجوا من مسيحيات بيزنطيات كما هو متعارف عليه في نسب الأبناء إلى الأب.

والواقع أن السلاجقة المسلمين لم يعطوا أهمية لاختلاط دمائهم الإسلامية بدماء النساء البيزنطيات المسيحيات طالما أن هؤلاء المواليد سوف ينسبون إليهم خاصة من الناحية الدينية الإسلامية وبالتالي، كانت النتيجة المباشرة لهذا الوضع هو زيادة نسبة عدد المواليد (الهجن) والتي نشأت في بيئة المجتمع السلجوقي المسلم على حساب قلة في نسبة عدد المواليد من المسيحيين المولودين في البيئة المحلية . هذا بالإضافة إلى الزيادة الناتجة من عمليات أسر البيزنطيين في القتال أو عن طريق شرائهم ليصبحوا جنوداً مرتزقة من خلال التجار المتخصصين بعقد مثل هذه الصفقات ، وهكذا تكاثر هذا الجيل الجديد في آسيا الصغرى بحيث أصبح يشكل أساساً قوياً من أسس المجتمع التركي المسلم على الرغم من أن دماء هذا الجيل لم تكن تركية تماماً (٧٣).

(٧٠) بلسامون : بلسامون من أعظم علماء القانون الكنسي في عصره ، حيث قام بوضع تفاسير القوانين الكنسية Exegesis Canonum ، ويعتبر من الأعمال العظيمة حيث يعتبر المرجع الثقة عن بلاد الشرق . انظر : رنسيمان (ستيفن) : الحضارة البيزنطية ، ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد (القاهرة ١٩٦١) ، ص ٨٥ .

(71) Vryonis : op . cit ., p . 176 .
(72) Vryonis : op . cit ., p . 176 .
(73) Cahen : le probleme ethnique en Anatolie chiers d'histoire Mondiale ., p . 354 .

هذا بالنسبة للمصاهرات التي كانت تحدث بين الجانب التركي والجانب البيزنطي في آسيا الصغرى ، لكن حدثت مصاهرات أخرى وعديدة في آسيا الصغرى تعكس مدى العلاقات الاجتماعية والتفاعل الاجتماعي بين الأطراف المختلفة . ففي سنة ١٠٦٦م (٤٥٩هـ) يذكر ابن العبري أنه" في هذه السنة زفت ابنة أخت فقراط (بجراط ، بقراط) ملك الكرج في أبكاز (الأبخاذ) إلى السلطان ألب أرسلان ، واحتفلوا بالعرس في همذان ، وما مر القليل حتى دفع لها كتاب الطلاق واقترن بها أحد العظماء " وكان الذي يقصده ابن العبري بعبارة أحد العظماء هو وزيره السلطان ألب أرسلان " نظام الملك " [٧٤]. كما حدثت مصاهرات أخرى في آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر الميلادي بين القوى المختلفة الكائنة في تلك الحقبة التاريخية ، فقد كان هناك مشروع زواج يقضي بزواج السلطان قلج أرسلان من ابنة ملك بني سلدق الأمير عز الدين سلدق بن علي (١١٤٥م – ١١٧٤ م) (٥٤٠هـ– ٥٧٠هـ) [٧٥].

كما كان هناك مشروع زواج غريب بين السلاجقة ومملكة الكرج، وتفصيل ذلك أن الكرج لم يبق فيهم من بيت الملك أحد سوى امرأة فملكوها عليهم ، وقد طلبوا لها رجلاً يتزوجها وينوب عنها في الملك ويكون من بيت مملكته ، وعلم بذلك مغيث الدين طغرل شاه بن قلج أرسلان السلجوقي صاحب أرزن الروم ، وأرسل إلى الكرج يخطب الملكة لولده ، فعارضوا ذلك لكونه مسلماً فأمر ابنه أن يتنصر وزوجه ملكة الكرج [٧٦].

وعلى الرغم من أن التزاوج يعتبر أحد العوامل الرئيسية في الاختلاط والتفاعل الاجتماعي ، فالمشاهد أن المسلمين لم يتم بينهم وبين المسيحيين واليهود عقد أية زيجات يتحول فيها الرجل المسلم إلى التنصر أو التهود إلا فيما ندر للغاية ، وبالطبع يرجع السبب في ذلك إلى اعتزاز المسلمين بدينهم وتراثهم . والحقيقة أن

---

(٧٤) ابن العبري : تارخ الزمان ، ص ٢٥٦ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 70 . ; Cahen : La premiere pentration ., p . 24 .

(75) Lieser (G) : Saltuk in E.I , vol. VIII p.1001 .

تشير المصادر التاريخية إلي أن الأمير الداتشمندي ياغي بسان اعتدي علي موكب زوجة السلطان أثناء انتقالها إلي قونية وأراد أن يزوجها بابن أخيه ذي النون ابن محمد الداتشمندي فأمرها بالردة عن الإسلام فزوجها من ابن أخيه ، فكانت هذه الحادثة سبباً في اندلاع القتال بين السلاجقة وبني داتشمند. انظر : ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١١ ، ص ٣١٧ . ؛ ابن خلدون : العبر في ديوان المبتدأ والخبر . جـ ٥ ، ص ١٩٠ . ؛ ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، مقدمة المترجم ، ص ٥٢.

(٧٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الطبعة الثالثة والستون ، ص ٨ . ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٧ ، ص ١٠١ .
Lieser (G) : Saltuk in E.I , vol. VIII p.1001 .

موضوع تنصر أحد السلاجقة المسلمين ليتزوج من ملكة الكرج يذكرنا بفشل مشروع زواج الملك العادل الأيوبي أخي صلاح الدين من الأميرة الإنجليزية جوانا أخت ريتشارد قلب الأسد حين طلب ريتشارد لاتمام هذا الزواج من الملك العادل أن يعلن اعتناقه للمسيحية (٧٧).

كما جرت مصاهرة بين سلطنة سلاجقة الروم وإمارة بني منكوجك الحاكمة في أرزنجان حيث صاهر السلطان السلجوقي كيكاوس الأول (١٢١٠-١٢٢٠م) الملك فخر الدين بهرامشاه صاحب أرزنجان ١٢١٤ م /٦١١ هـ بزواجه من ابنته وقد أسهب المؤرخ ابن بيبي في عرضه لهذه المصاهرة(٧٨). كما جرت مصاهرات أيضاً بين سلاجقة الروم والأيوبيين كزواج السلطان كيقباذ الأول سنة ١٢١٩م (٦١٧ هـ) من ابنة الملك العادل الأيوبي والتي اشتهرت باسم الملكة العادلية، وقد أنجب كيقباذ من ابنة العادل ولدين هما عز الدين قلج أرسلان الثالث وركن الدين (الثالث) (٧٩). كما تزوج السلطان كيخسروا الثاني (١٢٣٧-١٢٤٥م) الست غازية خاتون بنت الملك العزيز محمد صاحب حلب وتولى ابن العديم المؤرخ عقد النكاح، كما أوفد ابن العديم أيضاً من حلب إلى سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى في مايو ١٢٣٧ م (شوال ٦٣٥هـ) لعقد المصاهرة بين السلطان الملك الناصر يوسف بن الملك العزيز صاحب حلب علي أخت السلطان كيخسروا المعروفة باسم ملكة خاتون ابنة السلطان السلجوقي علاء الدين كيقباذ الأول ووالدتها هي ابنة السلطان الأيوبي العادل الأيوبي (٨٠).

ومن شواهد التفاعل الاجتماعي بين المسلمين والبيزنطيين في آسيا الصغرى ظهور سلاطين السلاجقة بالعاصمة البيزنطية التي يعتبرها البعض الرأس المكمل لجسد آسيا الصغرى الذي فقدته بيزنطة، وخاصة الزيارة الشهيرة التي قام

---

(٧٧) محمود الحويري : الأوضاع الحضارية، ص ٢٥٠-٢٥١ . ؛ محمود الحويري : العادل الأيوبي، ص ٣٩-٤٣ .

Painter : The third crusade ., p . 77 .

(٧٨) ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم، ص ١٤١-١٤٥ . ؛ محمد زكي نجيب : سلطنة سلاجقة الروم - رسالة دكتوراة غبر منشورة في كلية الآداب بجامعة القاهرة (١٩٩٤)، ص١٣٥ .

(٧٩) ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم، ص ١٨٦-١٨٩ . ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام، الطبقة ٦٢، ص ٢٤٧-٢٥١، الطبقة ٦٤، ص ١٩٤ . ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، جـ ١٢ ص ١٤٦ .؛ ابن العبري : تاريخ الزمان، ص ٢٥٧-٢٥٨ .

(٨٠) ابن العديم : زبدة حلب، جـ ٣ ص ٢٣٧-٢٤٠ .؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار، السفر ٢٧، ص ٢٤٢ . ؛ الدواداري : كنز الدرر وجامع الغرر، جـ ٧ تحقيق د / سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة - ١٩٧٢م) ص ٣٣٠-٣٣١ .؛ المقريزي : السلوك، جـ ١ ص ٢٧٣ .

بها السلطان قلج أرسلان الثاني ١١٦١- ١١٦٢م/ ٥٥٧ - ٥٥٨هـ حيث استقبل السلطان قلج أرسلان بحفاوة بالغة واصطف كبار رجال الدولة البيزنطية من شيوخها ورجال دينها على جانبي العرش لاستقبال السلطان ، وكان المكان يتزين بالكنوز والثروات البيزنطية التى حرص البيزنطيون على إظهارها كمظهر من مظاهر القوة والعظمة . وأقيم حفل كبير للسلطان ، كما تم تجهيز جناح خاص للسلطان فى البلاط البيزنطي [٨١].

وبلغ من احتفاء مانويل أنه أراد أن يصطحب زائره الكبير سلطان قونيه في موكب رسمي إلى قلعة الحكمة كنيسة (أيا صوفيا) Hagia Sophia ، مما أثار استفزاز قوى وقوبل بالاحتجاج والاعتراض من رئيس الكنيسة البيزنطية [٨٢]. وقد شاهد السلطان قلج أرسلان برفقة الإمبراطور مانويل استعراض فنون الرياضة المختلفة في ميدان السباق Hippodrome الهيبادروم [٨٣].

وظل السلطان قلج أرسلان هناك ثمانين يوماً يرسل إليه الإمبراطور مانويل كل يوم الطعام مرتين فى أطباق ذهبية وفضية جديدة ، ويشير بإبقائها لديه ، وظل كذلك طول إقامة السلطان فى العاصمة ، وفي اليوم الأخير تناول الإمبراطور مانويل والسلطان طعام الغذاء معاً على مائدة واحدة ثم أهدى إليه الإمبراطور آنية وزخارف وتحفاً ثمينة وأهدى إلى الأتراك وعددهم ألف تركي عدة هدايا . ثم عاد السلطان إلى عاصمته بعد أن تم إبرام معاهدة بين الطرفين [٨٤].

هذا وقد ظهر بمدينة القسطنطينية السلطان السلجوقي غياث الدين كيسخروا الأول وعاش بها ما يقرب من ثلاث سنوات ، وذلك حين أجبر على ترك السلطنة ومغادرة قونيه سنة ١٢٠٠م (٥٩٦هـ) بعد الصراع الذى نشب منذ تقسيم قلج أرسلان لدولته بين ورثته . ورفض أبنائه الاعتراف بسلطة أخيهم كيخسروا الأول باعتباره أصغرهم سناً ، وتنقل فى آسيا الصغرى بين أرمينية والبستان وحلب إلى أن استقر به المطاف في القسطنطينية حين طلب من الإمبراطور البيزنطي الكسيوس الثالث انجليوس مساعدته في استعادة السلطة من أخيه ركن الدين . فرحب وبالغ الإمبراطور فى إكرامه جداً وزف إليه ابنة أحد بطارقته العظام ، وظل هناك فى العاصمة حتى احتلال اللاتين للعاصمة البيزنطية ١٢٠٤م، وعلى إثر هذا الاحتلال

(81) **Kinnamos (John)** : Deeds of John ., pp . 250-207 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 101 . ; **Vasiliev** : op . cit ., pp . 427-428 vol . 2.
(82) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 155 . ; **Hussey** : Byzantium and the crusades in setton ., vol . 2 p . 144 .
(83) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., pp . 155-157 .
(٨٤) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ١٧٥ .
Choniates (Nicetas) : op . cit ., pp . 157-158 .

لجأ إلى حماه ، وكان صاحب إحدى القلاع قد رحب به وقال له : " حسبي وحسبك هذا البلد ريثما يفرج الله تعالى " ، وأقام هناك إلى حين وفاة أخيه (٨٥).

والجدير بالذكر أن زيارة السلطان غياث الدين كيخسروا السلجوقى إلى القسطنطينية وزواجه من زوجة مسيحية يونانية وانتمائه إلى أم مسيحية أدت إلى انتشار شائعة مفادها أن سلطان قونية المخلوع قد اعتنق المسيحية وتم تعميده ، كما أن السلطان كان يعيش فى القسطنطينية حياة الفسق المخالفة للشريعة الإسلامية . ولذا فبعد عودته إلى قونيه أصدر القاضي الترمذى فتوى بعدم صلاحية السلطان غياث الدين كيخسروا للحكم وذلك لانتمائه إلى أم مسيحية وزواجه من مسيحية أيضاً ، فضلاً عن مصاحبته ومجالسته للكفار كما تقول الفتوى (٨٦). ويقول ابن بيبى فى هذا الشأن : " وفى وقت دخول المدينة صدر من السلطان بادرة لم ترض واحداً قط وكان قتله للقاضى الترمذى الذي كان يوضع بدل الإمام أبى الليث السمرقندى، وكان سببه أنه جعل تمنع أهل المدينة فى وقت محاصرتها إلى فتوى منه . وقيل إنه يقول أن السلطة لا تصل إلى غياث الدين لأنه قبل ذلك أظهر توليه لولاء الكفار وارتكب فى ديارهم مناهى الشرع . ولم يطعم من شؤم إراقة ذلك الدم بغير حق ساكنو ضواحي قونية ونواحيها مدة ثلاث سنين من المزروعات والبساتين البرية وفى العاقبة ندم على فعله وأكرم أخلاف القاضي وأعقابه واعتذر لهم بالأعذار"(٨٧).

وزيارات السلاطين السلاجقة وزواجهم من اليونانيات المسيحيات لاشك أنها لعبت دوراً كبيراً فى التأثير عليهم فى سياستهم المتسامحة والود لصالح رعاياهم المسيحيين . كما لعبت دوراً فى التفاعل الاجتماعي بين السكان فى آسيا الصغرى ، كما أن لجوء كيخسروا الأول إلى القسطنطينية ومعيشته هناك بينهم دفع القاضي الترمذى بالفتوى من وجهة نظره بأنه لا يصلح لتولى الحكم .

ويبدو أن ما فعله السلطان كيخسروا مع القاضي الترمذى قد فرضته الظروف السياسية ، فلقد كان السلطان كيخسروا يجل العلم والعلماء كما يذكر ذلك ابن بيبى، وقد كانت له صداقة حميمة مع القاضي الشيخ مجد الدين إسحاق والذي ترك

---

(٨٥) ابن بيبي : المصدر السابق ، ص ٨٩-٩٧ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٣٣-٢٣٤. ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٨٨-٩٠ .؛ ابن العديم : زبدة حلب ، جـ ٣ ص ١٦٠ . ؛ ابن فضل الله العمري : مسالك الأبصار ، السفر ٢٧ ، ص ١١٠-١٤٩ . ؛ ابن واصل : مفرج الكروب ، جـ ٣ ، ص ١٦٦ . ؛ النويري : نهاية الأرب ، جـ ٢٧ ، ص ٩٩ .
Choniates (Nicetas) : op. cit., pp . 689-691 . ; Cahen : Selgukides , Turcomans et allemands ., p. 31 . ; Turan : op . cit ., pp . 79-80 .

(86) Turan : op . cit ., pp . 79-80 .

(٨٧) ابن بيبي : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ١١٢ .

أراضي السلطنة إلى بلاد الشام عندما غادرها السلطان لاجئاً إلى القسطنطينية، وعندما عاد كيخسروا إلي بلاده أرسل إلي الشيخ مجد الدين رسالة يملؤها الود والمحبة يدعوه فيها إلي العودة إلي السلطنة،" ولما وصلت هذا اللطائف إلى معية قدوة الطوائف سارع في القدوم ووصل السير بالسري وزاد في أوراد الدعاء والثناء، واهتزت في السلطان في استقبال قدومه الميمون أعطاف الألطاف، وبالغ في إعزاز جانبه وأوفد الملك عز الدين بمرافقة الشيخ إلى المحروسة (ملطية)" (٨٨).

كما لجأ إلى القسطنطينية السلطان عز الدين كيكاوس واستجار بالإمبراطور البيزنطي، فبعد وفاة غياث الدين كيخسروا أنجب ابنين صبيين فملكا معاً السلطنة غير أن انفراد ركن الدين بالسلطنة هو الذى دفع عز الدين كيكاوس للجوء إلى القسطنطينية ليستعين بهم عليه، ولا تعنينا التفاصيل السياسية. ويهمنا أن زيارات السلاطين السلاجقة المسلمين وبقاءهم في القسطنطينية قد أوضحت مدى التفاعل الاجتماعي بين الطبقة الراقية والتي كانت الطبقة الدنيا تسير على منوالها (٨٩).

---

(٨٨) ابن بيبي: سلطنة سلاجقة الروم، ص ١٠٨-١١٢.

(٨٩) ابن الفرات: تاريخ ابن الفرات، مجـ ٤، جـ ٢، ص ٩٦. ؛ أبو الفدا: المختصر في أخبار البشر، جـ ٣، ص ٨٥. ؛ ابن بيبي: سلطنة سلاجقة الروم، ص ٣٠٢.

الفصل الثالث

النشاط الاقتصادى فى آسيا الصغرى

- الزراعة.
- الصناعة.
- التجارة.

الزراعة:

كان لطبيعة سطح آسيا الصغرى ، بجبالها وأوديتها وأنهارها المختلفة ، وطبيعة مناخها وسهولها الفسيحة خاصة الساحلية ، الفضل في تنوع مواردها الاقتصادية فوجدت الأرض الصالحة للزراعة في السهول لوفرة ماء الري المستمد من الأنهار فضلا عن تنوع مصادر المياه بين الامطار والينابيع [1].

والواقع أن آسيا الصغرى قبيل مجيء الأتراك بالتحديد منذ القرن العاشر الميلادي تعرضت لتغيرات كثيرة ، الأمر الذي لم تستطع معه الوقوف ضد هجمات السلاجقة فيما بعد ، وكان من أهم عوامل الانهيار في آسيا الصغرى الإستحواذ علي الملكيات الصغيرة للفلاحين والأحرار والجنود وخضوعهم لبقية كبار الملاك الأرستقراطيين من اصحاب الضياع الكبيرة الذين شغلوا الوظائف المدنية والعسكرية المهمة في الدولة [2]

وقد انعكس ذلك على وضع الفلاح البيزنطي في آسيا الصغرى حيث أختفى الفلاح الحر بعد أن اصبحت تلك الضياع وراثية في العائلات الكبيرة ، وأصبح الفلاحون البيزنطيون يعملون كأقنان في ضياع السادة الذين حازوا على الإقطاعات الكبيرة التي منحت لهم من الأباطرة وفق النظام المعروف بنظام البرونياPronoiaفي مقابل تقديم الخدمات الحربية[3]

وعندما اجتاح الأتراك آسيا الصغرى وأظهروا عزماً أكيداً على الاستقرار بها واستيطانها كانوا شعبا بدائياً مدمراً محباً للرعي وغير متعود على الزراعة ، فحيثما حلوا توقفت الزراعة وتخربت الطرق وعقود سقايات الماء Aqueductsوزاد من

---

(1) **Clive (F.W.F)** : Asia Minor in the Oxford Dictionary of Byzanyium ., vol . 1 p . 206 . ; **ART.Anatolia** in the new encyclopaedia Britannica ., vol . 1 p . 374 . **Foss (C)** : Anatolia in Dictionary of the middle ages . vol. 1 pp . 239-240 . **Sheskin (I.M)** : Anatolia in Lexicon Universal Encyclopedia , vol . 1 pp . 394-395 .

(2) **Charanis (P)** : cultural diversity and the Breakdown of Byzantine power in Asia Minor – in Dumbarton oaks papers ., p . 16 .

(3) نظام البرونيا **Pronoia** : يقوم هذا النظام علي أساس منح أحد الأشخاص الأجانب ممن يعملون بالجيش البيزنطي إقطاعات لهم تكون معفاة من الضرائب في مقابل تقديمهم للخدمات الحربية ، وكانت هذه الكلمة تعني المهتم أو المعتني **care or providence** وكان حائز الإقطاع يسمي برونوياريس **pronoiarios** انظر :

Jenkins (Ronilly) : The imperial centries ., p . 356 . ; **Ostrogorsky** :op . cit., p . 323 . ; **Cahen** : Le regime de laterre et L'occupation Turque en Anatolie " Cahiers D'histoire Mondiale No . 3 (1955) p . 568 .

صعوبة استرداد آسيا الصغرى كثيراً على الامبراطورية اضمحلالها ذالك على يد هـؤلاء القوم وتحولها بغاية السرعة إلى صحراء جرداء [٤].

ومن المعروف أن البـدو والتركمان كانت لهم عقلية ذات اهتمامات قبلية ،وكثيراً ما أتت أعمالهم معادية للسكان البيزنطيين القاطنيين في المجتمع المستقر بأسيا الصغرى ، وكان هذا الأمر وارداً لأنهم مخالفون لطبيعة حياتهم التي كانت تتميز بالتنقل والترحال ،لأن الحركة كانت مفتاح البقاء لهم ،وقد كان لهذا تأثير سيء على المجتمع البيزنطي وإن كانت شريحة كبيرة من هذه القبائل توصلت إلى طريقة تعايش مؤقت Modus Vivendi مع السكان البيزنطيين المعتمدين ، وبدأوا في الحصول على أسباب معيشتهم عن طريق مزاولة الرعي أو الزراعة الهامشية [٥] .

غير أن الشيء الثابت أن آسيا الصغرى قد خسرت كثيراً من كثرة الحروب التي دارت بها في القرن الثاني عشر من حروب لا تكاد تنقطع صليبية وتركية وبيزنطية، وقد أدى ذلك أيضاً إلى نقص في السكان الوطنيين وإخلاء العديد من الاماكن[٦]

ومهما يكن من أمر ، فإن القوة التركية المستقرة في آسيا الصغرى خاصة سلاجقة الروم منذ البداية أدركوا أهمية السكان الأصليين الذين كانوا عنصراً زراعياً منتجاً، لذا عمل السلاطين السلاجقة على الاهتمام بكسب تأييد هـؤلاء السكان وإرضائهم، كما عملوا على جذب السكان المسلمين والمسيحيين على السواء للإقامة في البلاد التابعة لهم ، وتشييد المنازل والقرى لهـم ، وتوزيع المعدات الزراعية والماشية والبذور، منحهم اعفاءات ضريبية لتشجيع الإقامة بهذه الأرض ، الأمر الذي أدى إلى نزوح جماعي من المسيحيين من السكان الوطنيين ، وانتقالهم إلى مناطق أخرى غير مواطنهم المحلية[٧]. وكان أول من أهتم بهذا الأمر السلطان سليمان بن قطلمش الذي حرر كثيراً من الرقيق الذين كانوا يعملون بالفلاحة في ضياع الملاك البيزنطيين بآسيا الصغرى [٨]

غير أن المسيحيين من الفلاحين الوطنيين لأسيا الصغـرى كـانوا العنصر الجوهري بين المزارعين في العصر السلجوقي وشكلوا بحق الغالبية العظمى في

---

[٤] رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٥٢ .

(5) **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor pp . 258-261,194 .
محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ٨٥-٨٦ .

(6) **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 355 .

(7) **Turan** : op . cit ., p . 355 . ; **Turan** : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., pp .74-88 . ; **Vryonis** : op . cit ., p .183 .

(8) **Turan** : les souverains ., p . 75 .
سعيد عبد الفتاح عاشور : الحركة الصليبية ،جـ ١ ، ص ٧٦ .

الممتلكات السلجوقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر ، كما أن إعادة تعمير الأراضي التركية بالمزارعين المسيحيين كان مهما بصفة خاصة في القرن الثاني عشر الميلادي ، وقد أدى ذلك إلى انتعاش الزراعة وتشير وثائق الوقف إلى مزارع كبيرة قام بها المزارعون المسيحيون من زراع االعنب [٩]

وفي النصف الأول من القرن الثاني عشر أقام السلاجقة إدارة ممتازة في المدن الواسعة مثل قونية وقيصرية وسيواس وأرزنجان وعاش المواطنون في تناسق تام على الرغم من إنتمائهم إلى طبقات اجتماعية مختلفة ومجموعات عرقية وأديان مختلفة ومذاهب وطوائف متعددة [١٠].

والواقع أن السلاجقة بعد فتحهم واستقرارهم في آسيا الصغرى لم يقبلوا النظام البيزنطي في إدارة ملكية الأرض وهو نظام الملكية الخاصة الذي كان سائدا في العصر البيزنطي ، وتحولت الأراضي في آسيا الصغرى والمأخوذة من البيزنطيين ، أملاكاً للدولة طبقا للنظام الميرى أو الأميرى حيث قسموا الأرض طبقا لهذا النظام الذى كان شكلاً من أشكال النظم المالية والاقتصادية نابعاً من العرف القبلي التركي القديم الذي جلبه السلاجقة معهم من آسيا الوسطى [١١]

غير أنه كان هناك مجموعتان من الفلاحين الاولي وتشمل الفلاحين الأحرار، ومن المحتمل أنهم كانوا مالكين لأجزاء صغيرة من الأراضي ، والثانية وتشمل الفلاحين الفقراء وهؤلاء عملوا في أراضي الولايات الشاسعة ، وقد دفع الفلاحون المسيحيون الخراج (الجزية)[١٢]

وقد أولت سلطنة سلاجقة الروم الزراعة اهتماماً واضحاً في المناطق التي كانوا يسيطرون عليها ، والملاحظ أنه في منتصف القرن الثالث عشر اقتربت أراضي السلطنة من البحر المتوسط وشواطىء البحر الاسود وكان لهم وجود حتي منطقة القرم[١٣]

ومن هنا فإن سياسة الحكام المسلمين بآسيا الصغرى لم تقتصر على حماية المزارعين المسيحيين بل عملوا وتكفلوا بإعادة توطين المساحات الخالية بالمزارعين من سكان البلاد الأصلية، فالسلطان مسعود قلج أرسلان الثاني وملك

---

(9) Vryonis : op . cit ., p . 239 .
(10) Ambarcioglu (M) : op . cit ., p . 178 .
(11) Cahen : Le regime de la terre et L'occupation Turque en Anatolie ., II . pp . 570-580 . ; Turan : Anatolia ., p . 254 . ; Turan : les souverains ., pp . 74-75 .
(12) Sayer : op . cit ., pp . 273-274 .
(13) Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 959 .

محمد الدانشمندى وياغى بسان والأراتقة فيما بعد أخذوا على عاتقهم إعادة توطين عدد يتراوح من سبعين ألف إلى مائه ألف من الشعب لهذا الغرض(١٤)

كما أن السلطان كيخسروا الأول (١١٩٢-١١٩٦م) كانت له سياسة زراعية متميزة ، ففي أعقاب حملته على مدينتي كاريا Caria وتانتالوس Tantalos بجوار نهر المايندر في سنة ١١٩٦م (٥٩٢هـ) أخذ معه حوالى خمسة آلاف أسير من بين المزارعين من سكان المنطقة الأصليين لإعادة توطينهم في ضواحي أقشهر Aksher، حيث لجأ إلى تقسيمهم إلى مجموعات محددة طبقا لبلادهم وعاداتهم وأخذ أسمائهم حيث ادرجت في سجلات ، وأمر السلطان كيخسروا بإعادة ممتلكاتهم كما دبر لهم المؤن الزراعية ، ووزع عليهم الأراضي الزراعية لفلاحتها وأدوات الزراعة والبذور وأعفاهم من الضرائب لمدة خمس سنوات ، ثم ان الضرائب التى فرضت عليهم لم تكن باهظة وغير قابلة للزيادة ، وسعد الوطنيون بوطنهم الجديد ، وعندما وصل الأمر إلى مسامع مسيحيين وطنيين في مناطق أخرى، بحثوا وعزموا للتحرك والانتقال للبقاء تحت الإدارة السلجوقية بل ان كثيراً من الأسرى من المعاملة الإنسانية نسوا أوطانهم ولم يفكروا في العودة إليها مرة أخرى(١٥).

ونلاحظ أن المؤرخين المسيحيين ، الذين وصفوا الترك أثناء السنوات الأولى لغزوهم آسيا الصغرى بالمرعبين والسالبين فيما بعد بدأوا يمدحون السلاطين السلاجقة بشكل ملحوظ ، وكان هذا رد فعل طبيعي لإدارتهم العادلة الفعالة ومسامحتهم ورعايتهم للمسيحيين(١٦).

أما عن أهم الحاصلات الزراعية ومناطق زراعتها ، فالحقيقة أن آسيا الصغري كانت واسعة الثروة الزراعية ، ولا شك أن الذي ساعد علي ذلك تمتع أرضها بالخصوبة ووفرة موارد المياة المتمثلة في الأنهار والترع والجداول والينابيع والعيون وما شابة ذلك (١٧).

وتشير معظم المصادر الجغرافية إلى وفرة موارد المياة المختلفة خاصة مياه الانهار بآسيا الصغرى فنهرى دجلة والفرات الشهيرين ينبعان من منطقة شمالى

---

(14) **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 255 .
(15) **Choniates (Nicetas)** : Historia in corpus scriptorum Historiae Byzantinae ., pp . 655-657 . ; **Vryonis** : op . cit ., p.184 . ; **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 255 . ; **Turan** : les souverains Seldjoukides etleurs sujets non musulmans ., p . 90 .
(16) **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 255 .
(17) **Foss (C)** : Anatolia in Dictionary of the middle ages . vol . 1 p . 239 . ; **Clive (F.W.F)** : Asia Minor in the Oxford Dictionary of Byzanyium ., vol . 1 p . 206 . ; **Sheskin (I.M)** : Anatolia in Lexicon Universal Encyclopedia , vol . 1 p . 394 .

وشرقي مدينة أرزن الروم بآسيا الصغرى ، وهناك الكثير من العيون والمروج أيضاً ونهر أراس الذى ينبع من آسيا الصغرى ويشق بلاد أزربيجان ونهر هرقلة الذى ينزل من جبل العلايا إلى أخر سينوب ، ومدينة قونية التي لها نهر ينزل من الجبل الذى في جنوبها ويشقها من جهة غربيها ، ونهر أماسيا الذى يمر على مدينة أماسيا ويصب في بحر سينوب ، والنهر الأسود الذى يشق مدينة نيكده ، والكثير من الأنهار الأخرى سواء كانت تجرى في داخلها أو قريبة منها كما أن معظم مدن آسيا الصغرى كانت كثيرة المياه كثيرة العيون الجارية وكانت تقوم عليها الزراعة على أنهار مدن أقصرا وملطية وسامسون وسبرتا وأكويدور ولاذق وميلاس وغيرها [١٨]

وقد كثرت المحاصيل الزراعية وتنوعت في آسيا الصغرى، وتشير المصادر الجغرافية إلى شهرة بعض المدن بزراعة القمح والشعير والقطن والكتان ، إلى جانب الفواكه مثل مدن أقصرا وقونية وملطية وأرزنجان وقسطموني و غيرها [١٩]

وتجمع المصادر التاريخية والجغرافية على غنى آسيا الصغرى بوجود البساتين والحدائق حول معظم المدن ، حيث أشتهرت مدنها بإنتاج أكثر أنواع الفاكهة المشهورة فمعظم هذه المدن مثلا كانت تنتج الكروم والمشمش الكبير المعروف بقمر الدين وهو لوزى مفضل على مشمش دمشق، والتفاح المخضب والكمثرى الكبيرة والسفرجل المفضل والخوخ والرمان والتين والجوز والحمضيات كالليمون والقصب ، الذي ربما يكون مصدر العسل الذى بالغ القلقشندى في وصفه بأنه " يضاهي الثلج بياضاً والسكر لذاذة وطعماً ، لاحدة فيه ولا إفراط ، حلاوة توقف الأكل عنده والموز والقراصيا والاجاص وغيرها من الفواكه [٢٠]

---

[١٨] ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٥-١٨٧، ١٩٥ . ؛ ابن سعيد : " بسط الأرض في الطول والعرض " ، ص ١٢٨ . ؛ القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ،جـ ٥ ، ص ٣٤٥-٣٥٤ . ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٨١-٣٨٥،٣٩٣-٣٩٥ . ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٩١-١٩٢، ١٩٤ .

Cahen : Ibn Said sur L'Asie Mineure Seljuqide ., pp . 43-49 .

[١٩] ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٧ . ؛ ابن سعيد : " بسط الأرض في الطول والعرض " ، ص ١١٩ .

Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : Nuzhat-Al-Qulub , translated by G.le strange (London 1919) ., pp . 95-100 . ;**Cahen** : Ibn Said sur L'Asie Mineure Seljuqide ., pp . 42 .

[٢٠] ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٦-١٨٧، ١٩٥ . ؛ ابن سعيد : " بسط الأرض في الطول والعرض " ، ص ١١٩-١٢٨ . ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٨٨-٢١٤ . ؛ ابن فضل الله العمري : " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "، السفر الثاني ، ص ٦٦ ، السفر الثالث ، ص ١٧٠-١٧١ . ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٤٥-٣٥٢ . ؛ ابن البيطار : الجامع لمفردات الأدوية والأغذية (بغداد ١٩٦٩) ، ص ٦١١ ، جـ ١

كما لم تخلو آسيا الصغرى من زراعة بعض النباتات الطبية مثل نبات (أبو قابس) وهو الفاسول الرومي الذى يذكر عنه ابن البيطار " شاهدت نباته ونبات الدواء الذى يذكر من بعده ببلاد أنطاليا " وقد رأى أهل تلك البلاد يستخدمون أصوله فى نظافة الملابس ، ومن الناس من يسميه أبو قابوس " وهو نبات ينبت مخصب ، وله ورق صغار شبيه بورق الزيتون ، وقد أسهب ابن البيطار فى الحديث عنه وذكر أنه مفيد فى علاج بعض الأمراض عن طريق تجفيفه وسحقه وطحنه ، والنبات الأخر هو (أنوفسطس) وكان هذا النبات ينبت فى الأماكن التى بنيت فيها أبوقابس) وهو خفيف أيضاً من الشوك واستخدم أيضاً فى علاج بعض الأمراض عن طريق تجفيفه وإضافة بعض الشراب له ، واستخدم فى علاج بعض الأمراض مثل أمراض التنفس وأوجاع الأعصاب والنبات الثالث الذى رآه ابن البيطار بأنطاليا المسمى (أزخر) ويوجد فى عدة دول ، ولكن أجودها فى آسيا الصغرى ، ويسمى باليونانية "سجيبوميس" ويسمى بالسريانية "سحلبس" وبعضهم يسمونه "ظوسطس" ويستخدم فى علاج بعض الامراض فهو دواء يدر البول نافع للأورام والكلى وغيرها من الامراض [٢١] .

كما تحدث "ابن العديم" عن بعض النباتات الطبية مثل "شجرة الجوز" وأصله من آسيا الصغرى ، وتستخدم أوراقها الرمادية فى بعض العلاجات والروائح ، حيث إذا فركت أعطت رائحة طيبة ونبات آخر أيضاً يسمى " شجر البندق " وأسمه التركى " فندق " ثماره اللوزية صغيرة يختلف شكلها مع نوعها ، جميعها خشبية الغلاف لذيذة الطعم يعصر منها زيت يستعمل طبياً وهو ذو قيمة غذائية عالية[٢٢]

كما كان يوجد " الصمغ " الذي يؤخذ من أشجار " المصطكي " الذي ينبت في جزيرة المصطكي ، وسميت بهذا لأنه ينبت بها هذا الشجر وهي جزيرة خيوس التي تقع بالقرب من خليج القسطنطينية ، ويذكر القلقشندي [٢٣] " هذا الشجر يشبه الفستق الصغار ، يشرط في فصل الربيع بمشاريط ، فتسيل منها المصطكي ثم

Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : Nuzhat-Al-Qulub ., pp . 95-100 . ; Cahen : op . cit ., pp . 45-49 .

[٢١] ابن البيطار : المرجع السابق ، جـ ١ ، ص ٨-٩ ، ص ١٥ . ؛ الصفدي : المصدر السابق ، جـ ١٧ ، ص ٥١-٥٢ . ؛ داود الأنطاكي : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب (بيروت - بدون تاريخ) ، مجـ ١ ، ص ٣٦ .

[٢٢] ابن العديم : الوصلة إلي الحبيب في وصف الطيبات والطيب ، تحقيق / سليم محجوب - درية الخطيب (سوريا ١٤٠٨ هـ ١٩٨٨) ، ص ٢٩٦-٢٩٧، ٧٨٤-٧٨٥. ؛ داود الأنطاكي : المصدر السابق ، ص ٨٥ .

[٢٣] القلقشندي : المصدر السابق جـ ٥ ، ص ٣٧٢ .

تجمد علي الشجر " كما ذكر ابن العديم [٢٤] أنه كان في قونية نوع آخر من الصمغ " عند خلطه ببعض المواد فإنه يستخدم في علاج بعض الأمراض " .

والشيء الجدير بالملاحظة أن ظروف المناخ خاصة بالشتاء كانت تؤثر على بعض المزوعات بآسيا الصغرى ، وقد نوه بذلك ابن فضل الله العمرى حيث يقول " الروم شديد البرد لا يوصف شتاؤه إلا أن سكانه تستعد له قبل دخوله وتحصل ما تحتاج وتدخره فى بيوتها " [٢٥] .

أما عن المراعى فى آسيا الصغرى ، فالحقيقة أن المطلع على المصادر الجغرافية يجد أنها تشير بوضوح إلى أنتشارها بشكل واضح فى كثير من المناطق الممتدة فى آسيا الصغرى ، فيشير حمد الله مستوفى قزوينى إلى وجود هذه المراعى بكثرة عند وصفه لمدينة ملطية حيث يقول : " أنها مدينة شاسعة مناخها ممتاز مياهها جارية ومراعيها وفيرة " . وأيضاً عند وصفه لمدينة التاج Alatag حيث وصفه بأنه " إقليم يتمتع بالمراعى الممتازة والعديد من حدائق الصيد " [٢٦] .

أما ابن سعيد المغربى [٢٧] فيشير إلى إنتشار هذه المراعى بكثرة ايضاً ، خاصة عند وصفه المنطقة ما بين هرقله وعمورية حيث المروج المشهورة قرب عمورية التى سبق أن فتحها الخليفة العباسى المعتصم ، الذى كان حريصا على أن يرتع خيله من العراق " وهناك أيضاً العيون الكبيرة وأيضاً عند وصفه لمدينة ارزن الروم تحدث عن وجود العيون والمروج والغياض بكثرة فى العديد من المدن الأخرى .

والجدير بالذكر أن آسيا الصغرى كانت تتمتع بثروة حيوانية عظيمة ، وقد ذكر ابن فضل الله العمري " أنها لها من المواشي الخيل والبقر والغنم مالا يقع عليه ولا يدخل تحت الإحصاء " ونتاج بلادهم من الخيل هى البرازين الرومية الفائقه ،. وأكثر مواشيهم نتاجاً الغنم : "وهى مما يبسط فرش الأرض منها" ومن أنواعها "المعز المرعزى، ذوات الأوبار المضاهية لأنعم الحرير وهى أطيب أغنام البلاد لحماً"[٢٨].

ويلاحظ أن إنتاج بلاد آسيا الصغرى من الخيل يعتبر من أهم ثرواتهم الحيوانية قاطبة ، فيشير الرحالة ماركوبولو إلى التركمان أنهم " : كان يعتمدون فى

---

(٢٤) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ٨٦ .

(٢٥) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق ، السفر الثالث ص ١٥٥ .

(26) Hamdallah Mustawfi : op . cit ., pp . 99-100 .

(٢٧) ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٥-١٨٧

Cahen : op . cit ., pp . 43-47 .

(٢٨) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق ، السفر الثالث ص ١٦٨-١٥٤- ١٥٥ . ؛ القلقشندي : المصدر السابق جـ ٥ ، ص ٣٥٦ .

طعامهم اعتماداً مطلقا على الغذاء الحيوانى ولديهم سلاله ممتازة من الخيل تسمى بالخيل التركى كما أن لديهم بغالاً بديعة تباع بأسعار عالية " [٢٩]

وقد لعبت الخيول دوراً هاماً فى حياة آسيا الصغرى فى أمور كثيرة عسكرية ومدنية خاصة وسائل النقل ، ويكفى أن نذكر أن الرحالة ابن بطوطة ومرافقية عند تجواله فى ربوع آسيا الصغرى كانت الجياد فى مقدمة الهدايا الممنوحة له من قبل الأغنياء والأمراء [٣٠]

الصناعة :

تميزت آسيا الصغرى ببعض الصناعات المختلفة ، كصناعة السجاد والبسط والخلع والمنسوجات الحريرية وبعض المصنوعات الغذائية [٣١] . ولا شك أن ما امتلأ به القرن الثانى عشر من حروب فى آسيا الصغرى جعل النشاط الاقتصادى لا يخلو من الصناعات الحربية وصناعة الاسلحة المختلفة المعاصرة فى ذلك الوقت [٣٢].

وعلى كل فإن الدولة البيزنطية وقوة سلاجقة الروم ، أولتا الصناعات الحربية أهمية خاصة، ويكفي الإشارة إلي الترسانة البحرية التى أنشأت فى جزيرة خيوس على بحر مرمرة فى نهاية القرن الحادى عشر الميلادى [٣٣] .

وقد ذكر ابن سعيد المغربى أن مدينة سينوب " دار صناعة وأن الأخشاب اللازمة لإنشاء هذه الدار كانت تنقل من جبال الصنوبر الموجودة بكثافة بين مدينتى آماسيا وسينوب عبر المياه المنحدرة من هذه الجبال ، كما اشار أنه بمدينة سينوب " فى بحرها أسطول سلطان قونية"[٣٤]. كما أنشأت دار صناعة السفن فى مدينة العلايا وقد تعهد سلاطين سلاجقة الروم بالحماية والتحصينات المختلفة [٣٥].

وتشير المصادر أيضاً إلى أنه فى " قلعة خياص (خوناس Khunas) كانت تصنع القسي (السيوف) الملاح " [٣٦].

---

[٢٩] ماركوبولو : " رحلات ماركوبولو " جـ ١ ، ص ٥٠ .

[٣٠] ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٨٨-٢١٤ .

(31) **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 259 . ; **Vryonis** : op . cit ., p .467 .

(32) **Nickel (H)** : Swords and Daggers ., vol . II pp . 546-552 . ; **Arms and Armor :** vol . 1 pp . 521-536 ; **Lance:** vol . 7 pp . 323-325 in Dictionary of the Middle Ages .

(33) **Ahrweiler (Helene)** : Byzance et la Mer ., p . 311 .

[٣٤] ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٩٥ .
Cahen : op . cit ., pp . 48-49 .

(35) **Turan** : op . cit ., p . 246 .

[٣٦] ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٥ . ؛ ابن سعيد : " بسط الأرض في الطول والعرض " ، ص ١١٨ .
Cahen : op . cit ., p . 43 . ; **Rice** : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 82 .

ويقودنا الحديث عن الصناعة إلى الحديث عن التعدين الذى كانت تقوم عليه الصناعة . والواقع أن آسيا الصغرى امتلكت ثروة غنية من الثروات المعدنية حيث كانت هذه الثروات من اهم الموارد الاقتصادية للقوى الكائنه بآسيا الصغرى ، فيشير العمل الفارسى مجهول المؤلف "حدود العالم " إلى وجود المناجم بكثرة فى أماكن متفرقة من آسيا الصغري حيث مناجم الفضة والنحاس عند قيصرية . وأيضا توجد مناجم الذهب المتشعبة بين الروم وأرمينيا ، والذهب والرصاص فى جبال الالات والفضة والنحاس فى الجبال على حدود جورجيا[٣٧]. كما أن الرحالة والمؤرخين المسلمين قد أكدوا وجود المناجم فى أماكن متفرقة من آسيا الصغرى، حيث أشار ماركوبولو إلى مناجم الفضة النقية عند يايبيرث فى أرمينية[٣٨]. كما أشار الرحالة اللاتينى " سيمون أوف سانت كوينيتين " إلى انتشار مناجم الحديد بكثرة فى ربوع آسيا الصغرى بجانب المعادن الأخرى كالفضة وأيضاً حجر اللازورد الذى قامت عليه بعض الصناعات [٣٩].

كما ذكر ابن سعيد المغربى عن وجود معادن الفضة والحديد بآسيا الصغرى[٤٠] وابن بطوطة أيضاً أثناء تجوالة فى آسيا الصغرى زار مناجم الفضة عند مدينة (كمش) في شرق آسيا الصغري وأوضح كيف كان التجار يترددون عليها من سوريا والعراق [٤١] ومن غنى بعض المناطق بغرب آسيا الصغرى بالفضة ، دفعت ابن فضل الله مناطق العمري إلي أن يسمي المكان "مدينة الفضة"[٤٢]. وهناك مناجم أخري للفضة في مناطق متفرقة مثل مدينة بروسا وأماسيا وغيرها[٤٣].

كما كانت آسيا الصغرى تذخر بحجر الشب الذى يأتى على راس قائمة المعادن التى اشتهرت بها حيث كانت تنتشر عدة مناجم فى مناطق مختلفة ، وكان

---

(37) **Hudud Al Alam** :" The Reigon of world " ., pp . 59-67-68 .

(٣٨) ماركوبولو : رحلات ماركوبولو ،جـ ١ ، ص ٥١ .

Vryonis : Byzantium : its internal history and relations with the Muslim world . , p . 8 .

(39) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., pp . 160-161 .

(٤٠) ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٦ .

(٤١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٩٨.

Vryonis : op . cit ., p . 8 .

(٤٢) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق ، السفر الثالث ص ١٥٥-١٦٦-١٦٩.

(٤٣) القلقشندي : المصدر السابق جـ ٥ ، ص ٣٤٣-٣٥٠-٣٥٦ . ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٨٣ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 160-161 .

يستخرج بكميات كبيرة وتدخل الشبه في عدة صناعات بصفة عامه كالصناعات المعدنية وصناعة المنسوجات وبعض الأغراض الطبية(٤٤).

كما كان يوجد في آسيا الصغرى حجر السنباذج Emeri ، الذى أشار إليه ابن الاكفاني والذى كان يستخدم في بعض الاستخدامات الصناعية والطبية أيضاً ، والمعروف عنه نوعان : احدهما السيواسي وهي مدينة مشهورة ببلاد الروم " .... " وكثيراً ما يستعمله الخراطون والنقاشون ، ويتخذ لتنقية الاسنان ويستعمل في الأدوية المحروقة "،كما كان يستخدم في إجلاء السيوف ، واستخدامات أخرى (٤٥).

ولا شك أن هناك العديد من الصناعات الغذائية التي قامت في آسيا الصغرى من انتاج الزراعات المختلفة المنتشرة في هذه البلاد وخاصة نبات الكروم الذى انتشر بشكل كبير في آسيا الصغرى (٤٦) .

وكانت صناعة الخلع السلطانية ، بأنواعها المختلفة في سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى من أهم الصناعات ، حيث كانت في مقدمة هداياهم إلى الأمراء والقادة والعلماء والرحالة وضيوفهم وذويهم بشكل عام(٤٧) .

كما انتشرت صناعة المنسوجات الحريرية في سلطنة سلاجقة الروم بشكل كبير حيث أشار الرحالة ماركوبولو : " تصنع كذلك الحراير المصبغة بالأرجوان وغيره من الأوان الزاهية (٤٨) . ومما يدل على جودة وشهرة هذه المنسوجات الحريرية في هذا العصر أنها كانت من شروط الصلح الذى جرى فيما بعد بين سلاجقة الروم والمغول سنة ١٢٤٥م (٦٤٣هـ) ، حيث تضمن شروط الصلح أن يدفع السلاجقة إتاوة في شكل عدد كبير من الانوال الحريرية كل سنة للمغول (٤٩) . كما أن ابن بطوطة في تجواله في آسيا الصغرى وعند مروره بمدينة "آيا سلوق " أهداه أميرها خضربك بن السلطان محمد بن ايدين " ثوباً من الحرير المذهب يسمونه النخ " (٥٠) .

واشارت كتب الرحالة والمؤرخين المسلمين والأوربيين ، إلى أن صناعة المنسوجات الحريرية والقطنية كانت منتشرة ومشهورة في سلطنة سلاجقة الروم ،

---

(٤٤) ابن الأكفاني : " نخب الذخائر في أحوال الجواهر " ، حرره وعلق عليه الأب / آنستانس الكرملي ،(القاهرة ١٩٣٩م) ، ص ٧٣-٧٤ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 160 .

(٤٥) ابن الأكفاني : المصدر السابق ، ص ٩٧ .

(٤٦) ابن العديم :المصدر السابق ، ص ٨٥٠ .

(٤٧) ابن بيبي : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ١٣٤-١٣٥،٢٣٥-٢٣٦ .

(٤٨) ماركوبولو :المصدر السابق ، ، جـ١ ص ٥٠ .

(49) **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism ., pp . 182-183-228 .

(٥٠) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ص ٢٠٢ .

حيث أشار ماركوبرلو إلى إحدى مدن السلاجقة الشهيرة فى هذه الصناعة ، وهى مدينة ارزنجان التى " قامت بها صناعة نسيج قطنى رفيع جداً يسمى اليومبازين فضلا عن أنسجة أخرى كثيرة وعجيبة قد يمل القارىء من تعدادها [٥١] كما ذكر ابن بطوطة ، أنه فى مدينة لاذق كانت تجرى صناعة المنسوجات الحريرية حيث يذكر " تصنع بها ثياب قطن معلمه بالذهب لا مثيل لها وتطول أعمارها لصحة قطنها وقوة غزلها[٥٢].

كما انتشرت صناعة السجاد والبسط الروسية فى آسيا الصغرى ، حيث ذكر ماركوبرلو " أن أحسن واجمل البسط فىالعالم هى التى تصنع فى تركمانيا "[٥٣].

وكانت أهم مراكز صناعة السجاد فى آسيا الصغرى فى سلطنة سلاجقة الروم فى مدينة أقسرا التى ذكر عنها ابن سعيد المغربى "أن مدينة أقصرا التى تعمل فيها البسط الملاح"[٥٤] وكانت تصنع هذه البسط (السجاجيد) من صوف الغنم الذى "لا مثيل لها فى بلد من البلاد"[٥٥].

التجـــارة :

حظيت آسيا الصغرى بموقع متميز جعلها تحتل الصدارة كمركز هام للتجارة الداخلية والخارجية إذ كانت نواة تجارية ساعدت على نمو التجارة فى عالم العصور الوسطى بشكل عام، واستمر البحر المتوسط الذى تطل عليه آسيا الصغرى ، المركز الرئيسى لعالم التجارة [٥٦] فى العصور الوسطى .

غير أن التجارة البيزنطية اضمحلت عند مستهل القرن الحادى عشر، ففى الربع الأخير من هذا القرن تكاثرت الكوارث على الامبراطورية حيث انقلبت حياتها الاقتصادية رأساً على عقب بسبب استيلاء السلاجقة على الشطر الأعظم من آسيا الصغرى [٥٧]

ثم أضحت بعد قيام السلطنة السلجوقية بآسيا الصغرى مفتوحة أمام التجارة العالمية وانهمرت الثروات الضخمة عليها واقتربت أراضيها فى النصف الأول من

---

(٥١) ماركوبولو :المصدر السابق ، ، جـ١ ص ٥٠ .

(٥٢) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ص ١٩٢-١٩٣ .

(٥٣) ماركوبولو :المصدر السابق ، ، جـ١ ص ٥٠ .

Cahen : Ibn Said ., p . 42 .

(٥٤) ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٦-١٨٧ .

Cahen : Ibn Said ., p . 42 .

(٥٥) ابن بطوطة :المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(56) Boissonnade (P) : Life and work in Medieval Europe (London 1937) ., p . 289 .

(٥٧) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٠٠ .

القرن الثالث عشر من سواحل البحر المتوسط وشواطيء البحر الاسود وكان لهم حضور ملحوظ حتى حدود القرم (٥٨)

والحقيقة أن المكانه التي شغلتها آسيا الصغرى كمركز عالمى فى التجارة الدولية يعود إلى سلاجقة الروم وما اتخذوه من التدابير المختلفة للأمن العام بتوفير سبل الحماية للتجار والطرق وتقديم العون المادى للتجار ، وتأسيس شبكة من الخانات والاسواق وفتح وإنشاء الموانئ المختلفة على شواطيء البحر الأسود والمتوسط (٥٩).

وقد جرت التجارة على كافة المستويات داخل آسيا الصغرى وخارجها، ففى الداخل جرى التبادل التجارى بين الرعاه التركمان والفلاحين اليونان(٦٠).

وقامت علاقات تجارية بين سلاجقة الروم وبعض الاقطار الأوربية حيث صدرت المعادن بعد إكتشاف المناجم وصوف الماعز الجيد الذى صدر إلى انجلترا وفرنسا لصناعة الملابس والجلود الرقيقة، كما صدرت قبعات الرأس المصنوعة من الصوف بواسطة التركمان كما أمتلأت اسواق السلطنة بالكثير من منتجات البلدان الأوروبية (٦١).

وكذلك قامت سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى بعلاقات تجارية جيدة مع جزر بحيرة بوسجوس Pasgouse فضلا على أن جزر بحيرة بوسجوس كان لها الدور الأكبر فى تنشيط التجارة بين قونيه وبعض المدن البيزنطية (٦٢) .

ويلاحظ أنه كانت هناك علاقات تجارية وثيقة بين السلاجقة المسلمين وسكان مدينة خوناى البيزنطية ، حتى أن التجار المسلمين كانوا يشاركون فى احتفالات الأسواق المسيحية الموسمية التى كانت تقام بمناسبة مولد دينى معين ، مثل مناسبة مولد القديس ميخائيل السنوى فى مدينة خوناى وذلك مع التجار القادمين من كافة الأقاليم الأخرى (٦٣) .

وكانت هناك أيضاً صلات تجارية بين السلاجقة والروس والكومان Coumans (القفجاق -القبشاق) حيث كان التجار الكومان يعقدون في أسواق آسيا

(58) **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 959 .
(59) **Sayer** : op . cit ., p . 275 . ; **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., pp . 258-259 . ; **Cahen** : pre-ottomanTurkey ., p . 167 .
(60) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 157 .
(61) **Turan** : op . cit ., p . 259 . ; **Cahen** : Le commerce anatolien au debut du XIIIE siecle Turcobyzanyina XII ., p . 99 .
(62) **Kinnamos** : Deeds of John and Manuel comnenus ., p . 26-52 . ; **Turan** : les souverains Seldjoukides ., p . 76 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp . 120-239 . ; **Ramsay (W.M)** : The Historical geography of Asia Minor , pp . 359-388-389 .
(63) **Choniates (Nicetas)** : op . cit ., p . 50 . ; **Turan** : les souverains Seldjoukides ., pp . 90-91 . ; **Vryonis** : op . cit ., pp . 221-222, 235 , 479.

الصغرى بعض الصفقات المختلفة. وكان الرقيق أهم واردات السلطنة من بلاد الترك (القفجاق) لاستخدامهم في جيوشهم . كما صدرت السلطنة أهم منتجاتها المختلفة مثل السجاد والمنسوجات [٦٤] .

كما ازدهرت أيضاً التجارة في أرمينيا الصغرى بجنوب آسيا الصغرى ، خاصة في عهد الأمير ليفون الثاني (١١٨٧- ١٢١٩ م) حيث أدخل فيها إصلاحات داخلية اقتبسها من الامارات الصليبية وجعلها مركزاً لتقاطع طرق التجارة الدولية بين الشرق والغرب وخاصة تجارة التوابل الاتية من الهند والشرق الأقصى ، ومنح الجنويين والبنادقة امتيازات تجارية في موانيه المطله على البحر المتوسط وهي لا ياسوس وطرسوس وغيرها من المدن الهامه .[٦٥]

وعلى الرغم أن الحياة التجارية لشعوب آسيا الصغرى من اليونان والأرمن والسريان والسلاجقة المسلمين كانت تتعطل بعض الأحيان أثناء الاضطرابات ، لكنها كانت ما تلبث أن تعود سريعاً وجرت التجارة والتبادل التجاري بين قونيه والقسطنطينية ، وأيضاً بين شمال الاناضول وقبادوقيا. وعمل الأرمن والسريان على استقرار الأمور ، وهناك آثار لخانات تشهد على نشاطهم التجاري ، كما كان للبيزنطيين مؤسسات تجارية مختلفة في آسيا الصغرى [٦٦] .

والحقيقة أن المدن الإيطالية تبوأت مركز الصدارة في التجارة العالمية المعاصرة ، ذلك أن انتصار السلاجقة وسيطرتهم على آسيا الصغرى لم يؤثر على المكاسب والوضع الذي أحرزته المدن الإيطالية في الشرق ، ولقد اهتم هجوم الاسلام الجديد - على حد تعبير المؤرخ الاقتصادي هنري بريين - بالتوسع في الداخل لا في البحر فلم يكن للاتراك السلاجقة أسطول ، ولم يحاولوا أن يؤسسوا أسطولاً لهم ودون أن يسببوا ضرراً للتجار الأيطاليين ، فإن الاتراك سمحوا لهم أن يقوموا بالتجارة مع سواحل آسيا الصغرى وبذلك أستمر نقل التوابل القادمة عبر تجارة المرور من الصين إلى الهند إلى سوريا إلى الغرب على متن السفن الإيطالية[٦٧].

---

[٦٤] ابن بيبي : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ١٩١ .
Cahen : op . cit ., pp . 91-95-99 .

[٦٥] ماركوبولو :المصدر السابق ، ، جـ١ ص ٤٨-٤٩ ، ٢ هوامش الفصل الثاني ، ص ١٨٤ . ؛ فؤاد حسن حافظ : تاريخ الشعب الأرمني ، ص ١٥٧ .

(66) Vryonis : op . cit ., p . 479 .

[٦٧] هنري بيرين : تاريخ أوربا في العصور الوسطي " الحياة الاقتصادية والاجتماعية " ، ترجمة د/ عطية القوصي (القاهرة ١٩٩٦م) ، ص ٣٥ .

وأدت الحركة الصليبية أيضاً إلى ازدياد الثروات والموانئ للمدن الايطالية مثل البندقية وجنوه ومارسليا وأيضاً برشلونه ، وغيرها من المدن حيث قامت أساطيل تلك المدن بنقل الحجاج الصليبيين ، والتى كان بعض سفنها تحمل ما يصل إلى ألف وخمسمائه مسافر وأيضاً العائدين من التجارة التى نقلوها عبر أساطيلهم بين الشرق والغرب (٦٨) كما أن نمو قوة هذه الجمهوريات الإيطالية البحرية، أدى إلى إحداث الانقلاب فى الجغرافيا التجارية ، التى بلغ أوج ذروته بالحروب الصليبية والذى ضرب الزعامه التجارية للقسطنطينية ضربة قاصمة (٦٩).

ولقد أقامت الجمهوريات الإيطالية التى كانت تشغل فى ذلك الوقت المكان الأول فى تجارة البحر الابيض المتوسط والبحر الاسود علاقات تجارية بينها وبين السلاجقة الذين امتلكوا موانئ جديدة على هذين البحرين (٧٠).

وإذا تمعنا فى النشاط التجارى فى آسيا الصغرى ، نلاحظ ما كانت عليه سلطنة سلاجقة الروم من الثراء والعظمة ، بدليل ما ذكره الرحالة " ابن جبير " بشأن ركب قافلة الاميره الملكة خاتون ابنة السلطان مسعود إلى مكة المكرمة من أجل الحج سنة ١١٨٤ (٥٨٠ هـ) وقد اشتهرت تلك الاميرة باسم سلجوقة خاتون ، وقد شهد ابن جبير ركبها فى الاراضي الحجازية وذكر أن " خاتون هذه أعظم الخواتين قدراً " بسبب سعة مملكة أبيها " . " وأبو هذه المرأة المذكورة الأمير مسعود ، كما ذكرناه ، وهو فى بسطة من ملكه واتساع من إمرته ويركب له أيضاً نحو أثنى عشر ألف فارس ، ولخاتون هذه أفعال من البر كثيرة فى طريق الحج " ومسافة مملكة أبيها نحو أربعة أشهر ، وصاحب القسطنطينية يؤدى إليه الجزية(٧١).

وكانت الاسواق مراكز للتبادل التجارى ، وجذبت إليها أعظم الاسواق السنوية ، وكانت تحتوى على السلع التى تباع وتشترى مهما كانت طبيعتها ، وغالباً ما كانت أسواق دائمة لا ينقطع فيها البيع والشراء على مدار السنة وإن كان هناك أسواق موسمية أيضاً يباع فيها سلع معينة فى بعض المدن، والحقيقة أن سلطنة سلاجقة الروم استفادت واستغلت الأسواق البيزنطية القديمة التى كانت منتشرة وموجودة فى مدن آسيا الصغرى ، وأهم هذه الاسواق كانت متركزة فى المدن

(68) Boissonnade : Life and work in Medieval Europe ., p . 174 .

(٦٩) رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٥١ .

(٧٠) محمد فؤاد كوبريلي : : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٧١) ابن جبير : رحلة ابن جبير ، ص ١٦١-١٦٤-١٧٧-٢٠٦-٢٠٧ .

الكبرى ، مثل مدينة قونية وقيصرية وسيواس التى كانت " من أمهات مدن البلاد مشهورة عند التجار"[٧٢].

وقد مر الرحالة ابن بطوطة بكثير من الاسواق الكبرى أثناء تجواله فى آسيا الصغرى ، فى مدن أنطاليا ولاذق وقونيه ، أقصرا ، أرزنجان وبرسا وقسطمونى ، وشاهد ما يباع ويشترى فيها من سلع مختلفة مثل سوق الخيل ،وسوق حجر الشب وأسواق العبيد وغيرها من الاسواق [٧٣].

كما ذكر ابن فضل الله العمرى " سوق " بازاريلو " الذى كان يقع بالقرب من قرية قراجه حصار الذى كان يجتمع فيها تجار من اقطار مختلفة " ويباع فيه من كل شيء يجلب من الاقاليم " [٧٤].

ويروى القزوينى أنه كان يقام كل سنة أول الربيع سوق لمدة أربعين يوما ويقال لذلك السوق " بيله " يأتيها الناس من الاطراف البعيدة من الشرق والغرب والجنوب والشمال ، والتجار يجهدون غاية جهدهم حتى يدركوا ذلك السوق ، فمتاع أهل الشرق يشتريه أهل المغرب وبالعكس ومتاع أهل الشمال يشتريه أهل الجنوب وبالعكس ، ويقع للبيع المماليك والجوارى التركية والرومية والخيل والبغال الحسنة والثياب الاطلس وسلع أخرى، " ومن عادة هذا السوق أن من أشترى شيئاً فلا يرده البته " [٧٥].

كما كانت أسواق أرمينية تغطى بمختلف السلع التجارية الوارده من مختلف الانحاء ، ويتقاضون عنها الرسوم المقررة مما كان يعود على خزائنهم بالربح الوفير [٧٦]

والواقع أن سلطنة سلاجقة الروم اهتمت بالتجارة اهتماماً واسعاً ، حيث قام السلطان قلج أرسلان بإقامة بعض المحطات التجارية بين مدينتى قونية وقيصرية على نفس الطرق التجارية القديمة . وكان ذلك من شأنه انتعاش حركة التجارة فى آسيا الصغرى لتغدوا معبراً لتجارة العبور العالمية[٧٧]

وعمدت سلطنة سلاجقة الروم من أجل توفير الراحة والامان . للتجار وحماية ممتلاكاتهم إلى انشاء ما يعرف بالخانات Caravanservais ، والخانات أو

---

(٧٢) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٨٧ .
Cahen : op . cit ., p . 92 . ; Cahen : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., p . 46 .

(٧٣) ابن بطوطة : :المصدر السابق ، ص ١٩٢ .

(٧٤) ابن فضل الله العمري : :المصدر السابق ، السفر ٣-٤ ، ص ١٤٦ .

(٧٥) القزويني : " آثار البلاد وأخبار العباد " (بيروت – بدون تاريخ) ، ص ٥٣١ .

(٧٦) عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ١٥٠ .

(77) Cahen : Le commerce anatolien ., pp . 91-101 . ; Sayer : op . cit ., p . 275 .

الربط عبارة عن منشآت تجارية كانت بمثابة محاط الرحال في أماكن إلتقاء طرق القوافل البرية الرئيسية . وكان بالإمكان لهؤلاء التجار البقاء في هذه الخانات مع جيادهم وأحمالهم لمدة ثلاثة أيام دون مقابل حيث كانت هذه الخانات تستخدم كفنادق للسكن ومخازن وقلاع للدفاع على حد سواء .... وكانت تقدم الطعام إلى كل النزلاء بكافة طوائفهم مسلمين أو غير مسلمين ، أغنياء كانوا أو فقراء كما كانت تقدم اليهم العناية الطبية كما دعمت الخانات بمجموعات من اهل الحرف لتقديم كافة الخدمات للتجار (٧٨).

وكان لابد من إنشاء تلك الخانات أو محاط الرحال في نقاط مختلفة من ربوع آسيا الصغرى للظروف المناخية التي كانت تلم بالبلاد ، "فإن البرد بالروم ثمانية أشهر والثلج كثير والقفل لا ينقطع في الثلج " فكان التجار يمشون كل يوم فرسخاً وينزلون في خان من الخانات ويكون فيه من الطعام والشعير والتين والحطب والبزر والاكاف والنعال المنقل وانها خير عظيم لم يبين مثلها في شيء من البلاد (٧٩)

وقد امتلات آسيا الصغرى بهذه الخانات ، على طول الطرق المؤدية بين المدن السلجوقية حتى الحدود البيزنطية والتي تبدأ من منطقة اقليم ملطية والبستين ، وتمتد ناحية الغرب عبر قيصرية وقونية وبيشهر Begshehir ، ثم إلى الشمال الغربي في اتجاهات عامة الى بيثنيا والقسطنطينية عن طريق أكشهر Aikshehir وأفيون Afyon وقراحصار وكوتاهية واسكي شهر . وكانت أكثر هذه الخانات عبر الطرق المؤدية من قونية إلى التخوم البيزنطية ، وعندما نجح السلاجقة في غزو الأقاليم المطلة على البحرين الأسود والمتوسط امتد نظام إنشاء الخانات ومحطات القوافل شمالاً حتى ميناء سمسون وسينوب جنوباً جهة أنطاليا ، وبعد سقوط خوناي ولوديكيا في ايدى السلاجقة امتد الخانات إليها وانهال التجار والسلع إلى آسيا الصغرى ومصر والشرق الأوسط والقرم واللاتيني والغرب البيزنطي (٨٠).

---

(٧٨) ابن فضل الله العمري : المصدر السابق ، السفر ٣-٤ ، ص ١٤٦ . ؛ القزويني : المصدر السابق ، ص ٥٣٢ .

Turan : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 259 . ; **Cahen** : Le commerce anatolien ., p . 92 . ; **Foss (C)** :Anatolia in Dictionary of the middle ages . vol . 1 p . 241 .

(٧٩) القزويني : المصدر السابق ، ص ٥٣٢ . ؛ ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٧ . ؛ ابن سعيد : " بسط الأرض في الطول والعرض " ، ص ١٢٠

Cahen : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., p . 46 .

(80) **Vryonis** : op . cit ., pp . 222-223. ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 60 . ; **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 259 . ; **Thierry (N)** : The Rock Churches in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., pp . 131-132 . ; **Atil (Esin)** : Turkish Art ., p . 21 .

وكانت أعداد هذه الخانات تتميز بالكثرة ، لتنافس سلاطين السلاجقة وزوجاتهم وابنائهم ورجال بلاطهم وأغنيائهم في إنشائها ، ومما يؤكد ذلك ما ذكره ابن سعيد المغربي الذى ذكر ان المسافرين من التجار بتلك البلاد على الطريق الواقع من سيواس وقيصرية، أنهم يجدون فيها أربعة وعشرين خاناً فيه كل ما يحتاجون إليه ولا سيما في ايام الثلوج [٨١]

ومن هذه الخانات على سبيل المثال وليس الحصر ، "خان آلاى خان" وهو أول الخانات السلطانية ، وقد اكتمل على يد السلطان قلج أرسلان الثانى فى أواخرسنى حكمه ١١٩٢م (٥٨٨ هـ) وخان أوديـر Ewdir والذى بناه السلطان كيكاوس الأول على طريق أنطاليا - أسبارطه بين عامى (١٢١٦و ١٢١٨م/٦١٢و ٦١٤هـ) و (أغر برخان) ثم بناه في عهد كيخسرو الثانى ١٢٣٨م (٦٣٥هـ) و (سلطان خان) هو من أعظم الخانات ويقع في الطريق الموصل بين قونية وأقسرا وقد اسسه السلطان علاء كيقباذ سنة ١٢٢٩م (٦٢٦هـ) وخان (آلارا) ويقع بين انطاليا وقونيه وخان (أنجير خان) على طريق انطاليا - أسبرطه وتم بناؤه عام ١٢٣٩ م (٦٣٦ هـ) وخان (الخاتون) وأنشأته السلطانه ماهيرى خاتون والده كيخسرو الثانى ١٢٣٩ - ١٢٣٩م (٦٣٦ هـ) ويقع على الطريق بين أماسية - توقات ، وخان الأمير شمس الدين آلتون الذى بنى سنة ١٢٠١م (٥٩٨ هـ) ويقع غرب مدينة قونية وخان (حكيم) والذى أسسه الطبيب أبو سالم بن أبى الحسن الشماس الملطى، والذى أقيم على الطريق من سيواس وملطية وخان قراطاى Karatayوالذى بناه الأمير جلال الدين قرطاى ١٢٣٧م (٥٣٤ هـ) على الطريق بين سيواس وملطية[٨٢].

وهكذا شملت تلك الخانات معظم الطرق المؤدية إلى بلاد المدن فى آسيا الصغرى ، وشهدت تحت سيادة السلاجقة انتعاشاً اقتصادياً وصلت به الى مستوى عالمي يفوق مستواها فيما قبل حينما كان تحت السيادة البيزنطية ، ففى منتصف القرن الثالث عشر اشار الرحالة سيمون اوف سانت كونتين إلى أن دولة السلاجقة

---

(٨١) ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٧.
Cahen : op . cit ., p . 46 .

(٨٢) الآقسراى : مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار، ص ٤٢ . ؛ ابن فضل الله العمري : المصدر السابق ، السفر ٣-٤ ، ص ١٤٦ . ؛ أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٢٠-١٣٠ .
Combe , J . Sauvaget et G.Wiet and others : Repertoire chronologique D'Epigraphic Arabe ., TX pp . 166-49-50 , T.X pp . 3-5 . , T.XI pp . 96-98-103-107-12-13-126-127 . ; Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., pp . 222-223-749 . ; Cahen : Le commerce anatolien ., p . 93 . ; Rice : op . cit ., 103-106, 153

تحتوى على مائه مدينة، واشار ابن سعيد إلى أن دولتهم بها أربعة وعشرون اقليما وكل مدينة بها حاكم وقاضي(٨٣).

كما لجأت سلطنة قونية إلى فتح الموانئ الهامة المطلة على البحر الاسود والبحر المتوسط، من أجل اعلاء شأن التجارة فى آسيا الصغرى ، ومن هذه الموانى ميناء انطاليا على شواطيء البحر المتوسط وقاموا بفتح حصون كالون أوريس سنة ١٢١٤م (٦١٢هـ) التى تبعد مائة ميل تقريباً من انطاليا والتى سميت فيما بعد بمدينة العلايا نسبة إلى السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ١٢٢١م (٦١٨هـ) تيمناً باسمه ، كما تم فتح ميناء سينوب ١٢١٤م (٦١١ هـ) ليكون منفذ السلطنة على البحر الأسود، والذى اصبح فيما بعد أهم الموانئ التجارية ، وميناء سوداق الذى يواجه ميناء سينوب، ١٢٢٥م (٦٢٢ هـ) والذى اعتبر من أهم موانى القرم . كما فتح ميناء سمسون على البحر الاسود وبذلك يكون سلاطين سلاجقة الروم قد امتلكوا آسيا الصغرى بامتلاكها القواعد التجارية المختلفة المطلة على البحرين المتوسط والاسود وكان لذلك فوائد كبيرة للاقتصاد السلجوقي بعد أن أضحت السلطنة مفتوحة أمام التجارة العالمية ، وبالإضافة الى ذلك كان لأرمينيا الصغرى ميناء (يومورطه) على البحر الابيض، كما كان لطرابيزون ميناء طرابيزون علي البحر الاسود (٨٤).

وهكذا انتعشت التجارة فى آسيا الصغرى ، وكانت أرزروم التى كانت تحت سيطرة الدانشمنديون فترة طويلة مركزا تجاريا منتعشا (٨٥). كما كانت مدينة قسطموني من المدن التجارية الهامة فى آسيا الصغرى بما تميزت به من سلع اختصت بها (٨٦).

أما عن الطرق ومراكز التجارة فى آسيا الصغرى ، فيلاحظ أن حركة التجارة فى آسيا الصغرى سلكت عدة طرق برية وبحرية انتهت إلى ساحلي البحر المتوسط

---

(83) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 189 .

(84) **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism ., pp . 132-133 .; **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., pp . 245-246-258-259 . ; **Cahen : Le** commerce anatolien ., pp . 93-95 . ; **Cahen :** La Syrie du NordAL'Epoque des Croisades ., p . 626 . ; **Cahen** : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., pp . 47-49 . ; **Turan (Osman)** : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., pp . 97-98 . ; **Atil :** op . cit ., p. 2.; **hamdallah Mustawfi Al-qazwini :** Nuzhat-Al-Qulub ., p . 96 .

محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(85) Leiser (g) : Saltuk in E.I ., vol . VIII . p . 1001 .

(٨٦) ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٩٥ . ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٥٦ .

Heywood (C.J) : Kastamuni in E.I ., vol . IV (1990) . ; **Cahe (C.J) :** Questions d'histoire de la province deKastamonou au XIIIe siecle turcobyzantinax . p . 145-158 .

والبحر الاسود ، ولا شك أن هذه الطرق البرية المؤديه إلى آسيا الصغرى قد سهلت على التجار نقل الحاصلات والبضائع المختلفة (٨٧)

وقد شجعت الحركة التجارية الداخلية التدابير الشاملة التى اتخذتها سلطنة سلاجقة الروم بشأن التجارة ، والتى انعكست آثارها فى اهتمامهم بالطرق القديمة التى أعيد تمهيدها وإصلاحها كالطريق الملكى الأخمينى Achaemenian وتشييدهم الخانات العظيمة ، وسماحهم للتجار بتأجير القوات المرتزقة لحماية حركة مرور تجارتهم بين مدن آسيا الصغرى(٨٨).

وكانت تعبر آسيا الصغرى البيزنطية العديد من طرق القوافل منها طرق تتجه إلى القسطنطينية وطرق تتجه إلي الحدود السوريه وبلاد الشام وطرق تقطع أعالى الشام (عبر ملطية)، وطرق أيضاً تتجه إلى أرمينيا وأذربيجان وإيران وطرق أيضاً تتجه إلى أرزروم وإلى طرابيزون (٨٩).

غير أن أهم هذه الطرق كانت طريق الخليج الفارسى (الخليج العربى) – بغداد ، وهو أقدم الطرق البرية واهمها فى العصور الوسطى ، يبدأ من رأس الخليج الفارسى ثم يتجه بفروعه النهرية أو البريه من البصرة إلى بغداد حيث يتفرع فرعين ، يتجه الأول شمالاً إلى دياربكر ويتجه الثانى غرباً إلى دمشق ومنها يتجه فرع إلى موانئ ساحل البحر المتوسط ثم جنوباً إلى مصر . وفرع يتجه شمالاً بقرب حلب ، ثم إلى آسيا الصغرى ليلتقي بالطرق القادمه من وسط آسيا براً ويتحد معها إلى القسطنطينية (٩٠)

ويأتى طريق القسطنطينية – انطاليا فى المرتبة الأولى فى الاهمية بالنسبة لآسيا الصغرى، وحيث إنه كان طريقاً برياً يبدأ بأختراق جبال طوروس خلال الدرب الكبير المعروف بأبواب قيليقية ، إلى قيليقية ، ثم يجتاز سلسلة جبال أمانوس إلى أنطاليا خلال الدرب المعروف باسم أبواب الشام (٩١).

والحقيقة أن سلطنة سلاجقة الروم كانت ممراً يحكم موقعها الجغرافى لكثير من الطرق التجارية العالمية وكان من الطبيعى ، وفى يدها أمثال دياربكر وأرضروم – من المراكز الهامة على الطرق التجارية الكبيرة – أن تبذل من الجهود ما يحقق لها ألإشراف على تجارة الترانسيت وذلك بتأمين هذه الطرق بالتكفل بدفع كل ما

---

(87) Sheskin (I.M) : Anatolia in Lexicon Universal Encyclopedia , vol . 1 p . 394 . The New Ency . Bretannica art . Anatolia . vol .1 .
(88) Sayer : op . cit ., p . 275 . ; Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 959 .
(98) Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 163 . ; Tierry : op . cit ., p . 131 .

(٩٠) محمود الحويري : الأوضاع الحضارية في بلاد الشام ،ص ١٢١-١٢٢ .

(٩١) محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ١٢٢-١٢٣.

يمكن أن يعرض لها من خطر ، وكأنه قد وضعت بهذه الرعاية نوعاً من الضمان الحكومي [٩٢] .

كما أصبحت أرمينيا الصغرى ، همزة وصل بين الشرق والغرب في الشئون التجارية ، مما ساعد على ازدهار أرمينيا لخبرة الارمن بشبكات الطرق المؤدية إلى بلاد ما بين النهرين ، وبلاد الفرس والهند . إذ نجحوا عن طريق مفاوضاتهم واتصالاتهم الواسعة مع أمراء حلب وخلفاء بغداد وسلاطين السلاجقة ، أن يجعلوا من بلادهم جسراً تعبر منه القوافل التجارية محملة بالبضائع المستوردة والمصدرة من وإلى الشرق والغرب [٩٣].

وكانت وسائل المواصلات موافقة لحالة الطرق السيئة أنذاك ، فلقد كانت تستخدم العربة الخفيفة ذات العجلتين في العادة لنقل البضائع ، لكن البضائع ذات الأهمية البالغة كانت تحمل على ظهور الخيل ولإرسال سلع ثقيلة بالبر في تلك الايام كان من الضروري أن تقسم حمولتها على عدد من العربات أو الحيوانات ، وكانت العربات الثقيلة ذات الأربع عجلات تستخدم، لكن استعمالها اقتصر على الطرق غير الممهدة [٩٤].

وكانت مدينة سيواس ، بحكم موقعها الجغرافي ، ووقوعها وسط منطقة خصبة في وادى " قيذيل إيرماق " مركزاً تجارياً وسياسياً هاماً . كما كانت من أهم مراكز تجارة العبور في آسيا الصغرى . حيث كانت ملتقى الطرق المختلفة التى كانت تقطعها حيث كانت مدينة كبيرة عامرة ومشهورة عند جميع التجار ، كما كانت ملتقى التجارة القادمة من بلاد الشام وما بين النهرين وبلاد فارس التى تمر على هذه المدينة، كما مرت بها القوافل المتجهه نحو طرابيزون . وأيضاً كان يلتقى بها التجار القادمون من الغرب ومن الطرق المؤدية إلى موانئ البحرين الابيض والاسود [٩٥].

وذكر ابن الأثير [٩٦] أن مدينة سيواس كانت نقطة تجمع التجار القادمين إليها براً وبحراً من بلاد الروم والروس والقفجاق ، وتجار من مختلف البلدان

---

(٩٢) محمد فؤاد كوبريلي : المرجع السابق ، ص ٩٤ .

(٩٣) عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ١٤٩ .

(٩٤) هنري بيرين : تاريخ أوربا في العصور الوسطي ، ص ٩١ .

(95) Cahen : Le commerce anatolien ., pp . 92-96 . ; Cahen : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., p . 46 .

محمد فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ، ص ١٠٣/ ٩٧ .

(٩٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ٢٤٢ .

الاسلامية ، وكان التجار الروم يتاجرون مع التجار السلاجقة ، وأيضاً مع التجار القادمين من بلاد الشام وما بين النهرين وإقليم الجزيرة في السلع المختلفة.

وبعد أن نجح السلطان السلجوقي كيكاوس الأول في فتح ميناء سينوب١٢١٤ م (٦١١هـ) سار على سياسة والده واستدعى العديد من التجار من مدن تركية أخرى للاستقرار ، وجعل منه ميناء هام لتجارة الترانزيت (العبور) ، وأحاطها بأسوار عظيمة للآمن ، وجعلها قاعدة لاسطول جديد[٩٧] . وأصبح بذلك لدى السلطنة منفذاً بحرياً هاماً على سواحل البحر الأسود مكنهم من تنمية دورهم في تجارة العبور العالمية.

كما كانت مدينة " العلايا " التى كانت على ساحل البحر المتوسط من أهم الموانئ التى لعبت دوراً كبيراً في تجارة العبور حيث تدفق إليها التجار من كل حدب وصوب ومرت عليها منتجات الشرق الأقصى ودول المشرق الاسلامي [٩٨] وقد ذكر ابن بطوطة أنه ينزلها تجار مصر وإسكندرية والشام[٩٩]

ومما يجدر ذكره أن تجارة العبور عبر آسيا الصغرى ، قد جلبت أرباحاً وفيرة لسلطنة سلاجقة الروم ، وذلك من حصيلة الضرائب المختلفة المفروضة على التجارة المارة بأرضهم ، أو عبر الموانئ الهامة حيث كانت تعقد المعاهدات التجارية ، مثل المعاهدة التى عقدها سنة ١٢٢٠م (٦١٧ هـ) السلطان كيكاوس مع البنادقة والتى بموجبها منحهم تخفيض على الرسوم الجمركية المارة بنسبة ٢ ٪ من البضائع المارة بالسلطنة[١٠٠].

والواقع أن فتح الأناضول لتجارة العبور (الترانزيت) بين الشعوب الإسلامية والمسيحية والتحول إلى دولة غنية ومتقدمة كان واحداً من النتائج السعيدة للغزو السلجوقي ، وبسرعة أصبحت آسيا الصغرى جزءاً من العالم الاسلامي ، والعوائق التى أعاقت حركة التجارة والتدهور الاقتصادى الذى ألم بآسيا الصغرى في فترة الصراع التركي البيزنطي وغزوات الصليبيين التى استمرت قرناً تسببت بلا شك في اضمحلال اقتصادى واجتماعى خطير في الاناضول حتى انتصار قلج

(97) **Turan** : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 246 . ; **Cahen :** Le commerce anatolien ., pp . 91-93 . ; **Cahen** : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., p . 48 . ; **Rice :** The Seljoukes in Asia Minor ., p . 104 .

(٩٨) ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٧٠-١٧١ . ؛ القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ،جـ ٥ ، ص ٣٤٧ . ؛ أبو الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٨١ .
Cahen : Le commerce anatolien ., pp . 22 . ; **Cahen** : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., pp . 47-48 .

(٩٩) ابن بطوطة : :المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(100) **Cahen :** Le commerce anatolien ., p 96 .

أرسلان الثانى فى هذا العام ١١٧٦/(٥٧٢هـ) . وبعد هذا العام تغيرت العلاقات السلجوقية البيزنطية وشمل الاتحاد السياسى آسيا الصغرى ، وشاع الأمن وشملت طرق العبور الهامة التجارية فى هذا الأقليم [(١٠١)].

ومما يجدر ذكره أن سلاطين السلاجقة استخدموا قواتهم العسكرية لحماية الطرق والموانئ المختلفة ، وكان مبدأهم الأول تأمين الطرق الى البحر الأسود وموانئ البحر المتوسط ، وطرق القوافل بل إنهم لجأوا إلى دفع تعويضات من بيت المال للتجار الذين تعرضت بضائعهم للخسارة عن طريق هجمات القراصنة وقطاع الطرق [(١٠٢)] ويكفى ما ذكره المؤرخ " ابن بيبى " [(١٠٣)] من أن بعض التجار الذين تعرضوا للنهب من قبل الفرنجة والأرمن وكيف تم تعويضهم.

أما عن العلاقات التجارية بين آسيا الصغرى والعالم الخارجى ، فقد كانت هذه العلاقات كثيرة ومتنوعة ، فبالنسبة لبلاد الشام يشير الرحالة ابن بطوطة إلى علاقات بين سلطنة سلاجقة الروم والشام لوجود التجار الشوام فى بعض المدن السلجوقية ، مثل العلايا وكمش وأن البسط المنسوبة إلى مدينة أقسرا والمصنوعة من صوف الغنم والتى لا مثيل لها فى اى بلد من البلاد ، تحمل إلى بلاد كثيرة منها بلاد الشام [(١٠٤)].

وكان التجار الشوام يتجهون إلى آسيا الصغرى ، ويتجولون فى ربوعها ، لعقد الصفقات التجارية المختلفة ، وقد أشار المؤرخ ابن بيبى [(١٠٥)] إلى قصة التاجر الشامى الحلبي الذى تقدم بشكواه الى السلطان كيقباذ الأول بأن الأرمن (بولاية ليفون) نهبوا أمواله.

وفى الوقت الذى كانت فيه حلب مركزاً لتجمع التجارة والقوافل الآتية من آسيا الصغرى والشام مارة إلى بغداد وفارس والهند داخل آسيا [(١٠٦)]، كانت حلب نفسها ومعها مدينة حماة تصدر القطن الجيد إلى آسيا الصغرى [(١٠٧)].

كما جرت علاقات وتبادل تجارى ، بين العراق وسلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى ، حيث أشارت المصادر إلى وجود التجار من العراق واقليم الجزيرة فى

---

(101) Turan : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 258 .
(102) Turan : op . cit ., pp . 258-259 .

(١٠٣) سلطنة سلاجقة الروم ، ص ١٨٩-١٩٠ .

(١٠٤) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٨٨-١٩٦ .

(١٠٥) سلطنة سلاجقة الروم ، ص ١٩٠-١٨٩ .
Cahen : Le commerce anatolien ., p 92 .

(١٠٦) محمود الحويري : الأوضاع الحضارية في بلاد الشام ،ص ١٣٠ .

(107) Rice : op . cit ., 105 .

أماكن مختلفة من آسيا الصغرى ، فى ممارسة نشاطهم التجارى وكانت هناك صادرات مختلفة مثل البسط الصوفية السلجوقية ، واللحوم والفواكة وغيرها [١٠٨].

أما العراق ، فقد أمدت آسيا الصغرى بالصوف الناعم الحقيقى ، وكان يستعمله السلاجقة فى حياكة عمائم سلاطينهم ووزراء دولتهم ، كما يأتى من العراق الحرير الخام لصناعة أروابهم (جبة السلطان) والمسك وأعواد الند والعنبر [١٠٩].

كما جرى التبادل التجارى بين آسيا الصغرى وبلاد فارس ، حيث كانت هناك حركة تجارية نشطة بين مدينة تبريز والمدن السلجوقية المنتشرة فى آسيا الصغرى ، كما أشارت المصادر التاريخية إلى وجود تجار من تبريز وأذربيجان فى بعض مدن آسيا الصغرى لممارسة الأنشطة التجارية [١١٠].

أما عن العلاقات التجارية بين مصر وآسيا الصغرى ، فقد أشار الرحالة ابن بطوطة عند حديثه عن مدينة العلايا إلى تواجد التجار من مصر والاسكندرية حيث يقول" وهى كثيرة الخشب ومنها يحمل إلى الإسكندرية ودمياط ويحمل منها إلى سائر مصر " [١١١]. وقد أكد الرحالة المغربى ابن سعيد إلى وجود الأخشاب بكثرة فى أماكن مختلفة من آسيا الصغرى [١١٢]. كما كانت البضائع التى استوردها السلاجقة من مصر قد شملت التوابل والسكر والأسلحة والقطن [١١٣].

وفيما يختص بالعلاقات التجارية بين القوى الاسلامية الكائنة فى آسيا الصغرى والبيزنطيين . فقد ذكر المؤرخ البيزنطى خونياتس أن تجار قونية وجدوا فى القسطنطينية فى نهاية القرن الثانى عشر[١١٤] كما كانت آسيا الصغرى معبراً للتجارة بين مصر وبيزنطة ، وقد حدث سنة ١١٩٧م (٥٩٤هـ) أن الامبراطور البيزنطى الكسيوس انجليوس قام باحتجاز ومصادرة ممتلكات تجار قونية الموجودين بالقسطنطينية ، وذلك رداً علي استيلاء رجال السلطان السلجوقي كيخسروا الأول

---

(١٠٨) ابن بطوطة : رحلات ابن بطوطة ،ص ١٨٨-١٩٩ . ؛ القلقشندي : :المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٥٦.

(109) Rice : op . cit .,p . 105 .
(110) Cahen : Le commerce anatolien ., pp . 92-96 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 164 . ; Rice : op . cit ., 105 .

(١١١) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٨٩ .

(١١٢) ابن سعيد : كتاب الجغرافيا ، ص ١٨٥-١٩٥ .

Cahen : Ibn Said ., pp . 42-49 .
(113) Rice : op . cit ., 105 .
(114) Choniates (Nicetas) : Historia ., pp . 653-654 .

على الهدايا المقدمة من السلطان الأيوبى العزيز بن صلاح الدين من مصر وذلك أثناء نقلها عبر أراض آسيا الصغرى [115].

وجرى التبادل التجارى أيضاً بين آسيا الصغرى ، وكل من الهند والصين حيث كانت سلطنة السلاجقة تستورد من الصين الحرير الجيد الغالى الثمن كما كانت تستورد الاحجار الكريمة التى شغف بها السلطان وحاشيته والتي تم استيرادها من آسيا الوسطى . كما تم استيراد السجاد أيضاً من فارس وكثيراً من شيراز [116]. وكانت تصدر البسط الرومية إلى كل من الهند والصين وآسيا الوسطى [117]

كما جرى التبادل التجارى بين سلاجقة آسيا الصغرى والمدن الايطالية المختلفة ، وكانت هناك صلات تجارية على أعلى مستوى ، حيث عقدت الاتفاقات مع البنادقة والجنويين لتأمين عبور السلع عبر أراض السلاجقة وعبر موانئ البحر المتوسط والبحر الأسود وكان لتجار المدن الإيطالية حرية التجارة فى أراض السلطنة من البنادقة وجنوه وبيزا [118].

وقد احتلت كل من المدن الإيطالية الكبيرة – البندقية وجنوه وبيزا – مكانة اختلفت عن الأخرى فى موانئ البحر المتوسط حيث كانت البندقية تركز نشاطها التجارى – بشكل أعظم – فى البحر الايجى والقسطنطينية وموانئ آسيا الصغرى [119].

ولقد حصلت المدن الإيطالية على امتيازات كثيرة فى المدن التي كانت خدماتها ضرورية لهم . وقد حصلوا منذ نهاية القرن الحادى عشر على تسهيلات ساعدتهم فى إقامة فنادقهم ومرافقهم على طول سواحل فلسطين وآسيا الصغرى وجزر البحر الأيجى . وكانت سيادة بيزنطة على شرق البحر المتوسط قد انتهت منذ مطلع القرن الثاني عشر . فلقد سقطت هذه المناطق بالتدريج تحت نفوذ المدن البحرية الحربية التي احتكرت تجارتها [120].

كما قامت علاقات تجارية بين سلاجقة آسيا الصغرى ، وبعض البلدان فى الغرب الأوربى حيث لعبت فيها جزيرة قبرص دوراً كبيراً كهمزة وصل بين الطرفين بحكم موقعها المواجه لشواطئ آسيا الصغرى خاصة مع انجلترا وفلاندز وفرنسا [121] .

---

(115) **Cahen** : Le commerce anatolien ., p . 92 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 164 .

(116) **Rice** : op . cit ., pp .105-106 .

(117) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٩٦ .

(118) **Cahen** : Le commerce anatolien ., pp . 96-100 . ; **Sayer (I.M)** : The Empire of the Salcuqids of Asia Minor ., p . 275 . ; **Rice** : op . cit ., pp .103 .

(119) محمود الحويري : المرجع السابق ، ص ١١٨ .

(120) هنري بيرين : تاريخ أوربا في العصور الوسطي ، ص ٣٥-٣٦ .

(121) **Cahen** : Le commerce anatolien ., pp . 99-93 .

وهكذا انتعشت التجارة في آسيا الصغرى ، وكان هذا أمراً طبيعياً مع زيادة السكان في بقاعها ، فسكان المدن المختلفة في آسيا الصغرى مثل قونية وقيصرية وسيواس ومدن أخرى غالباً ما كانت تبلغ أكثر من مائة ألف نسمة علما بأن مدينة مثل مدينة قونيه وبالمقارنة،كما ذكر أحد الكتاب أنها كانت في نهاية القرن الحادى عشر – وهي العاصمةالامبراطورية – على شكل المعسكر البدوى وفي القرن الرابع وصفها ابن بطوطة بالمدينة المترفة المليئة بالبازارات والأسواق ، والمياه والحدائق وكل مظاهر التقدم[١٢٢]كما كانت تضم المدن السلجوقية المسلمين واليونانيين واليهود[١٢٣].

أما عن النظم والمعاملات التجارية في آسيا الصغرى ، فالحقيقة أنه نظراً لكون هذا الإقليم إقليما مفتوحاً فقد عج بكافة الجنسيات ، فلا تستبعد أن معظم المعاملات والنظم قد استخدمت في هذا الأقليم كالنقد والمقايضة والبيع المؤجل الدفع ، وقد سبق أن ذكرنا أن السلاجقة المسلمين في آسيا الصغرى عملوا على توفير الأمن والاستقرار للتجار الوافدين عليها من مختلف الجنسيات وشتى بقاع الأرض وهؤلاء التجار كانوا يتحدثون لغات أوطانهم ، ولكننا لا نعلم أن كانت هناك لغة مشتركة متفق عليها بين التجار لتسهيل نشاطهم التجارى .ومهما يكن من أمر فإنه إذا كانت هناك لغة مشتركة فإنها سوف تكون لغة التجارة فقط.

وقد دعت الاحتياجات المالية الناشئة عن التطور الاقتصادى إلى إيجاد كمية وفيرة من النقد ، وطريقة التداول الأسرع والأعم . والثابت أنه ما كادت تستقر الأمور في آسيا الصغرى حتى لجأ السلاجقة المسلمون بكافة طوائفهم إلى ضرب الدنانير والنقود الذهبية والفضية والنحاسية ولا يعنينا هنا أبرز ما تميزت به هذه النقود سواء كانت ذهبية أم فضية وعلى أي نسق سكت . وهل تأثرت بدولة معينة من ناحية طرازها أو عناصرها أو صنعها – فسوف نتناوله في موضع آخر [١٢٤] . غير أن الدراسات التي تناولت العملات النقدية المكتشفة ، تفيد بوجود هذه النقود المضروبة من الذهب والفضة والنحاس ، وقد كانت تستخدم كلها في المعاملات التجارية النقدية ، كما أوضحت تلك النقود مدى العلاقات التجارية الخارجية بين القوى الكائنة في آسيا الصغرى والعالم الخارجي ،وكانت دور الضرب قد أقيمت في معظم المدن الهامه في آسيا الصغرى تقريبا ، مثل قونية وسيواس وملطية وقيصرية وأقسرا وغيرها من المدن الهامة [١٢٥] . وبالإضافة إلى العملات النقدية الإيطالية

---

(122) Sayer : op . cit p . 275 .
(123) Rice : op . cit ., pp .106 .

(١٢٤) انظر الفصل الخامس.

(١٢٥) محمد باقر الحسيني : نقود السلاجقة ، رسالة دكتوراة بكلية الآداب ، جامعة القاهرة ، قسم الآثار الإسلامية ، غير منشورة (١٩٦٨) ص ١٠٥–١٤٤ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 168 . ; Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., pp 470-475 .

السلجوقية فقد استخدم أيضاً الفلورين Florentim الذى شكل القسم الأكبر من الاتحاد الأوربى ، وغيرهما من العملات الأوربية فى التعامل التجارى (١٢٦).

ولا شك أن استخدام النقد فى المعاملات فى العصور الوسطى كان أمراً ملحاً لأن عملية الدفع وإستلام المستحقات عيناً لم يكن فائدته كبرى إذا قورن بالنظام النقدى ، لأن التجارة بدون نقود لا تستطع أن تحافظ على نفسها ، وهذه الحقيقة كانت حقيقة جوهرية لدرجة أنه حينما تحول الاقتصاد الحكومى تحت نفوذ التجارة كانت علامة تحوله هو إحلال نظام الدفع النقدى كبديل لدفع المستحقات عيناً ، وبدأت النقود تسافر مع التجار ومن كل الانحاء سحبت نقود من كل الانواع بواسطة التجار إلى المدن والأسواق التجارية (١٢٧).

فكان السلاجقة المسلمون بآسيا الصغرى يطبقون نظام الإحتكار كاحدى التنظيمات التجارية على بعض السلع التى كانت تنتجها السلطنة نظراً لندرتها وأهميتها فى الاسواق العالمية ، مما أدى إلى ارتفاع أسعارها فى الأسواق الداخلية وعاد على السلطنة بأرباح وفيرة (١٢٨).

وبالنسبة لوضع التنظيم التجارى فى العصور الوسطى ، فإنه كان لهذه النظرية التى قسم بمقتضاها النشاط التجارى إلى ثلاث أشكال متتالية أختص الشكل الأول منها بالمبادلة والمقايضة والثاني بالنقود والثالث بالتسليف فقد كان المحقق أن التسليف قد لعب دوراً ملحوظاً ومتزايداً ، ولقد كانت الكنيسة فى العصور الوسطى المقرض ، حيث كان لديها رأسمال سائل جعل منها قوة مالية من الدرجة الأولى (١٢٩).

ولقد عرفت سلطنة سلاجقة الروم ، طرق مختلفة لنظام القروض والتسليف ، كما عقدت صفقات كثيرة بنكية فى ظل أنظمة ونقابات تجارية مأمونه (١٣٠).

وقد تحددت السياسة الضرائبية ببلاد آسيا الصغرى على أساس أن النشاط التجارى هو المصدر الأساسى للموارد المالية الاقتصادية وتعتمد على التعامل التجارى والاتجار مع بلاد العالم الخارجي . لذلك فإن القوى الكائنه بآسيا الصغرى أباحت المرور للتجار والمسافرين ببلادها ولكي تخرج السلع المحلية بأراضيهم وكان لا بد من دفع رسوم ضريبية فرضتها السياسة الضرائبية التى طبقتها سلطنة سلاجقة الروم (١٣١).

---

(126) Rice : op . cit ., pp .106 .

(١٢٧) هنري بيرين : تاريخ أوربا في العصور الوسطي ، ص ١٠٥-١٠٩ .

(128) Sayer : op . cit p . 275 .

(١٢٩) هنري بيرين : تاريخ أوربا في العصور الوسطي ، ص ١١٥-١١٦ .

(130) Turan : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 259 .

(131) Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 173-189 . ; Vryonis : op . cit ., pp . 475-479 .

الفصل الرابع

الحياة الفكرية فى آسيا الصغرى

- الحياة الفكرية عند سلاجقة الروم.
- الحياة الفكرية عند باقى الإمارات التركية.
- الحياة الفكرية عند البيزنطيين.
- اللغة والتبادل الثقافى بين القوى المختلفة فى آسيا الصغرى.

الحياه الفكرية عند سلاجقة الروم :

شهدت آسيا الصغرى طوال القرن الثاني عشر الميلادى ، حروباً طويلة خاضها البيزنطيون والصليبيون والمسلمون . فالصليبيون قصدوا بلاد الشرق للغزو والاستعمار ، كما أن البيزنطيين لم ينسوا أن الأتراك المسلمين اقتطعوا معظم جسدهم في آسيا الصغرى ، ومن ثم آلوا على أنفسهم ضرورة طرد المسلمين الأتراك . وقاموا بمحاولات طوال القرن الثانى عشر دون جدوى. كما لم تخلو العلاقات بين القوى الإسلامية المختلفة في آسيا الصغرى من الخلافات والحروب . وهكذا لم تتح لهذه العناصر حياة الاستقرار وهى الحياة اللازمة لمباشرة النشاط الفكرى بالقدر الذى أتيح لغيرهم في أسبانيا وصقلية وبلاد الشرق الأدنى.

والواقع أن التبادل الفكرى والإنتاج العقلى لا يتم إلا فى ظل استقرار كامل . إلا أن أوقات السلم القليلة طوال القرن الثانى عشر الميلادى فى آسيا الصغرى كانت كثيراً ما تتيح الفرصة للإنتاج العقلى والفكرى.

وقد كان التعليم فى آسيا الصغرى قبيل الحكم السلجوقى ، تعليماً دينياً بحتاً، ويخضع خضوعاً تاماً لسيطرة الكنيسة ، ويجرى فى مدارس ديرية ومدارس أسقفية أو كاتدرائية ، شأنه في ذلك شأن كثير من المناطق والأقاليم المسيحية فى العصور الوسطى ، وكانت الكنيسة تشرف على التعليم وقام رجال الدين بالتدريس في غالبية أنواع المدارس التى قامت فى العصور الوسطى ، وبذلك تكون مدارس الأديرة قد أسهمت فى تقدم الحركة العلمية لأن الرهبان أهتموا فى كل دير بجانب واجباتهم الدينية بتعليم الصغار من أبناء القرى المجاورة وخدمة البيئة ثقافياً [1].

والواقع أن جامعة القسطنطينية ، اضحت في عصر المقدونيين الأوائل مركز جذب إليه خيرة العقول آنذاك . هذه الجامعة التى أعيد تنظيمها فى عهد الإمبراطور البيزنطى قسطنطين التاسع (١٠٤٢-١٠٥٥م) فى سنة ١٠٥٤ واستعان للقيام بهذا العمل بالمؤرخ بسللوس الذى عمل قاضياً إكليروسياً فى آسيا الصغرى لفترة لينفق على دراسته وتعليمه ، كما استعان بصديقة يوحنا زيفلنيوس John Xiphilinus حيث شهدت الجامعة نهضة فكرية جديدة . وكان لبسللوس المؤرخ الفضل فى الدرجة الأولى فى إحياء الآداب والعلوم الإنسانية فى انحاء الأمبراطورية البيزنطية - بما فيها آسيا الصغرى - وكان لجهوده فى إعادة تنظيم الجامعة أكبر الأثر فى خلق حالة

---

[1] جوزيف نسيم يوسف : نشأة الجامعات في العصور الوسطي ، ص ٣٧-٣٩ .

طيبة من الأنشطة الثقافية خلال القرون التى نبعت من عمـر الإمبراطورية على عهد أسرتى كومنين وانجليوس[٢].

غير أن آسيا الصغرى كانت مأهولة بسكان يتكلمون بلغات غربية ، ويدينـون بعقائد مختلفة عـن الثقافة البيزنطية التى تمت وتطـورت فـى آسـيا الصغـرى مثـل (الوطنيين من أهل قبادوقيا والأرمن والجورجيـون). وزاد مـن حـدة المشـكلة أن هـؤلاء السـكان لم يكيفـوا أنفسهم مع الثقافة البيزنطيـة ، فساعد ذلـك علـى تدهـور الحياة الثقافية التى كانت عاملاً من عوامل التماسك الاجتماعى فى آسيا الصغرى[٣].

صحيح أن الهلينستية لاذت بمعقلها الحصين فـى آسيا الصغرى ، واستبسلت فى الدفاع عن وجودها واشتدت فى مقاومـة العرب فيما وراء جبال طـوروس التى كانت – إلى كونها حـدا طبيعيا – حـدا دينيا وحضاريا بين الشرق والغرب ، إلا أنها تحللت فى القرن الحادى عشر وانتهت فى أقاليم آسيا الصغرى [٤].

وعندما توغل السلاجقة المسلمون فـى آسيا الصغرى ، بعد معركـة مانزكرت انتقلت هذه البلاد من الحضارة اليونانيـة والديانـة والآداب المسيحية ، إلى العقيدة والحضارة الأسلامية وما تحمله مـن نظـم وآداب . ففـى منتصف القرن الحـادى عشر الميلادى كان عامـة سـكان آسيا الصغرى يدينـون بالمسـيحية ويتكلمـون اليونانيـة وينعمون بالاستقرار . وبعد معركة مانزكرت سنة ١٠٧١ توغلت القبـائل السـلجوقية فـى آسيا الصغرى وكان أفرادها يدينون بالإسلام ويتكلمون التركية [٥].

وخفت نجم نيقية التى كانت مدينة المجامع الدينية المسـيحية ، وعـلا نجـم قونية التى أصبحت العاصمة الناجحة لسلطنه سلاجقة الروم [٦].

وكان سلاطين السلاجقة يقومـون عنـد فتـح كـل مدينـة ، بالقيـام بتعيين أئمـة ومؤذنين ومعلمين وقضاة بعد تشييد المساجد والمـدارس والزوايـا الإسـلامية ، وذلـك بغية طبع تلك المدن بالطابع الاسلامى ونشر الثقافة الإسلامية ، مما كان له أكبر الأثر فى إعادة تشكيل مجتمع آسيا الصغرى على أسس إسلامية [٧].

---

[٢] رأفت عبد الحميد : بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة ، ص٢٦٦-٢٦٧، ٣٢٢.

(3) **Charanis (P)** : cultural diversity and the Breakdown of Byzantine power in Asia Minor – in Dumbarton oaks papers ., p .29 (1975) ., p .19 .

(4) **Diehl (Charles)** : Byzantium : greatness and decline . , p . 121 .

[٥] حسنين محمد ربيع : دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية ، ص ١٩١ .

(6) **Hamilton (J.A)** :Byzantine Architecture and Decoration p. 101 .

(7) **Turan (Osman)** : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., pp . 85-86 . ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., p .60.

ففي أعقاب قيام السلطان سليمان بن قطلمش بفتح قيليقية عام ١٠٨٤م (٤٧٧ هـ) طلب من ابن عمار في طرابلس أن يمده بقاضي شرعي لتصريف الأمور الدينية والمدنية في الاقاليم [8] كما أن السلطان قلج أرسلان الثاني استعان بالعالم الفقية الشافعي علي بن هبة الله بن محمد بن علي بن أبي البركات ابن البخاري (ت ٥٦٥ هـ) في إدارة القضاء بمدينة قونية [9].

ومع اهتمام سلاطين سلاجقة الروم بالعلم والعلماء ، غدت عواصم أو مدن كثيرة في آسيا الصغرى مراكز لانتشار الثقافة الاسلامية في آسيا الصغرى ، مثل مدن قونية ،وأقصرا ، وسيواس وغيرها من المدن ، حيث اتخذ قلج أرسلان الثاني مدينة أقصرا التي شيدها سنة ١١٧١م (٥٦٦هـ) قاعدة لغزواته ، ولم ينس إنعاش الحركة العلمية في هذه المدينة فأنشأ بها المساجد والمدارس والقصور ، كما جلب إليها العلماء من أذربيجان ليقيموا بهذه المدينة [10].

ويذكر الراوندي أن سلاطين آل سلجوق اختصوا العلماء من اصحاب أبي حنيفة بالعطف والرعاية بحيث استقرت محبتهم في قلوب الناس جميعاً شيباً وشباناً[11].

وتتحدث إحدى الوثائق السلجوقية ، عن وجود منصب في القصر السلطاني يسمى " أستاذ السلطان " وتشير هذه الوثيقة إلى أن السلطان السلجوقي كان يرغب في تواجد العلماء والأدباء في القصر ، وتتحدث عن شخص ذي مكانة علمية كان دائم التواجد في مجلس السلطان لهذا الغرض ، واشترط فيمن يتقدم لوظيفة أستاذ السلطان أن يكون حجة في العلوم والآداب حتى يتم تعيينه في هذا المنصب الذي كان من أرقى المناصب في السلطنة السلجوقية وكان يطلب منه الحضور في مجالس السلطان ويقوم بتعليمه ما يراه مناسباً من آداب وعلوم ، وكيفية كتابة المراسلات الخارجية والداخلية والرياضيات ، بالإضافة إلى علم التاريخ وغيره من أمور العلم

(8) **Turan (Osman)** : op . cit ., p . 86 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 77 . ; **Cahen** : La premiere pentration Turque en Asia Mineure ., p . 45 .

(9) السبكي : طبقات الشافعية الكبري ، جـ ٧ ، ص ٢٣٨ . ؛ سبط بن الجوزي : مرآة الزمان، جـ ٨ ، ق ١ ، ص ٢٨١ .

(10) **Turan (Osman)** : op . cit ., p . 86 . ; **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth century ., p . 221 . ; **Vryonis** : Nomadization and Islamisation ., p . 66 .

(11) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٥٦ .
Bosworth (C.E) : Saldjukids (litrature) in Ency.of Islam vol III p. 972 .

والمعرفة ، وكان أستاذ السلطان يحصل على راتبه المخصص له من الخزانه السلطانية لقاء عمله ، وكان يطلق عليه أحياناً لقب " استاذ السلطان المعظم " [١٢].

ونحن نعلم من المباني التي عفا عليها الزمن ، والتي مازالت في قونية ، أن السلاجقة الأتراك قد تحولوا من قبيلة بربرية تبحث عن النهب والسلب إلى واحدة من أعظم الأمم المتحضرة في وقتهم[١٣]. فقد وصلت آسيا الصغرى في القرن الثاني عشر إلى درجة رفيعة عالية من الانجاز الحضاري لهذه المنطقة التي لم تعرف التعصب الديني ، حيث قدم إليها العلماء والشعراء والصوفية من بقاع عربية خاصة أقطار الشرق بعد الغزو المغولي لها حيث ساهموا في تطوير كافة مناحي الحياة [١٤]. وكان معظم اللاجئين والذين قدموا إلى آسيا الصغرى هرباً من ضغط المغول والفرس هم علماء وفلاسفة ورجال دين من بخارى وخراسان وفارس [١٥].

ولقد اهتم السلاجقة بالعلم والعلماء حتي أن الراوندى وصف السلطان غياث الدين أبي الفتح كيخسرو بن السلطان قلج أرسلان : " أنه بفضل دولة هذا الملك العادل سيتم إحياء العلوم في هذه الديار فإنه سيعمل على أن تكون آثار الروم كما كانت من قبل سائدة في جميع أرجاء العالم : (إن آثارنا تدل علينا : فأنظروا بعدنا إلى الآثار) وأنه حرص على أن تصبح علوم الفقة والكلام ولغة العرب والخط والآداب والشعر الفارسي والعربي متداولة [١٦].

والحقيقة أن مظاهر اعتناء واهتمام سلاطين سلاجقة الروم بالعلم والعلماء كثيرة ومتنوعة ، حيث يذكر ابن " أيبك الدواداري [١٧] أن الملك العادل نور الدين محمود أتابك زنكي صاحب الشام أوفد سنة ١٢٢٢م/(٦١٩هـ) محمد بن عبد الرحيم البلخي إلى السلطان السلجوقي كيكاوس وبعدما التقى به اجتمع معه ، أنعم عليه بهدية عبارة عن " طبق من ذهب فيه تماثيل من عنبر ومن أنواع الطيب " . فلما عاد محمد إلى الملك العادل نور الدين ،قدم إليه هذا الطبق فأمر له بعشرة آلاف دينار وخلع عليه.

---

[١٢] محمد زكي نجيب : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ٢٧٥ .

(13) **Barger (E)** : In the track of the crusaders overland with arucksack to to Jerusalem with an introduction by Stephen Graham ., p . 175 .

(14) **Ambarcioglu (M)** : The Moslem communities the political social and religious situation in the Seljok period in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 178 .

(15) **Hasluck (F.W)** : christianity and Islamic under the sultans ., p . 167 .

[١٦] الراوندي : المصدر السابق ، ص ١٠٤ .

[١٧] كنز الدرر وجامع الغرر ، جـ ٧ ، ص ٢٤٦-٢٤٩ .

كما وصف المؤرخ " ابن بيبى " [١٨] السلطان السلجوقى عز الدين كيكاوس الأول بأنه كان " ملكا سخاؤه كقطرات السحاب بلا حساب ....وكان يعد إكثار جوائز القرائض من الفرائض ويصل فى الصلات الشعراء بأقصى الغايات " ، أى أنه كان كثير الإغداق على الشعراء المادحين له فعندما بعث إليه ابنه حسام الدين السالار قصيدة من اثنين وسبعين بيتاً من الموصل إلى قصره أنعم عليه لقاء كل بيت بمائه دينار أحمر، كما رفع الصدر نظام الدين أحمد الارزنجانى بقصيدة كان قالها فى مدح السلطان فى جواب شمس الطبسى ، وأنشدها فى المحفل من مرتبة الانشاء إلى عرض ممالك الروم.

وكان السلطان علاء الدين كيقباذ الأول من أكثر السلاطين السلاجقة رعاية واهتماماً بالعلم والعلماء ، حيث بلغت سياسة سلاجقة الروم فى رعاية العلماء حداً كبيراً ، بعد ما ألم بالعالم الإسلامى بالمشرق من كوارث مفجعة ، نتيجة الغزو المغولى وأصبح المسلمون فى آسيا الصغرى ملجأ العلماء ومركز الفكر وكان قصره المضيىء يجذب العلماء والشعراء والفنانيين والمعمارين من جميع أنحاء العالم الشرقى [١٩]. وقد مر بنا كيف هاجر المتصوف الشهيد بهاء الدين بن الحسن البكرى الملقب بـ " سلطان العلماء " وأقام فى العاصمة السلجوقية قونية وأبنه جلال الدين الرومى وما لاقوه من ترحيب ورعاية واحترام وحماية من السلطان والسلطنة [٢٠].

وقد سبقت الإشارة إلى مدي الحفاوة التى استقبل بها السلطان كيقباذ الأول الشيخ شهاب لدين أبو حافظ عمر السهروردى سنة ١٢٢٠م (٦١٧هـ) وذلك عندما قدم اليه وفدا من قبل الخليفة العباسي الناصر لدين الله مهنئاً بإعتلائه عرش سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى [٢١].

أما عن المنشآت الدينية والتعليمية ، التى شيدها سلاطين سلاجقة الروم ، والتي سوف نتعرض لها فى العمارة والفنون ، فهى كثيرة ومتنوعة ، والحقيقة أن للسلاجقة الروم آثاراً كبيرة شاخصة للعيان فى آسيا الصغرى ، تدل على حضارة مكينة تؤيدها التحقيقات الآثرية فى بعض المواطن ، وكفى إمارة السلاجقة فخراً أن جعلت العلوم والثقافة تتمكن من ربوع الترك وهذه صفة مشرفة لها مناصرتها للعلم والعلماء[٢٢].

---

[١٨] تاريخ سلاجقة الروم ، ص ١٢٤ .

(19) Barger (E) : op . cit ., p . 175 .
(20) Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 952 .

[٢١] ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، ص ١٦٣-١٦٥ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 256 .

[٢٢] عباس العزاوي : " الخط العربي في تركيا ، مجلة سومر العراقية ، مجـ ٣٢ (١٩٧٦) جـ ١ ، ص ٢٩٢ .

فقد انتشرت المساجد الكبيرة ، والمساجد الخشبية الصغيرة فى جميع مدن آسيا الصغرى التي وقعت تحت سيطرة سلطنة سلاجقة الروم ،فبالنسبة للمساجد الصغيرة فقد كانت مساجد خشبية صغيرة أصبحت للأحياء الصغيرة لا يسعها المسجد الكبير التى لا تستخدم عادة فى صلاة الجامع الكبير كالجمع والاعياد(٢٣).

كما شيد سلاجقة الروم عدداً كبيراً من المساجد الجامعة الكبرى في أرجاء آسيا الصغرى الاسلامية ، والتى كانت إلى كونها أماكن عبادة فقد كانت أيضاً أماكن تعليمية ، ويكفى ما ذكره ابن بطوطة أنه كان فى مدينة " لاذق " وحدها " سبع مساجد جامعة وحينما مر بميناء أنطاليا الشهير على البحر المتوسط وجد بها مسجد جامع " كما وجد أيضاً في ميناء سينوب على البحر الأسود مسجد جامع من أحسن المساجد هذا بالإضافة إلى المساجد الكبيرة التى شيدها سلاطين سلاجقة الروم فى نهاية القرن الثانى عشر الميلادى وبداية القرن الثالث عشر (٢٤).

ومن المؤسسات التعليمية ذات الأهمية الكبرى فى آسيا الصغرى ، المدارس التى تعتبر من أهم المؤسسات التعليمية والتى ظهرت فى سلطنة سلاجقة الروم فإلى جانب عمل تلك المدارس كمؤسسات لدراسة الدين الإسلامى وتشريعاته وعلومه، فإنها قامت كذلك بالعديد من المهام الأخرى كمعاهد لتعليم الطب وممارسة العلاج والانشغال بدراسة الفلك ورصد الكواكب أيضاً . وبعبارة أخرى فإن تلك المدارس لم تقف عند حد الاكتفاء بالدراسات الدينية وحدها (٢٥) وبذلك تكون المدارس قد لعبت دوراً لا يقل أهمية عن دور المسجد بل كانت كمؤسسات تعليمية مكملة لدور المسجد فى الحركة العلمية بدفتيها الدينية والمدنية.

والجدير بالذكر أن المدارس لم تكن تعرف فى زمن الصحابة ولا التابعين ، وإنما حدث عملها بعد الاربعمائة من سنى الهجرة ، وأول من حفظ عنه أنه بنى

---

(23) **Combe , J . Sauvaget et G.Wiet and others** : Repertoire chronologique D'Epigraphic Arabe ., TX pp .48-49 , 93, 122, 173-174, 217-218 . T.XI p . 26-27 , 86-87, 152-153 . ; **Van Berchem (Max) et Halil Edhem** : Materiaux pour un corpus in scriptionum Arabicaurm , L'institut Francais D'Archeologie Oriental du Cairo ., pp . 706-707 . **Bosworth (C.I)** : op . cit ., p . 952 .

-أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ٩٠-٩٥ .

(24) **Combe , J . Sauvaget et G.Wiet and others** : op . cit ., T.X pp . 203-204 T.XI pp . 95-96 , T.VIII p . 289 .

-ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ١٩٢ ؛ أوقطاى أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٧٨-٨٩ .

Rice : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 135 .

(25) **Sourdel (D)** : Re flexions sur la diffusion de la Madrasa en orient revue des Etudes Islamiques, T.X liv (1976) pp. 178-181. ; **Bosworth (C.I)** : op . cit ., p . 952 . ; **Hillenbrand (C.J)** : Madrasa in Ency of Islam vol . v (1986) .

أوقطاى أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٩٥-٩٦ .

مدرسة في الاسلام كان من أهل نيسابور ، وكان السلاجقة قد تأثروا بتعاليم المذهب الحنفي ويليه المذهب الشافعي عن باقي المذاهب السنية الأربعة [٣٦].

وما يؤكد إنتشار تعاليم المذهب الحنفي الذي أصبح المذهب الرسمي للسلاجقة المسلمين في آسيا الصغرى أن معظم المخطوطات من الاعمال المختلفة لفقهاء الحنفية من وسط آسيا قد وجدت في المكتبات التركية والعديد منها تم نسخه في آسيا الصغرى ، وربما بعض منها أيضاً قد أحضر من وسط آسيا عن طريق المهاجرين والفارين من الغزو المغولي أو من المهاجرين الذين جذبهم سخاء وهبات حكام السلاجقة [٣٧].

ومن المدارس السلجوقية الإسلامية الكبرى في آسيا الصغرى المدرسة التي أسسها الأمير "اختيار الدين حسن بن جابراس " وهو يوناني الجنسية ثم اعتنق الاسلام ، وكان أحد أمراء السلطان قلج أرسلان الثاني (١١٥٦-١١٩٢م) وصار من أقرب المقربين إليه ، وكان السلطان قلج أرسلان قد استنابه في مدينة ملكه وكان قتله أثناء النزاع الذي دار بين أبناء السلطان قلج أرسلان على الملك على يد ابنه قطب الدين ، وذكر النويري أنه كان من أكابر الأمراء الديانين وألقاه في الطريق فجاء كلب ليأكل من لحمه فثار الناس وقالوا : لا سمعاً ولا طاعه : هذا أمير كبير في الاسلام وبنى مدرسة للعلم وله صدقات داره ولا نتركه تأكله الكلاب فأمر عند ذلك بدفنه فدفن في مدرسته [٣٨].

وثمة مدارس سلجوقية أخرى كانت مخصصة لدراسة تعاليم الشريعة الإسلامية في قيصرية وهي " خوند مدرسة " و" سراج الدين " والمدارس الصاحبية، ومدرسة حاجي قلج [٣٩].

والملاحظ أن سلاطين السلاجقة كانوا يضعون العلم والتعليم في المرتبة الأولى وقبل كل شيء، حتى أن السلطان عز الدين كيكاوس الأول أثناء حصاره لمدينة أنقره – التي كان علاء الدين أخوه قد تحصن فيها لمنافسته على حكم السلطنه – رأى السلطان أنه لن يحصل له أمن كلي وفراغ أصلي إلا بفتحها وعندما حاصرها أسس السلطان أمام المدينة مدرسة حتى إذا تيسر الفتح يقف عليها الأوقاف

---

[٣٦] المقريزي : الواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،(القاهرة ، ١٢٧ هـ – ١٨٥٢ م) ، جـ ٢ ، ص ٣٦٢-٣٦٣ .

Sourdel (D) : op . cit ., p . 180 .

(27) Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 253 .

[٣٨] النويري : " نهاية الأرب في فنون الأدب " ، جـ ٢٧ ، ص ٩٧ . ؛ ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، مقدمة المترجم ، ص ٥٩-٦٠ .

[٣٩] أوقطاي أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠٥ .

"ولما استخلص أنقره وفى بالعهد والنذر وأوقف الأوقاف" غير أنه بعد ما توفى السلطان عز الدين كيكاوس واعتلى أخوه عرش السلطنة يذكر ابن بيبي "ولما بلغ الدور سلطنة علاء الدين أعطى مثاله بهدم القبة واعطائه للأوقاف"[٣٠].

وكانت المدارس السلجوقية تملأ طول البلاد وعرضها فى آسيا الصغرى، وهى كثيرة ومتنوعة مثل مدارس أرطوقوش Ertoksh فى أتابى Atabey قرب أسيرطة ، مدرسة أنجة منارة Ince Minara فى قونية ، والمدرسة التوأم (جفته مدرسة Cifta Medrese فى قيصرية ، ومدرسة الغازى خليفت Kalifat Chazi فى مدينة أماسية ، ومدرسة صرجالى Medres Sircali، وغيرها من المدارس المختلفة[٣١]. وتعكس كثرة هذه المدارس وتنوعها مدى اهتمام السلطنة السلجوقية بالحركة العلمية والنشاط الفكري خاصة وأن هذه المدارس اهتمت بكافة فروع العلم.

وقد أوقف سلاطين سلاجقة الروم الأوقاف للإنفاق على هذه المؤسسات التعليمية المختلفة سواء كان مسجداً أو المدرسة وقد رأينا وثيقة الوقف التى حررها الأمير السلجوقى آلتون آبا Alton - Aba فى قونية ١٢٠٢ م ، والتى توضح أنه خصص جزءاً من دخل الوقف لتعليم القرآن الكريم لمن هم حديثو العهد بالإسلام سواء كانوا مسيحيين أو يهود أو مجوس وسواء ايضاً كانوا يعيشون فى آسيا الصغرى أو خارجها [٣٢].

كما أن سلاطين السلاجقة بآسيا الصغرى خصصوا الرواتب لشيوخ العلم والموظفين والعمال ، والوثائق السلجوقية تشير بوضوح إلى ذلك فنجم الدين كان يشتغل بالتعليم والفتوى ، وتشير وثيقة أخرى إلى تعيين المدعو سراج الدين أحمد التركستاني الأصل مدرساً فى مدرسة مظفرية فى أقصرا ويطلب منه فيها أن يعلم الطلاب ويرشدهم ثم يختبرهم فى نهاية كل شهر وعلى الطلاب إحترام أساتذتهم مثل آبائهم ولا يهملون فى تحصيل دروسهم ، وكان الأستاذ يحصل على راتبه من الوقف المقرر للمدرسة مثلما كان الحال مع المدرسين السابقين له كما كان الطلاب والموظفون والخدم يحصلون على نصيبهم أيضاً من دخل هذا الوقف[٣٣].

---

[٣٠] ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، ص ١٢٦-١٢٧ .

(31) Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.IX pp . 190-191 T.X pp . 1-10 , T.X pp . 41-42 , T.X p . 219 ., T.X pp . 49-103-119-120.

أوقطاى أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٩٥-١٠٧.

-Rice : op . cit ., p . 151-153 .

(32) Turan : " L'Islamisation dans la Turquie du Moyen Age "., pp . 140-141 .

[٣٣] محمد زكي نجيب : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ٢٨٣ .

أما عن العلماء والفقهاء الذين قدموا من آسيا الوسطي ونشاطهم الفكرى وإنتاجهم العقلى ، فعلى الرغم من أن الحياة فى آسيا الصغرى كان يغلب عليها طابع الحروب والجهاد وعدم الاستقرار فإنه نسب إلى آسيا الصغرى أكثر من عالم وزاهد وتقى وفقية ومحدث ، والحقيقة أن الصلة وثيقة بين الجهاد فى سبيل الله وبين الحياة العلمية ويقول الله تعالى " : وما كان المؤمنون لينفروا كافة فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون "[٣٤]، أى أن الذين يخرجون إلى الحرب يتعلمون الكثير من السفر ومن لقاء العدو فيعودون لينذروا من لم يخرج منهم والراجح أن العلماء وجدوا الجو الدينى والمناخ العلمى الذى يساعدهم على البحث والتقصي فى فترات الحرب وأيضا فى فترات السلم التى كانت تتخللها الحروب.

وكان ارتحال العلماء بين بقاع العالم الإسلامى فى العصور الوسطى من الاشياء البديهية والمعروفة فى تلك العصور . فممن زار آسيا الصغرى من هؤلاء العلماء الأديب الشيخ " أبو الغنائم سعيد بن حمزة بن أحمد بن المسن بن سارخ النيلي " الكاتب ببغداد والذى سمع وتعلم من شيوخ ذلك العصر وله شعر كثير فى مدح الأمراء والولاة ، وارتحل إلى بلاد الروم بآسيا الصغرى والشام ، وسمى بالنيلى نسبة إلى نهر حفره الحجاج بن يوسف الثقفى فى العراق وسماه باسم نيل مصر [٣٥].

ومن رجال العلم الذين قدموا إلى آسيا الصغرى الأديب إسماعيل بن مفروج بن عبد الملك بن ابراهيم ويعرف بابن معيشة الكنانى السبتى من أبى العرب أهل سبته بالمغرب ، وهو أديب فاضل وكاتب له معرفة حسنه بعلم الكلام والأدب وله شعر جيد ، تنقل من بلاد الإسلام من حلب إلى بغداد إلى بلاد الروم ومنها إلى مصر[٣٦].

ومن الأدباء والعلماء الذين زاروا آسيا الصغرى ، الحسن بن زهرة بن الحسن الأسحاقى الحلبى الشيعى (ت ٥٩٢هـ) نقيب مدينة حلب ورئيسها ووجيهها وعالمها ، وكان عارفا بالقراءات والحديث والأداب والتاريخ وله النظم والنثر كما كان فصيحا مفوها صاحب ديانه وتعبد ، ولى كتابة الانشاء للملك الظاهر غازي ، ثم أنف

---

[٣٤] سورة التوبة ، آية ١٢٢ .

[٣٥] المنذري : " التكملة لوفيات النقلة ، مجـ ٢ ، ص ٣٨٢-٣٨٣ . ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الطبعة الثانية والستون ، ص ١٤٢ .

[٣٦] ابن العديم : " بغية الطلب في تاريخ حلب " ، حققه وقدم له د/سهيل زكار (بيروت – ١٩٨٨) ، جـ ٤ ، ص ١٨٢٧-١٨٣١ .

من ذلك واستعفى ، وأقبل على الاشتغال والتلاوة وعمل بمهام السفارة حيث نفذ رسولاً إلى بلاد اسلامية كثيرة منها بلاد الروم (٣٧).

وكان آل سلجوق أنفسهم يحبون الشعر والشعراء ، وكثيراً ما شملوا الشعراء بالرعاية وأغدقوا عليهم الهبات ، والشعر يملأ صفحات تاريخ ابن بيبى ، بل أن بعضها كان على لسان ابناء قلج أرسلان الثانى الذين كانوا يعكفون على دراسته ونظمه (٣٨) . كما انتشر الشعر الصوفى فى السلطنة بشكل كبير وكان مظهراً من مظاهر اهتمام السلاجقة بالادب (٣٩) . فقد كان السلطان ركن الدين سليمان شاه محبا للشعر والعلم حتى أن ابن بيبى (٤٠) . وصفه بأنه " كان فى انواع العلوم ريانا " كما كان يرشد الفضلاء والشعراء وأرباب الفضل ، وحينما أرسل اليه إمام الكلام ظهير الدين الفاريالى – وهو من شعراء القصيدة – قصيدة مشهورة سلم قصاده جائزة ثمينة.

وهناك اسماء للعديد من الشعراء الذين احتضنتهم سلطنة سلاجقة الروم ولهم شعرهم المتميز مثل شمس الدين حمزة بن المؤيد الطغرائى ملك السادة نظام الدين أحمد الأمير العارض المعروف بابن محمود الوزير الذى كان فى إنشاء المثنويات ثانى الفردوس (٤١). كما كان الشاعر " ملك الشعراء الأمير بهاء الدين أحمد بن محمود القانعى الطوسي " من متقدمى الشعراء الفرس فى آسيا الصغرى ، عاش فى كنف السلطان علاء الدين كيقباد ، وكان مداح بلاطه وبلاط أخلافه غياث الدين كيخسروا الثالث (٦٦٦-٦٨١هـ) (٤٢).

واستمرت الحركة العلمية فى آسيا الصغرى منتعشة فى فروع أخرى مختلفة بصفة عامة فى الجانب الثقافى ، وبصفة خاصة فى العلوم الدينية ، ففى علوم الحديث والفقة برزت أسماء العديد من المحدثين الذين لعبوا دوراً كبيراً فى رفع شأن تدريس علم الحديث فى آسيا الصغرى ، وكان هؤلاء منهم من ولد وعاش فى آسيا الصغرى ، ومنهم من وفدوا عليها من بقاع العالم الإسلامى فى ذلك الوقت،وقد اشتهر من هؤلاء المحدث الشيخ أبو القاسم عبد الحميد عبد الخالق ابن المبارك

---

(٣٧) الذهبي : المصدر السابق ، الطبقة ٦٢ ، ص ٤٢٩ .

(٣٨) ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، ص ١٢٤، ٩٨، ١٠٨، ١١١ . ؛ الراوندي : المصدر السابق ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(170) Sayar (I.M) : The Empire of the Salcuqids of Asia Minor , pp . 277-278 .

(٤٠) المصدر السابق ، ص ٩٨-٩٩.

(٤١) ابن بيبي : المصدر السابق ، ص ١٥٣-١٥٤.

(٤٢) ابن بيبي : المصدر السابق ، مقدمة الترجمة ، ص ١٣.

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 257 .

الواسطى الأصل البغدادى المولد،وبقى فى آسيا الصغرى حتى توفى بمدينة سيواس سنة ١٢١١م (٦٠٨هـ) [٤٣].

كما اشتهر أيضاً الشيخ المحدث سعيد بن حمزة أحمد بن سارخ أبو الغنائم، والذى ارتحل بين بلدان العالم الإسلامى ، وقدم إلى بلاد الروم بآسيا الصغرى قبل وفاته في رمضان ١٢١٦ م (٦١٣ هـ) ، وكان كاتباً ببغداد بالإضافة إلى كونه من علماء الحديث كان له شعراً حيث مدح جماعة من الأمراء والولاة [٤٤].

كما اشتهر أيضاً من علماء الحديث والفقه محمد بن الأمام العلامة ابن الخير أحمد بن اسماعيل القزوينى والذى تفقه على يد والده وآخرين من علماء بغداد وتكلم فى المسائل والوعظ ، وحدث وتوفى فى مدينة قيصريه بآسيا الصغرى ١٢١٧م (٦١٤ هـ) [٤٥].

واشتهر من رجال الحديث الشيخ " أبو أحمد محمد ابن عبد الرشيد بن على بن بنيمان بن مكى الهمذانى " ، سمع الحديث من شيخ فى همذان ، اسمه أبو الخير محمد بن أحمد الباغبان ، ومن جده الحافظ أبي العلاء الحسن بن أحمد وغيرهما ، وحدث ببغداد وتوفى فى مدينة أقسرا بآسيا الصغرى [٤٦].

كما ينسب أيضاً إلى آسيا الصغرى الشيخ المحدث " مكرم بن مسعود بن حماد بن أبى داود الإيادى أبو الغنائم الأبهرى " ، والذى ولد سنة (٥٥٦هـ) وولى القضاء بسلطنة سلاجقة الروم وقد تفقه فى مذهب الإمام الشافعى وتوفى بأبهرزنجان سنة ١٢٣٣م (٦٣١هـ) [٤٧].

وينسب إلى مدينة ملطيه المحدث الشيخ " سعد الدين ابن عربى " الذى ولد بهذه المدينه في رمضان (٦١٨هـ) ، سمع الحديث ودرس وكان شاعراً مجيداً وله ديوان مشهور وتوفي(٦٨٨هـ) [٤٨].

وتشير المصادر التاريخية إلى عدد كبير من علماء الفقه الذين ودرسوا علوم الفقه فى مدن آسيا الصغرى الإسلامية ، كما أن آل سلجوق اهتموا بالدراسات الفقهية كما أولوا الفقهاء عناية ورعاية ، وكانت المدارس السلجوقية تولى عناية

---

[٤٣] المنذري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٢٢٤.

[٤٤] ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ٤٢٩٧-٤٢٩٨.

[٤٥] الذهبي : المصدر السابق ، الطبقة ٦٢ ، ص ٢٠٢-٢٠٣ . ؛ المنذري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٩٥-٣٩٦.

[٤٦] المنذري : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٧.

[٤٧] الذهبي : المصدر السابق ، الطبقة ٦٤ ، ص ٧٣.

[٤٨] الكتبي : فوات الوفيات ، مجـ ٣ ، ص ٢٦٧-٢٧٠.

لمؤلفات هؤلاء الفقهاء خاصة المذهب الحنفي ومؤلفاتهم التي تملاء المكتبات التركية ، واستفاد السلاجقة من العلماء الوافدين عليهم من بلدان المشرق الإسلامي بعد حدوث الزحف المغولي على أوطانهم ، واستفادوا أيضاً من مؤلفاتهم ومجالسهم العلمية التي كانت دائمة الانعقاد في مدن آسيا الصغرى المختلفة ، مثل قونية وسيواس وقيصرية وغيرها من المدن الإسلامية(٤٩).

ويكفي لكي نوضح مدى ما وصل إليه الفقهاء في سلطنة سلاجقة الروم من مكانة ونفوذ ما قام به الأمام " الترمزي " الذى كان يشغل وظيفة القضاء في قونية ، حيث أصدر فتوى سنة ١٢٠٥م (٦٠٢هـ) بعدم أحقية غياث الدين كيخسرو الأول في تولي حكم السلطنة وذلك لما اكتنف وجوده ولجوؤه إلى البيزنطيين من خروج على مبادئ الدين الإسلامي ، ولأنه تزوج من أبنة الأمير اليوناني مفروزمس ولآن أمه يونانية ، ويلخص المؤرخ ابن بيبي هذه النقطة في العبارة التالية حيث يقول : قيل إنه يقول إن السلطنة لا تصل إلى غياث الدين لأنه قبل ذاك أظهر توليه لولاء الكفاروارتكب في ديارهم مناهي الشرع (٥٠).

ومن الفقهاء الذين قدموا إلى سلطنة سلاجقة الروم من خارج آسيا الصغرى الفقيه " محمد بن علي يحيى أبو عبد الله الشقاني الذى قدم من مصر ، وكان إمام فاضلاً ، ولي قضاء مدينة أقصرا وتوفي بمدينة سيواس ١٢١٥م (٦١٢هـ) (٥١).

كما برز أسم الفقيه محمد بن عبد السلام أبو البركات السنجاري ، الذى تفقه على مذهب الشافعي ودرس باربل ، وتولى قضاء مدينة ملطية إلى أن توفي بها ١٢٢٢م (٦١٩هـ) (٥٢) . كما قدم من قزوين إلى آسيا الصغرى وعمل واعظاً بقيصرية وتولى القضاء في سلطنة سلاجقة الروم الفقيه " أبو بكر محمد الطالقاني " وبقي هناك حتى توفي ١٢١٧م (٦١٤هـ) (٥٣).

وأوفد رسولا من قبل الملك الكامل في مصر " الإمام أفضل الدين الخونجي (ت ٦٤٦هـ) إلى سلطنة سلاجقة الروم ثم استقر لفترة وتولى القضاء هناك

---

(49) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 253 . ; **Sourdel (D)** : op . cit ., p . 180 . ; **Turan** : " L'Islamisation dans la Turquie ., p . 144 . ; **Bosworth (C.I)** : op . cit ., p . 972 .

(٥٠) ابن بيبي : المصدر السابق ، ص ١١٢.

Turan (Osman) : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., pp . 79-80 .

(٥١) الذهبي : المصدر السابق ، الطبقة ٦٢ ، ص ١١٦-١١٧ . ؛ المنذري : المصدر السابق ، مجـ ٢ ، ص ٣٢٩ .

(٥٢) الذهبي : المصدر السابق ، الطبقة ٦٢ ، ص ٤١٥ .

(٥٣) المنذري : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ٣٩٥-٣٩٦ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 255 .

خاصة بعد وفاة الكامل ، وكان قد رأس الفقه في عهد السلطان كيقباذ وكيخسروا الثاني ، وبقي هناك حتى الغزو المغولي ثم عاد إلى مصر(٥٤).

ويشير ابن العديم إلى العديد من الفقهاء والقضاه في سلطنة سلاجقة الروم منهم " أحمد عبد الرحمن بن أحمد " والقاضي " أحمد بن عبد المجيد بن محمد القبس " ، والذى تولى القضاء في مدينة ملطية والذى أخذ الفقه على يد والده والفقيه " أحمد بن محمد بن أبي سعدان " الذى كان ذا لسان وبيان ، والفقيه " أحمد بن المظفر الرازى " الذى كان فقيهاً وأديباً وشاعراً حنفي المذهب تولى القضاء ببعض بلاد الروم ، ومع مرور الأيام وكثرة وفود الفقهاء صارت مدن آسيا الصغرى مراكز علمية للدراسات الفقهية ، فالفقيه اسماعيل بن عبد المجيد أبو سعد القيس درس الفقه بمدينة سيواس وكان فقيهاً فاضلاً أخذ الفقه عن أبيه عبد المجيد(٥٥).

كما كانت تجرى في سلطنة سلاجقة الروم المناظرات الفقهية الدينية ، وقد أفرد ابن العديم في تاريخه قسماً للحديث عن الفقيه العالم " علاء الدين الكاساني نسبه إلي بلده كاسان فيما وراء النهر بفرغانة من بلاد الترك ، وهو فقية عالم برع في علمي الأصول والفروع ، وزوجه شيخه السمرقندي بابنته الفقيهة العالمة، وخرج بها إلي ديار سلاجقة الروم في آسيا والصغرى جرت بينه وبين الإمام الشعراني وهو من كبار فقهاء السلطنة مناظرة فقهية في مسألة المجتهدين (٥٦) وهذا يعكس بكل التأكيد مدى تطور علوم الفقه ونظام الاجتهاد وفي الاسلام في إقليم آسيا الصغرى .

واهتمت سلطنة سلاجقة الروم بآسيا الصغرى بحفظة القرآن الكريم ، ونقرأ في المصادر عن وجود العديد من القراء " الصائن أبو عبد الله محمد البصرى " مقرىء بلاد الروم وكان قد قرأ القراءات بدمشق على يد شيخ القراء " منتجب الدين الهمذاني"(٥٧) وأيضاً المقرىء الشيخ " أبو أحمد محمد الهمذاني " بمدينة

---

(٥٤) ابن واصل : مفرج الكروب في أخبار بني أيوب ، جـ ٥ ، تحقيق د/ حسنين محمد ربيع ، (القاهرة – ١٩٧٥م) ، ص ١٦١–١٦٢ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 254 .

(٥٥) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ٢ ص ٩٦٦–١٠٠١ ، جـ ٣ ص ١٠٦٦–١١٤٩ ، جـ ٤ ص ١٦٩٥ .

(٥٦) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٣٤٧–٤٣٥٤.

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 254 .

(٥٧) الذهبي : العبر في خبر من غبر ، جـ ٣ ، ص ٣٥٥ . ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٢٣ ،ص ٢١٩.

أقسرا(٥٨). وكذلك الشيخ " مهذب الدين على بن محمد الكارى"، الذى رتب مقرئاً ومعلماً لأولاد الأمراء بالسلطنة(٥٩).

ولقد ازدهر الفكر الصوفى فى آسيا الصغرى بشكل كبير ، وذلك لقدوم عدد كبير من رجال وعلماء الصوفية إلى آسيا الصغرى ، وكانت مؤلفات ودراسات الصوفية ، تدرس فى المعاهد والمدارس السلجوقيه فى آسيا الصغرى بجانب العلوم الدينيه الأخرى كالتفسير والحديث والفقه ، وفى مقدمة هؤلاء الصوفية الذين كان فى مقدمتهم " شهاب الدين السهروردى " منشىء قواعد الصوفية والصوفى الكبير " محى الدين ابن عربى " الذى يعد من أكبر المتصوفة فى الإسلام بمؤلفاته الغزيرة والذى جعل من التصوف نظاماً دينياً وفلسفياً فى آن واحد، وتلميذه الشيخ " صدر الدين القونيوى " صاحب العديد من الدراسات الصوفية مثل تفسير القرآن والحديث والفقه والتسعة والتسعين اسماً لاسماء الله الحسنى بالإضافة إلى ما وضعه من شروح وتفسير لكتاب استاذه محى الدين ابن عربى " نصوص الحكم " ، ومن أبرز المتصوفة أيضاً سلطان العلماء "محمد بن الحسين البكرى المعروف ببهاء الدين" وولده "جلال الدين الرومى" (٦٠) والعديد من كبار الصوفية الذين وجدوا فى ديار السلطنة بآسيا الصغرى جواً وبيئة هادئة ، مشجعة للعلم والفكر، هذه البيئه العلمية السليمة الخالية من أى تعصب والتى تمخض عنها نهضة علمية وفكرية تجلت فى المؤلفات الغزيرة وفى المناظرات والمحاضرات والتى كانت تعقد فى ديار السلطنة .

أما فى مجال العلوم الأخرى فبرز اسم يوسف بن سعيد السجستانى الذى قدم إلى آسيا الصغرى من شرق إيران وألف بمدينة سيواس مؤلفه " منية المفتى " سنة١٢٤١ - ١٢٤٢م (٦٣٩هـ) وهى رسالة مهمة فى القانون والتى لقيت قبولاً واسعاً فى الشرق الاسلامى (٦١).

وفى دراسات المنطق برز العلامة الشيخ سراج الدين الارموى كاتب الدراسات الفقهية وله مؤلفات عديدة يطول ذكرها مثل " التحصيل و" اللباب فى

---

(٥٨) المنذري : المصدر السابق ، جـ ٣ ، ص ١١٧ .

(٥٩) اليونيني : ذيل مرآة الزمان ، (القاهرة- ١٩٩٢م) ، مجـ ٣ ، ص ٢٦٨-٢٦٩ .

(٦٠) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، جـ ٢١ ص ٢٠٧-٢١١ ، جـ ٢٣ ص ٤٨-٤٩ . ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، جـ ٦ ص ٢٦٨-٢٦٩ . ؛ الصفدي : كتاب الوافي بالوفيات ، جـ ٢ ص ٣١٨-٣١٩ ، جـ ٤ ص ١٧٣ . ؛ الكتبي : فوات الوفيات ، مجـ ٣ ، ص ٤٣٥-٤٣٦ . ؛ ابن عربي : الفتوحات المكية ، تحقيق عثمان يحيي ، جـ ١ ، ص ٣٤-٣٥ .
Turan : " L'Islamisation dans la Turquie du Moyen Age "., p . 141 . ; **Turan (Osman)** : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " ., p . 256 . ; **Wittek (Paul)** : " Deux chapitres de L'histoire des Turcs de Roum Byzantion T.XI ., p. 289 . ; **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in Ency.of Islam vol III p. 972 .

(61) Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 255 . ; **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in Ency.of Islam vol III p. 952 .

أصول الدين " والمطالع و " البيان في المنطق وغير ذلك ، ويذكر عنه ابن واصل أنه شغل منصب قاضي قونية وأنه عندما أرسله الملك الصالح نجم الدين أيوب سنة ١٢٢٨م (٦٢٦ هـ) إلى الأمبراطور فردريك الثاني (١١٩٤-١٢٥٠م) في مهمة دبلوماسية " صنف له كتاباً في المنطق وأحسن إليه الامبراطور إحساناً كبيراً وبقي في قونيه حتى وفاته في سنة ١٢٨٣م (٦٨٢ هـ) [٦٢].

كما كان هناك جماعة من العلماء من تلاميذ الإمام فخر الدين الرازى الذين كانوا أصحاب تصانيف جليلة في المنطق والحكمة ، ويهمنا هنا ما يخص آسيا الصغرى وهم " واثير الدين الابهرى " و" تاج الدين الأرموى " وأيضاً سراج الدين الأرموى بقونية [٦٣] .

كما أشار ابن ابى أصبعية إلى العالم " عبد اللطيف البغدادى " (ت ٦٢٩) الذى ألف مقالة في أثناء إقامته ببلاد السلطنة السلجوقية بآسيا الصغرى جاءت بعنوان " كيفية استعمال المنطق [٦٤].

ومن الذين ارتحلوا إلى بلاد الروم الشيخ صفي الدين الهندي ، واجتمع بسراج الدين الارموى وكانت له تصانيف في علم الكلام وأصول الفقه وكل مصنفاته حسنه جامعة [٦٥].

اهتم أيضاً سلاطين سلاجقة الروم بالدراسات الفلسفية اهتماماً كبيراً، حتى اتهموا بالزندقة وكان للفليسوف شأن كبير في البلاط السلجوقي ، ويكفى أن نذكر أسم الفليسوف " كمال الدين بن يونس" الذى كان يصاحب السلطان قلج أرسلان الثاني [٦٦].

---

(٦٢) السبكي : " طبقات الشافعية الكبري " تحقيق د/ عبد الفتاح محمد الحلو – د/ محمود محمد الطناحي (الطبعة الثانية – القاهرة ١٩٩٢) جـ ٨ ، ص ٣٧١ . ؛ ابن واصل : المصدر السابق ، جـ ٤ ، ص ٢٤٧ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 255 .

(٦٣) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٤ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 254-255 .

(٦٤) ابن أبي أصبيعة : " عيون الأبناء في طبقات الأطباء " ، شرح وتحقيق / نزار رضا (بيروت – ١٩٨٦) ، ص ١٦٩٥ .

(٦٥) السبكي : المصدر السابق ، جـ ٩ ، ص ١٦٢-١٦٣.

(66) **Turan (Osman)** : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., pp . 76-77 .

كمال الدين بن يونس : الفقية الشافعي ، درس في الموصل وكان أهل الذمة يقرءون عليه التوراة والإنجيل ويشرح لهم هذين الكتابين شرحاً يعترفون أنهم لا يجدون من يوضحهما لهم مثله ، انظر : ابن خلكان : وفيات الأعيان ، جـ ٥ ، ص ٣١٢-٣١٣ .

كما كان السلطان ركن الدين سليمان (١١٩٥-١٢٠٤م) يميل إلى مذهب الفلاسفة ، ويحسن إلي طائفتهم ويقدمهم ، وكان كل من يرمى بهذا المذهب يأوى اليه ، ولهذه الطائفة منه إحسان كثير إلا أنه كان عاقلاً يحب ستر هذا المذهب لئلا ينفر الناس عنه ، وحكى ابن الأثير عنه انه كان عنده إنسان وكان يرمى بالزندقة ومذهب الفلاسفة وهو قريب منه فحضر يوماً عنده فقيه متناظراً وأظهر شيئاً من اعتقاد الفلاسفة ، فقام الفقيه إليه ولطمه وشتمه بحضرة ركن الدين وركن الدين ساكت وخرج الفقيه ، فقال لركن الدين ، يجرى على مثل هذا في حضرتك ولا تنكره فقال لو تكلمت لقتلنا جميعاً ولا يمكن إظهار ما تريده أنت (٦٧) . ولقد صنف في مجال الفلسفة لركن الدين سليمان العالم محمد بن غازى كتاب " روضة العقول " وقد صنفه لركن الدين بعد سيطرته على ملطيه سنة ١٢٠١ م (٦٨).

أما عن كتابة التاريخ في آسيا الصغرى في سلطنة سلاجقة الروم ، فالمطلع على الاوضاع السياسية لآسيا الصغرى وما شهدته تلك الأراضي من حروب ومعارك طاحنة بين البيزنطين والمسلمين والصليبيين في القرن الثانى عشر ، يدرك أن هذه الأحداث شكلت مادة خصبة للمؤرخين ، غير أن الوثائق والمدونات والسجلات التاريخية للمؤرخين المسلمين للأسف فقد معظمها ، والحقيقة أنه على الرغم من أن هناك العديد من المؤلفات التى أسهم بها العلماء المسلمون لسلطنة سلاجقة الروم في الحركة الثقافية إلا أن المصادر التاريخية الخاصة بتاريخ سلاجقة الروم المكتوبة في آسيا الصغرى هى بجملتها معدودة على الأصابع – حتى وقت كتابة هذه الدراسة – أولها كتاب " راحة الصدور وآية السرور " من تصانيف الراوندى ، والذى عاش بداية في العراق ، ثم أنتقل إلى آسيا الصغرى حيث عاش في بلاط غياث الدين كيخسروا بن قلج أرسلان وألف باسمه هذا الكتاب عام ١٢٠٢م (٥٩٩هـ) وكتاب آخر باسم " تاريخ آل سلجوق " مجهول المؤلف وألف باسم علاء الدين ويلخصها الكتاب الشهير للأمير ناصر الدين يحيى الشهير بابن بيبى رئيس ديوان الطغرا في عهد السلطان كيقباذ الأول والذى يعتبر تاريخه أقدم مدونة تاريخية

---

(٦٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، جـ ١٢ ، ص ١٩١ . ؛ المقريزي : كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك ، (القاهرة ١٩٥٧م) جـ ١ ، ص ١٩٦ . ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، جـ ١٣ ، ص ٣٧ . ؛ أبو الفدا : المختصر في أخبار البشر ، جـ ١٣ ، ص ١٠٥ .

(68) Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 251 .

معروفة لنا ويلي كتاب ابن بيبي حوليات محمود الأقسراي والذي تناول تاريخ السلاجقة وينتهي تأليفها سنة ٧٣٤هـ[٦٩].

أما عن الحركة العلمية في مجال الطب كفرع من فروع العلم نود أن نشير إلى أن أراضي آسيا الصغرى كانت مهيئة لنهضة طبية وما يؤكد ذلك ما تشير اليه المصادر من أن الظروف الجغرافية الطبيعية ساعدت على ذلك حيث كانت تتمتع هذه الأرض بالعديد من الحمامات وعيون المياه المعدنية الساخنة والطبيعية ، والتي كانت تستخدم في علاج العديد من الأمراض ، فقد أشار الرحالة الأوربي ماركوبولو أنه في مدينة أرزنجان " أجمل وأبدع حمامات المياه الساخنة النابعة من الأرض والتي ليس لها مثيل في أي مكان آخر [٧٠].

كما أشار ابن سعيد المغربي إلى أنه بالقرب من أنقره (أنكورية) في مدينة "سلطان لولي" كان يوجد "حمامين ماؤهما كمياه الحامه ، لا تحتاج إلى تسخين وهو جاري على الدوام ، شديد الحرارة" [٧١] ولا يزال الناس يرتادونها كثيراً ويشار إلى موقعها بكلمة ثرماي Thermae [٧٢]. كما أشار ابن فضل الله العمري إلى وجود ثلثمائه من ينابيع الماء المعدنية في مدينة " بروسا " وحدها حيث إن أرضها كانت " كبريتية سواخة " [٧٣].

أما الرحالة ابن بطوطة الذى زار آسيا الصغرى فيشير صراحة إلى الأماكن التي يعالج فيها المرضى عند حديثه عن مدينة برصا (بروسا) حيث يقول " مدينة كبيرة عظيمة تحف بها العيون الجارية ، وبخارجها نهر شديد الحرارة يصب في بركة عظيمة ، وقد بني عليها بيتان أحدهما للرجال والآخر للنساء والمرضى يستشفون بهذه الحمة ويأتون إليها من أقاصي البلاد[٧٤].

---

[٦٩] الراوندي : راحة الصدور ، ص ٦٣٩-٦٤١ . ؛ ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم – مقدمة الترجمة ، ص ٨-٩ .
Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 256-257 . ; Mokrimin (H.Y) : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 p. 474.; Bosworth (C.E) : Saldjukids ., p . 972 .

[٧٠] ماركوبولو : " رحلات ماركوبولو " جـ ١ ، ص ٥١ .

[٧١] ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " تحقيق / إسماعيل العربي (بيروت – ١٩٧٠) ص ١٨٦ . ؛ ابن سعيد : " بسط الأرض في الطول والعرض " تحقيق / خوان قرنيط (المغرب – ١٩٥٨م) ، ص ١١٨ .
Cahen : Ibn Said sur L'Asie Mineure Seljuqide Turcobyzantina XI ., p . 44.

[٧٢] ماركوبولو : المصدر السابق ، هوامش الفصل الرابع ، جـ ١ ، هامش رقم ٣ ص ١٨٨.

[٧٣] ابن فضل الله العمري : " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "، السفر ٣ ، ص ١٧٤ .

[٧٤] ابن بطوطة : تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، ص ٢٠٤ .

وتوضح الأبحاث الأثرية أنه كان يوجد فى كل مدينة بآسيا الصغرى مستشفى لعلاج المرضى ويلحق بها مدرسة للطب مثل مدرسة التوأم (جفته مدرسة Cifte Medrese) والتى كانت تضم مدرسة للطب والتى أنشأها غياث الدين كيخسرو الأول ومستشفى أخته جوهر نسيبه Jowhar Nasiba [٧٥].

كما أنشئ العديد من المستشفيات التى كانت بصفة عامة أماكن يمارس فيها التطبيق العملى لما يدرس نظرياً فى مدارس الطب وكانت تعالج بها الأمراض المختلفة إلى جانب بعض دروس كانت تعطى للمرض ، وكان معروفاً لدى أطباء أوائل القرن الثالث عشر معالجة مرضي الاضطربات العقلية بالموسيقى والايحاء بالنوم ، وانتشرت تلك المستشفيات والتى كانت تعرف بمسميات مختلفة مثل دار الشفاء أو الشفائية ودار العافية ودار الصحة[٧٦].

وتشير المصادر إلى استعانة السلاجقة المسلمين فى آسيا الصغرى بالعديد من الأطباء المسلمين من مختلف الدول الإسلامية مثل الطبيب " شمس الدين أبى العباس أحمد المعروف بابن هبل الخلاطي " المولود ببغداد سنة (٥١٥هـ) والذى برع فى علم الطب حتى فاق أكثر أهل زمانه وله كتابان " المختار فى الطب " والطب الجمالى " وأثناء بقائه فى آسيا الصغرى أكرمه السلطان كيكاوس بن كيخسرو إكراما كثيراً [٧٧] وأيضاً الطبيب " كمال الدين الحمصي " الذى اشتغل بصناعة الطب وسافر إلى آسيا الصغرى سنة ١٢١١م (٦٠٨هـ) ، وكان الملوك وأكثر الأعيان يطلبونه ويستطبونه لما ظهر من علمه [٧٨] ويحدثنا ابن العديم عن الطبيب أبى بكر يوسف الرسغني الملقب بالتقي ، الذى مهر فى علم الطب واتصل بخدمة علاء الدين كيقباذ ومن بعده السلطان غياث الدين كيكاوس [٧٩].

وعلى الرغم من انتعاش علم الطب فى آسيا الصغرى عند المسلمين إلا أن الأطباء من غير المسلمين أعنى الأطباء الأرمن والسريان واليهود ظلوا محتفظين لفترة طويلة بشهرتهم العلمية والعملية فى مجال الطب ، ويكفى للدليل على ذلك أنه فى عصر الإمارات التركمانية كان هناك طبيب يهودى بقصر الأمير التركمانى

---

(75) Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.X pp. 9-10 .
أوقطاى أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠١-١٠٢ .
Rice : op . cit ., pp . 142-143 .

(76) Van Berchem (Max) et Halil Edhem : op . cit ., part . 3 T . 1 p . 7 n . 1 . ;
Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.X pp . 146-147-172 .
ابن بيبي : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ١٥٢ . ؛ أوقطاى آصلان آبا : المرجع السابق ، ص ١٠٤.

(٧٧) ابن أبي أصبيعة : المصدر السابق ، ص ٤١٠ . ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، الطبقة ٦١ ، ص ٣٣٣-٣٣٥ .

(٧٨) ابن أبي أصبيعة : المصدر السابق ، ص ٦٨٢ .

(٧٩) ابن العديم : المصدر السابق ، جـ ١٠ ، ص ٤٣٥٦ .

"محمد بن آيدين" كان يتمتع بمنزلة رفيعة لبراعته في الطب فأثار ذلك حفيظة الرحالة ابن بطوطة وحينما استفسر عن سر ذلك رد عليه بقوله "كلنا محتاج إليه"(٨٠).

ومن الأطباء السريان المشهورين الطبيب حسنون الرهاوى الذى استدعى إلى مملكة قلج أرسلان وخدم أمراء دولته مثل الأمير سيف الدين وأيضاً أختيار الدين حسن مستشار السلطان قلج أرسلان الثاني (٨١).

ومن الأطباء المشهورين أيضاً وهو من أطباء ملطية " أبو سالم النصراني اليعقوبى الملطى " المعروف (بابن كرايا) (ت ١٢٣٢م)وقد خدم السلطان علاء الدين كيقباذ وكان قليل العلم بالطب - وعلى حد قول ابن العبرى - إلا أنه كان أهلا لمجلسه لفصاحة لهجته في اللسان الرومي ومعرفته بأيام الناس وسير السلاطين(٨٢).

واشتهر أيضاً في ملطية الطبيب عيسي الرهاوى وهو تلميذ الطبيب حسنون الرهاوى وكان قد انتقل إلى قيليقية وخدم ملكها سنة١٢٤٤م (٨٣). ومن الأطباء المشهورين أيضاً الطبيب الجراح فاسيل Vasil الذى أستدعى لعلاج السلطان كيقباذ الأول (٨٤).

والجدير بالذكر في هذا المقام أن عالم النبات الشهير ابن البيطار الذي صنف كتاب الأدوية المفردة ، اتجه إلي آسيا الصغرى ، وعمل لفترة هناك بسلطنة سلاجقة الروم كصيدلي ماهر(٨٥).

---

(٨٠) ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ٢٠١ .
Turan : op . cit ., p . 87 .

(٨١) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٣ . ؛ ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٧٣. ؛ ابن القفطي : " أخبار العلماء بأخبار الحكماء " (مكتبة المتنبي - بدون تاريخ) ، ص ١٢٢ .
Turan : op . cit ., p . 88 .

(٨٢) ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ص ٢٥٤ . ؛ علية عبد السميع الجنزوري : الثغور البرية الإسلامية علي حدود الدولة البيزنطية في العصور الوسطي ، ص ١٨٢ .

(٨٣) ابن العبري : تاريخ الزمان ، ص ٢٨٩ .

(٨٤) ابن بيبي : تاريخ سلاجقة الروم ، ص ١٨٧-١٨٨ .
Turan : op . cit ., p . 88 .

(٨٥) الكتبي : المصدر السابق ، جـ ٢ ، ص ١٥٩، ١٦٠ .
Cahen : Pre-ottoman Turkey ., p . 256 .

الحياه الفكرية عند باقي الإمارات التركية:

أما عن الحركة العلمية عند بقية الامارات الإسلامية في آسيا الصغرى كالداشمنديين وبني منكوجك وبني سلدق قبل إنهيارهم وانضوائهم تحت سلطة السلاجقة ، فالحاصل أن العلاقات بين هذه الامارات لم تسر على وتيرة واحدة إذ كانت متقلبة بين السلم تارة والحرب تارة آخرى وبالتالى أدى ذلك إلى انعكاسها على النشاط الفكرى غير أن المطلع على الآثار التى تركتها هذه القوى من مدارس ومساجد ومستشفيات تعليمية يدرك أن الحركة العلمية كانت منتعشة [٨٦] . ويكفى أن نعلم أن لفظ دانشمند لفظ فارسي معناه المعلم والفقيه وهو يتألف من الكلمة الفارسية (دانش) بمعنى علم والمقطع (مند) بمعنى ذو أو صاحب [٨٧] وقد حمل العلماء في بلاد ما وراء النهر لقب دانشمند الفارسي والذى كان ينطق (دانشومند) باللهجة المحلية [٨٨] .

وقد أشار القرماني إلى أن دانشمند الغازى كان عالما فاضلا كاملا وكذلك ولده [٨٩] . ويبدو أن الدانشمند كان يقوم بتفقيه الجماعات حديثة العهد بالإسلام في مناطق العواصم والثغور ، منهم الأمير محمد بن غازى (١١٣٥-١١٤٣ م/٥٢٩-٥٣٧ هـ) الذى حاول إنعاش الحركة العلمية حيث أنه جذب إلى قيصرية ونيكسار بعض العلماء من مختلف بقاع العالم الإسلامي والذى كان من أبرزهم " عبد المجيد بن اسماعيل الهروى " والذى تولى القضاء لفترة في بلاد الروم [٩٠].

كما برز عدد من المفكرين والأطباء في امارة بني دانشمند من أبرزهم الطبيب " إبراهيم بن إبي سعيد العلائى " الذى أهدى كتابه المسمى تقويم الأدويه إلي الامير الدانشمندى ذى القرنين بن عين الدولة (١١٥٢-١١٦١م /٥٤٧-٥٥٦ هـ) ، وكان عنوان كلمة الاهداء " عين الدولة " أمير السفهسلار ، كما ضم الإهداء بعض الألقاب التشريعية مثل علاء الدين وعماد أمير المؤمنين [٩١]

---

(٨٦) أوقطاى أصلان آبا : المرجع السابق ، ص ٩٥ .

(٨٧) حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ص ٢٨٧ . ؛ علي أكبر دهخدا : لغت نامة ، جـ ، ص ١٨٥ .

(88) Barthold (W) : Turkestan down to the Mongol invasion (London 1928) ., p . 232 .

بارتولد : تركستان من الفتح الهربي إلي الغزو المغولي ، ترجمة صلاح الدين عثمان (الكويت – ١٩٨١) ، ص ٣٦٢ .

(٨٩) القرماني : أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ ، ص ٢٩٢ .

(90) Mokrimin (H.Y) : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 p . 47 .
(91) Mokrimin (H.Y) : op . cit ., cilt 3 p . 474

أما عن المنكوجكيين فتشير الأبحاث إلى أن مدينة أرزنجان تحولت إلى مركز حضارى عظيم خاصة فى العهد الطويل للأمير بهرمشاه (١١٦٠-١٢٢٠م / ٥٥٥ - ٦١٧ هـ) حيث جذبت شعراء الفرس مثل نظامى وخاقانى كما أستقر فيها الطبيب العراقى الشهير عبد اللطيف البغدادى ما يقرب من اثنى عشر عاماً (٩٢).

أما بالنسبة للسلاتقة فتشير أو تدل المبانى الأثرية الكثيرة التى تركوها إلى قيام نهضة تعليمية لا تقل عن بقية مثيلاتها من القوى الاسلامية الكائنه فى آسيا الصغرى (٩٣).

الحياه الفكرية عند الأرمن :

أما عن الحركة العلمية والنشاط الفكرى فى جنوب آسيا الصغرى فى قيليقية مقر الأرمن فالحقيقة أن الحروب المتواصلة لم تمنع الأرمن من إنتعاش هذه الحركة حيث أسس الاكليروس الأرمنى العديد من الاديرة والمعاهد العلمية والدينية(٩٤).

كما برز عدد كبير من العلماء الأرمن منهم القديس نرسيس شنور هالى (١١٠٢ -١١٧٣ م) الذى كتب الشعر وله عدة مؤلفات دينية وتفسيرات للكتاب المقدس وأيضاً القديس نرسيس لمبروناتس (١١٥٣- ١١٩٩م) له عدد من الكتب الدينية ومن أبرز الكتاب أيضاً كريكور دغا (البيطريرك) والمؤرخ هيثوم فارتان ايككتش ومن الادباء أيضاً أريسداكيس الذى كتب عن كوارث وسقوط المدن الأرمينية ومخيطاركوش الذى دون القوانين الأرمنية وماتيوس أورهايتس الذى ألف تاريخ الصليبيين ، ثم هناك المؤرخون أمثال فارتان وكيراكوس (٩٥).

الحياه الفكرية عند البيزنطيين :

أما عن النشاط الفكرى فى الجانب البيزنطى والصليبى فى آسيا الصغرى، فالواقع أن الدعوة التى أطلقها البابا أربان الثاني فى كلير مونت كانت فى الحقيقة دعوة مفجرة لطاقات المؤلفين والمؤرخين وكانت الحروب الصليبية بمثابة الأريج الثقافى لذلك العصر ، وكان التأليف تقريباً قاصراً على التأليف الدينى وذلك لأن الدين قوام الحياة الأوربية وعليه مدارها آنذاك لذا فإننا نرى أسماء كثير من المؤرخين الذين تناولوا أحداث الحروب الصليبية وأيضاً البيزنطية التى دارت فى

---

(92) Cahen (C.L) : Mengucek in Ency.of Islam ., vol . VI . p . 1016 . ; Cahen : pre-ottoman Turkey ., pp . 252 .
(93) Leiser (g) : Saltuk in Ency.of Islam., vol . VIII . p . 1001 .

(٩٤) إستارجيان : تأريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢٠٥ .

(٩٥) جان أحمرانيان : من هم الأرمن (١٩٧٨) ، ص ٣٨ .

آسيا الصغرى كالمؤرخ وليم الصورى وآنا كومنين وأودو أوف دويل والكثيرين منهم[٩٦].

ومن أشهر الأدباء والمؤرخين الذين برزوا فى النصف الثانى من القرن الثانى عشر وأوائل القرن الثالث عشر والذين ارتبط اسمهم بآسيا الصغرى الأخوان ميخائيل ونيكتاس أكوميناس Acominatus وهما من مواطنى آسيا الصغرى من عائلة متوسطة بمدينة خوناى وقد لقبا أيضا لقب خونياتس نسبة لمسقط رأسيهما بفريجيا وتخصص نيكتاس فى الدراسات اللاهوتية ووصل إلى وظيفة رئيس أساقفة مدينة آثينا ، أما ميخائيل فقد أكمل تعليمه فى القسطنطينية وقد شغل عدة وظائف فى البلاط البيزنطى وعندما سقطت القسطنطينية عام ١٢٠٤ فى أيدى اللاتين هرب إلى نيقية حيث ألف مرجعاً تاريخياً يعتبر وثيقة هامة تغطى الفترة الممتدة من ١١١٨م إلى ١٢٠٦م (٥١١-٦٠٢هـ) [٩٧].

ومن العلماء أيضاً الذين ارتبط اسمهم بآسيا الصغرى أدلار الباثى Adelard of Bath والذى درس على يد العرب علمى الفلك والهندسة وقد طاف بمصر وآسيا الصغرى أبان النصف الأول من القرن الثانى عشر [٩٨].

أما عن المحصول الجغرافى فى آسيا الصغرى فهو غنى بمعظم الرحالة المسلمين وغير المسلمين الذين تناولوا آسيا الصغرى ، حيث مروا عليها وكتبوا عنها ووصفوها ، وقد ساهمت هذه الكتابات فى معرفة العالم آنذاك بهذه المنطقة ، وعلى رأس من حمل لواء علماء الجغرافيا فى العصور الوسطى أبو عبد الله ياقوت الحموى (١١٧٩-١٢٢٩ م) وكان ياقوت بمولده يونانيا من سكان آسيا الصغرى [٩٩].

اللغة والتبادل الثقافي بين القوي المختلفة بآسيا الصغري:

---

(96) **Cameron (A)** : Historiography Byzantine in Dictionary of the Middle ages . vol . 6 pp . 242-248 .

(97) **Magoulias (H.J)** : Niketas choniates in Dictionary of the middle ages . vol . 9 pp . 133-134 . ; **Cameron (A)** : Historiography Byzantine in Dictionary of the middle ages . vol . 6 p . 246 . ; **Ostrogorsky** : History of the Byzantine State ., p p . 312 .

رنسيمان : الحضارة البيزنطية ، ص ٢٧٦، ٢٨٣، ٢٩٧ . ؛ سيد أحمد الناصري : الروم والمشرق العربي ، ص ٤٩٣ .

(٩٨) محمود الحويري : الأوضاع الحضارية في بلاد الشام في القرنين الثاني عشر والثالث عشر من الميلاد . ص ٢٢٨ .

(99) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., pp . 157-158 . ; **Robinson (F)** : Atlas of the Islamic world ., p . 37 . ; **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism ., p . 351 .

ديورانت (ول) : قصة الحضارة ، جـ ٢ من المجلد الرابع ، ص ٣٥٨ .

أما عن اللغة والتبادل الثقافى بين القوى المختلفة الكائنة بآسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر الميلادى فقد كانت آسيا الصغرى مسرحاً للعديد من اللغات اليونانية والأرمينية والعربية والفارسية والتركية واللغة فى الواقع ظاهرة اجتماعية تستخدم لتحقيق التفاهم بين الناس وانتقال المعلومات بين الأفراد ، غير أن وضع اللغة عند الشعوب الكائنة فى آسيا الصغرى لم تكن تندرج تحت عائلة لغوية واحدة تعود بأصولها إلى لغة محدودة وإلا كنا اعتبرنا أن هذه العائله اللغوية كانت تتشعب إلى العديد من الفروع ، هذه الفروع تختلف وتقترب من بعضها البعض طبقاً لاختلاف المسافات بينها وطبقا لألوان الاحتكاكات فيما بينهما ، وتحول الأمر بالتالى إلى اختلاف اللهجات فقط بل إن الحاصل أنه كان لكل شعب لغته المنفردة التى لها مفرداتها وصيغتها ودلالاتها ولهجاتها واشكالها الصوتية والتى لا نستطيع أن نخوض فيها لأنه من شأن علماء اللغة.

ولا شك أن اللغة اليونانية كانت هى اللغة الرئيسية فى آسيا الصغرى قبل الغزو التركى ، وكان هناك أعداد كبيرة من سكان المدن الكبرى مثل أنقرة ونيكسار وأنطاليا وقونية وأماسيا والتى كان يقطنها مسيحيون أرثوذكس ، كانوا يتحدثون اليونانية فى القرنين الحادى عشر والثانى عشر ، وقد ظلت اللغة اليونانية موجودة بعد الغزو التركى حتى أنه أثناء حصار الامبراطور حنا كومنين لمدينة نيكسار قامت الحامية التركية للمدينة بجعل السكان المحليين أو الوطنيين للمدينة إلى إرسال رسالة باليونانية للإمبراطور حنا ، والعديد من السكان ظلوا يتحدثون اليونانية بعد الغزو التركى خاصة فى مدينة Ateleia وأماسيا ، كما أن الجيل المختلط الدماء الجديد والذى نتج عن زواج الرجال الترك المسلمين بأمهات بيزنطيات والذين اعتنقوا الإسلام كان أفراده يتحدثون اللغة اليونانية ، لغة أمهاتهم وأيضا يتحدثون لغة آبائهم الترك اللغة التركية ، ومن ثم نرى أعداداً كبيرةً من الجنود من ذوى الدماء المختلط فى جيوش السلاجقة فى القرن الثانى عشر وكانوا يتحدثون لغتين وقد سبق أن رأينا الجنود السلاجقة الذين دافعوا عن جزيرة خيوس ضد هجوم الامبراطور الكسوس كومنين كانوا يتحدثون اليونانية والتركية والحقيقة أن الانتشار الجغرافى لليونانية عند بداية الغزو التركى انعكس بشكل كبير فى إدارة الكثير من المقاطعات التركية المختلفة (١٠٠)

أما عن اللغة الفارسية فقد كانت هى اللغة الرسمية والادبية للسلاجقة المسلمين ، بل أن سلاطين السلاجقة عملوا على التمكين لهذه اللغة فى آسيا الصغرى ، لأنهم كانوا هم أنفسهم يكتبون بها فقد كان ركن الدين سليمان بن قلج

(100) Vryonis : op . cit ., p . 461 .

أرسلان الأول وغياث الدين كيخسرو الأول وأبنه كيكاوس الأول يقولون جميعا الشعر بالفارسية ، والحقيقة أن التأثير الفارسي كان كبيرا فى الادب والإدارة وحياة القصر كما أن السلاجقة أنفسهم اتخذوا الاسماء الفارسية لسير الابطال مثل كيكاوس وكيخسرو وكقياذ(١٠١).

وكانت اللغة العربية لها شأنها فى آسيا الصغرى ، والحقيقة أن المدنية الاسلامية بعنصريها العربى والفارسي غلبت على آسيا الصغرى بعد تتركه ، فقد كان العنصر العربى غالبا فى جنوب آسيا الصغرى وفى جنوبه الشرقى ابتداء من القرن الحادى عشر إلى منتصف القرن الثالث عشر حتى أن الأتراك المستوطنين في هاتين المنطقتين كانوا آخذين في التعرب (١٠٢).

وكانت اللغة العربية لغة العقيدة وطلاب العلم،أما اللغة التركية فقد كانت لغة السكان اليومية للشعب ولم يبدأ الكتابة بها إلا فى القرن الثالث عشر الميلادي / السابع الهجري وكانت تبدو فى صورة نادرة (١٠٣) .

وقد سادت اللغة التركية السلجوقية لغة الفاتحين فى آخر الأمر ، وكثيراً ما تطلبت الظروف المتغيرة الجديدة الاجتماعية والاقتصادية من المحكومين من سكان آسيا الصغرى الوطنيين تعلم لغة الفاتحين بعد أن أصبح الأمر ضرورة حتمية لتسهيل أعمالهم اليومية فلغة الحكومة والدواوين والادارة والقصور والنشاط التجارى والضرائب التى كانت كلها تحتم عليهم تعلمها (١٠٤).

كما شهدت آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر خليطاً لغوياً فى جيوش الصليبيين التى عبرت آسيا الصغرى من معظم شعوب أوربا فى ذلك الوقت (١٠٥)وعموماً فإن السلطنة السلجوقية كانت تعج بالمترجمين الذين اصطحبهم السلاطين معهم(١٠٦).

---

(101) **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 952 . ; **Turan (Osman)** : Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " ., p . 257 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 952 .

حسين مجيب المصري : العرب والفرس والترك ، ص ٤١٧ .

(١٠٢) محمد فؤاد كوبريلي : قيام الدولة العثمانية ، مقدمة المترجم ، ص ١٨-١٩ .

(103) **Turan : op . cit ., p . 257 .**

بارتولد (ف) : تاريخ الحضارة الإسلامية ، ص ١٣٧ .

(104) **Vryonis** : op . cit ., p . 457 . ; **Ambarcioglu (M)** : The Moslem communities in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 178 .

(١٠٥) فوشية الشاريتري : الوجود الصليبي في الشرق العربي ، الإستيطان الصليبي في فلسطين ، تاريخ الحملة إلي بيت المقدس ١٠٩٥-١١٢٧م ، ص١١٦

(١٠٦) ابن بيبي : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ٦٠-١٨٠-٢١٥-٢٩٦ .

أما عن التبادل الثقافي بين القوى المختلفة في آسيا الصغرى ، فعلى الرغم من الحروب التي دارت بين السلاجقة الاتراك والبيزنطيين ، وعلى الرغم من عداوة الدولتين السلجوقية والبيزنطية فإن الدولتين رغم عداوتهما النظرية كانتا تتمتعان في الواقع بعلاقات يغلب عليها الود وكانت الصلات الفكرية وتبادل الأفكار بين الحكام الجدد لشرق الأناضول (آسيا الصغرى) وحكامه القدامى مستمرة وواسعة النطاق ، وكانت السفارات والاتصالات الودية كثيرة ، ونقرأ في السجلات أن عدداً من ذوى الشأن من السلجوقين قد ذهبوا لتلقى العلم في القسطنطينية ثم عادوا بعد ذلك إلى بلاد السلاجقة ليحتلوا مناصب رفيعة في الدولة بل انه في بعض الاحيان تلقى العلم في القسطنيطنينة بعض سلاطين المستقبل(١٠٧) هذا بين السلاجقة والبيزنطيين .

ولم تتوقف العلاقات الثقافية بين الأرمن والبيزنطيين في آسيا الصغرى خاصة العلاقات الدينية فعلى عهد الامبراطور مانويل كومنين كانت المناقشات اللاهوتية من أحب الأمور إليه وكان يشكل حلقات وندوات لمناقشة بعض النقاط المذهبية والفلسفية يشترك فيها بنفسه داخل القصر ويدعو إليها رجال الدين ومن ذلك أستدعاؤه القسيسين الارمنين جريجوار بهلافوني Gregoire Bahlavouni ونرسيس سكنور هال Nerses Schnorhal وفي عام ١١٥٦م (٥٦٠ - ٥٦١ هـ) ، وطلب منهم شرح العقيدة الأرمينية ودارت مناقشات عديدة كان ما نويل يقصد من ورائها إقناع الارمن باتباع المذهب الارثوزكسي وتوحيد الكنيستين ، كما كتب أيضاً إلى المؤرخ ميخائيل السرياني بهدف توحيد المذهب السرياني الارثوزكس ، ويروى عن مانويل أنه منع الكنيسة البيزنطية من لعنة إله محمد (صلى الله عليه وسلم) واكتفى بلعن محمد ومبادئه (١٠٨).

ومما يجدر ذكره أن الامبراطور مانويل كان مثقفا كثير الاطلاع وله دور نشيط في المناقشات الفلسفية والمشكلات الدينية في عصره وكان متسامحاً مع المسلمين حتى أنه عندما اقترح أن يصاحبه ضيفه سلطان قونية السلطان قلج أرسلان الثاني عشر في موكب إلى كنيسة أياصوفيا Haga Sophia قد خلق استفزازاً واضحاً لدى الوسط البيزنطي ونظر اليها أنها غير مناسبة بالمرة (١٠٩) .

أما عن العلاقات الثقافية بين السلاجقة والمواطنين من أهل آسيا الصغرى فيكفي الاشارة إلى الصداقة المتبادلة بين السلطان قلج أرسلان الثاني مع المؤرخ

---

(١٠٧) تالبوت رايس : فارس وبيزنطة ، ص ٧٩ .

(١٠٨) محمود سعيد عمران : السياسة الشرقية للإمبراطورية البيزنطية في عهد الإمبراطور مانويل الأول ١١٤٣-١١٨٠م ، ص ١٠٤-١٠٥ .

(109) Hussey : Byzantium and the crusades in setton ., vol . 2 pp .143-144 .

السرياني الكبير ميخائيل والمناقشات الدينيه والفلسفية التى كانت تتم فقد كان اللقاء بينهما (١١٨١ ، ١١٨٢م) يدور حول الأديان والكتب المقدسة ، وقد قضى السلطان شهراً فى مدينة ملطية ويذكر ميخائيل السرياني " أن السلطان كان يوجه إلينا أسئلته عن يسوع المسيح والحواريين، ولدى مغادرته ملطيه كنت برفقته ، وقد ظللنا نتحدث طوال الوقت ويصاحبنا فيلسوف السلطان كمال الدين عن أحاديث الكتاب المقدس وعند ما قال الفيلسوف أن السريان أذكياء وحكماء سعد السلطان قلج أرسلان بذلك كثيراً "(١١٠).

وهكذا لم تمنع الحروب التى دارت طوال القرن الثانى عشر من استمرار الحركة العلمية والنشاط الثقافى، فقد كان هناك علماء نشيطيون متدينون غير وثنيين تحولت أفكارهم إلى مؤلفات عظيمة.

(110) Michel le Syrien : Extrait de la chronique de Michel le Syrien ., vol . III , pp . 185-186 . ; **Turan (Osman)** : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., pp . 76-77 . ; **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p. 251 .

جان موريس فييه : " أحوال النصاري في خلافة بني العباس " ،ص ٣٥٦ .

الفصل الخامس
العمارة والفنون فى آسيا الصغرى

- العمارة عند السلاجقة.
- الخانات.
- العمائر الجنائزية.
- التطريز.
- الخزف.
- الزخارف.
- العملة.

العمارة والفنون فى آسيا الصغرى

العمارة عند السلاجقة :

حينما هاجر الأتراك إلى آسيا الصغرى حملوا معهم مقومات حضارتهم المادية والمعنوية ، من خيامهم وخيولهم وجمالهم وعجلاتهم وأسلحتهم وطراز ملابسهم وعاداتهم وتقاليدهم وكل ما يخصهم تقريباً ، وما تزال مدن وقرى الأناضول حتى اليوم تحمل أسماء أربعة وعشرين من أسماء قبائل الغز النازحة إلى تلك الديار من بلاد التركستان . ومن هنا يمكن القول أن فنون بلاد الأناضول ذات عمق تاريخى قوى وأن جذور تلك الفنون تستمد غذاءها من أصول تمتد خارج البلاد وتصلها بالقراخانيين[1] والغزنويين والسلاجقة العظام وكانت بلاد آسيا الصغرى وقت توافد الترك إليها بلاد محكومه بدولة ذات حضارة رفيعة وهى الدولة البيزنطية وزاد مستواها الحضارى بما حمله إليها الترك من تراث متين حيث أقاموا فى مستقرهم هذا حضارة ثابته الأركان . على أنه يمكن القول أن المرحلة السلجوقية الأولى فى آسيا الصغرى وحتى منتصف القرن الثانى عشر الميلادى لم تظهر فيها نشاطات فنية تستحق الذكر ، بسبب ما ساد تلك الحقبة من قلق وكفاح من أجل الاستقرار[2] .

وحين قدم الأتراك المسلمون إلى آسيا الصغرى وجدوا أن المسيحية منتشرة بشكل كبير حيث كانت معاقلها الكبرى على طول الأناضول المباني والكنائس

---

[1] القراخانيون : (٩٩٢-١٢١١م / ٣٨٢-٦٠٧ هـ) برزت هذه الأسرة من البيت الحاكم لشعب القرلق التركي وهو البيت الذي لعب دوراً هاماً في وقت أسبق من تاريخ السهب ، غير أن صلتها بهذا البيت ليست مؤكدة تماماً وإن بدت محتملة وكان المستشرقون أول من أطلق علي هذه الأسرة أسم القراخانيين نظراً لتواتر كلمة قرا بمعني الأسود أو القوي في ألقابهم ، كما يعرفون بخانات الـ إيلك ويطلق عليهم أيضاً " الـ أفراسياب " أي بيت أفراسياب نظراً لوجود نوع من القرابة الإفتراضية التي تصل نسبهم بأمير توران في شهنامة الفردوسي ، وقد دخلت الأسرة القراخانية في الإسلام في منتصف القرن العاشر وتسمي زعيمهم ستق بغراخان باسم إسلامي هو عبد الكريم وكانت الحدود القراخانية خلال القرنين العاشر والحادي عشر تمتد من بخاري والحوض الأدني له سيحون (سرداريا) غربا إلي سميرش وكشغريا شرقا .

انظر :

كليفورد بوزورث : الأسرات الحاكمة في التاريخ الأسلامي ، دراسة في التاريخ والأنساب ، ترجمة حسين اللبودي ومراجعة د . سليمان العسكري ، ص ١٦١-١٦٤ .

[2] أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ٦٢ .

والأديرة المسيحية اليونانية بأشكال وتصميمات مختلفة منتشرة فى المدن والقرى فى أرض أرمينيا وطرابيزون ومعظم آسيا الصغرى[٣]

وكانت آسيا الصغرى ميداناً لالتقاء الشرق بالغرب حيث تنافسا فى تأثير كل منهما عليها وليس غريباً أن تحتل آسيا الصغرى مكانة هامة فى تاريخ العمارة البيزنطية والفن غير أن الاضطرابات التى حلت بالأناضول قد أثرت على هذا الوضع[٤]. وبعد أن وقع كل شرق وجنوب آسيا الصغرى فى أيدى السلاجقة سنة ١٠٧١م، أثر ذلك بشكل خطير على العمارة والبناء الكنسي فى مراكز حضارية واسعة، وإن كانت تلك المبانى والعمائر الكنسية استمرت لبعض الوقت فى بعض مناطق من آسيا الصغرى ، مثل أرمينيا الصغرى وقبادوقيا [٥] .

ولكننا نعلم من المبانى والعمائر التى عفا عليها الزمن والتى مازالت قائمة فى مدينة قونية على سبيل المثال أن السلاجقة الأتراك قد نمو من قبيلة بربرية تبحث عن السلب والنهب إلى واحده من أعظم الأمم الحضارية فى وقتهم [٦] . كما أن الطابع الإيرانى الفارسى كان يغلب على الفن السلجوقى بآسيا الصغرى فى الوقت الذى كان التأثير البيزنطى ضعيفا إذا قورن بالتأثير الفارسى [٧] .

والحقيقة أن عملية بناء وتعمير المدن التى كانت تحت حوزة المسلمين الأتراك فى آسيا الصغرى كانت عملية واسعة ، وشملت عدداً كبيراً من المدن التى كان إعمارها على أسس إسلامية ، فملك دانشمند قام بتشييد وإعمار مدينة سباستيا بمجرد غزوها كما قام الأمراء الدانشمنديون بعد ذلك بإعادة بناء وإعمار مدينة قيصرية فى حوالى سنة١١٣٤م[٨].

وقد بدأ سلاجقة الروم نشاطهم المعمارى ببناء مدينة أقسرا Aksara التى أمر بتشيدها السلطان عز الدين قلج أرسلان الثانى سنة ١١٧١م (٥٦٦ هـ) [٩] ، كما قام السلاجقة بتعمير مدينة داديبرا Dadybra بعد غزوها فى نهاية القرن الثانى عشر [١٠] .

وحظيت مدينة قونية – والتى كانت إحدى مدن إقليم قبادوقيا – باهتمام كبير من قبل السلاجقة فى الجانب المعماري والتى أضحت العاصمة لسلطنتهم ،

---

(3) Thierry (N) : L'art monumental Byzantine En Asia Mineure Du XI e Siecle Au XIV in Dumbarrton oaks papers No. 29 (1975) pp – 125-174 . ; Hamilton (J.A) : Byzantine Architecture and Decoration . , pp . 101-102 .

(4) Hamilton : op . cit ., p . 100 .

(5) Krautheimer : Early Christian and Byzantine Architecture . p. 280 .

(6) Barger (E) : In the track of the crusaders ., p . 175 .

(7) Ambarcioglu (M) : The Moslem communities in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 178 .

(8) Michel le Syrien : Extrait de la chronique ., vol III p . 237 .

(9) hamdallah Mustawfi Al-qazwini : Nuzhat-Al-Qulub ., p . 96 .

الآقسراى : مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار ، ص ٣٠ .

Vryonis : op . cit ., p . 221 .

(10)Choniates (Nicetas) : Historia ., p . 626 . ; Vryonis : op . cit ., p . 221 .

وكانت هذه المدينة كبيرة المساحة ومزدهرة في نهاية القرن الثاني عشر الميلادى لدرجة أن مؤرخي الحملة الصليبية الثالثة أشاروا إليها بأنها واسعة شاسعة تشبه مدينة كولـون الألمانيـة [١١]،ومثلمـا كـانت شـديدة الاتسـاع ، كـانت كثـيرة المبـاني أيضاً،والجدير بـالذكر أن السلطان قلج أرسلان بنى بها قلعة من الحجارة المربعة وبداخلها شيد لإقامته إيوان (قاعة عظيمة) ، لم تلبث بعد قليل أن تعرضت القلعة للسقوط وأصبحت أسوار القلعة خرائب [١٢].

غير أنه على عهد السلطان علاء الدين كيقباذ (١٢١٩-١٢٣٧م) أمر بإحضار المعماريين والرسامين الحاذقين وركب السلطان مع الأمراء ودار حول المدينة فأمر برسم مواضع البروج والأبدان والأبواب ، ثم أصدر مثالا لنوابه الخواص أن يعمروا من خاصة أموالهم أربع بوابات من بضعة بروج وأبدان وقسم الباقى على أمراء الممالك على حدة وأمر بالعمل فى هذا الأمر واغتنام الفرصة وأرسل أمراً بهذا المعنى إلي أمير المجلس بسيواس ليضع أساساً لسور كالجبل بأساً لسيواس أيضاً ، وبدأ فى قونية وسيواس تأسيس الأسوار ، فقاموا بإتمامها بالليل والنهار على قدر القوة والمكنة ولم يتركوا بقية من أحكام القواعد وإعلاء الأبدان وتشييد البروج ... وبعد الإتمام توجهوا لخدم السلطان للإعلام فركب السلطان وقام بالطواف على أطراف الخندق وطالع بنظر الاعتبار ملحقة العجب ، وأمر بنقش كل منهم اسمه على الحجر بالتبر لكى يبقى عن مساعيهم أعمار كثاراً على الزمان اسم ونشان " [١٣].

وكان طبيعياً أن يهتم السلاجقة – وهم دولة عسكرية – اهتماماً كبيراً بإنشاء التحصينات القوية التى فرضتها عليهم جارتهم بيزنطة حيث تم بناء أسوار مدينة قونية من الحجارة المربعة بارتفاع يصل إلى حوالى ٣٠ ذراع وترتفع عمودية من قاعدة الخندق المحفور بعمق ٢٠ ذراع بينما محيط الأسوار عشرة آلاف قدم . وكان السور مدعماً بمائه وثمانية برجاً حجرياً ضخماً وكثير من المبانى شيدت فى المدينة التى أصبح لها من البوابات أثنى عشر باباً وكانت القلعة قد أقيمت فى مركز المدينة[١٤].

---

(11) Vryonis : op . cit ., p . 221 . ; Goodwin (G) : Konya in Ency. Of Islam., vol V (1985) .

(12) Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : op . cit ., p . 97 .

(١٣) ابن بيبي : المصدر السابق ، ص ١٧١-١٧٢ .
Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : op . cit ., p . 98 .

(14) Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : op . cit ., p . 98 . ; Combe , J . S et G.W and others : Repertoire chronologique T.IX pp . 253-254 . T.X p . 93 .
زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، (لبنان –١٩٨١م) ، ص ٩٤ . ؛ أرنست (كونل) : " الفن الإسلامي " ترجمة د. أحمد موسي ، راجعه / محمود إبراهيم الدسوقي (القاهرة ١٩٦١م) ، ص ٦٧ .
Rice : op . cit ., p. 153 .

كما اهتم السلاجقة بعمارة أسوار سيواس التى كانت من الأسوار الطبيعية حيث كانت تتكون من سورين من الحجارة ويحيط بها خندق فيه برج وارتفاع الأسوار نحو ٢٧ ذراع وكان للمدينة بابان وكانت تلك الأسوار يستحيل تدميرها حيث كان الماء يحيط بهذه الأبراج واهتم السلطان علاء الدين كيقباذ بعمارة أسوارها وقلعتها التى كانت تتكون من الأحجار المربعة [15].

واهتم السلاجقة بعمارة مدينة أرزنجان وأعيد بناء مبانيها المتهدمة فى عهد السلطان علاء الدين واستخدمت الحجارة المربعة المنحوته في إعادة عمارتها [16].

وكذلك أهتم السلاجقة بعمارة وتحصين الموانى المفتوحة على البحرين الأبيض والأسود منها على سبيل المثال مدينة أنطاليا وبناء قلعتها التى تم ترميم الثغرات التى حدثت بالأسوار وترميم أسوارها خاصة فى عهد علاء الدين كيقباذ الذى قام " بمرمة السور وإعلائه وسد الثلمات [17]

والحقيقة أن السلاجقة قاموا بعمارة وتحصين معظم المدن التى كانت فى حوزتهم تقريباً مثل قيصرية ونيكسار وأماسية وكوتاهية وأنقرة تقريباً [18].

وكانت عمارة سور ميناء سينوب من أعظم الإنجازات التى قام بها السلاجقة المسلمون حيث إن المصادر التاريخية تقول فى هذا الشأن : " إن لسينوب سوراً حصيناً يضرب البحر في بعض أبرجته " وكان السلطان كيقباذ قد أمر بتشيد البرج الأحمر١٢٣٦م / ٦٢٣هـ للدفاع عن الميناء ضد الأخطار الخارجية وقد بنى هذا البرج من الاحجار المربعة وكان يتكون من خمسة طوابق [19].

أما عن تخطيط المدن فتذكر تامارارايس أن شكل الضواحى التى انتشرت حول المدن التى أنشأت لأول مرة أو أعيد تنظيمها وعمارتها كانت أشبه بضواحى آسيا الوسطى من مدن آسيا الصغرى ويتضح ذلك فى ضواحى كل من مدن قونية والعلايا والمدن التى أقامها كيقباذ حيث احتلت هذه المدن مساحة شاسعة من

---

(15) Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : op . cit ., p . 95 . ; Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.X pp . 216-217 . ; Van Berchem (Max) et Halil Edhem : Materiaux pour un corpus in scriptionum Arabicaurm ., part 31 pp . 11-16 .

(16) Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : op . cit ., p . 95 .

(17) ابن بيبي : المصدر السابق ، ص ١٣٠ . Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.X pp . 109-113 , 226-232 . T.XI pp . 5-7 .

(18) Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.X p . 217 . T.XI pp . 58-86 , T.X pp . 218-219 , T.X pp . 94-97 .

(19) أبي الفدا : تقويم البلدان ، ص ٣٩٣ . ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٤٨ . ؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية (القاهرة – ١٩٦٥) جـ ٣ ، ص ١١١–١١٢ . ؛ حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ص ٤٤١ . Rice : op . cit ., pp . 148-149 . ; Combe , J . S et G.W and others: op . cit ., T.X pp 114-122-240-241 .

الأراضي وفصلت بين هذه البيوت في تلك المدن الأسواق وحدائق الزهور . وكما احتوت شوارعها على قنوات المياه الجارية والنوافير والبرك وكثير من هذه النوافير أقيمت أو شيدت على أسوار خارجية وعلى المباني الهامة . أما الحمامات فقد اعتبرت مزدوجة قسم للرجال وقسم للنساء (٢٠).

أما عن العمارة والتحصين في الجانب البيزنطي في الاماكن التي كانت تحت حوزة البيزنطيين فنجد أباطرة الدولة البيزنطية – حوالي القرن الثاني عشر – قد كرسوا أنفسهم وجهودهم لإعادة بناء ما خربته الحروب في مدن آسيا الصغرى وأيضاً بناء الحصون في مدن أدارميترم Adramytrum وشامبلس Shambles وكوريقوس Corycus وسيلفكيا Selevceia في قيليقية ولوبايوم Lopadrom و بيثينيا وملاجنة Malagina وكيلفارا Chlvara و برجامون والعديد من المدن الأخرى (٢١).

وقد عني السلاجقة بتجميل مدنهم في آسيا الصغرى ، فأنشئوا فيها المساجد والمدارس والقصور والأسواق والخانات والحمامات حتى أصبحت بفضلهم من أعظم مدن الحضارة الإسلامية في العصور الوسطى(٢٢).

وانتشرت قصور واستراحات السلاجقة بالأناضول بشكل واسع ، فقد كانت الربط السلطانية التي أسسها السلاجقة أشبه – في واقع الأمر – بالقصور الضخمة ،ولكن إذا ما قارناها بقصورهم واستراحاتهم الفعلية ، لوجدنا أن هذه الأخيرة كانت مبان غاية في التواضع بنيت عادة من الديش والاجر ، ولذلك سرعان ما تداعت ،وتحولت إلى أنقاض ، ولكن لكي يخفوا عن الأنظار اضطرابات مداميك أبنيتهم ، لجأوا إلى إثرائها بالزخارف الجصية والبلاطات الخزفية ، وانتشرت الاستراحات التي كانت أول أمرها عبارة عن بناء مربع تحمله مجموعة كوابيل كبيرة من الآجر وتحيط به الشرفات والبرج نفسه مبطن بالحجر المنحوت وبأسفله حنيتان يشغلها تمثال كبير لأسد مصنوع من الرخام كما انتشرت القصور وهناك قصران سلجوقيان بناهما علاء الدين كيقباذ وهما : الكيقبادية وقوباد آباو ، وقصر علاء الدين المسمى بالكيقباذية – قرب قيصرية واحد من استرحات ثلاث نسقت على امتداد الشاطىء الشمالي لبحيرة صغيرة كونتها مياه بعض الينابيع هناك(٢٣).

(20) Rice : op . cit ., p . 150 .
(21) Choniates (Nicetas) : Historia ., pp . 17-44-71-268-194-195-227 . ; Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., pp . 216-219 .
(22) Vryonis : Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., p . 60 . ; Thierry (N) : L'art monumental Byzantine ., p . 105 .

(٢٣) أوقطاي أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٣٧–١٣٨ .
Rice : op . cit ., pp . 150-151 .

ويبدو أن بناء السلاجقة لقصورهم كان يتم أختيار مواقعها بعناية شديدة ، يراعى فيها الناحية الجغرافية المناخية . وقد ذكر ابن بيبى أن السلطان علاء الدين كيقباذ وهو يمر خلال مقاطعة قونية في طريقة من قيصرية إلى أنطاليا اكتشف موقعاً فريد الجمال على شواطىء بحيرة بايشهر " رأى موضعاً لو وصله رضوان لأثر مفارقة الجنان وعض إصبع الحيرة " على حد تعبير ابن بيبى - فأمر على التو أن تقام مدينة بذلك المكان وفى عام ١٢٣٦م، قام بتنفيذ هذا الأمر السلطاني الوزير سعد الدين كوبك مسئول شئون الصيد والتعمير وقد تم تنفيذ المشروع بإشراف السلطان الذي وضع تخطيطه بنفسه (٢٤) .

وكان للعمارة السلجوقية فى آسيا الصغرى تأثيرها الواضح على العمارة البيزنطية ، فعلى الرغم من أن السلاجقة كانوا من الجنس التركى الذى جاء فى الأصل من وسط آسيا فقد تم فى فارس أول إتصال لهم بحضارة مستقرة ، وقد استطاعوا بسرعة أن يتمثلوا عناصر كثيرة جداً من ثقافة هذه البلاد وقتها ، وعلى هذا فإن استقرار السلاجقة فى آسيا الصغرى أصبح يمثل حلقة جديدة لصلات هذا الإقليم بفارس أكثر بكثير من تمثيله إنشاء علائق جديدة مع منطقة آسيا الوسطى التى لم تكن معروفة - كما يرى رايس وهناك حقيقة تقف شاهداً على هذا ، هو أنه كان فى ذلك الوقت قسم من القصر الكبير فى القسطنطينية يدعى بالمنزل الفارسى Persikosdomos ، وكان البيزنطيون قد تأثروا فى بنائه بالسلاجقة فلقد أخرج السلاجقة الفن الفارسي والثقافة الفارسية في شكل جديد ، لكنهم لم يستبدلوا بها أى شيء غريب أو جديد (٢٥) .

كما شيد الأتراك المسلمون المساجد فى مدن آسيا الصغرى،ولم تلبث أن انتشرت فى كل أرجاء البلاد ،واصبح فى كل مدينة تقريباً ممن تقع تحت سيادة المسلمون مسجدا حتي في الجنوب الشرقي والتى كان يحكمها الأراتقة فيما بعد والذى بنى على الطراز الأموى والمساجد العظيمة فى دياريكر " وماردين وفى شر ق الأناضول أيضاً حيث السلاتقة وفى وسط الاناضول وقبادوقيا والاماكن التى كانت تحت سيطرة المنكوجكيين أيضاً (٢٦).

وهناك العديد من المبانى الأثرية المنسوبة إلى بنى سلدق حيث تشير الدراسات إلى قيامهم ببناء المساجد .ومن أمراء بنى سلدق الأمير ضياء الدين الذى

---

(٢٤) ابن بيبي : سلطنة سلاجقة الروم ، ص ٢٠٤-٢٠٥ .

(٢٥) تالبوت رايس : فارس وبيزنطة ، مقال منشور في كتاب تراث فارس ، ص ٧٨-٧٩ .

(26) Arik (o) : The culture of the Seljuk and ottoman periods (Art) in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p. 35. ; **Bosworth (C.E)** : Saldjukids (litrature) in E.I vol III p. 964 .

شيد منارة تعرف نيس منارة Kala camii كما أن الأمير مظفر الدين أكمل بنى مسجد [٢٧]. كما أن بني منكوجك معروفين بمسجدهم الرائع المشيد في ديفيرجي Diwrigi[٢٨].

وعموما فإن العمارة السلجوقية أخذت ابتداء من القرن الثالث عشر وماتلاه على الخصوص في التطور والانتشار في آسيا الصغرى ، وصار مسجد علاء الدين في قونية على رأس هذه المساجد الجامعة التي أنتشرت عمارتها في آسيا الصغرى وصار تخطيطه المعماري نموذجا يحتذى به مع مرور الزمن رغم صعوبة بلوغ نفس مستواه الراقي وقد تم عمارة هذا المسجد على عدة مراحل مختلفة بدأت سنة ١١٥٥م (٥٥٠ هـ) في عهد السلطان مسعود بن قلج أرسلان الأول ويظهر ذلك في النص الخاص بالسلطان الموجود على المنبر الأبنوسي الفاخر وهو الذى أمر ببنائه ، ثم تم إضافة أجزاء أخرى للمسجد في عهد سلاطين السلاجقة الذين أعقبوه حتى استكمل في عهد السلطان علاء الدين كيقباذ سنة ١٢٢١م (٦١٧ هـ) كما تشير بذلك النقوش . ويعتبر هذا المسجد من أهم آثار السلاجقة المسلمين في آسيا الصغرى [٢٩] . كما أنشأت المآذن بهذا المسجد والتي ذهب العلماء في إصلها من الوجهة المعمارية مذاهب شتى ، فقيل أنها مشتقة من أبراج الكنائس أو من أبراج الحراسة والمراقبة أو الفنارات القديمة أو من بعض أبراج العبادة في الهند وبلاد الجزيرة والعراق وزاد فيما بعد العثمانيون في ارتفاع المآذن عما عرفه السلاجقة [٣٠].

والملاحظ أنه في مدينة أرزن الروم كان بناء المسجد يسير جنبا إلى جنب مع الكنيسة ، ففي هذه المدينة كانت هناك كنيسة عظيمة اعتبرت من أعظم الكنائس في الإقليم حيث كان لها قبه شاهقة وقد سقط منها جزء في أحد أعياد الميلاد وأعيد عمارته وترميمه ، وفي مواجهة هذه الكنيسة تم بناء مسجد على نفس المستوى وروعى في بنائه أن يكون على هيئة الكعبة بمكة المشرفة [٣١].

كما أن العمارة في المؤسسات التعليمية في آسيا الصغرى انتشرت بشكل واسع في آسيا الصغرى ، وتعتبر المدارس من أهم المؤسسات التعليمية ، وقد ظهر في

(27) Leiser (g) : Saltuk in E.I ., vol . VIII . p . 1001 .
(28) Cahen (C.L) : Mengucek in E.I ., vol . VI p . 1016 .
(29) Combe , J . S et G.W and others : Repertoire chronologique D'Epigraphic Arabe ., T.VIII p . 289 , T IX pp . 11-12-180-181 , T.X pp . 163-165-174-178 . ; Turan (Osman) : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 259 . ; Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., p . 22 .

أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ٧٨–٨٠ . ؛ زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٤٨١ .

(٣٠) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ١٤٤–١٥٠ .
(31) Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : Nuzhat-Al-Qulub ., pp . 95-96 .

هذه المدارس المبكرة المدرسة التي أسست في مدينة نيكسار ١١٥٧م كما أنشئت عمارة المساجد في مدن قونية وأماسيا وسيواس وقيصرية وأنطاليا ، وإن كانت عمارة المؤسسات التعليمية لم تزدهر إلا في أواخر القرن الثالث عشر الميلادى [٣٢].

واهتم الدانشمنديون أيضاً ببناء المؤسسات التعليمية مثل قيامهم بإنشاء مدارس ياغى بسان في توقات ونيكسار حيث كانت له إيوان واسع وقبة متميزة أخذت من بيوت وسط آسيا ، والحقيقة أن الأتراك السلاجقة كانوا أول من شيد مبانى منفصلة لمؤسسات تعليمية ومدارس قد بنيت أو شيدت بأعداد كبيرة في برنامج دائم من النماء [٣٣] . وكان السلاجقة كما قال الراوندى عنهم أن " شجرة آل سلجوق جذورها قائمة على تقوية الدين وإعلائه وثمارها ظاهرة في بناء المؤسسات الخيرية كالمدارس والخانقهات والمساجد والأربطة ... " [٣٤].

والطراز المعمارى الذى اتبع في تشييد المدارس المبكرة خاصة في القرن الثانى عشر كان متشابهاً إلى حد كبير حيث كانت منشآت بسيطة في البداية ، بعيدة عن الزخرف ومبنية من الحجر الخشن ، وكانت القبة في هذه المدارس قد ارتكزت على ايوانين ضيقين في جانبين متجاورين من المبنى وعلى جدران صماء في الجانبين الآخرين . أما القاعات المحيطة بالقبة كبيرها وصغيرها فتغطيها الاقبية حيث كانت هناك اختلافات بالطبع في تخطيط والنسب إلى جانب الفقر في الزخرفة وتنحصر أهمية هذه المباني في كونها المحاولات الأولى لإقامة مثل هذا النوع من المدارس كما كانت هذه المدارس السلجوقية ذات طابقين –وهى أنقاض الآن – في بويالى كوى BoyaliKoy قرب سنجانلي بولاية آفيون ١٢١٠م (٦٠٧هـ) وكانت القبة ترتفع فوق دعائم ركنية تسندها الاقبية كما أنها ذات تخطيط متوازن ومتماثل [٣٥].

والملاحظ أن عمارة هذه المدارس أنشأت بشكل من شأنه توفير الراحة للمدرسين والطلبة فقد كانت تضم قاعات مختلفة للدراسة وحجرات منفصلة للموظفين كما كانت تضم أيضاً غرف النوم للطلاب التى كانت في الغالب ما تكون

---

(32) **Sourdel (D)** : Re flexions sur la diffusion de la Madrasa en orient revue des Etudes Islamiques , T.X lIV pp . 178-181 . ; **Turan** : op . cit ., pp . 257-258 . ; **Rice** : The Seljoukes ., pp . 142-149 . ; **Vryonis** : The Decline of Medieval ., p . 221 .

أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ٩٥-١٠٢ .

(33) **Arik (o)** : The culture of the Seljuk in Barrie & Jenkins Arts of Cappadocia ., p . 35 .

(٣٤) الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ص ٧٠ .

(٣٥) أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ٩٦ .

فى الطابق الأرضي ، وكانت هذه الغرف مجهزة بالمواقد ودواليب المدارس المبنية في الجدران والملاحظ هناك أن تلك المدارس لم تحتوى في عمارتها على المطابخ وكانت الوجبات تجلب إليها من الخارج (٣٦).

ومن أجمل المدارس السلجوقية التي بنيت في آسيا الصغرى مدرسة قونية المعروفة باسم صيرجالى مدرسة Sircali Medrese والتى شيدت فى عهد السلطان كيخسرو الثاني وهى بناء كبير من طابقين وايوانين - ولكنها فى حالة سيئة من التهدم - والتي يمكن اعتبارها من الأمثلة الأولى للمدرسة السلجوقية التقليدية بفضل ما تمتاز به من توازن وتقابل في التخطيط . وقد اشتق اسم هذه المدرسة التي تعتبر واحدة من اهم المدارس في آسيا الصغرى من أسلوب زخرفتها بالبلاطات الخزفية ذات الطلاء البراق ، والحقيقة أن لها شكلاً غير عادى إذ أن لها مدخلاً بارزاً يتوسط واجهة من الحجر المنحوت به زخارف هندسية ونقشاً كتابياً يحدد تاريخ التأسيس ، ونافذتين صغيرتين لها زخارف من المقرنصات ويوجد إلي يمين المدخل في موضع مرتفع قبر بدر الدين مصلح مؤسس المدرسة وقد كان معلماً لعلاء الدين كيقباذ الثاني ، كما كان هناك محراب خزفي موجود بالحائط الجنوبى للإيوان الكبير المواجهة للصحن ، ولكن معظم بلاطات المحراب ومعظم ما يغطى الايوان من تلك البلاطات الفنية بزخارفها الأربعة وبألوانها الأربعة قد سقط عن الجدران . ونجد على جانبى الايوان حجرات للتعليم تغطيها القباب إلا أن الطابق الثاني من المبنى قد تهدم ، كذلك نجد بداخل عقد الايوان أسم المهندس البناء : محمد بن محمود البناء الطوسي . وهناك على اليمين نصاً بالفارسية وهو الآن غير موجود حيث انتزع وأودع متحف برجامون ببرلين الشرقية يقول النص " أن ما اقمته لا نظير له فى العالم وسوف أذهب أنا ويبقى هذا الأثر أبداً حافظاً للذكرى " والمهندس - كما هو واضح له صلة بمدينة طوس عن طريق جده وقد تعلم حرفته في قونية (٣٧).

والحقيقة أن زخرفه الجدران التى أحبها سلاجقة الروم الفسيفساء الخزفية التي تركوا لنا منها أمثلة تنزع الإعجاب من كل من يراها والتى أشرنا إلى أحد أمثلتها والتي تجسدت في فسيفساء مدرسة صيرجالى التى شيدت ١٢٤٢م. والملاحظ هنا أن أسم الصانع محمد بن محمد البناء الطوسي وهو صانع إيراني من أسرة

---

(36) Rice : The Seljoukes ., pp . 142-143 .

(٣٧) أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٠٤ .
Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.XI pp . 140-141 . ; Turan : " L'Islamisation dans la Turquie du Moyen Age "., pp . 146 .
أرنست (كونل) : الفن الإسلامي ، ص ٦٣ . ؛ حسن الباشا : الفنون الإسلامية ، جـ ١ ، ص ٣١٧ ، جـ ٢ ، ص ٨١٠-٨١١ .

إيرانية وعاش فترة من حياته في طوس بإيران فإنه في الواقع منذ عصر الغزنويين والفن الإيراني الإسلامي يلعب دوره في الفن التركي وإذا كان هؤلاء الغزنويين أتراكاً في جنسهم إلا أنهم إيرانيون في ثقافتهم وفنونهم وقد ورث سلاجقة الروم عن الغزنويين هذا الاتجاه فاستعانوا بالإيرانيين وفسيفساء المدرسة سالفة الذكر تؤيد ذلك[٣٨].

الخانـات :

انتشرت عمارة تشييد الخانات في ربوع معظم آسيا الصغرى خاصة الواقعة تحت سلطة السلاجقة المسلمين ، وكانت أعداد هذه الخانات كبيراً حيث تنافس سلاطين السلاجقة والامراء والوزراء في تشيدها وهي كثيرة ومتنوعة وقد كان السلطان قلج أرسلان الثاني قد أنشأ هذه الخانات في آلاي على طريق أقسرا – قيصرية ، وقد بني في أواخر عهده عام ١١٩٠م (٥٨٦ هـ) ، ثم توالي تشييد وعمارة الخانات في الطرق المختلفة الموصلة للمدن في آسيا الصغرى ومن هذه الخانات التي قام ببنائها السلاطين خان أودير ، وآلاي خان ، وسلطان خان ، وخان آلارا ، إنجيرخان Incir ، واغرديرخان Egheridir ، وقرقكوزخان Kirkogz ، وشرا بسخان Sharabaseh ، وخان الخاتون ومن خانات رجال السلطنة ازر توقش خان ، وقراطاي خان Karatay ، وخان حكيم ، وخان زازادين أوسعد الدين) وصوسرخان Susvz، وخان بخوبخالي Goncali ، وخان كيسك كوبرى Kesikkopru ، وخان جاى Gay Han ، وأوراسون خان Dresunوغيرها من الخانات [٣٩] التي بلغت عمارتها خاصة في نهاية القرن الثالث عشر درجة كبيرة من التطور والفخامة وحسن الإبداع .

ومن أعظم الخانات السلطانية وأكثرها روعة واتساعاً وتطوراً من الناحية المعمارية " سلطان خان " على طريق قونية – أقسرا حيث يبلغ اتساعه (٤٥٠٠ متر مربع) وكان لهذا الخان مسجداً عبارة عن صفة تقوم على أربع دعائم تتوسط فناء الخان وكأنها بناء تذكاري في ميدان عام .ومداخل الصفة الأربعة حولت المسجد

---

(٣٨) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية الإسلامية ف العصر العثماني (القاهرة – ١٩٨٧) ، ص ١٥-١٦ .

(39) Combe , J . S et G.W and others : op . cit ., T.XI p . 166 , T.X pp 3-5 , T.XI pp . 96-98-103-107-171-75 , T.X pp . 49-50 , 202 , T.XI pp . 12-13—83-126-127 . ; Cahen : Le commerce anatolien ., pp . 92-96 . ; Cahen : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., p . 46 . ; Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., pp . 222-223-479 . ; Turan : Anatolia in the period of the Seljuks ., p . 259 .

أوقطاي أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٢٢-١٣٦ . ؛ زكي محمد حسن : فنون الإسلام ،ص ٩٦-٩٧ . ؛ حسن الباشا : مدخل إلي الآثار الإسلامية (القاهرة ١٩٨٩) ، ص ١٩٢-١٩٣ .

كله إلى قطعة من الزخرفة تزين فناء المبنى ويبدو هذا الخان - للناظر من الخارج - كحصن مهيب بفضل الابراج المتنوعة التى تدعم جدرانه ، أما النقشات الموجودة به فتعرف منها أن مؤسسة علاء الدين كيقباذ الأول وتم معظم البناء سنة ١٢٢٩م (٦٢٦هـ) والذى أشرف على بنائه المهندس محمد الدمشقي . ويلاحظ بوضوح لمسات هذا المهندس في الزخارف والحليات التى استقيت من عمائر الزنكيين فى سوريا ، ويبلغ امتداد واجهة المدخل الرخامية وأبراجها الركنية المثيرة ٥٠ مترا أما الواجهة بأكملها فتبلغ ١١٠ مترا ، وعلى يمين المدخل إلى الخان عقود وبوائك الفناء المزخرفة ، وعلى يساره أبواب الغرف والحجرات الفنية بالزخرفة ، ويرى فى مواجهة ظله المسجد وسط الفناء فوق قاعدتها أربعة عقود مفتوحة ، ويتم الوصول إلى مكان الصلاة باستخدام بضعة درجات وفى نهاية الفناء يرى الزائر مدخل البهو المغطى وزخارف المسجد يسيطر عليها الأسلوب الزخرفى السائر فى الخان وبنفس المستوى الرفيع الانيق الذى يشاهد في المدخل الخارجي[٤٠]. والواقع أن خان السلطان ذلك البناء الحجرى الجميل الصنعة يعتبر نموذجا للخانات العظيمة التى أنشئت فيما بعد.

والحقيقة أنه تكررت فى تخطيط هذا الخان العناصر المألوفة إلى جانب بعض التغيرات غير أن الملاحظ فى خان حكيم المعروف بخان الحجر (طاش خان) المقام على طريق سيواس - ملطية ذلك النقش الكتابى ذو اللغات الثلاث : العربية ، الأرمينية ، والسريانية والنص العربى مكتوب بخط الثلث السلجوقى ويذكر أن مؤسس الخان هو الطبيب أبو سالم بن ابى الحسن الشماس الملطى ، قد اكتمل البهو عام ١٢١٨م (٦١٥هـ)[٤١] . وهذه المعلومات تفيد بمراعاة وجود طبقات مختلفة من المجتمع تمثل ثلاث لغات كائنة فى آسيا الصغرى تمثلت فى العربية والأرمينية والسريانية ولغات أخرى.

وهناك وصفا هاما أورده ابن فضل الله العمرى عن إحدى الخانات الشهيرة فى آسيا الصغرى هو خان الأمير قراطاى والذى يقع على طريق سيواس - ملطية يفيدنا كثيرا فى معرفة الشكل المعمارى الذى كانت عليه الخانات فيقول " وهو من أكبر الأبنية سعة وارتفاعا وأحسنها شكلا وأوضاعا ، كله مبنى بالحجر المنحوت المصقول الأحمر الذي كأنه رخام . ومظاهر أسواره وأركانه نقوش لا يمكن أن يرسم مثلها بالقلم وله خارج بابه مثل الربض باين بأسوار حصينة ، مبلط الأرض فيه

---

(٤٠) أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٢٣-١٢٤ .

(41) Comb and others : op . cit ., T.X p . 202 . ; Vryonis : op . cit ., p . 479 .
أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٢٣ .

حوانيت وأبواب الخان جديد من أحسن ما يكون استعماله ، وداخله أواوين صيفية وأمكنه شتوية ، واصطبلات على هذه الصورة لا يحسن الانسان التعبير عنها وفيه الحمام والمرستان والادوية والفرش والأواني [٤٢].

العمائر الجنائزية :

أما عن العمائر الجنائزية (السلجوقية والدانشمندية والمنكوجكية والسلطوقية) فإنها تعتبر من أهم المبانى السلجوقية والتى تعطينا قدراً كبيراً من الثراء المعمارى والعطاء الخلاق ، وكانت مدينة قيصرية هى أغنى مركز لعمارة الأضرحة السلجوقية [٤٣] في آسيا الصغرى.

وكانت الأضرحة ذات القباب بنيت فى أول أمرها بالطوب أو الحجر ، لكنها فيما بعد صارت تبنى بالحجر وكذلك كانت فى البداية مبان مستقلة بذاتها ثم أصبحت بعد وقت تبنى ضمن تخطيط يضم مدرسة ومسجداً . أما بالنسبة لأشكالها فقد كان هناك الشكل الغالب الذى كان عبارة عن المقبرة ذات السقف الهرمى أو المخروطى القابع فوق جسم ذى ثمانية أضلاع أو عشرة أو اثنى عشر ضلعاً أو فوق جسم اسطوانى ، كما كان هناك مقابر أبدانها ذات فصوص أو مقابر ذات تخطيط مربع وعليها قباب وأيضاً مستطيلة تغطيها الاقبية أو مقابر مبالغ فى ارتفاعها فوق قواعد مربعة ، وكانت المقبرة تغطى داخليا بالقبة وخارجها بسقف مخروطى أو هرمى كما كان يوجد تحت الأرض سراديب للدفن باسم موميالق Momyalik، وقد أظهرت المقابر المبنية بالطوب مدى التأثر بالأضرحة ذات القباب فى إقليم مراغه بأذربيجان[٤٤].

ومن المقابر السلجوقية التى ترجع الى القرن الثانى عشر والتى تعتبر احدى نماذج العمائر السلجوقية مقبرة السلطان قلج أرسلان الثانى المتصلة بالجانب الشمالى لمسجد علاء الدين فى قونية ، وهو عبارة عن جسم منشورى من عشرة أضلاع من الحجر المنحوت وسقف هرمى ، أما عن الداخل فأسطوانية الشكل وذات قبة . ولم يبق سوى القليل من النقوش الكتابية نقرأ من بينها آيه الكرسى وهى بالخزف وبحروف بارزة بيضاء على أرضية لاذوردية ومكانها أسفل السقف الهرمى ذى الأضلاع العشرة وثمة نقش حجرى بدون تاريخ ومن سطرين موجود تحت السقف

---

[٤٢] ابن فضل الله العمري : " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار "، السفر ٣-٤ ، ص ١٤٥-١٤٦ .

(43) Cuneo (p) : The Architecture in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p. 104 . ; Bosworth (C.E) : Saldjukids in Ency of Islam vol III p. 964 .

[٤٤] أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١٠٨ . ؛ أرنست (كونل) : الفن الإسلامي ، ص ٥٧-٥٩ .

فى جهة الشرق يقول " إن بانى المقبرة هو قلج أرسلان بن مسعود ، ثم تقرأ بعد ذلك اسم البناء " يوسف بن عبد الغفار " من خوجند وهى مدينة قرب نيسابور تضم هذه المقبرة ثمانية توابيت من احجام مختلفة ، .....ونقرأ عند رأس التابوت الثانى من جهة اليمين " ربنا ارحم قلج ارسلان بن مسعود ، مؤسس هذه المقبرة الشهيد المبتهل أبا الفتوحات ....ويبدو أن ثمانية من رفات سلاطين آل سلجوق ربما يكونوا مدفونين فى هذا البناء المتواضع(٤٥).

وهناك المقبرة التى تحمل اسم (ملك غازى) المنكوجكى فى كماخ وهى عبارة عن بناء مرتفع من الطوب له ثمانية اضلاع وسقف هرمى هذه المقبرة عكست التقاليد الفارسية فى استخدام الحجر الموزايك (٤٦).

ومن أعظم الآثار الجنائزية فى آسيا الصغرى مقبرة فى ترجان Terdjan مقبرة ماما خاتون ، وهذه المقبرة فى غاية الأناقة والدقة وكلها من الحجر المنحوت وأسلوبها المعمارى فريد من نوعه بآسيا الصغرى (٤٧) . كما أن قبر كومبت Kumbet الذى يعود تاريخه إلى القرن الثانى عشر والذى يخص السلاتقه فى ارزروم قد عكس التقاليد المحلية القديمة (٤٨) فى بنائه المعمارى.

وهناك مقبرة فى قيصريه تخص ما هيرى خواندخاتون بتاريخ ١٢٣٨م (٦٣٦هـ) وهى زوجة علاء الدين كيقباذ الأول وأم كيخسرو الثانى خليفته ، وهذا الضريح يدخل ضمن المبنى المجمع الخواند الذى شيدته هذه السيدة وقد أضيفت فى وقت لاحق فى الزاوية التى يتصل فيها المسجد بالمدرسة ويتم الوصول إلى المقبرة بواسطة سلم يبدأ من إحدى غرف الطلاب بالمدرسة وهناك مقبرة الملك غازى في قيرشهر Kirsehirوهناك نقش كتابى على المدخل الرخامى الغنى بزخارفة وطاقيتيه المقرنصة يفيد أن المقبرة بنيت على يد إحدى زوجات مظفر الدين محمد شاه المنكوجكى كما كان للوزير قرة طاى Karatay والذى له العديد من الأعمال المعمارية السلجوقية مقبرة تقع على يسار إيوان فيه مدرسته فى قونيه ويرجع تاريخها إلى سنة ١٢٥١م وفى قيصرية أغنى مركز لعمارة الاضرحة السلجوقية توجد مقبرة دونز Doner Kumkedوالتى كانت تتمتع بوفرة من الزخارف الآدميه المحفورة ، وتجىء أخلاط بعد قيصرية من حيث كثرة عدد اضرحتها وتنوع صيغتها

---

(٤٥) أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١١١ .

(46) Arik (o) : The culture of the Seljuk in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 35 .

(47) Leiser (g) : Saltuk in E.I ., vol . VIII . p . 1001 .

أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١١٣ .

(48) Arik (o) : op . cit ., p . 35 .

الفنية من حيث إنها إحدى المراكز القديمة للفن والعمارة فقد تدرب فيها المهندسون ورؤساء العمال الذين تصادف أسماؤهم على الكثير من العمائر في آسيا الصغرى ، وقد ترك الترك هنا أمثلة لا تحصي من الأضرحة المبنية بالحجر المتنوعة التصميمات المتعددة الزخارف – المنتشرة هنا وهناك كأنها متحف يعرض أعمال فنانيهم أو كأنها نماذج تجلى عصرهم وثراءهم خاصة في المرحلة ما بين القرنين الثاني عشر والرابع عشر [٤٩].

لم تكن عمارة الأضرحة في آسيا الصغرى في المناطق التي تقع تحت مظلة الأتراك المسلمين قاصرة فقط على السلاطين وزوجاتهم وأمرائهم لكنها أيضاً كانت تشمل فئات كثيرة من المجتمع خاصة رجال الدين فقد وجد قباب لقبر المجاهد الغالب سيدي بطال " صاحب الكرامات " في قرا حصار " أفيون"[٥٠] وقبر "مولانا جلال الدين الرومي" ولد بهاء الدين في قونيه والذى أصبح من المزارات الدينية في آسيا الصغرى وكان يأخذ شكل التقديس [٥١] وأخيراً يمكن القول أنه ليس هناك ثمة تشابه كثير بين المقابر والأساليب الخاصة بالدفن الإسلامي بين الترك المسلمين في آسيا الصغرى والأيوبيين في سوريا القريبين منهم [٥٢].

ومهما يكن من أمر فقد كانت العمارة من أهم المجالات التي تفوق فيها المسلمون في العصور الوسطى وتزخر آسيا الصغرى بجميع أنواع العمائر حيث خلف لنا المسلمون الأتراك كثيراً من الأبنية كالمساجد والمدارس والاضرحة والقصور والبيمارستانات والأسبلة والأبراج ، ومازال كثير منها باقياً حتى الآن ويزوره السياح من جميع بقاع الأرض ليظل شاهداً عليهم [٥٣].

التطريـز :

وكان إنتاج الأقمشة والمنسوجات الجميلة من أهم مميزات الفنون الإسلامية في آسيا الصغرى حيث تعتبر آسيا الصغرى من أهم الأقاليم التي قام على أكتافها الفن في العالم الإسلامي خاصة وأن هذا الإقليم البيزنطى الكبير كان يضم قبل الإسلام مراكز هامة لنسج الأقمشة الحريرية الممتازة وزخرفتها بالرسوم الجميلة.

---

(49) **Comb and others :** op . cit ., T.XI pp . 47-48-179-180 . ; **Bosworth (C.E) :** Saldjukids in E.I vol III p. 964 .

أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ١١٦-١١٩ .

(٥٠) عالي : فصول حل وعقد أصول خرج ونقد ، ص ٣٥ .

Cahen : Ibn Said sur l'Asie Mineure ., p . 42 .

(51) **Hamdallah Mustawfi Al-qazwini :** Nuzhat-Al-Qulub ., p . 98 .

(52) **Bosworth (C.E) :** Saldjukids in E.I vol III p. 964 .

(53) **Turquie** . La Region de L'est de L'Anatolie . Ministere du Touris me de la Republiquie (Turqie – 1995) .

وقد ذكر الرحالة الإيطالي ماركوبولو الذى زار أسيا الصغرى فى الربع الأخير من القرن الثالث عشر أنه كانت تصنع هناك " الحرائر المصبغة بالأرجوان وغيره من الألوان [٥٤] . ومن المنسوجات السلجوقية التى تنسب إلى آسيا الصغرى فى القرن السابع الهجرى (١٣م) قطعة من الديباج الرائق المنسوجه من الحرير الموشي بخطوط الذهب في متحف الغرفة التجارية بمدينة ليون. وقوام زخرفتها دوائر من أشرطة ذات وريدات وتضم هذه الدوائر رسوم سباع متدابرة ولا ذيل لها فوق أرضية من الزخارف نباتية وفى طرف القطعة بقية شريط من الكتابة النسخية نصه " : (علاء الدنيا) والدين أبو الفتح كيقباذ بن كيخسرو برهان (أمير الخومنين) " ، فهي تشير إذن إلي السلطان كيقباذ الأول أشهر سلاطين سلاجقة الروم ما بين عامى ٦١٦ و ٦٣٤ هـ (١٢١٩ و١٢٣٦ م) أو كيقباذ الثانى ما بين عام ٦٩٦و٧٠٠ هـ (١٢٩٦ و١٣٠٠م) [٥٥].

والواقع أن صناعة النسيج تطورت بفضل عناية سلاجقة الأناضول بها وكانت أقمشتهم الحريرية موضع تقدير وإشادة من جانب المؤرخين العرب الذين أطلقوا علي حرير الاناضول أسم الحرير الرومي تميزاً له عن أنواع الحرير الأخرى . وبالإضافة إلى القطعة الحريرية الموجودة فى متحف ليون فتوجد قطعة ثانية من قماش موشي بالذهب فى عصر السلاجقة بآسيا الصغرى عليها صورة نسر برأسين ، ومن حول ذلك إطار على هيئة درع ، أما المسافات الأخرى الخالية فتشغلها تفريعات نباتية تنتهى أطرافها الدنيا بشكل ثنيتين متقابلين وهذه القطعة محفوظة بمزار القديس أبو للوتاريس بكاتدرائية ، زيجبورج ويتضح من الامثلة التى ما تزال باقية من هذه الأقمشة أن صور الطيور والحيوانات كانت هى الموضوعات المفضلة فى زخرفة المنسوجات زمن سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى[٥٦].

أما عن السجاد فلا خلاف في أن مواطن السجاد على صنعته المعروفة اليوم هو الشرق وما بين آسيا الصغرى إلى الصين وأن أجوده جاء من فارس وبلاد الترك[٥٧].

وكانت آسيا الصغرى تعادل إيران فى مقدار ما تنتجه من السجاد الذى كان يصدر إلى مختلف الآفاق . ومن حيث النوع كان السجاد التركى من ابدع السجاجيد الشرقية وذلك لأن الاناضول وفيرة المراعى يجود الصوف فى جوها

---

[٥٤] ماركوبولو : " رحلات ماركوبولو " جـ ١ ، ص ٥٠ .

[٥٥] زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٣٧٦ . ؛ زكي محمد حسن : أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الإسلامية ، (القاهرة – ١٩٥٦) ،ص ١٩٢-٤٧١ .

[٥٦] أوقطاى أصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ٢٨٤ .

[٥٧] أحمد زكي : " الأبسطة والسجاجيد " ، مجلة الثقافة ، عدد رقم ١١ (مارس ١٩٣٩) ، ص ٥٣ .

البارد وأرضها الجبلية وعلى مقربة من مراكز النسج مياه خاليه من الأملاح يغسل فيها الصوف فتجود صباغته بعد ذلك (٥٨).

ونسج السجاد قديما في آسيا الصغرى وكان أدق وأشمل وصف ما ذكره الرحالة ماركوبولو حين قال عند حديثه عن مقاطعة تركمانيا بآسيا الصغرى " تصنع هنا أحسن وأجمل أنواع البسط السجاجيد " (٥٩).

ويظهر في تلك السجاجيد التركية القديمة التي وصلت الى العصر الحاضر معظم المميزات التي احتفظت بها السجاجيد التركيه في العصور التالية . ومن هذه المميزات وجود ساحة أو أرضية متوسطة في السجادة فيها الرسم الرئيسي ويحيط بها إطار أو كنار قوامه أشرطة تختلف في العدد والعرض بحسب نوع السجادة فالساحة تشتمل على رسم هندسي بسيط مكرر أو على أشكال صغيرة متعددة الأضلاع في صفوف ومناطق منظمة أما الإطار فمتوسط العرض وزخرفته من أشكال هندسية أو حروف كوفية غير مقروءة على النحو الذى نعرفه في كثير من التحف الإسلامية حين يعمد الفنانون إلى استعمال الكتابة الزخرفية فينقلون أطراف كلمات أو مقاطع حروف كلمات أو مقاطع حروف يكررونها من غير رعاية للمعنى ونسج السجاجيد المذكورة لا يزال غليظاً بعض الشيء ، ولكن التنسيق بين الألوان الأحمر والأزرق والأصفر فيها يشهد بمهارة وذوق فني لطيف (٦٠).

ومن ناحية أخرى فإن أرنست كونل ، يذكر أن آسيا الصغرى كان يصنع بها السجاد المعروف " بالسجاده المعقودة " وكانت تنتجها الأسر السلجوقية وطريقة العقد كانت معروفة في زمن السلجوقين في آسيا الصغرى ، ويظهر ذلك في القطع التي يفخر بها الآن في أستانبول بمتحف الأوقاف وكانت فيما مضي بمسجد علاء الدين في قونيه . وهي تبدى تبايناً بين وسط السجادة وحاشيتها فالوسط يحتوى إما على نموذج هندسي متواصل وإما على مضلعات صغرى تتكرر فوق المسطح كله ، أما الإطار فيؤديه في العادة أفريز عريض من الخط الكوفي المتكرر غير المفهوم ، وكانت توليفة الألوان من الأحمر والازرق تدل من وجهه اخرى على ثقافة عالية من التلوين فلا يبعد إذن أن يكون تطور السجادة الأناضولية المعقودة كله – ذلك التطور الهائل – قد نبت من مثل هذه البدايات (٦١).

---

(٥٨) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٤١٧ .

(٥٩) ماركوبولو : " رحلات ماركوبولو " جـ ١ ، ص ٥٠ . ؛ سعاد ماهر محمد : الفنون الإسلامية ، ص ١٧١

(٦٠) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٤١٧ .

(٦١) أرنست (كونل) : الفن الإسلامي ، ص ٨٦ .

وعموماً فإن أهم مراكز انتاج السجاد الصوفيه فى آسيا الصغرى هى مدينة أقسرا التى ذكر عنها ابن سعيد المغربى " مدينة أقسرا التى تعمل فيها البسط الملاح " وأكد ذلك أيضاً من بعده الرحالة ابن بطوطة حين قال " تصنع بها البسط المنسوبة إليها من صوف الغنم ، لا مثيل لها فى بلد من البلاد ومنها تحمل إلى الشام ومصر والعراق والهند والصين وبلاد الترك"(٦٢) كما كانت منطقة كاليجالا Qaligala (قيليقية) من المناطق المنتجة للسجاد (٦٣) وهما من أهم مناطق إنتاج فنون السجاد .

الخزف :

أما عن الخزف فقد عرف الإنسان صناعة الخزف من الطين المحروق وغير المحروق منذ عهود ساحقة فى القدم ، وكانت هذه الصناعة فى ذلك الزمن المتقدم الذى سبق قيام الحضارات ، وليدة الحاجة الملحة التى كانت تتطلبها حياة الإنسان، فخلت من الذوق الفنى فى هذه الفترة الموغله فى القدم على أن أهمية الخزف فى العصور الوسطى وخاصة فى عهد الحضارة الإسلامية قد زادت إلى درجة جعلته مركز الصدارة بين الصناعات الأخرى (٦٤).

وفى آسيا الصغرى يشير مؤرخ الفنون التركية أصلان أبا فى كتابه الشهير " فنون الترك وعمائرهم " إلى أهمية صناعة الخزف كواحدة من أبدع فنون الترك بآسيا الصغرى التى شهدت أعظم تطور وأبرعه لصناعة الخزف خاصة فى القرن الثالث عشر ، والواقع أن أعمالهم التى ابتكروها ظهرت بعمائرهم العديدة لتدل على ثراء وافر فى مجال التصميم ونضج واضح فى مستوى الصنعة وقد يجئ هذا الخزف التركى قبل الخزف الفارسى فى المرتبة ، واشتقت هذه التصميمات من تصميمات السلاجقة العظام وهى نفسها التى سادت كل فنونهم الزخرفية ، وحدث للخزف على أيديهم مثلما حدث للفنون الأخرى تقدم سريع وملحوظ فى مجال استخدام الألوان فى مستوى أسلوب الصنعة مما أكسبه وضعاً فنياً مميزاً .وكانت عمائر مدرسة صيرجالى بقونية واحدة من أوائل المنشآت التى استخدمت البلاطات الخزفية على نطاق واسع وبلاطات كوشك قلج أرسلان (١١٥٦-١١٩٢م) فى قونيه ، ترجع من حيث أسلوب الصنعه وطبيعة التصميمات للأساليب الفارسية زمن السلاجقة العظام ، وهناك العديد من البلاطات الخزفية السلجوقية التى تم اكتشافها عن طريق

---

(٦٢) ابن سعيد : " كتاب الجغرافيا " ، ص ١٨٦-١٨٧ . ؛ ابن سعيد : " بسط الأرض في الطول والعرض " ، ص ١١٨-١١٩ . ؛ ابن بطوطة : المصدر السابق ، ص ١٩٦ . ؛ القلقشندي : المصدر السابق ، جـ ٥ ، ص ٣٥١ .
Cahen : Ibn Said sur L'Asie Mineure ., p . 42 .
(63) Hamdallah Mustawfi Al-qazwini : Nuzhat-Al-Qulub ., p . 97 .
(٦٤) سعاد ماهر محمد : الخزف التركي (القاهرة – ١٩٧٧) ، ص ٩-١٠ .

الحفريات التي أجريت بمدينة قونية وتوجد هذه القطع في مناطق برلين وباريس[٦٥].

وكان كثيرا من الفنانين والصناع المهرة قد فروا إلى آسيا الصغرى عقب غزو جنكيز خان لإيران عام ١٢١٩م حيث وجدت توقيعات بعض منهم على قطع الخزف لذلك العهد ، وقد ثبت أن كثيرا منها يحمل توقيعاتهم ، فنجد في مدرسة صرجالي بقونية توقيعا على بلاطات الفسيفساء يحمل اسم " المعلم محمد الطوسي " وهو خرساني الأصل[٦٦].

ولم يقتصر فن صناعة الخزف على الصناعات المعمارية بل استخدم في زخرفة الأواني وقد وجدت أوان خزفية في المناطق التي كانت خاضعة للسلاجقة في آسيا الصغرى وهي ذات طلاء قصديري ، وتشبه إلى حد كبير الأواني التي كانت سائدة في المناطق التي احتلها الصليبيون في بلاد الشام ، وكذلك أواني الدولة البيزنطية في الشمال ، وقد حمل هذا التشابه الأستاذ أرثرلين على أن لا يؤكد نسبتها للسلاجقة وخالفته الدكتوره سعاد ماهر في هذا الرأى [٦٧].

الزخارف :

وكان لاستخراج أحجار الرخام من مقطعة في جبل مرمرا التي سميت باسمه – منطقة مرمرا – دور كبير في أعمال البناء المعماري في آسيا الصغرى[٦٨].

كما أن توفر حجر السنباذج في مدينة سيواس والذي كان كثيرا ما يستخدمه الخراطون والنقاشون دور كبير في الفن وانتعاشه في آسيا الصغرى [٦٩].

وبرع السلاجقة في آسيا الصغرى في كافة أساليب النحت سواء على الحجر أو الجص أو الخشب أو المعدن ، وكان من مميزات الطراز السلجوقي استعمال الرسوم الآدمية ورسوم الحيوانات والطيور والتي كانت كثيرة على العمائر السلجوقية وكان للزخارف المنحوته شأن كبير في زخرفة تلك العمائر ومن أبدع الوجهات ذات الزخارف المنحوته في الرخام وجهة " سلطان خاني " في قونيه وفي مدرسة صرجالي بقونية وكانت العمائر والأسوار أيضا مزدانه بزخارف منحوته من الرخام

---

[٦٥] أوقطاي آصلان آبا : فنون الترك وعمائرهم ، ص ٢٥٠-٢٥١ . ؛ زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٣٣٧ . ؛ أرنست (كونل) : الفن الإسلامي ، ص ٧٦-٧٧ .

[٦٦] سعاد ماهر محمد : الخزف التركي ، ص ١٥ . ؛ أرنست (كونل) : الفن الإسلامي ، ص ٧٦ .

[٦٧] سعاد ماهر محمد : الخزف التركي ، ص ١٦ .

[٦٨] القلقشندي : صبح الأعشي في صناعة الإنشا ،جـ ٥ ، ص ٣٤٤ .

[٦٩] ابن الأكفاني : " نخب الذخائر في أحوال الجواهر " ، ص ٩٧ .

وعدد من المنحوتات الآدمية ونقوش وحيوانات خرافية وعدد من التماثيل القديمة المنحوتة والمنقوشة (٧٠).

كما تقدمت الفنون في مجال التحف الخشبية في آسيا الصغرى في العصر السلجوقي فكانت غاية في الجمال والإبداع وقد تمثلت في الأبواب والمنابر والتوابيت وكراسي المصحف في القسم الإسلامي في متاحف برلين – وبه زخرفة محفور فيه رسوم فروع نباتية دقيقة وفي أعلاه العبارة الآتية بخط الثلث " إن الإنسان يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه " ، وقد تمثلت في المنابر أعظم أعمال الحفر على الخشب وهي تحتل مركزا مرموقا في فنون السلاجقة ويعتبر منبر جامع علاء الدين في مدينة قونية من أعظم التحف السلجوقية شأنا وذلك لغنى زخرفة أجزائه (٧١).

وأخيرا فإن ما يستوقف النظر في زخارف هذه التحف وتلك العمائر السلجوقية ما نشاهده فيها من رسوم الكائنات الحية وقد يبدو هذا متعارضا مع الرأي الشائع من أهل السنة -والأتراك منهم – على عكس الشيعة يكرهون تصوير الكائنات الحية فكيف نراهم هنا قد زينوا العمائر والأقمشة والأخشاب بصور آدمية وصور حيوانية منها المجسم ومنها غير المجسم .والواقع أن التفرقة بين أهل السنة والشيعة من تصوير الكائنات الحية أمر لا أساس له من الصحة ، ولقد سار سلاجقة الروم في هذا الفن على نهج ما ورثوه عن أجدادهم الأولين في موطنهم الأصلي – بلاد التركستان كما أنهم تأثروا أيضا بالتصوير البيزنطي الذي وجدوه سائدا في آسيا الصغرى – تلك البيئة الجديدة التي قدر لهم أن يعيشوا فيها وقد وفدوا إليها ومعهم الكثير من اتجاهات التصوير الإيراني الذي عرفوه منذ استقروا في إيران قبل تأسيسهم لدولتهم في آسيا الصغرى (٧٢) . وهكذا ترك لنا السلاجقة المسلمون في آسيا الصغرى آثارا معمارية رائعة وهذه الآثار تسخر من القائلين بأن الأتراك كانوا قوما همجا(٧٣).

(70) Berchem (Max) et Halil Edhem : Materiaux pour un corpus in scriptionum Arabicaurm ., part .3 p . 75 .

زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٦٣١ . ؛ بروكلمان (كارل) : تاريخ الشعوب الإسلامية، ص ٤٠٥

(٧١) زكي محمد حسن : فنون الإسلام ، ص ٤٧٩-٤٨١ .

(٧٢) محمد عبد العزيز مرزوق : الفنون الزخرفية ، ص ١٧ .

(٧٣) ديورانت (ول) : قصة الحضارة ، جـ ٢ من مجـ ٤ ، ص ٣٣٤ .

وهناك بعض الكتابات الحديثة ذهب بعضها إلى أن حضارة السلاجقة وفنونهم كانت الدعامة الأولى التى أقام عليها الفن العثمانى والمطلع على الفن العثمانى يجد هذا التأثير الكبير (٧٤).

العملة :

أما عن النقود فنود القول أنه يرجع سك النقود بصفه عامة إلى القرن الثامن قبل الميلاد وقد تعامل العرب قبل الإسلام بأنواع مختلفة من النقود أهمها النقود الحميرية والبيزنطية والساسانية وتوقف تداول النقود الحميرية فى سنة ٥٢٥م ، فى حين ظلت النقود البيزنطية والساسانيه مستعمله حتى صدر الإسلام . وتتمثل النقود البيزنطية بصفة رئيسية فى الديناريوس أو الدينار وهو عمله من الذهب وفى الفوليس أو الفلس وهو عمله من النحاس وكان على الوجه فى كل منها صورة الإمبراطور البيزنطى أما النقود الساسانية تتمثل فى الدرم أو الدرهم أو الدراهما وهى من الفضة وكان على وجهها صورة نصفيه لكسري (٧٥).

ويجمع علماء النميات أن الليديين بآسيا الصغرى فى عهد كروسوس Crosus أو فاروق الليدى (٥٦١- ٥٤٦ ق . م) هم أول من سك النقود المعدنية من الذهب والفضة استنادا إلى رأى المؤرخ هيرودوت ، وقد انتشرت هذه السبائك النقدية من ليديا عن طريق المدن الساحلية اليونانية فى آسيا الصغرى إلى بلاد اليونان نفسها حيث تطورت هذه النقود إلى أقصى درجات التطور الفنى وانتشرت على أيدى التجار فى جميع أنحاء العالم ، وقد اتخذت كل دولة إلها لها يرمز إليها فتنقشه على النقود وعلى هذا الأساس سارت سنة الأشكال النقدية حتى العهد الإسلامى حين نقشت على النقود العربية شهادة التوحيد (لا إله إلا الله وحده لا شريك له)(٧٦).

وفى آسيا الصغرى فى القرن الثالث عشر الميلادى تفيد الدراسات الحديثة أن السلاجقة المسلمين قد لجأوا إلى سك عملاتهم فى وصفها لغة وشكلا من الإغريق، وكان ذلك لظروف اقتصادية وكان العنصر المسيحى واضحا فى عملاتهم وقد تأثر أيضا الأراتقة فى عملاتهم بالبيزنطيين (٧٧) وقد وضح ذلك جليا فى العملات أو النقود التى صدرت عن الحكام الدانشمنديين فى سيواس وملطية والسلاطين

(74) Levey (M) : The world of ottoman Art . (London 1975) pp . 17-18 .

(٧٥) حسن الباشا : مدخل إلي الآثار الإسلامية ، ص ٢٦٣ .

(٧٦) عبد الرحمن فهمي : النقود العربية ماضيها و حاضرها (القاهرة – ١٩٦٤) ، ص ١٥ .

(77) Turan (Osman) : les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans ., p . 73 .

السلاجقة الروم سليمان الثاني وكيقباذ الأول حيث ظهرت صورة القديس جورج قديس St.George قبادوقيا الشهير على هذه العملات (٧٨).

وكانت نقود سلاجقة الروم مختلفة تماما عن أصل نقود أبناء عمومتهم السلاجقة العظام فنقودهم المبكره لم تكن نقية ، وقد سكت من النحاس الأحمر خاصة التي ضربت في عهد ركن الدين مسعود الأول ابن قلج أرسلان (١١٥٦-١١١٦م / ٥١٠-٥٥١هـ) والتي كانت صورة مكررة للفلس البيزنطي المعاصر والتي كانت تحمل صورة وجهه كامل للامبراطور والنصف الأعلى من جسم الأنسان على وجهة العملة ، واسم الحاكم على ظهرها (٧٩).

والحقيقة أن هناك شكا في ضرب نقود السلجوقين في آسيا الصغرى منذ بداية تأسيس دولتهم، فقد أشار أحد الباحثين أن مؤسسي الدولة السلجوقية لم يضربوا نقودا بأسمائهم لأنهم كانوا مشغولين بتوسيع ممالكهم وأن ضعف هذه الدولة في هذه الفترة أدى إلى ضربهم النحاس كما أدى إلى ضربهم الفضة سنة٥٨١هـ زمن قلج أرسلان بعد أن أصبحت دولتهم ذات قوة وشهرة عليها إصلاح الأمور المالية وأقدمت عل ضرب المسكوكات الفضية اعتبارا من هذا التاريخ (٨٠).

وكذلك نجد التأثير المسيحي في العملات الدانشمندية حيث تظهر صورة المسيح ويده على رأس السلطان وصورة القديس جورج وهو يضرب تنين وصورة اخرى توضح الطابع البيزنطي في تلك العملات (٨١) ويشير البعض إلى أن التأثير المسيحي على هذه العملات من صور القديسين وغيرهم إنما استعير من الإيقونات المسيحية في قبادوقيا (٨٢).

وكانت العلاقات الطيبة والودية بين القوى الكائنة في آسيا الصغرى والدول المجاورة لها انعكاسا على النقود ، ونلاحظ ذلك واضحا في النقد الخاص بالسلطان مسعود الأول بن قلج أرسلان الأول (١١١٦-١١٥٦ م / ٥١٠-٥٥١هـ) وكان من النحاس حيث تم وضع صورة الامبراطور ألكسيوس كومنين على نقده وفي الظهر

---

(78) **Thierry (N)** : The Rock Churches in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia ., p . 131 .

(79) **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 974 .

محمد باقر الحسيني : نقود السلاجقة ، ص ١٠٧ .

(٨٠) محمد باقر الحسيني : نقود السلاجقة ، ص ١٠٦ .

Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 168 .

(81) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 169 . ; **Vryonis** : The Decline of Medieval Hellenism ., p . 474 .

(82) **Bosworth (C.E)** : Saldjukids in E.I vol III p. 974 .

نقرأ (السلطان المعظم مسعود بن قلج أرسلان) [٨٣] . صحيح إن السلطان مسعود الأول عاصر الامبراطور الكسيوس سنتين من حكمه حيث تولى الأول سنة ١١١٦م (٥١٠هـ) وتوفى الثاني سنة ١١١٨م (٥١٢ هـ) إلا أن نقد مسعود النحاس يوضح أن العلاقة كانت حسنة ومتميزة ، هذه العلاقة التى استمرت منذ زمن أخيه ملكشاه بن قلج أرسلان .

ونجد ذلك واضحا أيضا فى النقود المصورة ذات التأثيرات البيزنطية والخاصة بالسلطان غياث الدين كيخسرو الأول الذى تولى الحكم مرتين الأولى (١١٩٢-١١٩٥م /٥٨٨-٥٩٢هـ) والثانية (١٢٠٤-١٢١٠م / ٦٠١-٦٠٧هـ) ، وكان كيخسرو قد هرب إلى القسطنطينية بعد أن استولى أخوه سليمان على قونيه فأكرمه صاحب القسطنطينية وأصهره أحد البطارقة بزواج ابنته . وكانت النقود قد جاءت مصوره من الوجه بصورة (شخص) ، وفى الظهر تقرأ النص الثانى (المنة لله) السلطان المعظم (أبو الفتح كيخسرو ابن قلج أرسلان) ويرجع بعض الباحثين صورة هذا الشخص إما إلى صورة الإمبراطور البيزنطي ثيودور الأول لاسكارس (١٢٠٤-١٢٢١/٦٠١-٦١٩هـ) الذى كانت علاقته طيبة مع السلطان كيخسرو الأول حيث لجأ إليه حينما غلب على أمره عندما حاول الاستقلال فى بلاده، وأما صورة أحد رجال الدين فى القسطنطينية الذى كان صهرا للسلطان غياث الدين كيخسرو [٨٤] .

وألقت المصاهرة بظلالها أيضا على النقد فى آسيا الصغرى ، ويتضح ذلك فى الدراهم السلجوقية العائدة إلى السلطان كيخسرو الثانى ، فقد كان هذا السلطان مجنونا بحب زوجته الجيورجية الجميلة وأراد أن يضع صورتها على مسكوكاته الأمر الذي لم يستحسنه مستشاروه ، فاستبدل ذلك بوضع برجها على المسكوكة - (الشمس فى برج الأسد) حيث نقرا فوق البرج اسم الخليفة (المستنصر بالله أمير المؤمنيين) ونقرأ على الظهر (ضرب بقونية السلطان الأعظم غياث الدنيا والدين كيخسرو بن كيقباذ) [٨٥].

---

(٨٣) أحمد توحيد : مسكوكات قديمة إسلامية ، ص ١٠٨ . ؛ محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ١٠٧ .
Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 974 .

(٨٤) محمد باقر : نقود السلاجقة ، ص ١١٧-١١٨ .؛ أحمد توحيد : مسكوكات قديمة إسلامية ، ص ١١٤-١١٥ . ؛ أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب ، جـ ٢ ، ص ١٧١ .

(٨٥) ريتشارد بلانت : النقود العربية والإسلامية ، تعريب د. بسام سروج وإبراهيم سروج (الطبعة الأولي - ١٩٩٤) ، ص ١٠٤-١٠٥ .

ونقش اسم (كيخسرو) كذلك على النقود الفضية المضروبة في مدينة حلب سنة ١٢٤٠م (٦٣٨ هـ) للملك الناصر يوسف بن الملك العزيز الايوبي ، بسبب المصاهرة التي تمت بينهما ، إذ تزوج كيخسرو أخت الملك الناصر يوسف ،كما تزوج الامير أخت كيخسرو وقد خطب للسلطان السلجوقي بحلب وثبت اسمه على السكه [٨٦] .

والجدير بالذكر في هذا الشأن أن مناجم الذهب في آسيا الصغرى في المنطقة التي كانت تحت سلطة السلاجقة المسلمين كانت غير متوفرة، وقد انعكس ذلك بدوره على العملة حيث نجد أن معظم عملات السلاجقة المسلمين كانت فضية خاصة في عهد السلطان قلج أرسلان الثاني ولم تستخدم العملات بكثرة إلا في القرن الثالث عشر الميلادي [٨٧].

أما عن الألقاب التي وردت على نقود سلاجقة الروم فنود القول إن المؤرخ المحدث أسدرستم أشار إلى أن السلطان قلج أرسلان الثاني (١١٥٥-١١٩٢م) هو أول سلجوقي أناضولي اتخذ لنفسه لقب السلطان في المسكوكات وأن المراجع العربية المعاصرة تحتفظ بهذا اللقب لأمراء السلاجقة الكبار في فارس ولا تذكر لأمراء الأناضول سوى لقب ملك [٨٨].

والحقيقة أن الإكثار من الألقاب للسلاطين وذوي النفوذ من الوزراء كانت من المظاهر الرسمية في عصر السلاجقة خصوصا تلك التي اصطلح على تسميتها فيما بعد بالنعوت أي الألقاب المركبة التي تتكون من لفظ واحد [٨٩].

وكانت هناك ألقاب كثيرة مثل لقب (برهان أمير المؤمنين) حيث أطلق على قلج أرسلان الرابع بن كيخسرو الثاني في سكة بتاريخ ٦٥٩م[٩٠] و(قسيم أمير المؤمنين) الذي أطلق على كيكاوس بن كيخسرو في سكة بتاريخ ٦٤٤هـ من قونية[٩١] و (السلطان المعظم) حيث أطلق على ألب أرسلان وكيقباذ بن كيخسرو في

---

[٨٦] محمد باقرالحسيني : نقود السلاجقة ، ص ١٢٨ . ؛ أحمد توحيد : مسكوكات قديمة إسلامية ، ص ٢٣٠-٢٣١ .

(87) Cahen : pre-ottoman Turkey ., p . 169 . ; Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 974 .

محمد باقر الحسيني : نقود السلاجقة ، ص ٢٩٣ .

[٨٨] أسد رستم : الروم في سياستهم وحضارتهم ، جـ ٢ ، ص ١٥٦ .

[٨٩] حسن الباشا : الألقاب الإسلامية في التاريخ والوثائق والآثار ، ص ٦٣ .

[٩٠] حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ١٩٨ .

[٩١] حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٢٠٥.

فى سكة بتاريخ ٦٣٠هـ (٩٢) وعبارات أخرى مثل غياث الدنيا والدين -كيخسرو بن قلج أرسلان - الملك لله -ضرب بسيواس سنة ....وسته مايه(٩٣) .

وحملت العملات كثيرا من العبارات والألقاب الأخرى مثل (عز الدين قلج أرسلان بن مسعود - الإمام - لا إله إلا الله وحده لاشريك له (الناصر لدين الله أمير المؤمنيين بسم الله ضرب بقونية) (٩٤) وأيضا (السلطان المعظم ركن الدين) (مغيث الدنيا والدين) (الملك المؤيد) (السلطان الغالب عز الدنيا والدين (السلطان المعظم علاء الدين والدنيا) (٩٥) والعديد م الألقاب الأخرى.

وجدير بالملاحظة هنا حينما قام قلج أرسلان الثانى بالتنازل عن السيادة والعرش سنة ١١٩٢ ، / (٥٨٨هـ) قام بتقسيم ملكه بين أولاده وبناته الكثيرين وقام بمنح كل حقوق السكة لابنه الأصغر غياث الدين كيخسرو الأول الذى حكم قونية (١١٩٢- ١١٩٦ م / ٥٨٨-٥٩٣ هـ) ، حيث قام بضرب العملات التى جاءت على نفس النسق التى ضربها والده غير أن باقى أولاده أصبح لكل واحد منهم شأن ونسق خاص فى ضرب العملات فالابن الأكبر ركن الدين سليمان جعل على عملاته صورة لفارس على عملاته الفضية وغيره أصدر دراهم تقليدية ومعز الدين قيصر شاه ضرب عملات من النحاس الأحمر وعليها خياله (٩٦).

أما الدانشمنديون الذين أدوا خدمات كبرى فى نشر الاسلام فى الأناضول، وبالإضافة إلى الآثار الخيرية التى أقاموها ومازال كثير منها موجودا إلى الآن، فقد لفتت مسكوكاتهم التى تحمل نقوشا باللغتين العربية والروسية نظر الأوربيين منذ زمن بعيد (٩٧) . وكان شعار الدانشمنديون الرسمي أسود اللون مثل شعار الإمارات التركيه الأخرى ودولة سلاجقة الروم فى آسيا الصغرى (٩٨).

ونلاحظ أن أمراء بنى دانشمند اتخذوا الطريقة البيزنطية فى ختم الوثائق الرسمية الخاصة بهم بختم رصاص - مثل ختم ذى القرنين أمير ملطية (١١٥٢- ١١٦١م) وجاءت العملات الدانشمندية على النسق البيزنطى حيث تمثلت على بعض العملات النصف الأعلى من جسم القديس باسيل St. Basil ونقوش وخطوط يونانية ١١٥٤ < A[ci] { OA [yios] B } وعلى ظهر العملة نقوش عربية (الواثق

---

(٩٢) حسن الباشا : المرجع السابق ، ص ٣٣٠-٣٣١ .

(93) Marsden (W.F.R.S) : The oriental coins " Numismata orientalia illustrata . part I p . 88 .

(94) Marsden : op . cit ., p . 86 .

(٩٥) محمد باقر الحسيني : نقود السلاجقة ، ص ١٦٩-١٧١-١٧٣-١٧٤-١٧٧.

(96) Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 974 .

(٩٧) أحمد السعيد سليمان : " تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ص ٣٢٧

(98) Mokrimin (H.Y) : Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 p . 476 .

بالرحيم ذى القرنين) وصور القديسين كانت مسألة شائعة فى الاختام البيزنطية فى شرق آسيا الصغرى . والقديس باسيل على الأخص كان مناسبا لحكام بنى دانشمند لأنه حام قيصرية [٩٩].

والدانشمنديون فى ضربهم لعملاتهم وفى تقليدهم للنسق البيزنطى نجد ظهور بعض العملات وعليها شكل الصليب وأيضا النصف الأعلى من جسد المسيح بالإضافة إلى نقوش يونانية [OMETA] [AMNPA] فعملات الأمير الدانشمندى ذى النون (١١٤٣-١١٧٤م) جاءت باللغتين حيث كانت تحمل على وجهها نقوش وعبارات يونانية OMEMPACAوفى الوسط لقب (عماد الدين) وعلى ظهر العملة لقبين أحداهما يونانى OVIC.TO ،بن الملك محمد [١٠٠] والحقيقة أن مسكوكات الأمير ذى النون والتى تحمل لقب " عماد الدين " كانت خاصة بفترة حكمه الأولى[١٠١] حينما كان حاكما مستقلا فى قيصرية ٥٣٧هـ[١٠٢].

وهناك شيء ملفت للنظر فى العملات الدانشمندية حيث ذكر أحد المؤرخين أن الأمير كمشتكين الدانشمندي بعد أن اكتشف معدن الفضة في أحدي فتوحاته المبكرة قام بضرب المسكوكات الفضية باسمه [١٠٣] غير أن تلك المسكوكات لم يعثر عليها ، ولم يظهر أيضا أى نوع من المسكوكات تحمل اسم هذا الأمير منفردا[١٠٤] وعملات الأمير ذى القرنين (١١٥٢-١١٦١م) قد ظهرت فيها نقوش باللغتين العربية واليونانية كما أضافت إلى عملاته صورة والتى اقتبسها من العملات القديمة لبارسيا Parthia أو Chanaceeme وصورة الملتحى على وجه العمله حملت النقوش الدائرية اليونانية {NAIKTIWNOC AEYTEPIC ,OMERAC AMHPAC AOVAXAPNAIN } والعربية (الواثق ذو القرنين بن عين الدولة) [١٠٥].

وبالنسبة لعملات الأسرات التركية الأخرى فى آسيا الصغرى وما حولها كالسلاتقة والأراتقة وأيضا الزنكيين وشمال سوريا جري ضرب عملاتهم على النسق البيزنطى ونقود السلاجقة خاصة فى القرن الثانى عشر الميلادى كانت تشمل أنواع بيزنطية مؤكدة [١٠٦].

---

(99) Vryonis : The Decline of Medieval Hellenism ., p . 470 .
(100) Vryonis : op . cit ., pp . 473-474 .
(١٠١) أحمد توحيد : مسكوكات قديمة إسلامية ، القسم الرابع ، ص ٩٥ .
(١٠٢) هزارفن : تنقيح التواريخ نام ، ص ١٠٢ .
(١٠٣) هزارفن : تنقيح التواريخ نام ، ص ١٠٠ .
(١٠٤) أحمد توحيد : مسكوكات قديمة إسلامية ، القسم الرابع ، ص ٨٣ .
(105) Vryonis : op . cit ., p . 474 .
(106) Vryonis : op . cit ., p . 474 , n . 109 .

والفكرة الأولى التى برزت إلى العقل فى وضع ملامح هذه العملات جاءت من عمل الصناع الوطنين من آسيا الصغرى فى العادات البيزنطية حيث لا يوجد آخرون بدلاء لهم والاستعمالات الرئيسية للتبادل كانت للسكان الوطنيين االذين لم يكونوا يقبلون أو يفهمون العملات الأخرى (١٠٧).

أما النقود الأرمينية فكان لها نسقها ونقوشها الخاصة بها ، فعلى سبيل المثال نقود ثوروس ونقود الملك ليون الثانى (١١٨٦-١٢١٩م) الذهبية والتى كان على أحد وجهيها صورة الملك لابسا حلاه الذهبية جالسا على أريكة تنتهى كل من قائمتيها الأماميتين برأس أسد وعلى رأس الملك تاج مرصع يعلوه صليب ، وعلى كفه الأيمن كرة فوقها صليب وفي يده اليسرى صولجان وقد كتب حول الصورة " ليون ملك الأرمن "، أما الوجه الثانى فيمثل أسد على رأسه تاج وفي يده اليمنى عصا تنتهى من اعلاها بصليب وقد كتب حول الصوره "ليون ملك الأرمن بإذن الله"، وقد صار رسم الأسد المتوج شعار ملوك الأرمن فى قيليقيا (١٠٨).

غير أنه في عهد الملك هيثوم الذى تولى حكم أرمينية منذ سنة ١٢٢٦ إلى ١٢٧٠ تعرضت المملكة لاجتياح السلاجقة فى عهد كيقباذ مما انعكس ذلك على النقود المتداولة فقد كانت هذه النقود فى ذلك الحين تحمل صورة الملك هيثوم والملكة إزابيل . وبعد خضوع أرمينيا لسلطان السلاجقة اضطر هيثوم أن يسك عملة جديدة تحمل اسمه واسم حليفه الجديد (١٠٩).

وأخيرا فإن الرحالة سيمون أوف سانت كونتين الذى زار آسيا الصغرى سنة ١٢٤٧م اعتز بكميات العملات المصنوعة من هذه المعادن المختلفة ، والسلاطين السلاجقة كانوا قادرين على ضرب العملة واستخدموا الفضة بشكل مطلق في أغراض مختلفة وعملاتهم فى مجال التجارة العالمية كانت متداولة خاصة في مدينة أرزنجان وأرزروم (١١٠).

وهكذا شهدت آسيا الصغرى فى القرن الثانى عشر أو بعد ذلك بقليل العديد من التطورات العلمية والاقتصادية والمعمارية فى كافة المجالات ، وكان لهذا المجتمع وعناصره المختلفة الدور الكبير فى تلك التطورات .

---

(107) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 169 . ; **Nesbitt (j.nl)** : Mints and Money Byzantine in dictionary of the Middle Age , vol 8 .

(108) **Morgan (J)** : Histoire Du peuple Armenien ., pp . 189-167 . ; **Lang (D.M)** : Armenian cradle of civilization , p . 204 . ; **Bedovlian (P.Z)** : Mints and Money Armenian in Dictionary of the Middle Ages . vol 8 . pp . 417-418 .
أستارجيان: تأريخ الأمة الأرمينية ، ص ٢٢٣ .

(١٠٩) عثمان الترك : صفحات من تاريخ الأمة الأرمينية ، ص ١٥١ .
Bosworth (C.E) : Saldjukids in E.I vol III p. 974 .

(110) **Cahen** : pre-ottoman Turkey ., p . 170 .

الخاتمـــة

أتضح من الدراسة أننا لا نستطيع أن نفصل الأوضاع السياسية عن الأوضاع الحضارية ، وإن اقتضت منهجية البحث تناول كل شكل من هذه الأوضاع على حدة ، إلا أن كل هذه الأشكال هي بالفعل متفاعلة مع بعضها البعض وتتأثر وتؤثر وهي كلها في النهاية تصوغ الوحدة الموضوعية الكاملة للموضوع إذا ما أردنا الوصول إلى النظرة الشمولية العلمية.

إن أول النتائج التي يمكن أن يخرج بها الباحث المتعمق في أحداث آسيا الصغرى خلال القرن الثاني عشر الميلادي هو شكل الأساليب التي استخدمتها الأطراف المعنية والقوى المختلفة في هذه العلاقات والتي كانت تتحدد على ضوء المعطيات السياسية التي طرحت ، إذ كانت القضية الرئيسية التي تحكمت في العلاقات بين الإمبراطورية البيزنطية والقوى السياسية في آسيا الصغرى هي مسألة الأملاك البيزنطية في آسيا الصغرى التي انتزعها الأتراك السلاجقة ، وكانت بيزنطة قد رسمت استراتيجية سياسية لحل هذه المسألة من وجهة نظرها وقد اعتمدت هذه الاستراتيجية على التحالفات السياسية والنشاط الحربي.

لذلك نجد أن علاقات بيزنطة بالقوى المختلفة في آسيا الصغرى لم تكن فقط علاقات مواجهة حربية وخصومة بل كانت أيضاً علاقات تقارب واتفاق وتحالف حسب ما تقتضيه الظروف السياسية .وامتلأ القرن الثاني عشر تارة بالقتال الضارى وتارة أخرى بالتفاوض ومعاهدات الصداقة.

ومن خلال الدراسة أتضح أن فتح السلاجقة لآسيا الصغرى لم يكن من قبيل الغزوات الخاطفة ؛ ولا هو في عرف الحركات الحربية ، ولكنه كان نوعاً من الإسكان التخطيطي ،والذي عضده قبل كل شئ الهجرة التركية الكثيفة والمستمرة.

وعلى ضوء هذه الدراسة يتبين أن الحروب الطويلة التي خاضتها الدولة البيزنطية في القرن الثاني عشر لاستعادة آسيا الصغرى من أيدى السلاجقة قد باءت بالفشل ، كما أنهكت العنصر البشرى العسكرى.

أتضح أيضاً أن المجتمع التركي في آسيا الصغرى وإن لم يكن له في بداية الفتح وجود سياسي متماسك ومستقل فقد كانت به كل الإمكانيات المادية والمعنوية التي تكفل لأى تشكيل سياسي صغير أن يتطور ليصبح بدوره دولة كبيرة . ولقد كان عدد من هذه التشكيلات السياسية الصغيرة قد نشأ فعلاً في أماكن نائية من آسيا الصغرى كالدانشمنديين وبني سلدق وبني منكوجك.

وضح أيضاً أن الدولة البيزنطية كان همها الأول من الحملات الصليبية التي مرت على آسيا الصغرى في طريقها إلى الشام هو استغلالها لاستعادة أملاك الإمبراطورية التي فقدت بعد معركة مانزكرت . وهكذا فإن الحملات الصليبية الثلاث

التي مرت على آسيا الصغرى ، قد زادت من موضع الخلاف والتنافر والعداء بين روما والقسطنطينية وخلقت الفكرة التي تحولت إلى حقيقة فيما بعد ، والتي قام الغرب بتنفيذها حين استولى الصليبيون على القسطنطينية سنة ١٢٠٤ م.

أوضحت الدراسة مدى تداخل العلاقات بين البيزنطيين والسلاجقة المسلمون خاصة موضوع لجوء بعض أبناء الأباطرة إلى السلاجقة ، والعكس لجوء بعض السلاجقة إلى البيزنطيين.

كما أتضح أن الحروب الطويلة المتصلة الحلقات بين القوى المختلفة في آسيا الصغرى لم تعبر إلا عن وجه واحد فقط من الأحداث في آسيا الصغرى حيث تصور الكثيرون أنه لم يكن هناك بآسيا الصغرى إلا لغة واحدة للتفاهم هي لغة السيوف والحراب . والحقيقة أن تلك الصورة لم تعبر إلا عن وجه واحد فقط من أوجه الأوضاع التاريخية في آسيا الصغرى ، إذ الثابت أن هذه الأوضاع لم تكن حربية فحسب ، بل كانت أيضاً حضارية على أوسع نطاق .

وحينما نجح السلاجقة في فتح آسيا الصغرى وجدوا شعباً غير مسلم مؤلفاً من عناصر أثنوغرافية مختلفة الأصول والمصادر ، اليونانيون سكان البلاد الأصليين والأرمن والسريان واللاتين والفرس وأيضا العرب . وثبت بالدليل أن السلاجقة المسلمين عملوا على إقامة العدل والمساواة بين رعاياهم ، وعاش المسيحيون في كنفهم حيث سعوا إلى التخلص من عمليات الاضطهاد الديني المستمر التي كان البيزنطيون يمارسونها.

كشفت الدراسة عن النتائج الديموجرافية المترتبة على ظاهرة المصاهرة بين الترك المسلمين في آسيا الصغرى والبيزنطيين ومدى انتشار هذه الظاهرة لدى الطبقات الدنيا والعليا.

ألقى البحث أضواء جديدة على مدى انتشار ظاهرتي التصوف والفتوة في مجتمع آسيا الصغرى المسلم ، وكيف هاجر إلى آسيا الصغرى كبار مشاهير الصوفية ، وكشفت الدراسة عن كيف لعب هؤلاء دوراً كبيراً في المجتمع.

ومن النتائج التي توصلت إليها الدراسة كيف أن آسيا الصغرى علا نجمها العلمي بقدوم السلاجقة ، فقد كانت الحركة العلمية فقط في الأديرة والكنائس المنتشرة في ربوع آسيا الصغرى ، غير أنه مع قدوم السلاجقة اهتم السلاجقة بإنشاء المؤسسات الدينية والتعليمية كالمساجد والجوامع والمدارس ، كما ألقت الرسالة الضوء على النشاط الفكري عند السلاجقة وكيف اهتموا بعلوم القرآن الكريم والحديث والفقه والفلسفة والتاريخ والعديد من فروع العلم المختلفة.

تمتعت آسيا الصغرى بفترة طويلة من الرخاء الاقتصادي ، وكانت مجالاً واسعاً إلتقى فيه الشرق بالغرب ، حيث وجهت القوى المختلفة الكائنة بآسيا الصغرى اهتمامها إلى التجارة باعتبارها أبرز مواردها الاقتصادية كما حرصت القوى المختلفة في آسيا الصغرى على تحسين مواردها الزراعية جنباً إلى جنب مع التجارة لإنعاش أحوالها الاقتصادية.

كانت آسيا الصغرى بحق من المناطق البالغة الأهمية ، فهي مستودع تجارة العالم في ذلك الوقت خاصة تجارة وسط آسيا إلى أوربا ، وامتلأت آسيا الصغرى بالمتاجر الكبيرة والأسواق الكاملة العامرة بالحاصلات وما من شئ يرغبه المرء إلا وجده في أسواقها لأنها كانت بمثابة همزة الوصل ومعبر للقوافل التجارية بين الشرق والغرب في العصور الوسطى.

وفي مجال الفنون وبعد استقرار السلاجقة في آسيا الصغرى ، ظهر أنهم كانوا بصفة عامة من محبي ومشجعي الفن ؛ يتذوقونه ويعنون به وكان من أجل حسناتهم أنهم منحوا الصناع الفنانين تأييدهم البارز وتشجيعهم المستمر ، ولقد ترتب على هذه السياسة أن ظهر لهم فن واضح المعالم ، بارز الشخصية هو الفن السلجوقي في فروع مختلفة من الفن ، ولقد ترك لنا السلاجقة أمثلة لا تحصي في العمارة والفنون منتشرة هنا وهناك في آسيا الصغرى (تركيا) حتى أصبحت متحف مفتوح لعرض أعمال فنانيهم ونماذج لثراء عصرهم في الفن.

وهكذا لم تمنع الحروب التي دارت طوال القرن الثاني عشر في آسيا الصغرى من الإبداع في كل المجالات ، فقد كان هناك رجال نشيطون متدينون ، اتجهت أفكارهم إلى الإنسانية العامة وإلى تصور جديد للعلم والحق والفن والجمال.

الملاحق والخرائط

- الملحـق الأول (١) : بدايـة التحـول (وضـع الأقاليـم والمـدن والقري في آسيا الصغري مع الغزو التركي).
- الملحق الثـاني (٢) : خريطـة (آسـيا الصغـرى في القـرن الحادي عشر الميلادى).
- الملحق الثالث (٣) : (صور مختلفة تمثـل العمـارة والفنـون فى آسيا الصغرى).

الملحق الأول (١)

بداية التحول

وضع الأقاليم والمدن والقرى فى آسيا الصغرى مع الغزو التركى

WESTERN ASIA MINOR

TOWNS AND VILLAGES		ENVIRONS OF TOWNS AND VILLAGES		PROVINCES	
Cyzicus- C,C,X	فيزيقوس	**Apollonias-P**	ابولوباديوم	**West Anatolia-x**	غرب الأناضول
Apollonias-c,x	أبولونياس	**Lopadium-P**	لونياس	**Dorylaeum-**	دوريليوم،
Lopadium-X	لوباديوم	**Poimamenum-P**	بوامامينوم	**Iconium-P,E,p,E**	قونيه
Cius-C	خيوس	**Abydus –P,P**	أبيدوس	**Thynia-Bithynia-P p,p,p**	بيثنيا
Poimamenum-X	بوامامينيوم	**Adramyttium-p,p,F**	أدراميتوم	**Propontis and Mysia**	بروبنتس،
Adramyttium-X	أدراميتوم	**Chliara- F,P**	خليارا	**p,p, p**	ميسيا
Calamus-X	كلاموس	**Pergamum- F,P**	بيرجاموم	**Caicus, Hermus**	قايقوس
				Cayster	وهيرموس
Meleum – X	ميلوم	**Smyrna –P**	سميرنا	**And Maeander, p,p,p**	مياندر
Smyrna-c,x	سميرنا	**Clazomenae –P**	كلازوموني	**Phrygia-p**	فريجيا
Calzomenae-c,x	كلازموني	**Phocaea- P**	فوكيه	**Paphlagonia-p**	بافلاجونيا
Phocaea-c,x	فوكيه	**Ephesus-P,P**	افيسوس	**Pisidia- p**	بيسيديا
Sardes-c	سارديس	**Philadelpheia-P**	فيلادفيا	**Lycia -p**	ليكايا
Nymphaeum-c	نيمفايوم	**Attaleia-P**	اتاليا		
Ephesus-c,x	أفيسوس	**Dorylaeum-P**	دوريليوم		
Philadelpheia-c	فيلادفيا	**Cotyaeum- x**	كاوتيوم		
Tralles-x	تراليس	**Sozopolis –p**	سوزوبوليس		
Louma-x	لوما	**Lampe – P**	لامب		
Pentacheir-x	بنتاخير	**Laodiceia –p**	لاوديكيا		
Melanoudim-x	ميلانوديوم	**Chonae – p**	خوناى		

Latrus-x	لاتروس
Strobilus-x	شتروبوليس
Attaleia-x,B	أتاليا
Nicomedia-c,x	نيقوميدا
Nicaea-c,x,B	نيقية
Prusa-C,X,B	بروسا
Claudiopolis-B	كلاديوبوليس
Pithecas-c	بيزيكاس
Malaginax	ملاجنا
Dorylaeum-X,C	دوريليوم
Cotyaeum-X,X	كاتيوم
Amorium-X	عمورية
Cedrea-C	سيدرا
Polybotus-c	بوليوبوتوس
Philomelium-c,x,x	فيلوميلوم
Myriocephalum-x	ميريوكيفالون
Sozopolis-c,B,x	سوزوبوليس
Chonae-X,C	خوناى
Laodiceia	لاوديكيا
Hierapolis-X	هيرابوليس
Tripolis-X	تريبوليس
Tantalus-X,E	تانتالوس
Caria-X,E	كاريا
Antioch ad	انطاكة
Maeandrum X	مايندروم
Choma-	جومـــا —
Soublaion	سوبلايون

تابع الملحق الأول (١)
EASTERN ASIA MINOR

TOWNS AND VILLAGES		ENVIRONS OF TOWNS AND VILLAGES		PROVINCES	
Caesareia-x	قيصرية	Marash-P, C	مارش	Cappadocia-p,p,p,F	قبادوقيا
Arabissus-x	أرابيسوس	Kaisum-s,M,E,P,X,X	كايسوم	Pyramus R,-E,P	بيراموس
Albistan-E,X	البستان	Tell Bashir- S,M,E,P,X,X	تل باشر	Armenia – M,E,F,P	أرمينيا
Kaisum-F,x,E,x	كايسوم	Edessa-P,X,P,P	الرها	Lake Van-P, P	خيرة فان
Edessa-B,B,X,B,x E,M,M	الرها	Hisn Mansur – M, E	حصن منصور		
Nisibis-X	نيسيبس	Gargar- P	جارجار		
Gargar- X,E,X,E	جارجار	Seveverek-P	سفيرفيرك		
Melitene-X,M,E, e,x,B	ملطية	Melitene-P,P,P,X	ملطية		
Bar Mar Sauma-x,x,x,c	بارمارصوما	Chliat- P	خلياط		
Sebasteia - X,N,E,C,X,X,C	سباستيا	Perkri -P	بيركرى		
Artze-X,F	أرتز				
Ani X,C	آنى				
Zorinak-X,M	زورنياق				

NORTHERN ASIAMINOR

Sinope-X,C	سينوب	Gangra- X,F	جانجرا
Trebizond-X, C	طلاابيزون	Castamon-X,F	قسطمونى
Amisus-C	أميسوس	Amaseia- X,F	أماسيا
Paipert –B,C	بايبرت		
Coloneia	كولونيا		
Neocaesareia-X,C	نيوقيصرية		
Amaseia- B,C	أماسيا		
Castamon- X,X	قسطمونى		
Doceia-C	دوكيا		
Comana- C	كومانا		
Euchaita- C	ايوخايتا		
Pimolissa –C	بيموليسا		
Gangra- C,X	جانجرا		
Dadybra- C,F	داديبرا		

SOUTHERN ASIA MINOR

Seleuceia- X	سيلوقية	Pyramus Vally-P	بيراموس
Mopsuestia- X	موبسوستيا		
Corycus – X	قوريقوس		
Adana- X,E	أدنة		
Pracana	براكنا		

تابع الملحق الأول (١)

CENTRAL ASIA MINOR

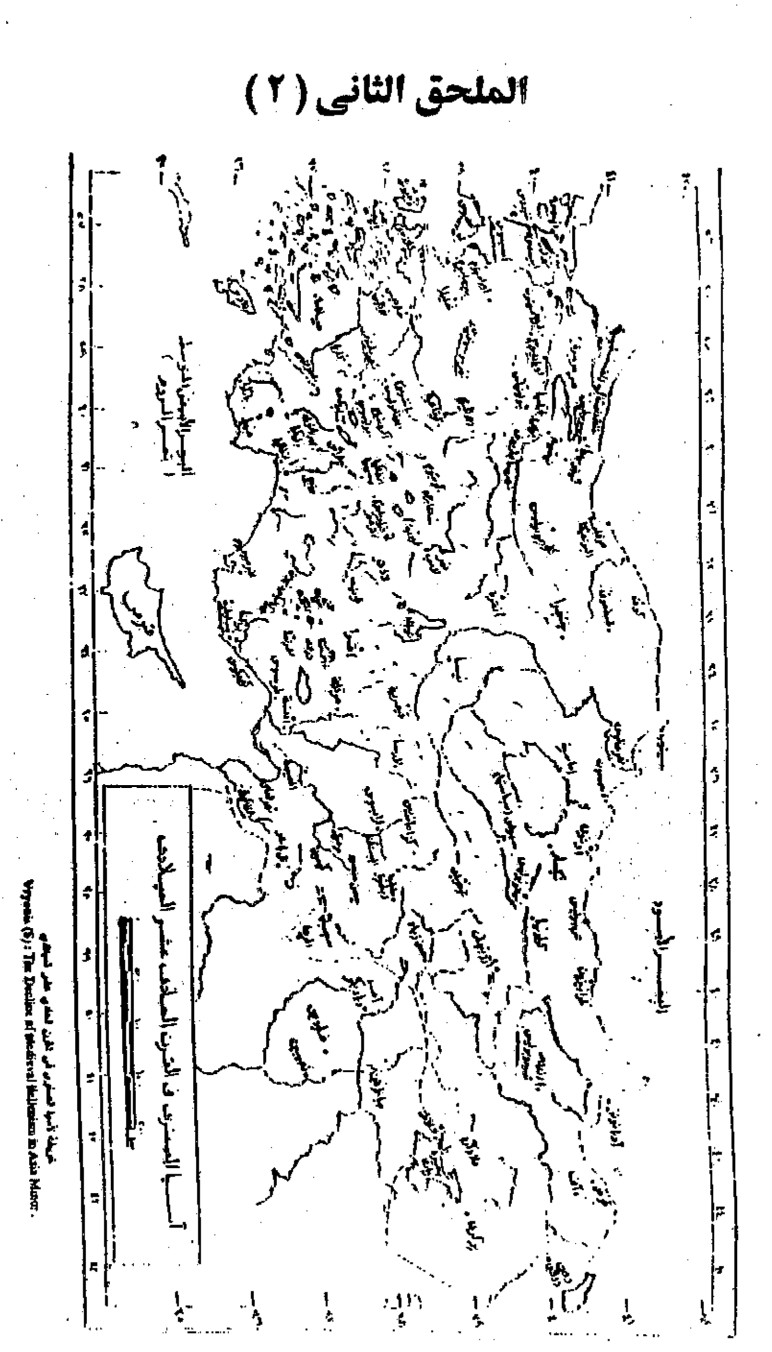
Iconium – X,M	ونية	**Ankara- P,P**	أنقرة
Ankara-X,C,C	أنقرة	**Iconium – P,P,P**	قونية
Coloneia	كولونيـــا		
Archelis-X	أركيلاس		
Laodiceia	لاوديكيـــا		
Combusta-x	كومبوستا		

P	Pillaged	عمليات نهب	**X**	Sacked or destoryed	عزل وتدمير
E	Enslaved	عمليات استرقاق	**C**	Captured	أسر وغنيمة
M	Massacrsd	مذابح	**B**	besieged	عمليات حصار
F	flight	هروب وفرار			

Vryanis (Speros) :

The Decline of Medieval Hellenism in Asia Minor and the Process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth century (California 1971) pp.166-167.

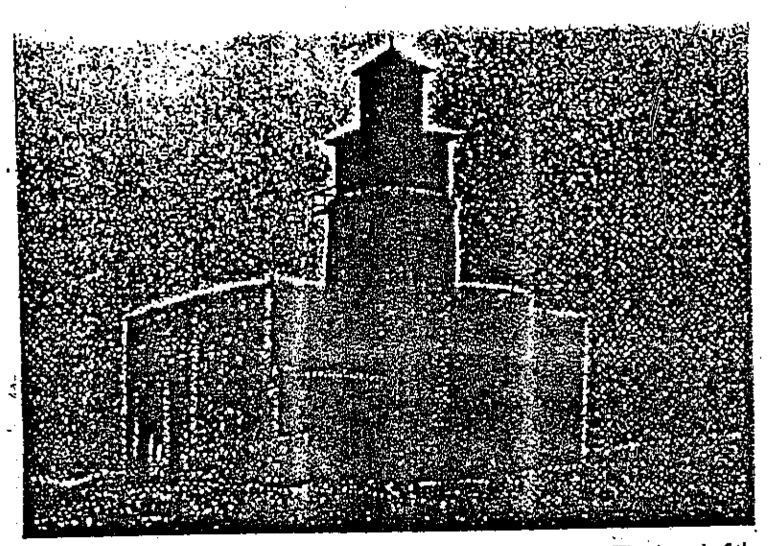
الملحق الثانى (٢)



خريطة لآسيا الصغرى في القرن الحادي عشر الميلادي

Vryonis (S) : The Decline of medieval hellenism in Asia Minor .

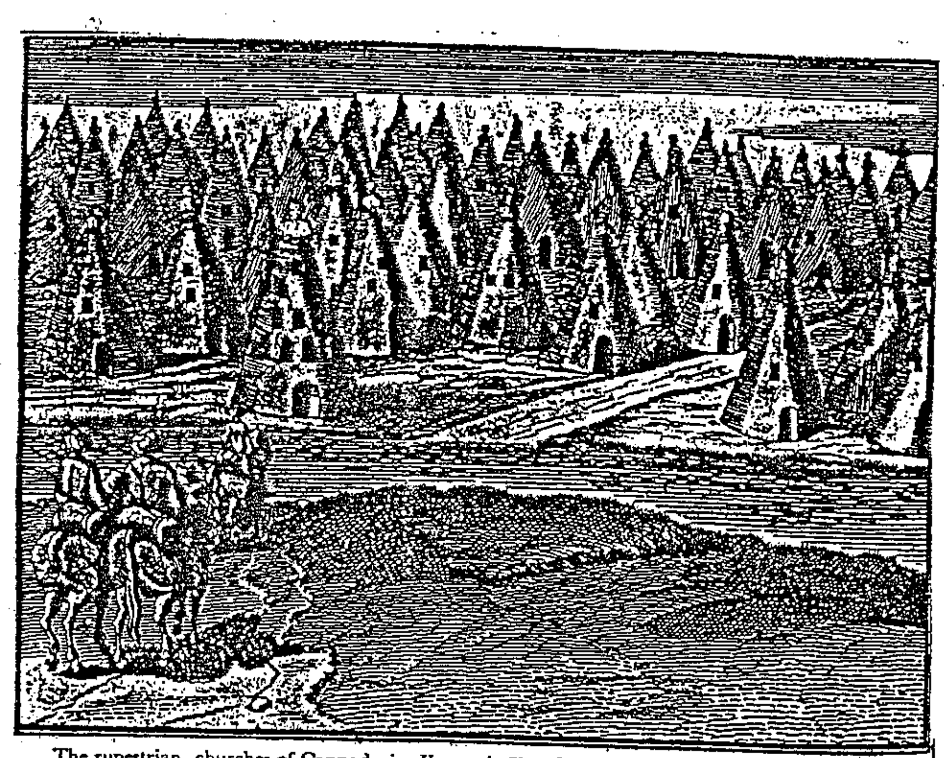
الملحق الثالث (٣)



The former church of St. Amphilochius at Konya as a mosque, *The Annual of the British School at Athens*, XIX (1912–13), 123, fig. 1 (courtesy Macmillan and Co., Ltd., and British School at Athens).

شكل (١) : كنيسة القديس أمفيلوكيوس St. Amphilochius

Vryonis (S) : The Decline of medieval hellenism in Asia Minor . p . 463 .



The rupestrian churches of Cappadocia, *Voyage du Sieur Paul Lucas* (Amsterdam, 1714), p. 129.

شكل (٢) : كنائس قبادوقيا

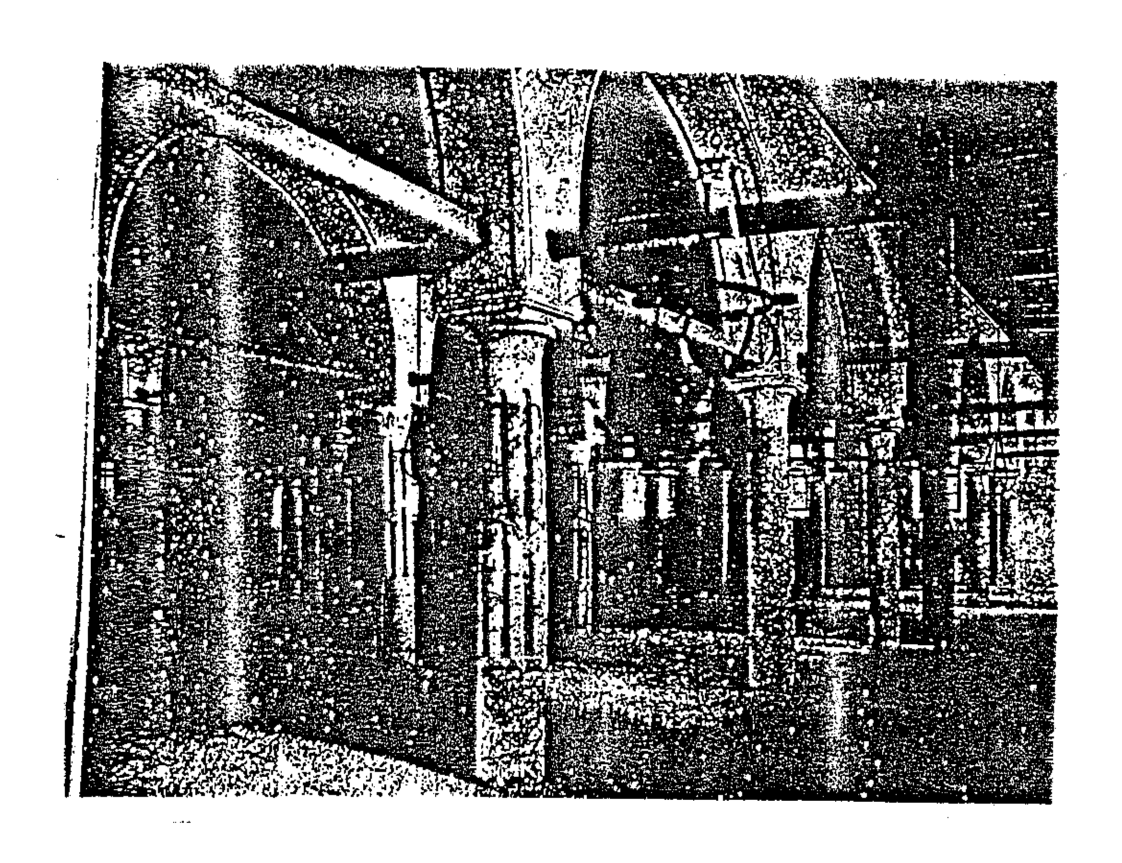
Vryonis (S) : The Decline of medieval hellenism in Asia Minor . p . 465 .

The largest town under the Seljukids before the Mongols: it eventually became the capital. See p. 201.



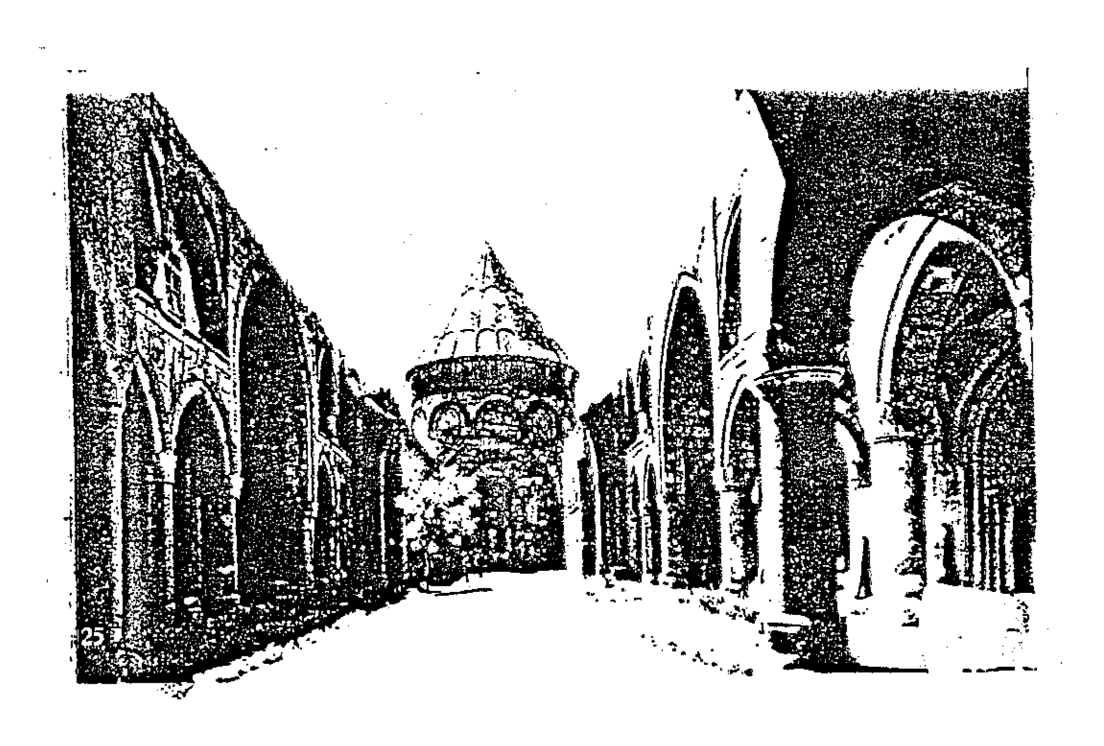
شكل (٣) : مدينة قونية عاصمة سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى

Cahen (C) : pre – ottoman Turkey . p . 379 .

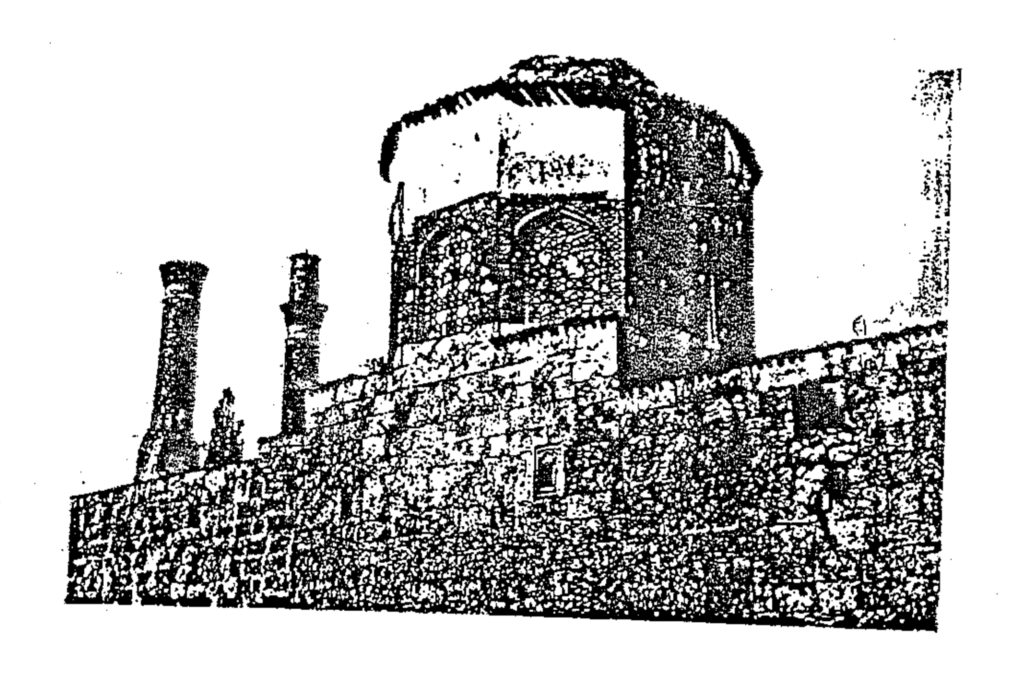


شكل (٤) : صورة تمثل مسجد علاء الدين كيقباذ (١٢١٩-١٢٣٧م) من الداخل

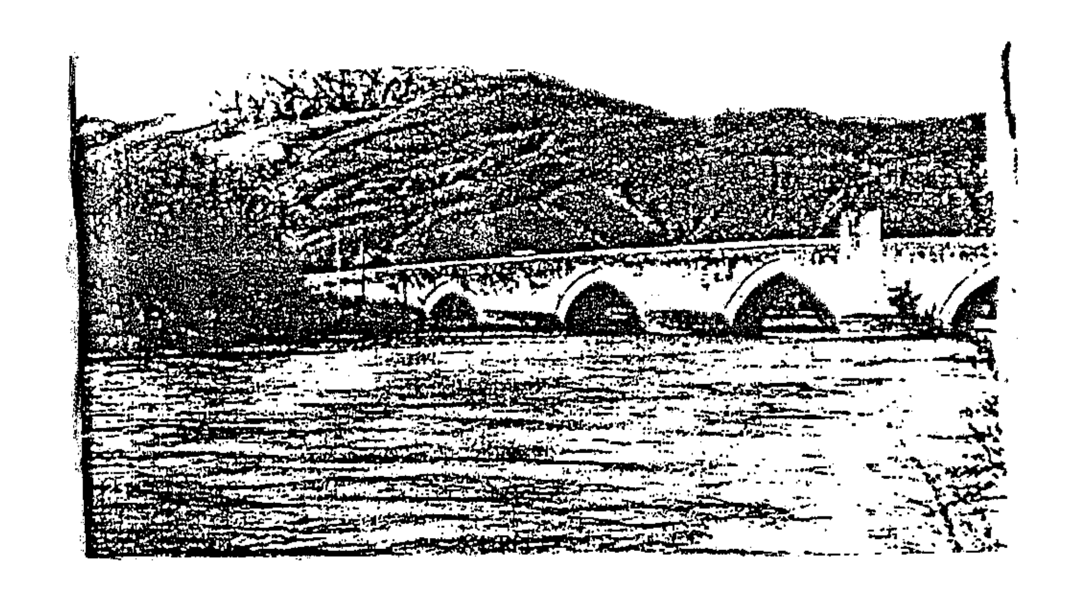
Cahen (C) : pre – ottoman Turkey . p . 382 .



شكل (٥) : أحدي المدارس السلجوقية في مدينة أرزروم
Rice (T.T) : The Seljoukes in Asia Minor ., N . 25 .

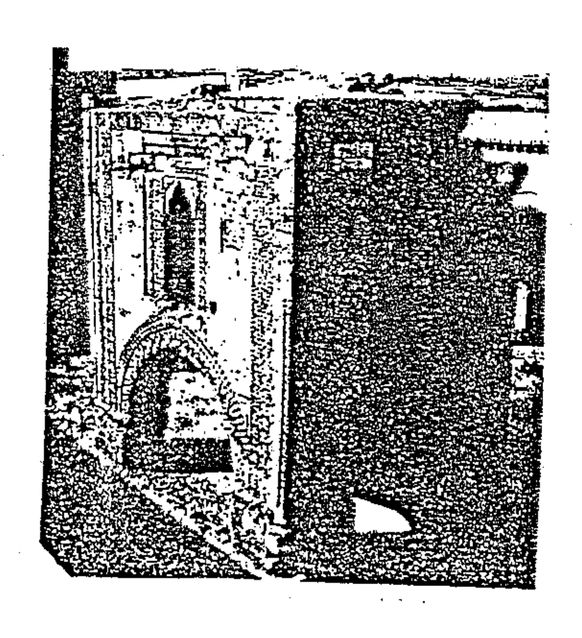


شكل (٦) : مستشفي السلطان السلجوقي كيكاوس (١٢١١-١٢١٩م)
Cahen (C) : pre – ottoman Turkey . p . 423 .

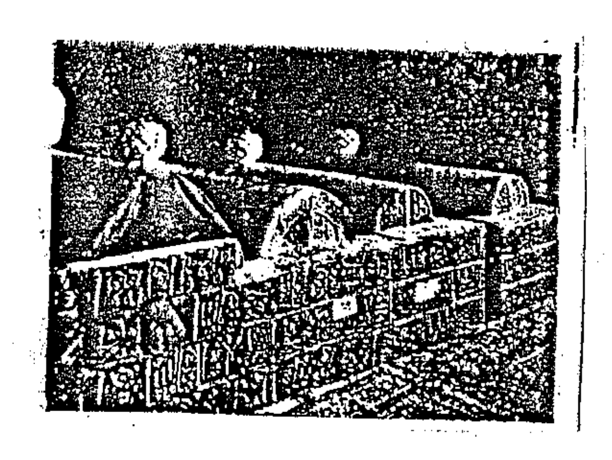


شكل (٧) : أحدي الكباري المقامة في مدينة توقات سنة ١٢٥٠م والتي تمثل النشاط الأقتصادي

Rice (T.T) : The Seljoukes in Asia Minor ., N . 23 .

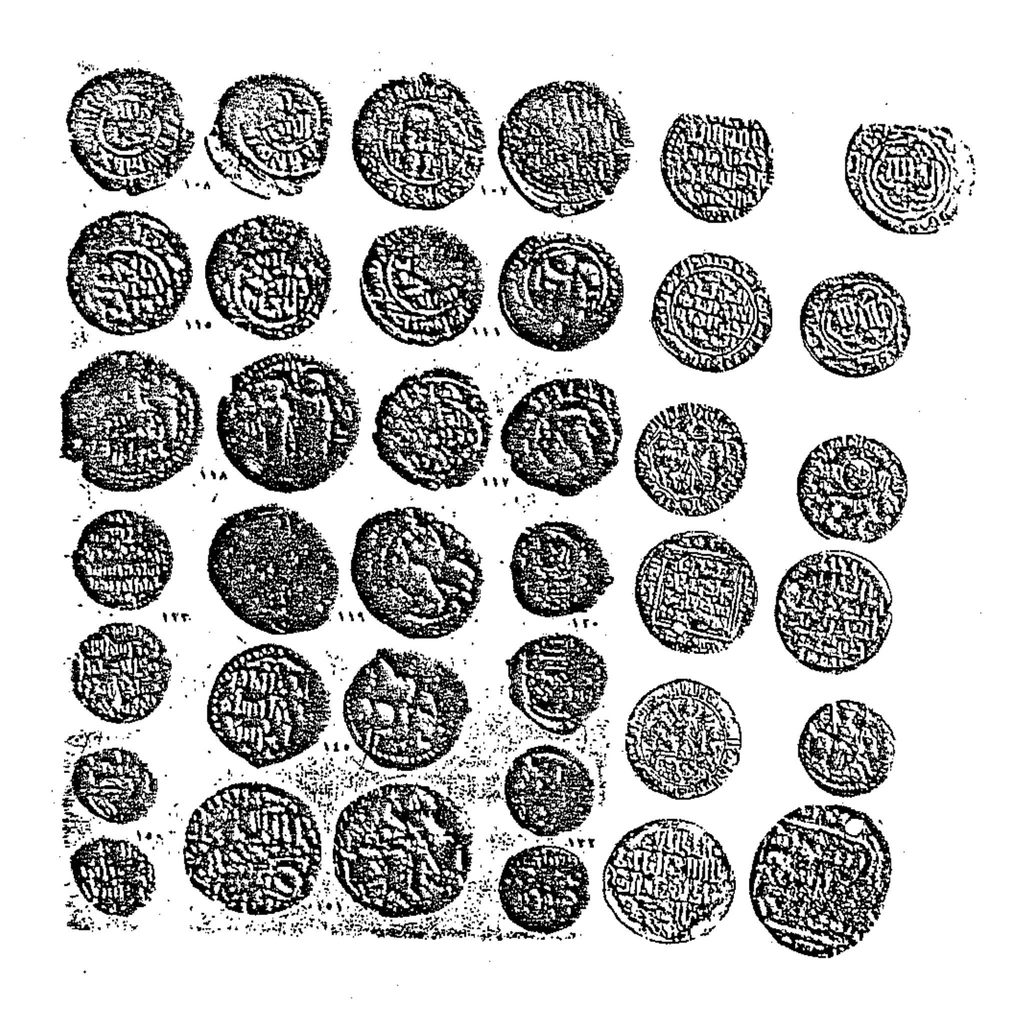


شكل (٨) : أحد خانات السلاجقة
Dictionary of the Middle Ages , vol . 11 . p 149



شكل (٩) : مقابر السلاطين السلاجقة في المسجد الكبير
بمدينة قونية

Cahen (C) : pre – ottoman Turkey . p . 384



شكل (١٠) : صورة تمثل العملات السلجوقية والدانشمندية في آسيا الصغرى
Cahen (C) : pre – ottoman Turkey . p . 393
Rice (T.T) : The Seljoukes in Asia Minor ., p . 257 .

قائمة المصادر والمراجع

أولاً : المصادر :

أ- المصادر البيزنطية .

ب- المصادر السريانية والأرمينية .

ج- المصادر الفارسية والتركية .

د- المصادر العربية والمترجمة .

ثانياً : المراجع :

أ- المراجع العربية والمترجمة .

ب- المراجع الفارسية والتركية .

ج- دوائر المعارف والأطالس والقواميس .

د- الدوريات والمجموعات .

هـ- المراجع الأجنبية المختلفة .

أولا- المصادر :

أ-المصادر البيزنطية :

Albert d'Aix :
Historia Hierosolymitana . Ed R.H HOCC . IV
(Paris, 1879) .

***Anna comnena*:**
The Alexiad – English trans. by E.R.A Sweter
(London 1979) .

Attaliates(Michaelis) :
Historia ed . by Becker , in corpus scriptorum Historiae Byzantina .
(Bonnae MDCCCXXIX) (1829).

Bryennios (Nicephore) :
Les Quatre livres des histoires Fren.Trans. by H. Gregoire , Byzantion tome . XXIII (1953) pp . 469-530 Livres I-II tome . 27 (1957) pp . 881-926 . Livres III-IV .

Cedrenus (George) :
Historiarum Compendum in corpus Scriptorum Historiae T.II Byzantinae
(Bonnea , MD CCCXXXIX) (1839) .

Choniates (Nicetas) :
Historia in corpus scriptorum Historiae Byzantinae
(Bonnae MDCCCXXXV) (1835) .

Eracles :
L'estoire de Eraclos Empereur et la conquest de la Terre d'qutremer . recueit des Historiens des croisades historiens occidentaux II (Paris,1859) .

Gesta Fruncorum et aliorum Hierosolimitanorum:
The Deeds of the franks and the other Pilgrims to Jerusalem,edited by Rosalind Hill .
(London , 1962) .

Grumel (V) :
Les Regestes des Actes du patriarcat de Constantinople . vol . 1 Les Actes Des Patriarches Fasc . III , les Regestes de 1043 A 1206 . LePatriarches Byzantin ... L'institut Francais d'Etudes Byzantines
(Bucarest,1947) .

Kinnamos (John) :
Deeds of John and Manuel comnenus trans . by Charles M . Brand
(New York,1976) .

Michael (Psellus) :
The chronographia of Michael Psellus eng. Trans.BY ERA –Sewter
(London1952) .

Odo of Deuil :
De profection ludovici vii in Orientem , Edited with an English translation by virginia Gingerick Berry
(New York,1948) .

Porphyrogenitus (Constantine) :
De Administrando imperio English trans. By R.J.H Jenkins . (Buddapest,1949) .

Porphyrogenitus (Constantine) :
De Administrando imperio vol II (commentary) by F.Dvornik and others .
(University of London,1962) .

Rohricht (Reinhold) :
Regesta regni Hierosolymitani (MXCVII-MCCXCI) Oeniponti Libraria Academica Wagneriana .
(Oeniponti ,1893).

Scylitzes (Ioannis):
Exoerpta ex Breviaria Historica Ioannis Scylitzae Curopalataein CedrenusT.11 pp 641-744 . C.S.H.B .
(Bonnae,1839) .

William of tyre :
A History of deeds done Beyond the sea , Translated and Annotated by Babcock and A.C Krey . 2 vol .
(New York, 1943)

Zanoras (Ioannis):
Epitomae Historiarum . ed T.by Buttner Wobst in (C.S.H.B,1839) .

ب- المصادر السريانية والأرمينية

Anonymous Syriaac Chronicle :
The first and second crusades . translated by A.S Triton with notes by H.A.R . GIBB . in the journal of the Royal Asiatic Society .
(London , 1933) .

Matthieu d'Edesse :
Extraits de la chronique de Matthieu d'Edesse in **(R.H.C.D.Arm)** **(Paris,1869).**

Michel le Syrien :
Extrait de la chronique de Michel le Syrien , patriarchd . Antioche (1166-1199) editee etitee et traduite en francais par J.B chabot .
(Paris,1905) .

Smpad :
The Armenian chronicle of the constable Smpad (1208-1276) Royal Historians , English trans. By Sirarpie Der Nersessian in Dumbarton Oaks Paper No . 13 , (1959) .

ج- المصادر الفارسية والتركية :

Hamdallah Mustawfi Al-Qazwini :
Nuzhat-Al-Qulub : The Geographical part of the Nuzhat-Al-Qulub . translated by G.le strange
(London,1919) .

Houtsma (M.Th):
Recueil des textes Relatifs a Histoire des seldjoucides d'Asia Mineure D'apres Ibn-Bibi . vol . III , VI E.J Brill
(Leiden,1902) .

Hudud Al Alam :
The Reigon of world " A persian Geography ., 312 A.H - 982 A.D . Trans and explained By Minorsky (V) Gibb (E.J.W) Memorial series . New series XI
(London,1937) .

أولياجلبي : سياحت نامه ، ايكنجي جلد (استانبول ١٣٢٤ هـ)

الآقسراي : (محمود بن محمد)
" مسامرة الأخبار ومسايرة الأخيار " ، يسعي وتصحيح وحواشي د./ عثمان توران (أنقرة ١٩٤٣) .

ابن بيبي : (ت ١٢٨٥ م / ٦٨٤هـ) ناصر الدين يحيي بن محمد .
" تاريخ سلاجقة الروم " ، دراسة وترجمة دكتور / محمد علاء الدين منصور (القاهرة ١٩٩٤) .

الراوندي : (ت ١٢٠٢م / ٥٩٩هـ) محمد بن علي بن سليمان ،

" راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية " ، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي ، عبد النعيم حسنين فؤاد ، عبد المعطي الصياد (القاهرة ١٩٦٠) .

عالـي : فصول حل وعقد أصول خرج ونقد ، مخطوط تركي ، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٥٣٧) .

قزويني : (ت ١٣٤٩م/٧٥٠هـ) حمد لله بن أبي بكر بن أحمد بن نصر مستوفي " تاريخ كذيدة " (دار السلطنة ، لندن ١٩١٠م)

هزارفن : (حسنين أفنديك) " تنقيح التواريخ نام " ، مخطوط تركي ، مكتبة جامعة القاهرة تحت رقم (٢٧٨٥) .

د-المصادر العربية والمترجمة :

ابن أبى أصيبعة :(ت١٢٦٩م /٦٦٨هـ) موفق الدين أبى العباس أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس السعدى "عيون الأنباء فى طبقات الأطباء "، شرح وتحقيق نزار رضا(بيروت -١٩٨٦)

ابن أيبك : (ت ١٣٣٥م) ٧٣٦ هـ) أبى بكر بن عبد الله الدواداری ، "كنز الدرر وجامع الغرر " ، الجزء السابع " الدر المطلوب فى أخبار ملوك بنى أيوب " .تحقيق / سعيد عبد الفتاح عاشور (القاهرة ١٩٧٢)

ابن الأثير : (ت ١٢٣٢م / ٦٣٠ هـ) أبو الحسن على أبى الكرم محمد بن عبد الكريم الجزرى ، " الكامل فى التاريخ " ١٢ جزء(بيروت ١٩٨٣ ") " التاريخ الباهر فى الدولة الاتابكية بالموصل " تحقيق / عبد القادر طليمات (القاهرة ١٩٦٣ م).

ابن الأكفانى : (ت ١٣٤٨م / ٧٤٩هـ) محمد بن ابراهيم بن ساعد الأنصارى السنجارى " نخب الذخائر فى أحوال الجواهر " ، حرره وعلق عليه الأب / آنستاس الكرملى (القاهرة ١٩٣٩ م).

الإصطخرى : (ت ٩٥٧ م / ٣٣٦هـ) ابو اسحاق ابراهيم بن محمد الفارسى المعروف بالكرخى " المسالك والمالك " (ليدن ١٩٣٧) .

الادريسى : (١١٦٥ م / ٥٦٠ هـ) ابو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله بإدريس " نزهة المشتاق فى اختراق الافاق " (مجلدان) (القاهرة -بدون تاريخ) .

ابن البيطار : (ت ١٢٤٨/٦٤٦هـ) ضياء الدين عبد الله بن أحمد الاندلس المالقي" الجامع لمفردات الادوية والأغذية " .أربع أجزاء في مجلدين (بغداد١٩٦٩) م .

ابن بطوطه :(ت ١٣٧٧م / ٧٧٩ هـ) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن ابراهيم اللواتي الطنجي " تحفة النظار في غرائب الامصار وعجائب الاسفار (القاهرة ١٩٦٦).

البغدادي : (ت١٣٦٥ م / ٧٣٩ هـ) صفي الدين عبد المؤمن بن عبد الحق "مراصد الإطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع . (بيروت – ١٩٥٤).

بنيامين : (ت ١١٧٣ م / ٥٦٩ هـ) بنيامين بن يونه التطيلي " رحلة بنيامين التطيلي " ، ترجمها من الأصل العبرى عزرا حداد، (بغداد ١٩٤٥م).

ابن الجوزي : (ت ١٢٠٠م / ٥٩٧ هـ) ابو الفرج عبد الرحمن بن علي المنتظم،" في تاريخ الملوك والامم "،راجعة نعيم زرزور دراسة وتحقيق محمد عبد القادر عطا ، مصطفى عبد القادر عطا (بيروت-١٩٩٢) .

ا بن جبير :(ت ١٢١٧م/٦١٤هـ) أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الاندلسي " رحلة ابن جبير " (بيروت – ١٩٧٩ م) .

الحسيني : (١٢٢٤ م / ٦٢٢ هـ)صدر الدين أبو الحسن علي بن نصر زيدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السلجوقية تحقيق / د . محمد نور الدين (القاهرة – بدون تاريخ) .

ابن خرداذبه :(٩١٢م / ٣٠٠هـ) أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله المسالك والممالك يليه نبذه من كتاب الخراج لأبي فرج قدامه بن جعفر (ليدين-١٨٨٩)

ابن خلدون : (ت ١٤٠٥ م / ٨٠٨ هـ) عبد الرحمن بن محمد بن جابر " العبر وديوان المبتدأ والخبر " تحقيق / خليلي شحاته جـه (الطبعة الثامنة (القاهرة – ١٩٨٨ م)

ابن خلكان : (ت ١٢٨٢م / ٦٨١ هـ) أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر " وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان " تحقيق : د/ إحسان عباس (بيروت – ١٩٦٨)

داود الأنطاكي (داود بن عمر) : تذكرة أولي الألباب والجامع للعجب العجاب ويليها ذيل التذكرة لأحد تلاميذ المؤلف (بيروت - بدون تاريخ) .
الذهبي : (ت١٣٧٤ م /٧٤٨ هـ) الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن احمد بن عثمان
" تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام الطبقة الحادية والثانيةوالثالثة والرابعة والستون . حققه وضبط نصه / دكتور بشار عواد معروف ؛ الشيخ شعيب الأرنووط مهدى (بيروت ١٩٨٨م) .
"العبر فى خبر من غبر" حققه وضبطه / أبو هاجر محمد السعيدبسيونى زغلول (بيروت - ١٩٨٥)
" سير أعلام النبلاء " لأجزاء ٢١-٢٣ تحقيق / د . بشار عوادمعروف والدكتور يحيى هلال السرحان (الطبعة الحادية عشر-بيروت ١٩٩٦)
ريموندآجيل : تاريخ الفرنجه غزاة بيت المقدس " نقله إلى الانجليزية جون هيوج هيل ، لوريتال هيل ترجمة دكتور / حسين محمد عطيه (الاسكندرية ١٩٨٩)
ابن سعيد : (ت ١٢٨٦ م / ٦٨٥ هـ) أبو الحسن على بن موسى المغربى
" كتاب الجغرافيا " حققه ووضع مقدمته وعلق عليه / إسماعيل العربى (بيروت ١٩٧٠):
" بسط الأرض فى الطول والعرض "، تحقيق حوان قرنيط (المغرب ١٩٥٨م).
السبكى : (١٣٧٠م /٧٧١ هـ) تاج الدين أبى نصر عبد الوهاب بن علي " طبقات الشافعية الكبرى " تحقيق د. عبد الفتاح محمد الحلو- د. محمود محمد الطناحي (الطبعة الثانية - القاهرة ١٩٩٢).
سبط الجوزى : (ت ١٢٥٧م/ ٦٥٤ هـ) أبو الفرج بن عبد الرحمن، مرآة الزمان "ج٨ (شيكاغو-١٩٠٧).
أبو شامة : (ت ١٢٦٨ م / ٦٦٥ هـ) شهاب الدين أبى محمد عبد الرحمن الروضتين فى أخبار الدولتين ، جزئين فى مجلد (بيروت - بدون تاريخ).

ابن شداد : (ت١٢٣٤ م/ ٦٣٢ هـ) بهاء الدين أبو المحاسن يوسف " النواد السلطانية والمحاسن اليوسفية تحقيق د. جمال الدين الشيال القاهرة – ١٩٦٤.

ابن شداد : (١٢٨٥ م / ٦٨٤ هـ) عز الدين محمد بن على بن ابراهيم" الأعلاق الخطيرة فى ذكر أمراء الشام والجزيرة " جـ١، ق٢، نشر وتحقيق آن مارى
Bulletin D'etudes Orientals XXXII – XXXIII (1980 – 81) , PP . 265 – 402 (Damas 1988)

ابن الشحنة : (ت ١٤٨٥ م / ٨٩٠ هـ) ابى الفضل محمد بن الشحنة "الدر المنتخب فى تاريخ مملكة حلب " (بيروت ١٩٥٩ م)

الصفدى : (ت ١٣٦٢ م / ٧٦٤) صلاح الدين خليل بن أيبك " كتاب الوافي بالوفيات" ٢٢ جزء (جـ١ قيسبادن ١٩٦٢ / جـ٢قيسبادن ١٩٧٤ م . جـ٤ قيسبادن ١٩٧٤ / جـ٥ قيسبان ١٩٨٢ م) جـ١٥ قيسبادن ١٩٨٢).

ابن العبرى : (ت ١٢٨٦ م / ٦٨٥ هـ) غريغوريوس الملطى " تاريخ مختصرالدول " (بيروت ١٩٩٢ م)

" "تاريخ الزمان " نقله إلى العربية / الأب إسحق أرملة(بيروت ١٩٨٦).

ابن العديم : (ت ١٢٦٢ م / ٦٦٠ هـ) كمال الدين أبى القاسم عمر بن أحمد بن هبه الله .
" زبدة الحلب من تاريخ حلب " ، ٣ أجزاء تحقيق / سامى الدهان (دمشق ١٩٥١ ، ١٩٥٤ ، ١٩٦٧)
" بغية الطلب فى تاريخ حلب " / ١٢ جزء حققه و قدم له الدكتور / سهيل زكار (بيروت – ١٩٨٨).
" الوصلة إلى الحبيب فى وصف الطيبات والطيب " تحقيق / سليمى م محجوب – درية الخطيب (سوريا ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م).

ابن عربي : (ت ١٢٤٠م /٦٣٨هـ) (أبو عبد الله محيي الدين محمد بن علي): " الفتوحات المكية " ، تحقيق عثمان يحيي ١٢ جزء (القاهرة ١٩٧٢–١٩٨٨).

العظيمى : (١١٦١م / ٥٥٦هـ) محمد بن على محمد بن أحمد بن نزار

التنوخي الحلبي . " تاريخ العظيمي " نشرة كلودكاهن في الموسوعة الأسيويه .

Journal Asiatique : T . CCXXX , pp .353-448 (1938)

العيني : (ت١٤٥١م / ٨٥٥) بدر الدين محمود بن أحمد ، " عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان " جـ ٢١ ، ق ٣ ، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (١٥٨٤ تاريخ).

عماد الدين الأصطفهاني (١٢٠١ م / ٥٩٧ هـ) محمد بن محمد بن حامد " تاريخ دولة آل سلجوق " إختصار / الفتح بن علي بن محمد البنداري (القاهرة١٩٠٠م)

" :" الفتح القسي في الفتح القدسي " (القاهرة – ١٨٦٥) .

أبو الفدا : (ت ١٣٣١ م / ٧٣٢ هـ) عماد الدين اسماعيل ، " المختصر في أخبار البشر " المعروف بتاريخ أبي الفدا(القاهرة – ب بدون تاريخ– مكتبة المتنبي) .

" تقويم البلدان " . نشر / رينود ديسلان (باريس ١٨٤٠ م)

ابن الفرات :(ت ١٤٠٥م / ٨٠٧هـ) ناصر الدين محمد بن عبد الرحيم "تاريخ ابن الفرات "خفقه وعلق عليه دكتور/حسن محمد الشماع المجلد الرابع والخامس (بغداد – ١٩٧٠ م).

ابن فضل الله العمري : (ت١٣٤٩ م / ٧٤٩ هـ) شهاب الدين أحمد بن يحيى " مسالكالأبصار في ممالك الأمصار " ٢٧ جزءا إصدار بإشراف / فؤاد سزكين (فرانكفورت – ١٩٨٨ م).

الفارقي : (ت ١١٩٣م/٥٩٠هـ) أحمد بن يوسف بن علي الأزرق ، " تاريخ الفارقي "حققه وقدم له د .بدوي عبد اللطيف عوض (بيروت ١٩٧٤).

فوشيه الشارتري: الوجود الصليبي في الشرق العربي ، الاستيطان الصليبي في فلسطين " تاريخ الحملة الي بيت المقدس ١٠٩٥–١١٢٧م ترجمة ودراسة وتعليق الدكتور / قاسم عبده قاسم (الكويت ١٩٩٣).

القلقشندي : (ت ١٤١٨ م / ٨٢١ هـ) شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علي" صبح الأعشي في صناعة الإنشا " ١٤ جزء (القاهرة – ١٩١٣ م).

القزوينى : (ت١٢٨٣ م / ٦٨٢ هـ) زكريا بن محمد بن محمود " آار البلادوأخبار العباد " (بيروت – بدون تاريخ).
المانى : (ت١٦١٠م/ ١٠١٩هـ) ابى العباس احمد بن يوسف الدسوقى أخبار الدول وآثار للأول فى التاريخ " .(بيروت – بدون تاريخ).
بن القلانسي : (١١٦٠ م / ٥٥٥ هـ) أبو يعلى حمزة " ذيل تاريخ دمشق ، تتلوه نخب من تواريخ " ابن الأزرق والقفطى وسبطبن الجوزى والحافظ الذهبى (مكتبة المتنبى بالقاه – بدون تاريخ).
ابن القفطى : (١٢٤٨ م / ٦٤٦ هـ) جمال الدين أبى الحسن على بن القاض " أخبار العلماء بأخبار الحكماء " مكتبة المتنبى –بدون تاريخ) .
بن كثير : (ت ١٣٧٢ م / ٧٧٤ هـ) أبو الفدا إسماعيل بنعمر الحافظ " البداية والنهاية " ، جـ١٢ (القاه – بدون تاريخ).
لكتبى : (١٣٦٢م / ٧٦٤ هـ) محمد بن شاكر " فوات الوفيات " تحقيق دإحسان عباس (بيروت ١٩٧٣).
المؤرخ مجهول : أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس ، ترجمة وقدم له وعلق عليه دكتور حسن حبشي (القاهرة ١٩٥٨).
المقريزي : (ت ١٤٤١/٨٤٥هـ) (تقي أحمد بن علي) " المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ،جـ ٢،١ (القاهرة ١٨٥٢ م–١٢٧٠هـ) ؛
" كتاب السلوك لمعرفة دول الملوك " (القاهرة – ١٩٥٧م)
" اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا " ،جـ ٢،١ ، عوض محمد حلمي (القاهرة ١٩٧١).
المنذرى : (ت ١٢٥٨م / ٦٥٦هـ) ذكى الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبدالقوى " التكملة لوفيات النقلة حققه وعلق عليه / دكتور بشار عواد معروف أربع مجلدات (بيروت –١٩٨٨) .
ماركو بولو : رحلات ماركوبولو " ترجمها الى الانجليزية وليم مارسدن ، تعريب عبد العزيز جاويد ٣ أجزاء (الطبعة الثانية ١٩٩٥ – ١٩٩٦).
النويرى : (ت ١٣٣٢م / ٧٣٣هـ) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب " نهاية الأرب فى فنون الأدب " جـ٢٦ تحقيق / محمد فوزى

العنتيل مراجعة / د . محمد طه الحاجرى (القاهرة ١٩٨٥)
جـ٢٧ تحقيق د . سعيد عاشور (القاهرة : ١٩٨٨ م).

الهروى : (ت ١٢١٤م / ٦١١هـ) أبو الحسن على بن أبى بكر " كتاب الإشارات إلى معرفة الزيارات " (دمشق –١٩٥٣ م).

ابن واصل : (ت ١٢٩٨ م / ٦٩٧هـ) جمال الدين بن سالم " مفرج الكروب فى أخبار بنى أيوب " جـ١ ، جـ ٢ ، جـ ٣ ، تحقيق دكتور / جمالالدين الشيال (القاهرة ١٩٥٣م–الإسكندرية ١٩٥٧ – الإسكندرية ١٩٦٠ م) جـ٥ تحقيق دكتور حسنين محمد ربيع راجعه دكتورسعيد عاشور (القاهرة ١٩٧٥. م).

وليم الصورى : الحروب الصليبية ترجمة د.حسن جيشى ٤ أجزاء (القاهرة ١٩٩١–١٩٩٢–١٩٩٤–١٩٩٥م).

اليونينى : (ت ١٣٢٦م/ ٧٢٦ هـ) قطب الدين موسى بن محمد " ذيل مرآه الزمان " المجل الثالث(القاهرة –١٩٩٢ م).

ياقوت : (ت ١٢٢٩م / ٦٢٦هـ) شهاب الدين أبو عبد الله الحموى " .معجم البلدان " (ليبزج ١٨٧٣م).

ثانيا المراجع :

أ- المراجع العربية والمترجمة :

أبو العلا عفيفى :
الملامتيه والصوفيه وأهل الفتوه، مجلة كلية الآداب بالاسكندرية مجا ص١٠-٦٥ (١٩٤٣).
من اين استقى محى الدين بن عربى فلسفته التصويفيه مجلة كلية الآداب بالقاهرة مجا ، جا١ صـ٣-٤٥ (١٩٣٣)

أحمد أمين : (دكتور)
" الفتوه في الاسلام "
مجلة كلية الآداب بالقاهرة مج٦ جـ١ صـ-٢٢ (١٩٤٢م)

أحمد السعيد سليمان : (دكتور)
" تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة " (مصر- ١٩٧٢ م)

أحمد عبد الكريم سليمان : (دكتور)
المسلمون والبيزنطيون فى شرق البحر المتوسط ٣، ٦ هـ / ١٢٠٩م (القاهرة ١٩٨٢)

أرنست (كونل) :
" الفن الإسلامى "
ترجمة د . أحمد موسى ، راجعه محمود ابراهيم الدسوقى (القاهرة - ١٩٦١ م)

أحمد ذكى : (دكتور)
" الأبسطه والسجاجيد "
مجلة الثقافه عدد رقم ١١ صـ ٢٥-٦٠ (مارس - ١٩٣٩ م)

أرنولد (ت .و) : " الدعوة إلى الإسلام "
ترجمة / حسن ابراهيم حسن-عبد المجيد عابدين - اسماعيل النحراوى
(القاهرة : ١٩٥٧م)

أوقطاى آصلان آبا :
" فنون الترك وعمائرهم " ترجمة أحمد محمد عيسي
(استانبول -١٩٨٧م)

أسحق أرملة :
الحروب الصليبية في الآثار السريانية (بيروت ١٩٢٩ م)
أسد رستم :
الروم في سياستهم وحضارتهم ودينهم وثقافتهم وصلاتهم بالعرب (بيروت ١٩٥٦ م)
كنيسة مدينة الله انطاكيه العظمى جـ ٢ (لبنان ١٩٨٨م).
أومان (شارل) :
" الإمبراطورية البيزنطية "
ترجمة د/ مصطفى طه بدر (القاهرة ١٩٥٣م)
استارجيان (ك.ت) :
" تاريخ الامة الارمينية "
(الموصل ١٩٥١ م)
استانلى لين بول :
" طبقات سلاطين الاسلام " (القاهرة — ١٩٨٦ م)
اسحاق عبيد : (دكتور)
" روما وبيزنطة من قطيعة فوشيوس حتى الغزو اللاتينى لمدينة قنسطنطين ٨٦٩ — ١٢٠٤ " (القاهرة — ١٩٧٠م) .
السيد الباز العرينى : (دكتور)
الدولة البيزنطية ٣٢٣-١٠٨١م (بيروت-١٩٨٢)
المغول (بيروت —١٩٨١)
مؤرخو الحروب الصليبية (القاهرة — ١٩٦٢)
بارتولد (و) :
" تاريخ ألترك فى آسيا الوسطى "
ترجمة / أحمد السعيد سليمان ، راجعة / إبراهيم صبرى
(القاهرة — ١٩٥٨ م) .
بارتولد (ف) :
" تاريخ الحضارة الاسلامية "
ترجمة حمزة طاهر (الطبعة الخامسة —القاهرة)
" تركستان من الفتح العربي إلي الغزو المغولي "

ترجمة صلاح الدين عثمان (الكويت – ١٩٨١) .
باركر (أرنست) :
" الحروب الصليبية "
نقله إلى العربية الباز العرينى (بيروت – الطبعة الثانية).
بروكلمان (كارل) :
" تاريخ الشعوب الاسلامية "
نقله نبيه أمين فارس ومنسير البعلبكي . (بيروت – ١٩٦٥ م).
بينز (نورمان) :
" الإمبراطورية البيزنطية "
ترجمة د. حسين مؤنس ومحمود يوسف زايد (القاهرة – ١٩٥٧ م)
تاليوت رايس :
" فارس وبيزنطة "
ترجمة محمد كفافى مقال منشور فى كتاب تراث فارس " الذى أشرف على نشره أ . ج أربى وقام بترجمته مجموعه أساتذة جامعة القاهرة (القاهرة ١٩٥٩ م)
جان أحمرانيان :
" من هم الارمن " (١٩٧٨ م) .
جان موريس فييه :(دكتور)
" أصول النصارى فى خلافة بنى العباس "
نقله إلى العربية حسنى زينه (بيروت ١٩٩٠ م)
جوزيف نسيم يوسف :(دكتور)
نشأة الجامعات في العصور الوسطي (الإسكندرية –١٩٨٤) .
العرب والروم واللاتيين فى الحرب الصليبية الأولى (الإسكندرية – ١٩٦٧)
الدافع الشخصى فى قيام الحركة الصليبية مجلة كلية الآداب الاسكندرية ١٩٦٢ م)
جيبون (أدوارد) :
" اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها "

الجزء الأول نقله إلى العربية محمد علي أبو درة ، راجعه
أحمد نجيب هاشم (القاهرة – ١٩٦٩) .
حامد زيان غانم : (دكتور)
" الامبراطور فردريك بربروسا والحملة الصليبية الثالثة "
(القاهرة ١٩٧٧)
حسن الباشا : (دكتور)
الالقاب الاسلاميه فى التاريخ والوثائق والآثار (القاهرة – ١٩٧٨ م) مدخل إلى الآثار الاسلامية (القاهرة –١٩٨٩ م)
الفنون الإسلاميه والوظائف على الآثار العربية ٣ أجزاء
(القاهرة – ١٩٦٥ م)
حسن حبشي : (دكتور)
الحرب الصليبية الأولى (القاهرة – ١٩٥٨ م).
حسنين محمد ربيع : (دكتور)
" دراسات فى تاريخ الدولة البيزنطية " (القاهرة – ١٩٩٣ م)
حسين مجيب المصرى :
" العرب والفرس والترك " (القاهرة –١٩٦٩ م).
حسين محمد عطيه :(دكتور)
" إمارة انطاكيه الصليبية والمسلمون "١١٧١–١٢٦٨م / ٥٦٧–٥٦٦هـ (الاسكندرية – ١٩٨٩ م).
حمزه طاهر :
" التصوف الشعبى فى الأدب التركى "
مجلة كلية الآداب بالقاهرة مج ٢–جـ٢ ، ص ١١١–١٤٦
(ديسمبر – ١٩٥٠ م)
ديورانت (ول) :
" قصة الحضارة " الجزء الثانى والرابع من المجلد الرابع
(بيروت – بدون تاريخ)
رأفت عبد الحميد :(دكتور)
" الدولة والكنيسة "
الجزء الثاني (الطبعة الثانية –١٩٨٢) .

" بيزنطة بين الفكر والدين والسياسة " (الطبعة الأولي – ١٩٩٧).

رنسيمان (ستيفن) :
الحضارة البيزنطية . ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة زكى على (القاهرة ١٩٦١ م)
تاريخ الحرب الصليبية . نقله إلى العربيه الدكتور السيد الباز العرينى ٣ أجزاء (بيروت ١٩٩٣م)

ريتشارد بلانت :
" النقود العربية والاسلاميه "
تعريب د . بسام سروج وابراهيم سروج (الطبعة الأولى – ١٩٩٤)

زاكية محمد رشدي :
" الخلفاء العباسيون والحروب الصليبية "
من مخطوطة ميخائيل السرياني – ترجمة غير منشورة (كلية الآداب – جامعة القاهرة سنة ١٩٧٢) .

زامباور :
" معجم الانساب والاسرات الحاكمه فى التاريخ الاسلامى"
ترجمة محمد حسن ،حسن محمود (القاهرة – ١٩٥٢م).

زبيدة محمد عطا : (دكتورة)
" الترك فى العصور الوسطى ، بيزنطة وسلاجقه الروم والعثمانيون " (دار الفكر العربى–بدون تاريخ) .

زكى محمد حسن : (دكتور)
فنون الاسلام (لبنان –١٩٨١ م)
أطلس الفنون الزخرفية والتصاوير الاسلامية (القاهرة – ١٩٥٦ م).

سعاد ماهر محمد : (دكتوره)
الخزف التركى (القاهرة ١٩٧٧ م)
الفنون الاسلامية (القاهرة ١٩٨٤ م)

سعد زغلول : (دكتور)
" الترك والمجتمعات التركية عند الكتاب العرب وغيرهم".
مجلة كلية الآداب بالإسكندرية (مجـ رقم ١ - ١٩٥٦).
سعيد عبد الفتاح عاشور : (دكتور)
الحركة الصليبية جـ١ (الطبعة الخامسة -١٩٩٣) جـ٢
(الطبعة الرابعة -١٩٨٦ م)
سلطنة المماليك ومملكة أرمينية الصغرى صـ١٣٣-
١٨٤ الجمعية المصرية للدراسات التاريخية العامة (الموسم
الثقافي ١٩٦٨/٦٧)
أضواء جديدة على الحروب الصليبية (القاهرة ١٩٦٤)
سميث (جوناثان ريلى) :
" الحملة الصليبية الاولى وفكرة الحروب الصليبية "
ترجمة د . محمد فتحى الشاعر (القاهرة ١٩٩٣).
سيد أحمد على الناصرى : (دكتور)
الروم والمشرق العربى
(القاهرة-١٩٩٣ م)
عادل زيتون : (دكتور)
العلاقات السياسية والكنسيه بين الشرق البيزنطى والغرب
اللاتينى فى العصور الوسطى (دمشق ١٩٨٠)
عادل عبد الحافظ عثمان : (دكتور)
العلاقات السياسية بين الامبراطورية الرومانية المقدسة
والشرق الاسلامى ١١٥٢-١٢٥٠م / ٥٤٧-٦٤٨ هـ (القاهرة
١٩٨٩ م).
عاطف مرقص بطرس :
" الارمن وعلاقتهم بالبيزنطين والمسلمين " ١٠٧١ -
١١٧١م / ٤٦٣ -٥٦٧هـ رسالة ماجستير غير مطبوعه ، كلية
الآداب جامعة عين شمس (١٩٨٦ م)
عباس العزاوى :
" الخط العربى فى تركيا " مجلة سومر العراقيه مج ٣٢
(١٩٧٦) جـ١-٢ ، صـ٣٩١-٤٢١ .

عبد الحفيظ محمد علي : (دكتور)
المسلمون والبيزنطيون في شرق البحر المتوسط ما بين القرنين ٣-٦ هـ / ٩-١٢ م (القاهرة - ١٩٨٢).
عبد الرحمن فهمي محمد : (دكتور)
النقود العربية ماضيها و حاضرها (القاهرة - ١٩٦٤).
عبد الغني محمود عبد العاطي :(دكتور)
" السياسة الشرقية للإمبراطور البيزنطية في عهد الامبراطور الكسيوس كومنين (١٠٨١-١١١٨ م) (القاهرة ١٩٨٣).
عبد الفتاح أحمد الفاوي :(دكتور)
التصوف الوجه والوجه الآخر . معه تحقيق كتاب أصول الملامتيةوغلطات الصوفية للإمام أبي عبد الرحمن السلمي ٤١٢هـ (الطبعة الثانية - ١٩٩٥) .
عبد القادر أحمد اليوسف :(دكتور)
" الامبراطورية البيزنطية " (صيدا بيروت ١٩٧٧)
عثمان الترك :
" صفحات من تاريخ الامة الارمينية " (الطبعة الاولى - ١٩٦٠ م)
عفاف سيد صبره :(دكتوره)
" دراسات في تاريخ الحروب الصليبية " (القاهرة -١٩٨٥)
علي بن صالح المحميد : (دكتور)
" الدانشمنديون وجهادهم في بلاد الاناضول (الاسكندريه ١٩٩٤)
عليه عبد السميع الجنزوري : (دكتورة)
إمارة الرها الصليبية (القاهرة - ١٩٧٥ م)
الثغور البرية الإسلامية على حدود الدولة البيزنطية (القاهرة - ١٩٧٩ م)

فؤاد حسن حافظ :
" تاريخ الشعب الارمني منذ البداية حتى اليوم (القاهرة ١٩٨٦ م).
فامبرى(أرمنيوس) : " تاريخ بخارى "
ترجمة / أحمد محمود الساداتي ، راجعه يحي الخشاب (القاهرة – ١٩٨٧)
فايز نجيب اسكندر : (دكتور)
أرمينية بين البيزنطيين والأتراك السلاجقه المصادر (١٠٠-١٠٧١م / ٣٩٢-٤٦٣ هـ في مصنف اريستاكيس اللستقرتي (الاسكندرية ١٩٨٣)
أسرة برينيوس ودورها في تاريخ الامبراطورية البيزنطية المجلة التاريخية مج ٣٣ صـ ٨٣ – ١١٨ (١٩٨٦م)
البيزنطيون والاتراك السلاجقة في معركة ملاذكرو (١٠٧١م /٤٦٣هـ) في مصنف برينيوس (بحوث ودراسات في تاريخ وحضارة الامبراطورية البيزنطية (١٩٨٤ م)
موقعة ملاذكرد وصداها في القسطنطينية ١٠٧١ –١٠٧٢م (١٩٨٤)
فشر (هـ.أ.ل) :
تاريخ أوربا العصور الوسطى ترجمة د.محمد مصطفى زيادة ، د . السيد الباز العريني (القاهرة ١٩٦٦)
فولفجانج (م _ ف) :
القلاع أيام الحروب الصليبية ترجمة / العميد الركن محمد وليد الجلاد مراجعة / اللواء الركن سعيد طيان (دمشق - ١٩٨٢).
قاسم عبده قاسم :(دكتور)
ماهيه الحروب الصليبية رقم ١٤٩(الكويت :١٩٩٠)
الخلفية الايدلوجية للحروب الصليبية . (القاهرة ١٩٨٣)

قاسم غني :
تاريخ التصوف في الاسلام " ترجمة صادق نشأت راجعه د. أحمد ناجي القيس ، د . محمد مصطفى حلمى (القاهرة ١٩٧٢ م).
كليفورد بوزورث (أ) :
الأسرات الحاكمه في التاريخ الاسلامي ترجمة /حسين اللبودى مراجعة / د . سليمان العسكرى (الطبعة الثانية القاهرة – ١٩٩٥ م)
لسترنج :
" بلدان الخلافه الشرقيه " ترجمة بشير قرنيس وكوركيس عواد (بغداد – ١٩٥٤ م).
محمد باقر الحسيني :
" نقود السلاجقه "
رسالة دكتوراه بكلية الآداب جامعة القاهرة –قسم آثار أسلامية غير منشوره (١٩٦٨)
محمد ذكي نجيب الوسيمي :(دكتور)
علاقة سلطنة سلاجقة الروم بالدولة البيزنطية في عهد أسرة كومنين (١٠٨١–١١٨٥ م) رسالة ماجستير غير منشورة كلية الاداب جامعة القاهرة (١٩٨٨)
سلطنة سلاجقة الروم ٥٨١-٦٤١هـ /١١٨٥ –١٢٤٣م)
رسالة دكتوراه غير منشوره في كلية الاداب بجامعة القاهرة (١٩٩٤ م) .
محمد عبد الشافي المغربي :
" مملكة الخزر وعلاقتها بالبيزنطيين والمسلمين في القرن السابع والثامن للميلاد " . رسالة ماجستير تحت إشراف أ.د/محمود الحويري غير مطبوعة (١٩٩١) كلية الآداب بسوهاج – جامعة أسيوط.
محمد عبد العزيز مرزوق :
الفنون الزخرفية الاسلامية في العصر العثماني (القاهرة – ١٩٨٧).

محمد علاء الدين منصور :
جماعات الفتوة في الأناضول في العصريين السلجوقي والعثماني في مصادرها الفارسية ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، قسم اللغات الشرقية (القاهرة – ١٩٨١) .
محمد فؤاد كوبريلى :
" قيام الدولة العثمانية "
ترجمة د . أحمد السعيد سليمان الطبعة الثانية (القاهرة ١٩٩٣ م)
محمد ماهر حمادة :(دكتور)
وثائق الحروب الصليبية والغزو المغولى ، للعالم الاسلامى (٤٨٩ –١٢٠٦هـ / ١٠٩٦ – ١٤٠٤م) دراسة ونصوص (الطبقة الثالثة – بيروت –١٩٨٦ م).
محمد مصطفى حلمى : (دكتور)
حكيم الأشراق وحياته الروحية " مجلة كلية الاداب – جامعة القاهرة مج ١٢ جـ٢ ص٥٩ –٩٢ (١٩٥٠ م).
محمود سعيد عمران : (دكتور)
السياسة الشرقيه للإمبراطورية البيزنطية فى عهد الامبراطور مانويل الاول ١١٤٣–١١٨٠م (الاسكندرية ١٩٨٤).
محمود محمد الحويري : (دكتور)
رؤية في سقوط الإمبراطورية الرومانية (الطبعة الثانية – ١٩٩٣) .
مصر في العصور الوسطي (القاهرة –١٩٨٦) .
الأوضاع فى بلاد الشام فى القرنين الثانى عشر والثالث عشر من الميلاد (القاهرة ١٩٧٩ م)
العادل الايوبى (القاهرة ١٩٧٩)
اللومبارديون فى التاريخ والحضارة ٥٦٨–٧٧٤م(القاهرة ١٩٨٦).
بناء الجبهة الاسلامية المتحدة وأثرها فى التصدى للصليبيين (القاهرة –١٩٩٢)

مكسيموس مونروند :
" تاريخ الحروب المقدسه فى المشرق المدعـوة حـرب الصليبين ترجمة / مكسيموس مظلموم جزان (أورشليم ١٨٦٥ م).
هسى (ج. م) :
" العالم البيزنطى "
ترجمة وتعليق / د رأفت عبد الحميد (القاهرة – ١٩٨٤).
هنرى بيرين :
" تاريخ أوربا فى العصور الوسطى " الحياه الاقتصادية والاجتماعية – ترجمة : د عطية القوصى (القاهرة ١٩٧٧ م).
دائرة المعارف الإسلامية :
أحمد يسوي – جلال الدين الرومي ١٤ جزء (القاهرة – دار الشعب –بدون تاريخ
المعجم الوسيط :
مجمع اللغة العربية – جـ ١ ، الطبعة الثالثة (القاهرة ١٩٧٢ –١٣٩٢)

ب– المراجع الفارسية والتركية :

أحمد توحيد :
مسكوكات قديمة إسلامية قتالوخي .
(قسطنطينية – ١٣٢١ هـ)
أحمد محمد أحمد الهوارى :
أولياجلبى ورحلته فى الأناضول وإيران والعراق ، دراسة وترجمة إلى العربية رسالة دكتوراه – غير مطبوعة – جامعة القاهرة. (١٩٩٠ م).
على اكبر دهخدا :

لغت نامة	تهران	مجـ ١٥ ١٣٤٣ هـ
		مجـ ٢٢ ١٣٤٤هـ
		مجـ ٢٩ ١٣٤٥ هـ

نجيب عاصم ومحمد عارف :
عثمانلى تاريخى برنجي جلد (أستانبول – ١٣٣٠ هـ)

sevim (Ali) & yucel (yasar) :
Turkye Tarihi (Ankara 1989)

sevim (Ali) :
Selcuklu – Ermeni Iliskileri (Ankara 1983)

ج- دوائر المعارف والأطالس والقواميس :

Atlas of the islamic world since 1500 .
Atlas of Medieval Europe .
Chambers Encyclopaedia .
Dictionary of the Middle Ages .
Encyclopaedia of Islam .
Encyclopaedid of Religion and Ethics
Islom Ansiklopedisi
lexicon universal Encyclopaedia .
The American Heritage (R) Dictionary of the English language .
The Encyclopaedia Americana .
The illustrated Ency of Medieval civilization . .
The New Encyclopaedia Britannica . (Ready reference and index)
The New Encyclopaedia Britannica . (Knowledge in Depth)
The oxfard Dictionary of By antivm

د- الدوريات والمجموعات :

Arts of cappadocia .
Byzantion
Cahiers D'Histoire Mondiale . jo.w.H
Corpus scriptorum Historiae Byzantinae .
Dumbarton oaks papers .
Journal Asiatique .
Journal of Near Eastern studies .
Les Regestes Des Actes Du patriarcat de constantinople .
Notices ët Extraits Des Manuscrits De la Bibliotheque Du roi .
Repertoire chronologi Que D'Epigraphie arabe .
Revue Des Etudes Byzantines .
Revue Des Etudes IslamiQues .
Speculum .
Stvdia islamica

The Anatolian civilisations .
The cambridge Medieval History .
The cambridge History of islam .
The journal of the Royal Asiatic society .
The shorter cambridge Medieval History .
The slavonic and East European Review .
Turcobyzantina et qriens christianus .
Turquie . La Region de L'est de L'Anatolie . Ministere du Touris me de la Republiquie (Turqie – 1995) .

هـ - المراجع الأجنبية المختلفة :

Ahrweiler (Helene) :
Byzance et la Mer (paris 1966).

Akurgal (E) :
The great Civilisation of Anatolua (pp . 17-28), Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia (London 1971).

Alexander (K) :
Kedrenos George vol . 2 p . 1118 ., The Oxford Dictionary of Byzantium. (Oxford 1991).

Alice (Mary.M.Talbot) :
Attaliates Michael vol 1 (p . 641) , in Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

Ambarcioglu (M) :
The Moslem communities the political social and religious situation in the Seljok period (pp . 177-189) , Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia (London 1971) .

Arik (o) :
The culture of the Seljuk and ottoman periods (Art) (pp.35-43) ,in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia. (London 1971) .

Atil (Esin) :
Turkish Art (new york 1908) .

Austin lan pool (M.A) :
- Germany 1125-1152 in Cam. Med. Hist. (cambridge, 1979).; - Frederick Barbarossa and germany in camb . med . hist . vol . V (Cambridge .1979)

Barrie & Jenkins :
Arts of Cappadocia . General Editor : Luciano Giovannini (London 1971) .

Barger (E) :

In the track of the crusaders overland with arucksack to to Jerusalem with an introduction by Stephen Graham . (London . without Date) .

Barthold (W) :

Turkestan down to the Mongol invasion (London 1928) .

Baynes (N.H) , Moss(L.B) :

Bayzantion (Oxford , 1961) .

Bedoukian (P.Z) :

Mints and Money Armenian vol . 8 (pp . 417-8) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

Berry (virginia .G.) :

The second crusade in setton , Hist. of the crusades.vol .1(pp.463-512) (Philadlphia 1955).

Boase (T.S.R) and others :

The cilician Kingdom of Armenia , Edited by T.S.R Boase . (London 1978) .

Boissonnade (P) :

Life and work in Medieval Europe (London 1937).

Bosworth (C.E) :

- Saldjuks of Rum vol . 11 (pp . 156-8) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)
- Saldjukids In Encyclopedia of Islam . vol . III (Leiden 1995) .

Brand (Ch.M) :

The Byzantines and Saladin 1185-1192 opponents of third crusade in speculum. XXXVII N . 2 April 1962.

Brand (C.M) :

- Alexios I Komnenos vol . 1 (pp . 157-9) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)
- Byzantine Empire History (1025-1204) . vol . 2 (pp . 491-497) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)
- John II Komnenos vol . 7 (p . 127) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

Brehier (Lovis) :

- Les Crosades (Paris 1928) .
- Vie et Mort de Byzance (Paris 1948).

Brehier :

The life and death of Byzantium . translated by Margaret Vaughan (Oxford 1977) .

Brooke (Z.N) :

History of Europe from 911 to 1198 ., vol . II (London , 1938) .

Buss (R) :

- Cumans in Lexicon universal Encyclopedia ., vol . 5 ,(New York- 1983) .

- pechenges in Lexicon universal Encyclopedia ., vol . 15 , (New York-1983) .

Cahen (Cloude) :

- La Syrie du Nord AL'Epoque des Croisades (Paris 1940) .

- pre-ottoman Turkey 1071-1330 . translated from the French byJ.Jones-Williams (London 1968) .

- La Campagne de manzikert d'apres les sources Musulmanes. Turcobyzantina et Oriens Christianus . II pp 628-642 . (London 1974) .

- La diplomatie oriental de Byzance face a la poussee seldjukide (turcobyzantina III pp . 10-15) .

- Quthumush et ses Fils avant L'Asie Mineure Turcobyzantina , (v. pp . 14-27) .

- Une campagne du Seldjukide Alp.Arslan en Georgie . Turcobyzantina (VII pp . 17-20) .

- une famille Byzantine au service des Seljuqides d'Asia Mineure. Turcobyzantina VIII pp . 145-149 .

- Selgukides , Turcomans et allemands au temps de la troisime croisade . Turcobyzantina IX pp . 21-31 .

- Questions d'histoire de la province de Kastamonou au XIIIe siecle turcobyzantina .x pp 145-158.

- Ibn Said sur L'Asie Mineure Seljuqide turcobyzantina XI pp.41-50

- Le commerce anatolien au debut du XIIIE siecle Turcobyzanyina XII ., pp . 91-101 .

- La premiere pentration Turque en Asia Mineure (Second Moitie du xies) Byzantion 18 (1946-48) pp . 5 – 67 .

- le probleme ethnique en Anatolie chiers d'histoire Mondiale . No. 2 (1954) (pp . 347-362) .

- Le regime de la terre et L'occupation Turque en Anatolie " Cahiers D'histoire Mondiale No . 3 (1955) pp.

- " La tugra seljukide " journal Asiatique " T.ccxxxsv , pp 167 – 172 (1943-45) .

- Arminiya in Encyclopedia of Islam . vol . 1 (1986) .

- Ghuzz In Encyclopedia of Islam . vol . II (1991) .

- Kilidj Arslan I In Encyclopedia of Islam . vol . V (1986) .
- Kilidj Arslan II In Encyclopedia of Islam . vol . V (1986) .
- Mengucek In Encyclopedia of Islam . vol . IV (1991) .

Cameron (A) :
Historiography Byzantine vol . 6 (p . 242-8) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

Canard (M) :
Delhemma sayyid Battal et Omar al-Noman in Byzantion T.XII(1937)

Carles (M.B) & Alexander (K) & Anthony (C) :
- John II Komnenos vol . 2 pp . 1046-7 ., The Oxford Dictionary of Byzantium . (Oxford 1991) .
- Constantine IX Monomachos vol . 1 p . 504 .,The Oxford Dictionary of Byzantium . (Oxford 1991) .
- Isaac I Komnenos vol . 2 pp . 1011-1012 . ; Isaac Angelos vol . 2 p . 1012 . , The Oxford Dictionary of Byzantium : (Oxford 1991) .

Carles (M.B) & Philip (G) & Anthony (C):
- Alexios IKomnenos . vol . 1 , p . 63 ., The Oxford Dictionary of Byzantium . (Oxford 1991) .
- Constantine x Doukas . vol . 1 , pp . 504-505 . in . , The Oxford Dictionary of Byzantium . (Oxford 1991)

Carles (M.B) :
Crusades vol . 1 pp . 557-560 . , The Oxford Dictionary of Byzantium (Oxford 1991) .

Cate (J.L) :
The crusade of 1101 in Setton : A Hist. of the Crusades ., vol. 1 , pp. 343-367. (Philadelphia 1955)

Chalandon (F) :
- Essai sur le reigne d'Alexis ler comnene (1081-1118) (Paris 1900) .
- The Earlier comneni in cam . Med . Hist . vol . IV pp . 318-350 . (New York 1923) .
- The later comneni in Cam.Med.Hist . vol . IV pp . 351-384 . (New york 1923) .

Charanis (P.) :
- Cultural diversity and the Breakdown of Byzantine power in Asia Minor – in Dumbarton oaks papers . Nŏ . 29 (1975) pp 1-20 .
- The Salvic Element in Byzantine Asia Minor in the thirteenth century. Byzantion T.xviii (1948), pp . 69-83 .
- The Byzantine Empire in the Eleventh Century in Setton : A History of the crusades. vol. 1 pp 177-219. (Philadelphia 1955)

Cheynet (J-C) :
" Mantaikert un Desastre Militaire ? " in Byzantion T.L (1980). pp. 410-438 .

Clive (F.W. F) :
- Ikonion vol 2 p . 985 . , The Oxford Dictionary of Byzantium . (Oxford 1991) .
- Asia Minor vol . 1 pp . 205-7 . ,The Oxford Dictionary of Byzantium (Oxford 1991).

Combe , J . Sauvaget et G.Wiet and others :
Repertoire chronologique D'Epigraphic Arabe . Tome Neuvieme (Le Caire MCMXXXVII) .

Constantelos (D.J) :
Medicine Byzantine vol . 8 (pp . 244-6) , Dictionary of the Middle Ages . (New York 1986)

Cosan (E) :
Haci Bektas and the Bektasi Order (pp . 190-194) , Barrie & Jenkins :Arts of Cappadocia (London 1971).

Cuneo (p) :
The Architecture . (pp . 85-117) , in Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia (London 1971).

Der Nersessian (s) :
The Armenians (London 1969).

Diehl (C) :
- Figures Byzantines (Paris 1948) .
- Histoire de l'empire Byzantin (Paris 1920) .
- Byzantium : greatness and decline trans by Naomi Walford (New York , 1957)

Duggan :
The story of the crusades (London 1963) .

Dunlop (D.M) :
The History of the Jewish Khazars (princeton 1954) .

Elizabeth (A .Z) & Alexander (K) :
- Turks vol . 3 pp . 2129-2130 . , The Oxford Dictionary of Byzantium : (Oxford 1991) .
- Seljuks vol . 3 p . 1867 . , The Oxford Dictionary of Byzantium : (Oxford 1991) .

Eyre :
European Civilization: Its Origin and Development . by various contributors under the direction of Eyre . vol III (London , 1935) .

Foss (C) :
Anatolia vol . 1 (pp . 239-242) , Dictionary of the Middle Ages. (New York , 1986).

Franz Tinnefeid :
Mengucukter in Islam Ansiklopedisi Cilt 7 . (pp . 713-718) (Istanbul 1972).

Franzius (Enno) :
History of Byzantine Empire (New York 1267) .

Gabriele :
Arab historians of the crusades . Translanted from the Italian by E.J Costello (London 1984) .

Garsoian (N.G) :
paulicians vol . 3 p . 1606 . , The Oxford Dictionary of Byzantium : (Oxford 1991) .

Garsoian (N.G) :
paulicians vol . 9 (pp . 468-70) , Dictionary of the Middle Ages. (New York , 1986)

Garvey (B.O) :
Michael Attaleiates vol . 8 (p . 304) , Dictionary of the Middle Ages. (New York , 1986)

Golden (P.B):
- Danishmend . vol . 4 (pp . 91-93) , Dictionary of the Middle Ages. (New York , 1986)
- Saldjuks vol . 11 (pp . 150-156) , Dictionary of the Middle Ages. (New York , 1986)

Goodwin (G) :
Konya In Encyclopedia of Islam . vol . V (1985) .

Grabois (A) :
The illustrated Ency . of Medieval Civilization . (London 1988) .

Grousset (Rene) :
- Histoire des croisades et du Royaume France de Jerusalem 3 vol . (Paris 1934) .

- L'Empire des steppes (Paris , 1948) .
- L'Empire du levant (Paris , 1946) .

Guerdan (Rene) :
Byzantium . its triumphs and Tragedy . translated by D.L.B Hartley with a preface by Charles Diehl . (New York 1962) .

Hamilton (J.Arnott) :
Byzantine Architecture and Decoration. (London 1956) .

Hanawalt (E.A) :
Anna komnena vol . 1 (pp . 303-4) , Dictionary of the Middle Ages. (New York , 1986)

Hasluck (F.W) :
christianity and Islamic under the sultans . (Oxford 1929) .

Heywood (C.J) :
Kastamuni in Encyclopedia of Islam . vol . IV (Lieden-1990) .

Hillenbrand (C.J) :
Madrasa In Encyclopedia of Islam . vol . V (Lieden-1986) .

Hitti (P.K) :
History of Syria . (London , 1957).

Holt(P.M) :
The Age of the crusades (London-1992).

Honigmann (E) :
Malatya In Encyclopedia of Islam . vol . VI (Lieden-1991) .

Hulm (E.M) :
The middle age . (New York , 1938)

Hussey (Joan) :
Byzantium and the crusades (1081-1204) in setton . vol . 2 . (Philadelphia , 1955) .

Izeddin (Mehmed) :
"Notes sur les mariage princiers en orient au moyen Age " Journal Asiatique T . CCLVII pp . 139-156. (Paris 1969) .

Jenkins (Ronilly) :
The Imperial Centuries, AD 610-1071. (London 1966) .

Jobnson (Edgar) :

"The crusades of Frederick Barbarossa and Henry VI "in Setton : vol . II (pp . 87-122).
(Philadelphia , 1955).

Jorga (N):
The Byzantine Empire . translated from the French by Allen H Powles (London 1907) .

Kingsford (C.L) :
The Kingdom of Jerusalem . 199-129 . in camb . med . hist . vol . v (Cambridge 1979)

Koestler (A) :
The thirteenth tribe the Khazar Empire and its heritage . (London . 1976) .

Krautheimer (Richard) :
Early Christian and Byzantine Architecture (U.S.A 1965) .

Kyriakidos (P) :
" Le Roman Epique Turcd Sayyid Battal " Byzantion . pp . 563-70 T -II (1936) .

Lamb (Harold) :
The crusades (London , without date).

Lamouch (C.H):
Histoire de la Turquie (Paris 1934) .

Lang (D.M) :
Armenian cradle of civilization (London 1978) .

Levey (M) :
The world of ottoman Art . (London 1975) .

Levtchenko (M.V) :
Byzance des origines A 1453 . (Paris 1949) .

Lilie (R.J) :
- Byzatium and the Crusader States 1096-1204. translated by J.C . Morris and Jean . E . Ridings
(Oxford – 1993).
- Die Schalacht von Myriokephalon (1176) Auswirkungen auf das Byzantinische Reich im ausgehenden 12 Jahrhundert Revue des Etudes Byzantines Tome 35 pp. 257-275. institut Francais D'Etudes Byzantines. (Paris 1977) .

Leiser (G) :
Saltuk In Encyclopedia of Islam . vol . V (1995) .

Loewe (H.M.J) :
The Seljuqs in camb. Med. Hist ., pp . 299-314 . vol IV (New York 1923)

Maalouf (A) :
The crusades through Arab Eyes . (London 1984) .
Macartney (C.A) :
The pechenegs in the slavonic and east European review ., vol . III , pp . 342-355) (1929-1930).
Macler (F) :
Armenia in camb. Med. Hist. Pp . 153-182 . , vol . IV (New York 1923) .
Magoulias (H.J) :
Niketas choniates vol . 9 (pp . 133-4) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)
Mango (Cyril. A) :
Constantinople . City on the Golden Horn . (New York, 1969)
Marsden (William.F.R.S) :
The oriental coins " Numismata orientalia illustrata. part 1 (London –1823).
Matthew (D) :
Atlas of Medieval Europe (Oxford 1992) .
Mayer (H.E) :
The crusades . Translated by John Gillingham . (Oxford , 1988).
Melikoff (I) :
Danishmendids In Encyclopedia of Islam . vol . II (1991) .

Michaud (M) :
Histoire des croisades (Paris 1838) .
Milton (J) & Steinberg (R) :
The cross and the cresent Byzantium , the Turks preface by Ron William Walden (U.S.A.1987) .
Mokrimin (H.Y) :
Danishmendliler in Islam Encyklopedia cilt 3 (pp . 46-479) . (Istanbul 1977) .
Morgan (J) :
Histoire Du peuple Armenien (Paris 1919) .
Nesbitt (J.W) :
Mints and Money Byzantine vol . 8 (pp . 418-421), Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)
Nickel (H) :
- Arms and Armor vol. 1 (pp . 521-36), Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

- Lance vol. 7 (pp. 323-25) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)
- Swords and Daggers vol. 11 (p 546-52), Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

Oman (C.W) :
The Byzantine Empire . (London 1911) .

Omeljan (p) :
Pecheneges vol . 3 pp . 1613-1614 ., The Oxford Dictionary of Byzantium . (Oxford 1991) .

Ostrogorsky (George):
History of the Byzantine state (Oxford 1968) .

Ottin (Merry):
Land of Emperors and Sultans , the forgotten Cultures of Asia Minor. (London , 1964).

Painter (Sidney) :
- The third crusade , Richard the Lion hearted and Philip Augustus . Setton:A History of the crusades .vol.II pp .45-86. (Philadelphia 1955)
- A Hist. of The Middle Ages ., pp. 284-1500 . (New York 1954) .

Parkes (I) :
Hist. Of Palastine from 135.A.D to modern times (London , 1949) .

Pasdermadjan :
Histoire De L'Armenie Depuis les origines Jusqu'au traite de lausanne . (Paris 1964) .

Pirenne (H) :
A History of Europe , from the invasions to the XVI century . (London 1911) .

Powicke (J.F) :
Bogomils in Ency , of religion and ethics . pp . 784-785 ( ) . (New York 1917)

Previte (C.W) :
The shorter Cambridge Medieval History ., vol . 1 (Cambridge 1952) .

Ramsay (W.M):
- The Historical geography of Asia Minor . (Amsterdam 1962)
- The cities and Bishoprics of phrygia from earliest times to the Turkish conquest . vol . II (Oxford 1895– 97)

Rice (T.T) :
- Byzantium . (London 1967) .
- The Seljoukes in Asia Minor (London 1961) .

Robinson (F) :
- A short Hist. Of Mediaval peoples .
(London – 1912).
- Atlas of the Islamic world since 1500.
(Oxford 1987) .

Rose (L.C):
- Ikonion vol . 6 (p . 418) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)
- Nikephoros Bryennios vol . 9 (p . 133) , Dictionary of the Middle Ages.
(New York 1986)
- Romanos IV Diogenes vol . 10 (p . 516) , Dictionary of the Middle Ages . (New York 1986)

Rosenthal (H) :
- Art. Caucasus in the Jewish Ency
(New York and London - without Date).
Art. Chazar in the Jewish Ency. , vol . IV.
(New York and London - without Date) .

Runciman (Steven):
- A history of the crusades 3 vol.
(Cambridge - 1950)
- The first crusade , Antioch to Ascalon in setton .vol 1. (Philadlphia 1955)
- The Eastern Schism (Oxford 1955) .
- The first crusade constantinople to Antioch in setton . vol . 1 . (Philadlphia 1955)

Sayar (I.M) :
The Empire of the Salcuqids of Asia Minor in Journal of Near Eastern - studies . vol . 10-11 . p . 268-280 (U.S.A 1951-1952) .

Sheskin (I.M) :
Anatolia (an-uh-toh-lee-uh) in Lexicon Universal Encyclopedia vol . 15 , (New York 1983) .

Slobodan (C) :
Komnenoi vol . 7 (pp . 283-4) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

Scott (C.A) :
Paulicians in Ency of Religion and Ethics ., vol . ix pp . 695 –698 (New York - 1917)

Sourdel (D) :
Reflexions sur la diffusion de la Madrasa en orient revue des Etudes Islamiques , T.X lIV pp . 165-184 .
(1976) .

Strange (G.Le):
The Lands of the Eastern Caliphate .
(Cambridge 1930)
Taeschner (F) :
- Anadolu In Encyclopedia of Islam . vol (1986) .
- Baba In Encyclopedia of Islam . vol .-1 (1986) .
Tekeli (S) :
The culture of the Seljuk and ottoman periods (sience) (pp . 43-96), Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia (London 1971) .
Thierry (N) :
- The Rock Churches (pp . 129-176) , Barrie & Jenkins : Arts of Cappadocia (London 1971) .
- L'art monumental Byzantine En Asia Mineure Du XI e Siecle Au XIV in Dumbarrton oaks papers No. 29 (1975) . pp . 74-125 .
Tout (T.F):
The Empire and the papacy (918-1273)
(London 1909) .
Turan (Osman):
- " L'Islamisation dans la Turquie du Moyen Age " stvdia Islamica T.X . pp . 137-152 (Paris 1959).
- les souverains Seldjoukides et leurs sujets non musulmans " stvdia Islamica T.I pp . 65-100
(Paris 1953) .
- Anatolia in the period of the Seljuks and the Beyliks " The Cambridge History of Islam . vol . IA . pp . 231-262 . (Cambridge, 1970)
Van Berchem (Max) et Halil Edhem :
Materiaux pour un corpus in scriptionum Arabicaurm , L'institut Francais D'Archeologie Oriental du Cairo (Le Caire, 1917) .
Vasiliev :
History of Byzantine Empire 324-1453 vol . II (Madison 1958) .
Vryonis (Speros):
- The Decline of medieval Hellenism in Asia Minor and the process of Islamization from the Eleventh through the Fifteenth century (California 1971)
- Nomadization and Islamisation in Asia Minor ., Dumbarton oaks paper No. 29. pp 41 – 7 (1975) .
- Byzantium : its internal History and relation with the Muslim world (London 1971)

- The Decline of Byzantine in Asia Minor ., - Fifteenth century- In Dumbarton oaks papers . No . 29 . (1975) pp . 351-356 .

Walter (E.K) :

Anatalikon theme vol . 1 (p .242) , Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

Whelan (E) :

Seljuk Art and Architecture vol . 11 (pp . 146-150), Dictionary of the Middle Ages. (New York 1986)

William (B) & Litt (D) :

The first crusade in camb. med .His . vol . v (cambridge , 1979)

Wittek (Paul) :

- Encore l'Epitaphe d'un comnene A Konia in Byzantion . T . XII pp . 207-211 . (1937)

- "Deux chapitres de L'histoire des Turcs de Roum Byzantion T.XI ., pp . 285-319 . (1936) .

فهرس محتويات الكتاب

تــم بحمــد الله

مع تحيات
دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر
تليفاكس: ٥٣٥٤٤٣٨ - الإسكندرية

آسيا الصغرى في العصور الوسطى

دكتور . محمد عبد الشافي المغربي

دار الوفاء لدنيا الط

هذا الكتاب

آسيا الصغرى أو الأناضول مرادفان لإقليم واحد هو شبه الجزيرة بأسرها ، و هى التى تكون الجزء الرئيسى من مساحة الجمهورية التركية فى العصر الحاضر .

هذا الكتاب محاولة جادة لتسليط الضوء على التاريخ السياسى و الحضارى لهذة المنطقة الهامة فى تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب فى العصور الوسطى بصفة عامة و تاريخ الدولة البيزنطية و الحركة الصليبية بصفة خاصة .

والكتاب صفحة جديدة توضح كيف شهدت هذة البلاد الأنتقال من الحضارة اليونانية و الديانة المسيحية إلى العقيدة و الحضارة الإسلامية

موضوعات عديدة و متداخلة تناولها هذا الكتاب لأن المسرح الذى جرت عليه الأحداث واسع و فسيح ، و تطلب الأمر إستعراض العلاقات المختلفة بين القوى و الأطراف المعنية فى شتى صورها و مضامينها ، و توضيح ما فيها من سياسات و صراعات فى فترة من أدق فترات العصور الوسطى و أخطرها .

هذا الكتاب يقدم الأسباب و الأحداث و النتائج